جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

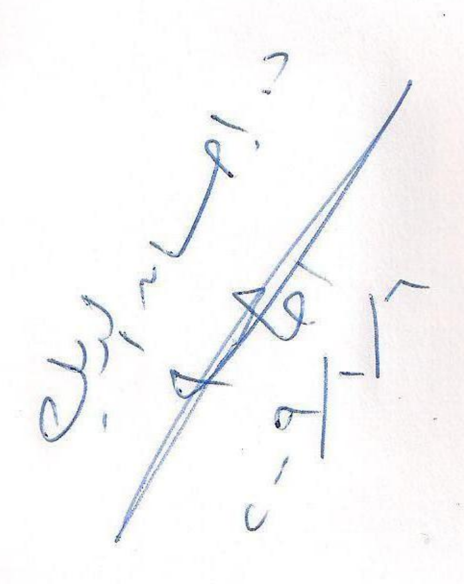
الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله

إعداد
نضال فخري طه

إشراف الدكتور
إحسان الديك

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين

2009م



الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية

في الأدب الشعبي في محافظة رام الله

إعداد

الطالبة: نضال فخري طه

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ:(17/11/ 2009م)، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:	**التوقيع:**
1-الدكتور إحسان الديك/ مشرفاً ورئيساً	....
2-الأستاذ الدكتور يحيى جبر/ ممتحناً خارجياً	....
3-الدكتور نادر قاسم/ ممتحناً داخلياً	....

.... وحبوب
سنبلة تموت
.... ستملأ
الوادي سنابل

محمود درويش

لا تغرق في اليأس....
إعط البسمة للدنيا
فالدنيا بخير وسلام.
أبواب الحرية مشرعة
والناس المكبوتة.....
مِن بِشْرِها في عرس
وخيوط الفجر تطل
على أفق القدس
أهزج للصبح الآتي
أكتب أغنية للشمس

فخري صرداوي

الإهداء

إلى..... عائلتي الكريمة

إلى الأب.... السماء...

إلى الأم.... الأرض....

إلى النُبْل والشهامة....

إلى المجد.....

إلى ضوء القمر....

إلى أصدقائي....

إقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية

في الأدب الشعبي في محافظة رام الله

Social & Popular Rituals & Beliefs

in the Palestinian Literature

in Ramallah District

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيـل أي درجـة أو لقـب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:	اسم الطالبة: نضال فخري طه
Signature:	التوقيع: ....
Date:	التاريخ:

الشكر والتقدير

بعد حمد الله والثناء عليه، أتقدم بالشكر الجزيل

للدكتور إحسان الديك

الذي أحفني بعناية علمية إرشادية تقويمية خاصة في جميع مراحل البحث، منذ كان فكرة أو بذرة في فلاة حتى استوى على سوقه.

شكر خاص للدكتور شريف كناعنه

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكل الذين أجريت معهم مقابلات شخصية، واستقبلوني في بيوتهم بصدور رحبة ولم يبخلوا عليّ بشيء.

شكر وتقدير لنبال وأمجد ودارة وبثينة طه وعبير قاسم ودولت ووسيم عبوشي.

شكر وتقدير إلى (عيسى، السائق على خط عين يبرود)

إلى محمد (السائق على خط سنجل)

إلى جاد (معلم المدرسة من بيت ريما)

إلى محمد (من بيت دقو)

فهرس المحتويات

الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله

إعداد

نضال فخري طه

إشراف

الدكتور حسين الديك

الملخص

تمثل الطقوس الاجتماعية جزءاً هاماً من التراث والأدب الشعبي الفلسطيني، وقد شكل الأدب الشفاهي المحفوظ في صدور أبناء الشعب ووجدانه دعامة أساسية لبقاء هذه الطقوس، كان الأمر أكيداً لوقت ليس بعيداً، أما اليوم فخطر ضياع هذا الإرث أو هذا الكنز يتهدد فلكلورنا الشعبي، إذ نستطيع الحفاظ على الأدب الشعبي بتدوينه، وتصاحب هذه الطقوس والممارسات إيماءات وحركات يصعب تسجيلها، محفوظة في صدور الجدّات ومعرضة للموت مع موتهن، وهي تتلاشى شيئاً فشيئاً مع مرور الأيام.

من هنا كانت أهمية هذه الدراسة للمحافظة على هذا الموروث، وتدوينه وتوثيقه ودراسته، فتناولت في التمهيد الطقس والسلوك الإنساني، فأزلت الغموض عن هذا المصطلح، ثم بينت ارتباطه بقوى خارجية غيبية أساسها الخوف وطلب الحماية من الخالق، لقد تتبعت الطقوس منذ اللحظة التي يتمنى الإنسان الإنجاب، فكان هذا مدار بحثي في الفصل الأول (طقس ما قبل الولادة)، حيث تطرقت إلى الطقوس السحرية التي تلجأ المرأة إليها كي تنجب أو تحافظ على حملها إذا ما حملت،ومنها طقس الوقوف أمام الولي وتقديم النذور والدعاء عند قبر القتيل "قُتِلَ ظلماً"، وطقس بلع (القطعة) مخلفات عملية الختان، ثم بينت ما تتعرض له الحامل من محاولات لقتلها أو إجهاضها من القرينة، وأوردت الطقوس السحرية لطرد هذه القرينة وإبعاد أذاها ومنها استخدام التمائم والأحجبة والتعاويذ والتمويه.

وفي الفصل الثاني (طقس الولادة)، تحدثت عن طقوس الولادة ومنها ما تقوم به المرأة لتسهيل هذه العملية والتعاويذ السحرية التي ترافقها، ورأيت أن الماء المستخدم في حمَّام الطفل يشبه الماء المقدس، ماء التعميد في الديانات أو ماء الطوفان الذي يعمد الأرض تمهيداً للميلاد وبعث

جديد، ثم مررت على مراحل حياة الطفل وما تحويها من طقوس مثل قص الشعر، وتقديم الفدو والعقيقة، وأوردت الرقى والتعاويذ التي تطرد العين الحاسدة، والقرينة التي تسبب للطفل المرض والأذى، ثم انتقلت للطقوس في مرحلة ظهور الأسنان، ومرحلة المشي وأخيراً تحدثت عن مرحلة الختان،مؤيدة كل ذلك بالأمثلة والأغاني الشعبية.

أما الفصل الثالث (طقس الزواج)، فقد تتبعت فيه الطقوس التي تصاحب عملية البحث عن العروس ثم طلبها، وخطبتها، وكسوتها، وحِنّاها إلى أن وصلت للزفة ورش الماء والشعير، وكنت أورد الطقس مدعوماً بالأدب الشعبي، ثم أعود إلى جذوره الأسطورية القديمة التي تبدأ من الإنسان النتدارلي أحياناً، أي قبل مئتي ألف سنة قبل الميلاد، وحتى العصر الروماني ثم الجاهلي في كثير من الأحيان، أما الفصل الرابع (طقس الموت) فأوردت مراحله منذ لحظة النزاع الأخير وانتقال المحتضر ما بين عالم الأحياء وعالم الأموات إلى لحظة إعلان الوفاة فغسل الميت وتكفينه ثم خروج النعش، والصلاة عليه ثم دفنه باتجاه معين وتلقينه ما سيقول استعداداً لبعث جديد، وذكرت تقديم القرابين للميت والحرص على سقايته، ثم تشاؤم الأحياء منه وخوفهم من أذاه، وفي كل هذا أوردت الطقوس الحديثة متزامنة مع وجودها في الأدب الشعبي ثم قارنتها مع الطقوس القديمة، وقد توصلت إلى استنتاجات كثيرة تؤكد أن إنسان اليوم ما يزال يمارس طقوساً قديمة تمتد إلى مئات الآلاف من السنين، وأن الإنسان الحديث في جزء كبير من لا شعوره يعود إلى بداياته ونموذجه الأول.

المقدمة

تتناول هذه الدراسة الطقوس والمعتقدات الاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله. وتأتي أهمية هذه الدراسة كون الشعب الفلسطيني في الحاضر يقف على أعتاب مرحلة هامة، احتل فيها ما يُسمى ب (الدي-جي)، وهو الآلات الموسيقية الحديثة محل الغناء الشعبي التراثي الجماهيري، وأخذت فيه الملابس الحديثة والأطعمة السريعة مكان الثوب المطرز والأطعمة التقليدية، حيث يندر اليوم أن نَجِدَ صبية صغيرة ترتدي الزّيّ المطرز الذي يُعد تقليداً متوارثاً، رغم أهميته التي تكشفها لنا هذه الدراسة.

من هنا نكاد نلمس تلك الفجوة الآخذة في الاتساع يوماً بعد يوم، بين ما هو قديم يعمق أصالتنا وما هو حديث يجردنا منها.

إن فلسطين حالة خاصة، فَتراثها الشعبي هو هويتها، ولهذا استحقت بجدارة أن تكون أرضاً مقدسة، وهي التي تضم قبور عديد من الأنبياء والرّسل، لهذا فهي تتعرض الآن، ومنذ زمن بعيد لعملية سلبٍ واغتصاب يقوم بها الاحتلال وفق أسلوب ممنهج ومنظم، غرضه تزييف الحقائق، واذكر هنا تلك القصة التي سمعتها في قرية عين قينيا عن أحد الصهاينة المحتلين، الذي كان يأتي إلى حقول القمح الذهبية هو وعائلته ليلتقط فيها بعض الصور وبأوضاع مختلفة، لينشرها في اليوم التالي ضمن تقارير صحفية تتحدث عن حبه لأرضه وعمله.

إنهم في سباق مع الزّمن لاغتصاب الأرض والسماء والهواء والهوية؛ حتى إذا أردنا أن نستيقظ لا نجد شيئاً لنا.

إن هذه الدراسة لا تبحث عن أحقية من كان أولاً في هذه الأرض، فهذا جدال يطول الحديث فيه ضمن آراء متناقضة وأدلة لكلا الطرفين.

ولكنها تحاول الإجابة عن سؤال محدد يقول من أين أتت هذه الطقوس التي لا تمت للدين الإسلامي والمسيحي واليهودي بصلة؟ هذه الطقوس التي ما نزال نمارسها ونتمسك بها دون وعي أو إدراك في كثير من الأحيان.

أتعرض في هذه الدراسة لحضارتنا التي لم نكتشفها بعد ولا أعني بهذا حضارة ما بعد الإسلام، بل حضارة ما قبله عندما كنا أيضاً أمة عريقة تضرب جذورها في عمق التاريخ بل بداياته.

لذا يقف الإنسان مشدوهاً أمام تلك المرأة التي ما تزال تكشف عن صدرها وتصعد على سطح منزلها تطلب من الخالق المساعدة ولا تعرف لماذا تفعل ذلك.

وننظر إلى المرأة العاقر التي تلجأ لكافة الأساليب السحرية – التي كانت منذ كان الإنسان يعيش على هذه الأرض – دون وعي أو إدراك منها أيضاً.

ثم نجد الطفل الصغير لا يزال يلتقط قطعة الخبز عن الأرض وقد تعلم من أهله، فيقبلها ثم يضعها على جبينه في حركة لا إرادية وكأنها القرآن الكريم.

وقد نجد كذلك الجدة تغني طلاسم تتحدث فيها مع الماء وهي تحمم حفيدها، دون وعي منها بهذه الطلاسم.

ولأن هذه الطقوس بدأت تختفي من تراثنا بفعل موت الأجداد، لتظهر عند محتلينا الذين يعكفون منذ زمن على دراسة الأساليب التي تجعلنا نُضَيِّع ماضينا وحاضرنا؛ لأن أحداً منا لم يقف حتى الآن على حجم هذه القضية، مع عِلمنا بمقدرة هذا الاحتلال الرّهيب، وقد نجدهم في مدينة رام الله يحاولون شراء الألحان الفلسطينية التراثية، ليزوروا الكلام بكلامهم، فَتَبدو هذه الألحان وكأنها لهم، إنهم يسيطرون على كافة الصعد، ونحن لا نزال نراوح مكاننا، ليس أمامنا طريقة أو أفق لما يمكن أن تؤول إليه الأمور، فكيف لنا بأفق لحلها؟

لقد حاولت جاهدة جمع ما يمكن من الطقوس الاجتماعية والأدب الشعبي في محافظة رام الله، وهي كثيرة بحيث يصعب الإحاطة بها جميعها، وقد اخترت هذه المحافظة لأنها تزخر بهذه الطقوس حتى الآن لسبب غَفِل عنه الاحتلال ولم يكن بحسبانه، نحن نعلم أن أهل هذه المحافظة معظمهم مغتربون ويحملون جنسيات أجنبية.

إلا أن هذا المغترب عندما سافر – وهو ربما الجد الآن – ظل يتحدث في الغربة بلهجته (الفلاحية) الأصيلة مع أبنائه ثم أحفاده، اللهجة الفلسطينية الأولى نفسها، وعندما عاد للوطن كان أبناؤه وأحفاده يحفظونها كما كانت (أصيلة)، رغم تحولها في الوطن نفسه، كما حافظ أيضاً على نظرته الأولى، التي غادر بها، لأرضه وللعادات والتقاليد فيها، وعندما عاد أحياها هي ذاتها التي كانت قد توقفت عند لحظة مغادرته.

لذا نجد الشبان الصغار يتحدثون بلهجة الأجداد في دير دبوان وسردا وعين يبرود، ويحملون كثيراً من الكلمات التي لولاهم لاندثرت منذ زمن، فنجد "عالية" ذات الأربعة والعشرين ربيعاً، والتي جاءت مع والدها من أمريكا تعرف كل مسميات الوقاه والشطوة والملابس الفلاحية المطرزة؛ حتى إنها تردد هذا المثل: (مثل البصل و الكشك[1]) بلهجتها البيراوية المميزة، والتي تفتخر بها وتحتضن في خزانتها مجموعة من الثياب المطرزة التي تستخدمها في المناسبات العامة.

كما أن مدينة رام الله مهد أولى الحضارات القديمة تشهد على ذلك قرية شقبا التي تحوي آثار الحضارة النطوفية[2] القديمة.

وحتى أقف على مدى حضور هذه الطقوس في محافظة رام الله، قسمتها إلى أربع مناطق شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، واستخدمت البحث الميداني، وجمعت هذه الطقوس وما يصحبها من ألوان الأدب الشعبي، وحرصت على أن تكون مشافهة من أفواه الناس، بعد أن قرأت نقداً وُجه لعالم الآثار والعلوم الإنسانية المشهور جيمس فريزر صاحب كتاب الغصن الذهبي، مفاده (أنه كان عليه أن يجمع ما أورده في كتبه شفاهة من أفواه الناس وكان عليه أن ينزل إليهم لا أن يأخذ من مصادر مطبوعة) [3] وهذا مع علمي بمكانة هذا العالم الرفيعة.

ولكي أجذر هذه الطقوس قرأت عدداً من الكتب التي تتناول الأساطير القديمة، وقد اعتمدت في ذلك نصوصاً أدبية شعبية فلسطينية ونصوصاً قديمة أسطورية، واتبعت بهذا المنهج الأسطوري ولم أكن أتوصل لما توصلت إليه إلا باستخدامي للمنهج التحليلي في إماطة اللثام عن هذه الجذور القابعة بأمان في عمق التاريخ البشري.

وقبيل البدء بالبحث كان لدي مجموعة من الأهداف أهمها:

إغفال الجدال حول أولوية وجود الفلسطينيين أم اليهود على هذه الأرض والاكتفاء بالدلائل الواضحة التي تُظهر ذلك، فهذه الطاحونة التي نجدها في البيوت حتى اليوم وفي الجمعيات

---

(1) الكشك: هو لَبَن مُجمّد لمدة طويلة جداً، يستخدم في العديد من الأكلات الفلسطينية الشعبية المشهورة، خاصة المنسف.

(2) الثقافة النطوفية: نسبة إلى (وادي النطوف) شمال غربي القدس في كهف اسمه الشقبة، 12000-8000 ق.م.انظر: الماجدي، خزعل، **أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ**، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، فلسطين، ط1، 1997، ص63.

(3) فريزر، جيمس، **الفلكلور في العهد القديم**، ترجمة نبيلة غبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972، ص17.

التراثية، والتي هي علامة مميزة تمثل الفلسطينيين تعود للعصور الحجرية الأولى إلى جذور أبعد بكثير مما يتم النقاش حوله، إلى جذور تضرب في عمق التاريخ الإنساني.

ولكن هذا لا يكفي، فعلينا إعلام الأجيال القادمة عن أصول الطاحونة، ولماذا نستخدمها؟ وقد كانت في تلك العصور القديمة البدائية تعني الخصب والحياة عندما تعمل، والموت والدمار عندما تصمت، ومما لا يدع مجالاً للشك في هذا الكلام ما تقوم به اليوم عشتار الفلسطينية من نواح وبكاء على شهدائها فوق الطاحونة ذاتها التي ناحت عليها عشتار الأولى عندما كانت تقدم أبناءها قَرابين لآلهة الخصب كي تدور الطاحونة من جديد؟

وقد تكون هذا البحث من تمهيدٍ وأربعة فُصول:

تناولت في التمهيد مصطلح الطقس وبحثت في معناه ودلالاته في المعاجم العربية والإنجليزية، كما ذهبت إلى معاجم علم الاجتماع، وعلم الأرصاد، ثم تلمست علاقة الطقس بالطَسَق لأجد بينهما علاقة واضحة لأن كل منهما يعني دفع ضريبة بشكل ما مقابل شيء معين، وبعد ذلك حددت علاقة الطقس بالدين والأسطورة والمعتقد، والمأثور الشعبي، ثم قسمت الطقوس إلى ثلاثة أنواع هي: السحرية، والدينية الروتينية والدورية الكبرى ثم أدرجتها ضمن مجال أوسع يحتويها، ويضم مراحل العبور الثلاثة في دورة وجود الإنسان هي طقس الميلاد وطقس الزواج وطقس الموت.

الفصل الأول، طقس ما قبل الولادة، ارتأيت أن أجعله طقساً منفرداً؛ لكونه يندرج ولا يندرج في طقوس الميلاد والزواج فهو يأتي قبل الميلاد وبعد الزواج، وقد اتبعت في هذا الفصل وباقي الفصول منهجاً يوازن بين الحديث والقديم فكنت أذكر الطقس حديثاً ثم أعود لجذوره الأسطورية القديمة.

في هذا الفصل تناولت بداية علاقة المرأة بالعقم في الموروث الشعبي فبينت أهمية الإنجاب عند الفلسطينيين وفي الأساطير القديمة، ثم وصلت إلى لجوء المرأة للأساليب العلمية كافة والقابلات والسحرة والمشعوذين كي تحمل، وبينت خلال ذلك الطقوس التي تمارسها (الداية) القابلة لعلاج المرأة من العقم، ثم بينت بعد ذلك الطقوس السحرية التي تلجأ لها المراة إذا فشلت القابلة.

ثم انتقلت بعد ذلك لطقس الحمل، ومكانة الحامل حديثاً وقديماً، ومدة الحمل، وطرق الكشف عن جنس الجنين، وتحدثت عن القرينة التي تلاحق المرأة الحامل لإجهاضها ثم طرق التخلص منها، ومن أذاها، واستخدام الأساليب السحرية كالتعاويذ والأحجية والتمويه لذلك.

أما الفصل الثاني، فصل الولادة، فقد تناولت فيه عسر الولادة ومهاجمة القرينة للمــرأة ســاعة الولادة، ثم استخدام المرأة الطقوس السحرية العديدة لتبعد عنها شر القرينة، انتقلــت بعــد ذلــك للحديث عن الطقوس المصاحبة لعملية الولادة، كالحديث عن غرفــة الــولادة حــديثاً وقــديماً، والمرافقين لهذه العملية، ثم تحدثت عن لحظة الولادة والتكهن بجنس الجنين القادم مــن الحبــل السري، ثم طرق التخلص من هذا الحبل، ومن مخلفات عملية الــولادة، وبعــد ذلــك تطرقــت لموضوع تفضيل الذكر على الأنثى، ودعمت ذلك بأمثال شعبية كثيرة، ثم تدرجت بعد ذلك مــن لحظة وصول الطفل ووضعه في صينية القش إلى حمّامِهِ بالماء المقدس، ثم تمليحه ودهنه بزيت الزيتون، وأهمية ذلك حديثاً وقديماً، وبعد ذلك انتقلت لطقس تكحيل الطفل وتسميته، وتناولت بعد ذلك طقس العين الحاسدة وأهمية الرقيــة والتعاويــذ والأحجبــة والخــرز والملــح والبخــور والفأس والمفتاح للتخلص منها، وبعد ذلك انتقلت إلى طقس قص الشــعر، والتســنين، وطقــس المشي، وطقس الخوفة، ثم بينت بعد ذلك أهمية الخبز والبيضة في المعتقدات الشعبية وجــذورها الأسطورية، وانتقلت إلى طقس العقيقة، ثم طقس الختان، وقد ربطت كل هذه الطقوس بأصــولها القديمة ومثيلاتها في الأساطير القديمة.

أما الفصل الثالث، وهو فصل الزواج، فتناولت فيه أهمية الزواج والإنجاب من خــلال الأمثــال الشعبية ومقارباتها في الأساطير السومرية والبابلية، وتحدثت عن ســن الــزواج ومواصــفات عروس المستقبل، وبعض الطرق السحرية للتخلص من العنوسة، ومراسم الزواج مــن بــدايتها كالطلبة والإعلان الرسمي لها وقراءة الفاتحة وكتب الكتاب (الإملاك)، والاتفاق علــى المهــر والذهب، وأمور أخرى، كخاتم الذبلة، وحلقة الحياة، ومراسم الخطبة و الكسوة التــي تتضــمن صندوق العروس، وتحدثت عن طلعة العروس والزفة وطقس حمــام العــريس والزفــة ورش الشعير والملح وتوزيع (مْلَبَس بيض الحمام)، ثم طقوس المشاعل والذبح فــي أيــام الســهرات والعرس، ووقفت على زينة العروس وكحلتها ووشمها وملابسها يومي الحنة والعرس، ثم انتقلت

بعد ذلك لطقس زفة العروس والعريس على ظهور الخيل أو في (التكسي)، يتبــع ذلــك طقــس العجينة أمام منزل العريس ورش الماء، ثم رفع الطرحة وليلة الدخلة وفكــاك الكنــدرة وفــض البكارة وأخيراً طقسي النفاس والرضاعة.

أما الفصل الأخير، فكان عن الموت مرحلة العبور الأخيرة، تناولت فيه فكرة الموت عند القدماء والمحدثين، وقد عرضت طقوساً متلاحقة تبدأ من طقس الاحتضار ثم طقــس بعــث الرســائل للموتى، وطقس زفة الموتى للميت القادم من بعيد، ثم انتقلت لطقس إعلان الوفاة وطقس البكــاء والنواح والرقص الجنائزي، وطرق التعبير عن الحزن والحداد، وقد قدمت أغاني تضمنت ندب الرجل والمرأة والطفل والقتيل والغريب، ثم انتقلت بعد ذلك لطقس الدفن واتجاهه وطقس التلقين ثم وضع الشاهد على القبر، وتقديم القرابين للموتى، ثم طقس الأربعين ووقفــت أخيــراً علــى طقوس الشؤم من الميت، وطقس كسر الفخار خلفه وطقس الطاحونة والنواح قربه.

ورصدت في الخاتمة النتائج التي توصلت إليها، وركزت فيها علــى أهميــة هــذه الطقــوس، وضرورة تجذيرها والعودة بها إلى منابعها الأولى لتأصيل وجود أصحابها على هذه الأرض.

تمهيـــــد

الطقس في اللغة

يجد الباحث في قواميس اللغة وغيرها، أن هذه الكلمة تبدو بشكلين، أحدهما بمعنى الجذر طسق، وهذا ما يوجد في معاجم اللغة القديمة، والآخر بمعنى طقس، وغالباً ما نجـده فـي القـواميس والمعاجم اللغوية الحديثة.

أما الطَسْقُ: فهو عند بطرس البستاني في "محيط المحيط"، بالفتح، يلحنه البغاددة فيكسرون، وهو مكيال، أو ما يوضع من الخراج على الجربان، أو شبه ضـريبة معلومـة، وكأنـه مولّـد، أو معرّب[1].

وقد كرر هذا التفسير الفيروزأبادي في "القاموس المحيط"[2]، وجاء هـذا التفسـير فـي "لسـان العرب"[3] لابن منظور الذي ذهب إلى أنه فارسي، وقال: كتب عمر إلى عثمان بن حنيف فـي رجلين من أهل الذمة أسلما: إرفع الجزية عن رؤوسهما، وخذ الطسق مـن أراضـيهما، وفـي التهذيب، الطسق شبه الخراج، له مقدار معلوم، وليس بعربي خالص، والطسق: مكيال معروف.
أما الطَقْسُ، عند الجوهري في صحاحه حالة الجو من ضغط وحرارة ورطوبة ورياح وتسـاقط، ودرجة سطوع الشمس في يوم أو أيام قليلة[4].

ونجدهُ في "المعجم الوسيط"، بمعنى النظام أو الترتيب[5]، وتكرر هذا فـي "القـاموس المحـيط" للفيروزأبادي[6]، وجاء عند البستاني في قاموسه "محيط المحيط"، أنه عند النصارى يطلق علـى شعائر الديانة واحتفالاتها، وهو معرب لكلمة "تكسيس" باليونانية، ومعناها نظام وترتيب، والجمع طقوس، والطقيساء، والطقيسة مكان صغير خارج دار الحريم، يُستقبل فيه الأضياف[7].

---

(1) البستاني، بطرس المعلم، **محيط المحيط**، مطبعة تبيوبرس، لبنان، ط2، 1987، ص258.

(2) الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، دار الجليل، لبنـان، ج3، ص267. مادة طَقَسَ.

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994، ص225.

(4) الجوهري، **الصحاح في اللغة والعلوم**، تحقيق نديم مرعشلي، دار النقاش، بيروت، ط1، ص675، مادة طقس.

(5) أنيس، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط2، ص587.

(6) الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، ج3، ص256.

(7) البستاني، **محيط المحيط**، ص553.

والطقس في اللغة الإنجليزية (ritual) بمعنى شعائر[1]، ولربما تشابهت كلمة طقس مـــع (tax) في الإنجليزية وهي بمعنى: فَرض ضريبة، أو تقاضي ضريبة[2].

أما مصطلح الطقوس الدينية (Liturgy) [3]، فله في الكنائس الغربية، الكاثولوكية والبرتســتانتية معنيان: الأول كل ما تفرضه الكنيسة من طقوس العبادة الجماعية، والفرديـــة عـــدا الصـــلوات الشخصية التي يقوم بها المتعبد من تلقاء نفسه، والثاني: القداس الذي يعتبر أهم الطقوس الدينيـــة التي يشترك فيها الكاهن والمصلون.

العلاقة بين طَسَقَ وطَقَسَ

يبدو للوهلة الأولى أن هناك اختلافاً واضحاً بين المعنيين، ولربما يقول الباحث شتان بـــين هـــذا وذاك، ولكن المتأمل يجد أن المعنيين يلتقيان في أنهما نوعٌ من الضريبة أو الفرض، لقاء مقابـــل معين، فالطسق نوع من الضريبة كما مر معنا لقاء الحماية وتقديم بعض الخـــدمات كالجزيـــة. والطقس نوع من الممارسة المفروضة أيضا لقاء الحماية العليـــا، فالإنســـان يمـــارس الطقـــس بحذافيره خوفاً من غضب الآلهة، و كسب محبتها، ومحاولة استرضائها. لذا فكلا المعنيين يجمع نوعاً من التقديم والدفع، مقابل مطلب محدد هو الحماية، بحيث يكون المقدم أو المضحي أضعف من المقدم له، أو المضحى إليه بشكل بيّنٍ واضح.

ولعل المقدم له في حالة طسق واضح فهو الدولة، أما في حالة طقس فهو غير واضح لأنه غيبي خفي.

الطقس والدين

يعرف فراس السواح الدين: بأنه التعبير الجَمعي عن الخبرة الدينية الفردية، وقد تم ترشيدها في قوالب فكرية وطقسية وأدبية ثابتة[4].

ويرتكز الدين على ثلاث مقومات رئيسة هي: الأسطورة، والطقس، والمعتقد، "والتي لا نستطيع التعرف على الظاهرة الدينية في تبديها المجتمعي، بدون التعرف عليها مجتمعة ومتعاونة"[5].

---

(1) كرامي، حسان، **المغني الأكبر**، مطبعة لبنان، بيروت، ط1، 1988، ص1167.

(2) المرجع السابق، ص1435.

(3) وهبة، مجدي، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984، ص237.

(4) السواح، فراس، **دين الإنسان**، دار علاء، دمشق، ط1، 1994، ص43.

(5) المرجع السابق، ص69.

جهد الإنسان منذ القدم في كشف حقيقة الكون، وفي التعرف على تفاصيل البدايات، فحاول السيطرة على الطبيعة من حوله، وكان هدفه في كل مرحلة مر بها إخضاعها لرغباته، لكنه فشل في ذلك، وكانت الطبيعة تتمرد عليه في كثير من حالاتها، فكان لا بد أن يؤمن "بوجود قوى خارقة تقف وراء المظاهر المتبدية لهذا العالم، قوى إلهية، معارضة له، فعالة فيه، ولا بد أن يكون الكون تبدياً مادياً لتلك الطاقات الإلهية، ومظهراً لفعاليتها وقواها المستمرة، وبذلك ابتدأت مرحلة جديدة تتميز بالتقرب لتلك القوى، واجتذاب عطفها، ومحاولة تفهم رغائبها، وآلية فعلها وشروطه. فظهر الدين، وتطور بشقيه: الشق الأول: اعتقاديّ يستخدم الأسطورة أداة للمعرفة، والكشف والفهم، والثاني: طقسي، يستهدف استرضاء الآلهة، والتعبد لها[1].

فهناك أولاً، التفكير في القوى البدائية (الأسطورة) والاعتقاد بقوى عليا (المعتقد)، ثم محاولة استرضائها بشكل التعبد والممارسة (الطقس).

أولاً: المكون الأول (الأسطورة)

(ليست الأسطورة من الكلمات المستحدثة في اللغة العربية، والمضامين التي استوعبتها هذه الكلمة في الاستخدامات الحديثة، تستند إلى مضامينها القديمة، تفيدنا المعاجم العربية، بأن كلمة اساطير قد جاءت من السطر، وهو الخط والكتابة، وجمعه أسطار، وجمع الجمع أساطير، ونعثر على أول استخ

ام للكلمة في القرآن الكريم، حيث جاءت في قوله تعالى"وقالوا أساطير الأولين، اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا"[2])[3].

واشتقاق كلمة "أسطورة" في العربية يقارب اشتقاقها في اللغات الأوروبية، فكلمة Myth في الإنجليزية والفرنسية وغيرها مشتقة من الأصل اليوناني Muthas وتعني قصة أو حكاية[4].

"والأساطير في الواقع، علم قديم، إنه أقدم مصدر لجميع المعارف الإنسانية"[5].

---

(1) السواح، فراس، **مغامرة العقل الأولى**، مطابع العجلوني، دمشق، ط10، 1993، ص11.

(2) سورة الفرقان، آية5.

(3) السواح، فراس، **دين الإنسان**، ص56.

(4) المرجع السابق، ص56.

(5) زكي،أحمد كمال، **الأساطير دراسة حضارية مقارنة**، ص44.

"وتتحول الأسطورة إلى دين، أو يتم امتصاصها من خلال السيطرة الدينية المثالية"[1].

والأسطورة، معتقد إنساني متكامل بمضامينه وأشكاله البدائية الساذجة، نقلت المجتمع المشاعي فيما قبل التاريخ، تدريجياً وضمن عناصر تكاملها الاعتقادي من ظاهرة السكون الموغلة في القدم إلى عدة ظواهر نشطة جديدة، هي أيضا خاضعة لتفسيرات ذلك القدم التاريخي[2].

وهكذا نجد أن الأسطورة وسيلة حاول الإنسان عن طريقها أن يضفي على تجربته طابعاً تركيبياً، وأن يخلع على حقائق الحياة العادية معنى فلسفياً، ويمكن القول إن الأسطورة عملية إخراج لدوافع داخلية بشكل موضوعي[3].

ويعتقد أن الأساطير قصص حقيقية تدرس وقائع وأحداث حصلت بالفعل في يوم من الأيام الماضية، وما زالت هناك شعوب كثيرة من سائر أنحاء العالم تذكر هذه الأساطير، وتؤمن بها. أما الغرض من هذه الأساطير فهو حماية الإنسان من دوافع القلق والخوف، "فهي استجابة للنوازع الداخلية التي يعيشها الإنسان نتيجة إحساسه بالخوف، ورغبته في التعرف على الحقيقية المؤكدة"[4].

"وينبع سلطان الأسطورة وسطوتها على النفس، حتى في دولة العلم العالمية التي نعيشها اليوم، ذلك أن الأسطورة تعطينا الإحساس بالوحدة بين المنظور والغيبي، بين الحي والجامد، بين الإنسان وبقية مظاهر الحياة"[5].

ثانياً: المكون الثاني (الطقس)

أحاطت بالإنسان البدائي مظاهر كونية كثيرة لم يستطع تفسيرها، فعزاها إلى الآلهة بوصفها المصدر الأول لهذه الظواهر الكونية والمنظم لها.

وتساءل الإنسان البدائي عن مصدر المطر والبرق والرعد والنباتات وغيرها من المظاهر الطبيعية، فكان لا بد له أن يربط وجود هذه الأشياء بالقوى الغيبية، التي آمن بسيطرتها عليها،

---

(1) انظر: خان، محمد عبد المعيد، **الأساطير العربية قبل الإسلام**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937، ص3.

(2) فرانكفورت، هـ، **ما قبل الفلسفة**، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، منشورات دار مكتبة الحياة، بغداد، ط4، 1960، ص14.

(3) إبراهيم، نبيلة، **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، دار نهضة مصر، القاهرة، ط2، ص21.

(4) ابن حمادي، صالح، **دراسات في الأساطير**، المعتقدات الغيبية، بوسلامة للطبع، تونس، ط1،1983،ص5، 10.

(5) السواح، فراس، **الأسطورة والمعنى**، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1997، ص21.

ورأى أنه من الأفضل له استرضاء هذه الآلهة، وأن يكون في صلح دائـم معهـا، كـي يـأمن غدرها، عن طريق العبادة والتضحية.

ومن هنا نشأت الطقوس الدينية التي كان الإنسان يحييها في مواسم معينة، والأسطورة بمعناهـا المحدد وصف لهذه الطقوس، أو هي الحكاية التي ترتبط بها[1].

والطقس: "هو الحالة الانفعالية التي تصاحب الأسطورة حيث تُوَلِّدُ الخبرة الدينية المباشرة حالـة انفعالية، قد تصل في شدتها حداً يستدعي القيام بسلوك ما، من أجل إعادة التوازن إلـى الـنفس والجسد، اللذين عبرت التجربة عن حالتها الاعتيادية، ولعل الإيقاع الموسيقي والرقص الحر كانا أول أشكال هذا السلوك الاندفاعي الذي تحول تدريجياً إلى طقس مقنن، ويترافق تقنين الطقـس وتنظيمه في أطر محددة ثابتة مع تنظيم التجربة الدينية وضبتها في معتقدات واضحة يؤمن بهـا الجميع، ويرون فيها تعبيراً عن تجاربهم الفردية والخاصة وبذلك يتحول الطقس من أداء فـردي حر إلى جمعي ذي قواعد وأصول مرسومة بدقة[2].

وقد يقوم الطقس الحر الفردي جنباً إلى جنب مع الطقس الجمعي المنظم، وقد كانت الصلاة فـي المعابد وإنشاد التراتيل، أبرز مظاهر الطقس المنظم قديماً، وبشكل عام يمكن القـول بـأن أيـة صورة ذهنية لا تخرج من عالم الفكر إلى عالم الفعل، هي صورة معرضة للتحجر أو التلاشـي والزوال"[3].

"وتعمد الأسطورة في جانبها إلى خلق نظامها الخاص، وهو نظام قواه الآلهة والقوة الماورائيـة، وقد كانت في المجتمعات القديمة والتقليدية تلعب نفس الدور الذي تلعبه الميتافيزيقيا في الثقافات المتطورة التي أعلت من شأن الفلسفة"[4]، وهو يعبر عن هذا الإحسـاس بطـريقتين: "الأولـى سلوكية تتبدى بالطقس، والثانية ذهنية تتبدى بالأسطورة"[5].

وبالرغم من ارتباط الطقس بالأسـطورة، فإننا نجد أن كلاً منهما يقوم بمعزل عن الآخر، فهناك طقوس تمارس دون مرجعية مثيولوجيـة، وهناك أساطير دون طقوس، لكن هذا لا ينفي وجود

---

(1) إبراهيم، نبيلة، **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، ص21.

(2) السواح، **دين الإنسان**، ص53.

(3) المرجع السابق، ص54.

(4) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص21.

(5) المرجع السابق، ص147.

أساطير نشأت من أنواع من الطقوس، ووجود طقوس نشأت عن أساطير، ويعبر الكلام في الطقس عن الفكرة كما يعبر السلوك والحركة عن الصورة الذهنية التي تنشأ أثناء التفكير. [1]

ويرى دوركهايم[2] "ضرورة وضع معايير للتمييز بين ما هو مقدس، وما هو دنيوي، في معتقدات الجماعة وممارساتها، وبين المجردات والغيبيات، وأنه يجب العزل الدائم بينهما ومنع اختلاطهما، ومع ذلك فإن العبور بين العالمين مستطاع وممكن، ويتم ذلك بنوع من الطقوس التي تسمى في الانثربولوجيا طقوس العبور أو الطقوس الإدخالية، والتي يمتزج فيها المقدس بالدنيوي"[3].

ثالثاً: المكون الثالث (المعتقد)

"يعرف المعتقد بأنه أول أشكال التعبيرات الجمعية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني، ويبدو أن توصل الخبرة الدينية إلى تكوين معتقد هو حاجة سيكولوجية ماسة، لأن المعتقد هو الذي يعطي للخبرة الدينية شكلها المعقول، الذي يعمل على ضبط وتقنين أحوالها"[4]. وتحدث هناك فترة صراع بين ما يراه الفرد غيبياً صعب التفسير، فيصنفه في عقله على أنه قدسي، خارج حدود السيطرة وبين ما يثيره هذا المقدس من انفعالات تُحاولُ التأمل والتفسير والكشف والتوصل إلى حقائق معينة، إلى حين يتولد عن هذا المخاض ما يدعى بالمعتقد الذي تشترك الجماعة في صياغته، وهو محاولة دمج أو تصالح الداخل الإنسانية مع الخارج المقدس بالإحساسات والانفعالات، وهنا يتم فرز موضوعات معينة، أو خلق شخصيات وقوى معنوية، تستقطب الإحساس بالمقدس، وتجتذبه إلى خارج النفس وبذلك تتكون الصيغ الأولية للمعتقدات، وتدلف إلى ذلك الهيكل السامق الذي ندعوه الدين[5]. والمعتقد الديني شأن جمعي بالضرورة، وهو يوضح العلاقة والصلة بين عالم المقدسات، وعالم الإنسان الدنيوي المادي، ويرسم صوراً ذهنية لعالم المقدسات والذهنيات والأفكار التي غالباً ما تصاغ في شكل

---

(1) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص 146.

(2) إميل دوركهايم، فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي 1858–1917، السواح، **دين الإنسان**، ص25.

(3) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص146.

(4) السواح، **دين الإنسان**، ص47.

(5) المرجع السابق، ص48.

صلوات وتراتيل[1].

الطقس والأسطورة:

في مطلع القرن العشــرين نشأت نظرية الأصل الطقسي للأسطورة، ساهم فيها عدد من الباحثين المهتمين بعلم الانثربولوجيا الحديث، وقد ظهرت بذور هذه النظرية لأول مرة في كتــاب ديــن الساميين عام 1899 لمؤلفه روبرت سميث، ثم قامت مجموعة من الباحثين بعــد ذلــك تســمى جماعة كامبرج بتطوير هذه النظرية، ودراسة الأسطورة على أساسها، وترى هذه النظريــة أن الأسطورة هي ناتج من نواتج الطقس، فالطقوس المؤسسة منذ زمن مغرقةٌ في القدم، تفقد بمرور الأيام معناها،وغايتها، وتتحول إلى إجراءات غامضة لا يعرف ممارســوها والقيمــون عليهــا مدلولاتها ومضامينها،وهنا تأتي الأسطورة لكي توضح أصل الطقس ومعناه، وتقدم تفسيراً مقنعاً لتلك الإجراءات التي تناقلتها الأجيال[2].

"وسواء كان الطقس أولاً أم الأسطورة، فإن كليهما ناتج عن إحساسات داخلية بدائية بوجود عالم غيبي، أدى إلى ظهور مظــاهر بدائيــة لفكرة تكون الكون، مما جعل الإنســان البدائي يحاول استكشاف هذا العالم الماورائي الغامض، وتفسيره"[3].

الطقس والمعتقد:

استناداً إلى ما تقدم يقول السواح: "إن الطقس ليس فقط نظاماً من الإيماءات التي تتــرجم إلــى الخارج ما نشعر به من إيمان داخلي، بل هو أيضاً مجموعة من الأسباب والوسائل التــي تعيــد خلق الإيمان بشكل دوري، ذلك أن الطقس والمعتقد يتبادلان الاعتماد على بعضهما بعضاً، فرغم أن الطقس يأتي كناتج لمعتقد معين فيعملُ على خدمته، إلا أن الطقس نفسه ما يلبث حتى يعــود إلى التأثير على المعتقد فيزيد من قوته وتماسكه"[4].

ويمكن القول: إن الدين من أعقد المظاهر التي ترتبط بحياة الإنسان، بوعيه وفكره وأحاســيهُ. "إن الإحساس الديني هو الذي يُنتج المعتقد، وإن الطقوس الدينية تقوم على المعتقد، الذي يعطيها

(1) السواح، **دين الإنسان**، ص49.

(2) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص145.

(3) المرجع السابق، ص146.

(4) المرجع السابق، ص55.

المعنى والدلالة، والأساطير تُنْسَج من أجل توضيح المعتقد وترسيخه[1].هي إذن حلقة متصلة ينتج بعضها بعضاً، ولا تكون مترابطة إلا إذا اتصلت وتداخلت وامتزجت.

الطقس في المعتقد والمأثور الشعبي:

المعتقد الشعبي ظاهرة اجتماعية تنتج من تفاعل الأفراد في علاقاتهم الاجتماعية، وتصوراتهم حول الحياة والوجود، وقوى الطبيعة المخيفة، والمسيطرة أو المتحكمة في تسيير الحياة الكونية لأسباب عديدة أهمها: التراكم الاجتماعي للعادات والتقاليد والأفكار، فيصبح المعتقد ذا قوة آمرة قاهرة، فهو يأمر في حالة الإيجاب، ويقهر في حالة السلب[2].

"يختلط مفهوم المعتقد الشعبي بمفهومه الأسطوري، بحيث لا يمكن دراسة المأثور الشعبي بمعزل عن جذوره ودلالاته، ولا يسمى المعتقد شعبياً إلا إذا ارتبط بأصله الأسطوري أو المثيولوجي. وتدل صفة الشعبية على المعتقدات التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي، والعالم فوق الطبيعي"[3].

وأكثر العناصر الاعتقادية الشعبية انتشاراً في الماضي وفي الحاضر، في العالم القديم والعالم الحديث عند الشعوب البدائية أو الحضارية المتقدمة، أسلوب التكهن بالمستقبل ومحاولة استطلاع الغيب.

ويتوسل الإنسان إلى القوى العليا عن طريق الصلاة، كما يسترضيها بالقرابين والأضاحي، ويتوسل إليها بالنذور والحج والزيارة، ويستعين بها للحصول على البركة، ولتحقيق أغراض من العمليات السحرية التي يمارسها، ويعرف التراث السحري آلاف الصيغ والدعوات لكف القوى الشريرة أو استرضاء القوى الخيرة، واستعدائها على الشر.

وتستخدم الأحجار، والنباتات والحيوانات والنجوم والأشكال والصور والكلمات والتراتيل والأفعال، في هذا الصدد للتأثير فوق الطبيعي، على تلك القوى فوق الطبيعية، وإخضاعها لإرادة

---

(1) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص111.

(2) الباش، حسن السهلي، محمد توفيق، **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، دار الجليل، ط1، ص6.

(3) الجوهري، محمد، **الدراسات العلمية للمعتقدات الشعبية**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط3، 1993، ص49.

الإنسان، أو اتقاء شرها[1]. وتتطلب كل هذه الأمور طقوساً معينة ترافقها فـي كـل مراحلها وتتزامن معها.

أهمية دراسة الطقس في المعتقد والمأثور الشعبي:

اهتم الأوروبيون بهذه المسألة وأفردوا لها كتباً ومقالات قيمة، نشرت فـي صـحف مختصـة ومتفردة[2].

"تأخذ أهمية دراسة المعتقد والطقس على المستوى الحضاري في أبعاد كثيرة، ويرتبط الأمر هنا بالموروثات الدينية وبما خلفته حضارات الشعوب ودياناتها وثقافتها وأساطيرها، ومـا يتـداخل معها من صراعات تراثية في المنطقة بين العرب واليهود، الذين يحاولون بكل الوسائل نسـب كل ثقافة رسمية أو دينية أو شعبية إلى التوراة"[3].

يمكن جمع المعتقدات والطقوس الشعبية والاجتماعية من خلال الأدب الشعبي الذي يعرف أيضاً باسم الفلكلور[4]، أو الأدب الشفاهي، ويذكرنا توفيق زياد بأهمية ذلك نتيجة خطر الضياع الـذي يتهدد دائماً الكنوز الفلكلورية مع مرور الوقت، فيقول: "إن مرور الزمن الذي هو مصـدر قـوة وثراء لفلكلورنا هو في نفس الوقت، العدو اللدود، ولكن هذا الخطر يمكن قهره والقضاء عليـه، وذلك عن طريق جمع وتسجيل الأدب الشعبي، وهذا هو الطريق الوحيد للمحافظة علـى عـدد هائل من الكنوز الفلكلورية، حتى لا تضيع كما ضاع غيرها"[5].

ويلاحظ أن المعتقدات الشعبية تتغلغل في جوانب الحياة الشـعبية، المـادي منهـا والروحـي، فالمعتقدات هي المحرك وراء كل الطقوس والممارسات الاجتماعية التي يقوم بها الفـرد سـواء أكان منفرداً، أم مع جماعة، ويمكننا تعريف الأدب الشعبي "بأنه مجمل الفنون القولية التلقائيـة، وهذه الفنون هي على رأس قائمة فروع التراث، ونقلت هذه الفنون بلهجة دراجة من جيل لجيل،

---

(1) الجوهري، محمد، **علم الفلكلور**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 1988، ص64.

(2) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص12.

(3) المرجع السابق، ص12.

(4) يعود أصل الكلمة إلى عام 1846 عندما بعث د. وليم جون برسالة إلى صحيفة بريطانية لتخصـص مسـاحة فيهـا، لتسجيل الملاحظات التي ترد حول العادات والمعتقدات التي ما زالت حية موجودة في بريطانيا، والفلكلور هو العلم الـذي يدرس التراث الروحي اللامادي للشعب وخاصة التراث الشفاهي. انظر: الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص7.
وانظر: العنتيل، فوزي، **الفلكلور ما هو؟** المطبعة العربية الحديثة، ط1، القاهرة، 1977، ص3، 33.

(5) زياد، توفيق، **صور من الأدب الشعبي**، مطبعة (أبو رحمون)، الناصرة، ط1، 1994، ص12.

وهي تعبير عن تفاعل الإنسان مع الطبيعة والإنسان، والأدب الشعبي بهذا المفهوم "عبارة عن تتويج لخبرات الإنسان ومعارفه وأحاسيسه ومشاعره"[1]. والمعتقد قوة، والإيمان بقوة هذا المعتقد قوة لها تأثيرها في تحول التصور الفردي إلى جماعي، وقد يؤثر المعتقد بشكل كبير في العلاقات الاجتماعية الفردية والجماعية"[2].

ويقوم الطقس بدور مميز في صراعنا مع الاحتلال الإسرائيلي على مستوى الصراع التراثي فيحاول الصهاينة، وما يزالون، نسب كل شيء في تراثنا إليهم، وهم يدعون أن تراث المنطقة كله يعود إلى تراثهم التوراتي، ويحاولون جاهدين جعل التصورات الدينية والأسطورية والاعتقادية تبدو وكأنها تنبع من التوراة، فينسبون إليهم كل اكتشاف تم أو يتم في الوطن العربي، والطقس الذي هو جزء من هذا التراث، والذي يصل الأمة العربية بجذور عميقة تضرب في عمق التاريخ، يصل بجذوره إلى ما قبل العبرانيين على ساحة الوجود، ولذلك يحاول الإدعاء الصهيوني خلق هوة تقطع حاضرنا بماضينا، وتكون فاصلة بين ما في هذا الماضي وحاضره، مما يشكل خطراً داهماً يهدد جذورنا الحضارية ويزعزع كياننا الأصيل[3].

من ناحية أخرى يجد الباحث صلة قوية بين الطقس والمعتقد وطبيعة الأرض التي توحي بكثير من المعتقدات حيث يتناسب المعتقد على الدوام مع طبيعة الأرض، والبيئة الجغرافية والتاريخية، لذلك يحاول الصهاينة فك هذا الرباط من خلال إرجاعهم المعتقدات الشعبية بطقوسها إلى التراث التوراتي القديم، وقد حاولوا مراراً تزييف الحقائق تزييفاً قوياً، لكن إدعاءاتهم لا تصمد أمام حقائق أثبتتها أبحاث مستشرقين، وباحثين عرب آخرين، أثبتت زيف هذه الإدعاءات وبطلانها، ودعمت حقائق أخرى، تصل الماضي العربي بالحاضر[4].

ويلعب المعتقد والطقس دورهما النفسي في حياة كل إنسان، يبرز هذا من خلال السلوك الاجتماعي، حيث توجد المعتقدات الشعبية خبيئة في صدور الناس، وهي لا تلقن من الآخرين ولكنها "تختمر وتتشكل بصعوبة مبالغ فيها، أو مخففة، يلعب الخيال الفردي دوره ليعطيها طابعاً

---

(1) نمر، عمر، **الملحمة الشعبية الفلسطينية**، نابلس، منشورات الدار الوطنية للطباعة، نابلس،2000، ص20.

(2) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص17.

(3) المرجع السابق، ص14.

(4) المرجع السابق، ص15.

خاصاً، وهي مع تمكنها في أعماق النفس الإنسانية، موجودة في كل مكان، سواء عند الـــريفيين أو الحضر، عند غير المثقفين، كما عند الذين بلغوا مراتب عالية من العلم والثقافـــة وصـــاروا يخضعون في حياتهم وفكرهم للأسلوب العلمي(1).

أنواع الطقوس:

يمكن تقسيم الممارسات الطقسية في ثقافة الشرق القديم إلى ثلاث زمر رئيسية هي:

1) الطقوس السحرية.
2) الطقوس الدينية الروتينية.
3) الطقوس الدورية(2).

وهي تندرج في إطار طقوس كبرى تلخص حياة الإنسان هي:

1) طقوس الميلاد.
2) طقوس الزواج.
3) طقوس الموت.

سنتوسع في الحديث عنها ودراستها في الصفحات القادمة.

---

(1) الجوهري، **الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية**، ص50.

(2) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص130.

الفصل الأول

طقوس ما قبل الولادة

ما قبل الولادة

المرأة والعقم في الموروث الشعبي:

ينظر الفلسطينيون للعقم باعتباره مرضاً وابتلاء من الله، وهم يؤمنون أن لكل داء دواء، كما جاء في القرآن الكريم[1]، لكنهم في أحيان كثيرة أخرى يفسرونه على أنه عقاب من الله و(لعنة سماوية)[2] للبشر، وتتعدد القصص التي تدور حول هذا، حتى إن الباحث يكاد يجد في كل قرية قصة شائعة، ومعظم هذه القصص يدور حول الأولياء وقصاص الله من الذين يحاولون إيذاء أهل المقامات أو الاعتداء على ممتلكاتهم، ففي قرية اللبن الغربي[3]، تحدثنا ليلى[4]، "كانوا الناس وْلَلْيوم يَروا في الليل زَلمة شيخ وْلابس دِشداشة[5]بيظة قاعد على الطريق لوحده، وبيقولو إنه هذا الشيخ (امجاهد) ومقامه على فوق الجبل، في عنده شجرة سِرّيس وْنَبْعة، وْمَرّه إجو ناس على الشجرة وقَرطوها[6]،وماتوا جميعهم مَظَلّش إلا واحد وما خَلّف (لم ينجب) اسمهم (دار اعْمَر) كلهم ماتوا". وتحدثنا الحاجة زينب من عين يبرود[7]"عند الولي(عبد الله) في بلوطة مسموح توكلي واتروحي (بَس)[8]، أما تْوخدي معك فَحالاً بِتْبَيِّنْ، كانوا الحراثين ايخَبو العِدّة عند الولي –بيقولوا مَحميّة– الله بِحْميها– في واحد بِيكْرَه الثاني، قال: أروح أسرق الشَرعة[9]

---

(1) "وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين".سورة الإسراء آية 82

(2) انظر كنعان، توفيق، **الكتابات الفلكلورية**، ترجمة موسى علوش، دار علوش للنشر، بيرزيت، ط1، 1998، ص170-172.

(3) اللبن الغربي، قرية تقع غربي رام الله.

(4) مقابلة شخصية، ليلى جميل عبد الرحمن، اللبن الغربي، 52 سنة. 2007/1/6.

(5) الدشداشة: من الأزياء الفلسطينية عبارة عن ثوب طويل فضفاض غالباً ما يكون أبيض.

(6) قرطوها: قرط، قطع. انظر: **المنجد**، ص620. تنتشر فكرة تقديس الأشجار في فلسطين بشكل واسع وسوف نتطرق لهذا الموضوع أثناء الدراسة.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة، 2007/7/29.عين يبرود: قرية تقع شمال شرق مدينة رام الله، عدد سكانها 5000 نسمة أكثرهم مغتربون www.moktobblog.com

(8) بس: عامية: فقط.

(9) الشرعة: من أدوات الحراثة، وهي قطعة تؤخذ من جلد العجل بعد ذبحه توضع في الماء لعدة أيام، ثم تنظف وتجفف، يربط أحد أطرافها بالسكة والطرف الآخر برقبة الحيوان الذي يقوم بالحراثة، وهي تعود للسحر الاتصالي الذي كان معروفاً عند الشعوب القديمة البدائية. أنظر: الماجدي، خزعل، **بخورالآلهة**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص40 -42.

تَبْعَتهَ[1]، حَطْ إيده تَيطــول الشَرّعة فَوقَّفت إيْده، صار يسحب في إيده ويقول لا إله إلا الله، أنـــا صرت اعتقد بالولي".

" مرة واحد نَشَرْ شَجَرَة الولي، وقَطْعها حطب، الله حط العقم في مَرته وْمَخَلَّفَتش والبَغلة ماتـــت وصاروا الناس يْقولولَه هذا لأنك عْمِلتْ هيك الله جازاك، راحْ رَجَّع الحَطَـب وْحَـطْ مصـــاري للأوقاف (قَدْ ما ايْجَوزْ وَلَدْ) عشان يتْسامَحْ وْهَيَّه خَلَّفْ و شَرى دار في بَلَدنا بْنُصْ مَليون".

وفي قرية سنجل تخبرنا الحاجة جديّة[2]: "رَحْمِة عيسى راح ايْصيد شُنّاره بِتْقــاقي علـــى ولـــي بيقولوله الشيخ عُمَر غَربَه، قالت له عَمْتَه وين رايِّح، قاللها:" قُلت لَإمي تُطْبُخ فول اخْظَر وْهَيّني راجِع، بِدّي أشوف هالشُنّارة اللّي بِتقاقي، ما طاح الّهو دَب البارود في بُطنَـــه، وْزَمّــوه علـــى المُستشفى قَعَد أُسبوع ومات امه مَلهاشْ غيرَه ــ انْقَطَعْ خَلَفْهِمْ ــ وقال وهو يموت وكان نابغة:

"قُمت من ديرتي وأصَبحت عُمراي

واطلعت اصطاد الحجل عن الشيخٌ عمراي

وقربت مِنيتي وقصر عُمراي

ودب البارود في قلبي أنا"

وتكمل الحاجة ما سمعتيش المثل اللي بيقول: "جمِدْ الحصيني على قُطُفْ العِنِبْ".

ولا يزال الفلسطينيون يقولون عند الشتم:(الله يلعَنك،،ويلعن اللي خلفك)،(يا الله قطيعه توخذ أهلك ما اتخلي حدا)[3].

طقوس المرأة العاقر:

يضع الفلسطينيون اللوم الأول على المرأة في عدم الإنجاب، ورغم تقدم الطــب والعلــم إلا أن الرجل ما زال يرفض الذهاب للفحص، ونادراً ما يقتنع بضرورته.

وتعاني المرأة الفلسطينية (خاصة في القرى) كثيراً عند تأخر الإنجــاب، وتلاحقهـا النظــرات والهمسات أينما حلت، وتنقسم النساء إلى قسمين في هذا الموضوع، الأول: يتعاطف معها، فيقال

---

(1) تبعته: أي التابعة له، التابع والتابعة: الشيء سار في أثره. **المنجد**، ص59.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة جدية جبر حنون عصفور، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(3) انظر: كنعان، توفيق، **الكتابات الفلكلورية**، ص130-131.

لها في أي مناسبة تشارك فيها: (الله يعوض (يْعَوِظْ)[1]عليك)، (الله يطْعَمِــك) (الله لا يْضَــيّعْلِكْ تَعَبْ) (إنشاالله بِنْرُده عليكي في عَوَظِكْ)، (انشاالله بْتِحْبَلــي وبتعَمــري دارك ودار جــوزك)[2]، وتهتم القريبات، كالأم والعمة والخالة بالدعاء لها، وخصوصاً في مناسبات وأوقات لها قدسية، أو كرامة خاصة، مثل ليالي رمضان، وليلة القدر، وليلتيّ الأضحى والفطر، وليلة الوقــوف علــى جبل عرفات "الوقفة الكبيرة" ومن هذه الأدعية: "يا ربي وانت ربي إنك تطعم خديجة الصبي. يا ربي إنك تعوظ على خديجة وتعطيها اللي في خاطرها. انخاك (اترجاك) يا سيدي فلان كراماتك إنها خديجة تحبل، والله يْعَوِظْ عليها"[3].

وقد يكون الدعاء نذراً من إحدى القريبات،كما في هذه الأغنية: [4]

"طيحي ارقصي يا بنية بيظه يم اعيون السود

من عوظ الله عليكي اذبيحه للنبي داوود

طيحي ارقصي يا بنية بيظه يمّ اعيون ملاح

من عوظ الله عليكي اذبيحه للنبي جراح"[5].

وقد تشارك المرأة في الأعياد الدينية، وتستدعي كما تخبرنا الحاجة تمام[6] مــن بيــت دقــو[7]: "يروحوا يزوروا في القدس يقولوا بِده يطلع السوادي يوخذوا رايات بيظ،وبعدين ايزفــوا مــن باب الصخرة وحتى ستنا مريم، واتصير الوحدة تستدعي الله يْعوِظ عليها، واتروح على النبــي موسى ما اتخلي ولِي إلا ما تروح عليه. واللي الله عَوَظ عليها اتقول:

يـــا نبــــي موســـــى جيتـــك ابْنَيّـــة   واليـــــوم هَيوتــــه الولــــد عَ ايْديــــه

---

(1) في القرى تقلب الـــ (ض) إلى (ظ) يعوظ بدل يعوض.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم يونس،سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) كناعنه، شريف وآخرين، **الإنجاب والطفولة**، جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، ط1، 1984، ص80.

(4) مقابلة شخصية الحاجة إنشراح لطفي قاسم، الجديرة، 68 سنة. 2007/8/8.

(5) النبي جراح: نسبة إلى الشيخ جراح، قرية مقدسية فلسطينية تتبع محافظة القدس وهي في الجانب الشرقي للمدينة، وقد أخذ حي الشيخ جراح اسمه من الأمير حسام الدين بن شرف الدين عيسى الجرّاحي، طبيب صلاح الدين الأيوبي. انظــر: عراف، د. شكري، **طبقات الأنبياء والأولياء والصالحين في الأرض المقدسة**، مطبعة إخوان مخول، ترشيحة، ج2، ط1، 1993، ص564.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة تمام حسن، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/6.

(7) بيت دقو: تقع شمال غرب القدس عدد سكانها الموجودين 2000 نسمة والمغتربون 500 نسمة. اتصال هــاتفي، مـــع علي سرحان سليمان جرار، المجلس القروي، 79 سنة.

يـــا نبـــي صـــالح وجينـــا انـــزورَك   هَـــيّ الحَمـــام مْهَـــدي عَ اصْـــدورَك.

وقد تغني الأم في خلوتها عن ابنتها التي لا تنجب، هذه الترويدة:

يـــا حـــين الصـــبايا واردات الـــوادِ   يـــا حـــين عَليّـــا تمشـــي بـــلا اولادِ

يـــا حـــين الصـــبايا واردات العـــينِ   يـــا حـــين عليـــا تمشـــي بـــلا بنـــينِ

يـــا حـــين الصـــبايا واردات الميّـــه   يا حين عَليـــا تِمشـــي بـــلا ذُريـــة"[1].

ثانياً: قسم يقوم باللوم والهزء والسخرية والتقريع، وإيذاء المشاعر عند حدوث أية مشـــادة، فقـــد تُعيرها حماتها فتقول لها: الشجرة بلا ثمرة قطعها حلال[2]، وقد تُلَمِحْ لها سلفتها (التـــي خَلَّفَـــتْ) بأن زوجها لا بد أن يتزوج عليها فتقول لها: (الضُرة مُرة، ولو كانت ذان جره)[3].وتكثر الأمثال الشعبية في هذا المجال فيقال عن كَيْد النساء والضرة:(كيد النسا بالنسا،ولا تكيدهن بالعصا)[4]، و(الضُرة اتْغور ولو كانت في اقْصور)[5]، و(ابن الضُرة مالوش مَسَرَّة)[6]، وأكثر ما يهدد المرأة أن يتزوج زوجها[7]، ويقول المثل(اللي بيوكل العُصي مِش مِثِلْ اللي بيعدها، واللي إيْده في الميه مِش مثل اللي إيده في النار)[8]،(ولِّي جوزها معها بيّدور الفَلَكْ بإصبعها)[9]، لذا فهي تَلجأ لِكـــل الوسائل، بدءاً بعدد كبير من الأطباء، ثم (الدايات) القابلات ف (الصُلاح) الأولياء وإذا (لم يبـــقَ في حيلتها حيلة)[10]، كما يقول المثل فهي تلجأ للسحرة والمشعوذين والفتّاحات، ولعدد كبير مـــن

---

(1) كناعنة، شريف، **الإنجاب والطفولة**، ص35–36.

(2) المرجع السابق، ص36، شبهت المرأة قديماً بالشجرة، وكانت عبادتها أقدم عقيدة دينية في آسيا. انظر: ديورانت، ول، **قصة الحضارة**،ترجمة زكي نجيب، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج1،م1، القاهرة، ط3، 1965، ص104.

(3) خلف: الولد، الذرية، **المنجد**، ص192.

(4) كناعنة، **الإنجاب والطفوله**، ص36.

(5) عباس، إبراهيم، **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**، دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمـــان، ط1، 1998، ص187.

(6) المرجع السابق، ص147.

(7) تعدد الزوجات، وجد منذ أقدم الحضارات، أنظر: ديورانت، **قصة الحضارة** ج1م1، ص 70–71.

(8) عباس، إبراهيم، **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ص64.

(9) المرجع السابق، ص164.

(10) عباس، إبراهيم، **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ص70.

الطقوس سنأتي على ذكرها جميعها في الصفحات القادمة. قبل ذلك نتذكر معاً أقدم نـــص جـــاء على ذكر المرأة العاقر، في الأنوماإيليش أسطورة خلق الإنسان السومرية 4500 ق.م[1].

"فبعد أن أخذ الكون شكله واستقرت السماء في موضعها وكذلك الأرض، وكل شـــيء أصبح في مكانه. جاءت الآلهة (الأنوناكي[2]) بعد الجهد الذي بذلته في تنظيم الكون، تشتكي للإله إنكـــي[3] وتطلب منه أن يخلق لهم من يحمل عبء العمل، ويقوم على خدمتهم. فكان أن خلق عدة نمـــاذج جاءت جميعها تعاني من الضعف أو المرض من بينها المرأة العاقر"[4].

تعتمد الفلسفة الدينية في الطب السومري على مسألة أساسية مهمـــة، وهـــي أن ســـبب نشـــوء الأمراض ومن بينها العقم إنما هو غضب إلهي يحل على الإنسان بسبب خطأ ارتكبـــه، ولـــذلك كانت الآلهة تأمر بإحلال لعنة المرض ولعنة العقم عليه[5].

طقس طبق الرحم عند الدايات في قرى محافظة رام الله:

تلجأ المرأة للداية بعد ترددها على الأطباء، وتقول الحاجة زينب[6]: "اليوم بِتْحُط الوحدة حِجِرْ[7] مَصاري للدكتور تَتِتْعالج بدون فايده" وهكذا فَكِنة ليلى[8] التي تبلغ من العمر أربعاً وعشرين سنة لم تحمل إلا بعد أن طَبَقَّت لها ظهرها وعَدَلَّت لها رحمها الداية (إم صبحي اللي من رافات)[9].

وتخبرنا الحاجة سبعية[10]، وهي داية معروفة من قرية بيت ريما[11](بعد ما تتجوز المَرة بتِتْعَوَقْ

(1) أنظر: مظهر، سليمان، **قصة الديانات**، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، ط 2، 2002، ص 58-62.

(2) الأنوناكي: مجمع الآلهة التي في السماء والأرض، أنظر: الماجدي، **انجيل سومر**، ص 113.

(3) إنكي: إله السماء الذي حل مكان أبيه(آن)، وإله الحكمة السومري.

(4) أنظر: السواح، فراس، **الأسطورة والمعنى**، ص 110-112.

(5) الماجدي،**بخور الآلهة**، ص 143- 144.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة زينب شحادة ازحاق، 69 سنة. 2007/7/29.

(7) كناية عن مبلغ كبير من المال.

(8) مقابلة شخصية، ليلى جميل عبد الرحمن، اللبن الغربي، 52 سنة. 2007/1/6.

(9) أم صبحي: داية معروفة جداً من بلدة رافات غربي رام الله، وما تزل تمارس عملها حتى اليوم.

(10) مقابلة شخصية، الحاجة سبعية طه(قابلة)، بيت ريما 84 سنة، 2007/8/2. ما تزال تعطي نصائح حتى اليوم.

(11) بيت ريما: قرية تقع إلى الشمال الغربي من مدينة رام الله، تبعد مسافة 27 كيلومتراً عدد سكانها الموجـــودين حاليـــاً 4500 نسمة، والمغتربون 4000 نسمة، مساحتها 35000 دونم. اتصال هاتفي مع مدير العلاقات العامة في مجلس قروي بني زيد، السيد موسى ارحيمة.

إما بتكون إم الولاد جاية في قُرنِة بطنها أو أشياء أخرى، بَحَضِر زيت ومية سُـخْنَه، ْوبَعْجِـن عجينة، بَرُقها مثل اللبان[1]وبَحُطها أول شيء بين حَد الطَلِق والمِخْرَق[2]، بين العُقْـدتين علـى العَمود الفِقَري على ثلاث أيام بَعدين على بُطُنْها، بَملَّسها من عند السُرّة بدور مـن الـيمن إلـى اليسار، بَظَل أملِّس وبَحْطِلّها ثلاث مَرْتبانات على ثلاث أيام، كل يوم سِتْة مرتبانات على الظهر وثلاثة على البطن وبقول:

"يالله يا سيادي"

يا سيادي يا سياد دار الرابي[3]

خَلّي هَلْمَرة تِحْمِل

وبْتيجي من الله، وبْتِحْمِلْ"

وتخبرنا الداية فاطمة[4]، من قرية اللِّبن الغربي،" كانت إمي داية اتملِّس الظهر، وأنـا اتعلمـت منها، كانت اتجيب بَقلولة[5] صغيرة، واتْحُط نار وعجينة[6] واتْطَبِقْ ظهر الوحدة واتحط إصبْعها على السُرّة وتْنقُر، إذا مَلْيوحه[7] مَبْتُنقُرِش بتكون إم الولاد على الجَنْبْ فبتيجي بِتْملّسها وبِتْرُدهـا مكانها."

كان المصريون القدماء يعتقدون أن أعضاء الحوض عائمة متجولة في التجويف الباطني، وقـد ترتب على هذا الاعتقاد حرصهم على إعادة الرحم إلى مكانه الطبيعي ومساعدته، وقد وصـفوا سقوط الرحم وعالجوه[8]، وكانت القابلة (ساب–آسي) أي العارف بأمور الرحم، هي التي ظلـت منفردة بهذا الاختصاص، ثم شاركتها الآسية الطبيبة في العمل، ولا شك في أن هذه التخصصات

---

(1) اللبان، وهو ما يعرف بالعلكة، أواللبدن في بعض القرى، gum بالإنجليزية.

(2) حد الطلق: المنطقة في أسفل الظهر، والمخرق في نهاية أسفل الظهر وهي منطقة رقيقة جداً سريعة التأثر، وإذا لمست بشدة تُخدَش.

(3) المقصود بسيادي: الأولياء وهم من عائلة الرابي في قرية دير غسانة ولجدهم مقام يسمى "المجدوب" في جبل غـرب القرية.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الرحمن، قرية اللّبن الغربي، 67 سنة. 2007/1/11.

(5) بقلولَة: عامية بمعنى فخارة صغيرة.

(6) العجينة: لها دور يعود إلى أصل الكون وخلق الإنسان في الأساطير سنتحدث عنه في طقس العبور الثاني الزواج.

(7) مليوحه: بعيدة عن مكانها، مما يجعل مكانها فجوة (فراغ).

(8) انظر: غليونجي، بول، **الطب عند قدماء المصريين**، مؤسسة المعـارف للنشـر، بيـروت، ط2، ص154. وانظـر: غربال، محمد شفيق وآخرين، **تاريخ الحضارة المصرية**، مكتبة النهضة المصرية، م1، القاهرة، ص555.

الدقيقة اتضحت أكثر ومورست في الفترة الآشورية (ألفي سنة قبل الميلاد)، وقد أطلق البابليون على هذا النوع من الأمراض (الأمراض النسائية وأمراض الولادة)[1].

طقس علاج التهابات الرحم:

تقوم الداية بفحص المرأة، فإذا تبين أن التهابات الرحم تعوقها عن الحمل فإنها تقوم بما يلي:

1. عمل (لبوس الثومة)، وهي عبارة عن تحاميل مهبلية مكونة من الثوم المدقوق.
2. بعد أن تعالج الالتهابات تعمل لها ما يسمى (بالهبوة)، وهي عبارة عن تعريض جسم المرأة وبخاصة الأعضاء التناسلية إلى البخار الخالص أحياناً، أو إلى بخار ناتج عن غلي أنواع معينة من النباتات[2].

وتخبرنا الحاجة فاطمة[3]، من قرية أبو قش[4]، "كانت الداية ولليوم بتوصف للمرة المعوقة تحاميل ثومة، أنا تْعَوَّقِت قبل ما خَلَّفِت ابني البكر محمد، ورُحِتْ على الداية واعطتني تحاميل ثومه وبقدرة الله ظَلَيت حامل"

طقس بيت النار لعلاج الالتهابات:

تخبرنا عبير[5] "في قرية الجديرة والقرى التي حولها تذهب الفتاة قبل زواجها إلى حمام في القدس القديمة، وتجلس على (بلاطة بيت النار)، (أنا رحت وكل خواتي) بيقولوا هذا بِيّشيل الرطوبة والبرودة من الجسم، وهذه عادة متبعة في ضواحي القدس".

وتؤكد لنا على هذه العادة رشا[6]من بيت لقيا[7] "في بلدتنا تذهب الفتيات قبل الزواج إلى حمّام القدس للجلوس على بلاطة بيت النار وهي عبارة عن هبوة، وتبخير للفتاة وعملية تحضير لها للزواج، كي تسهل عمليه الحمل بعد ذلك".

---

(1) أنظر: الماجدي، **بخور الآلهة**، ص 163-164.

(2) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص66-82.

(3)مقابلة شخصية، فاطمة محيسن، أبو قش 77 سنة. 2007/1/20.

(4)أبو قش: تقع شمال رام الله، تبعد 7كيلومترات، عدد سكانها 1600 وعدد المغتربين 1500 مساحتها 4500 دونم، اتصال هاتفي مع خليفة محمد قاد رئيس مجلس قرية أبو قش.

(5) مقابلة شخصية، عبير علي قاسم، الجديرة، 24 سنة. 2007/8/8.

(6) مقابلة شخصية، رشا مفارجة، بيت لقيا، 23 سنة. 2007/8/5.

(7) بيت لقيا: تقع غرب مدينة رام الله عدد سكانها 8500 نسمة، والمغتربون 2000 نسمة مساحتها 14000 دونم، فيها داية تسمى جديه مصطفى لا تزال موجودة. اتصال هاتفي مع خالد بدر، 33 سنه، من أعضاء المجلس القروي.

أما الداية سبعيه[1] أم إبراهيم فتقول: "إجاني ناس (امْعَيينْ)[2] الطب والدوا، كنت أحطلهن تحاميل، وأعملهن هَبْوَة تُطْرُد البرودة منهن، ولما اترَوِح الوحدة تتحمم بميه سُخنه وتنام مع جوزها وتحمل ليلتها".

كان للزواج المبكر، والولادات المتكررة في سن حديثة، والأعمال المرهقة التي تقوم بها المرأة قبل الولادة، وكذلك الإشراف على هذه الولادات بواسطة القابلات، كل هذا أسهم في مضاعفة عدد الأمراض التي كانت تصيب المرأة في مصر القديمة.

وصف المصريون لعلاج التهابات الرحم، أنواعاً مختلفة من اللبوس، وتبخيرات مهبلية بالشمع والغائط المجفف والتربنتين، كما وصفوا الحقن المهبلية بعصير بعض النباتات **كالثوم**، لعلاج انتفاخ عنق الرحم، أما المرض الذي سموه تآكل الرحم –قد يكون السرطان– فكان علاجه موضعياً، حيث وجدت آلات تشبه القرن المجوف على شكل منقرة أو منقار الطير، وقيل إنها كانت تستعمل للحقن المهبلية والشرجية[3].

دور الأولياء وأصحاب الكرامات في الطب الشعبي:

تنتشر مقامات الأولياء والصالحين في معظم أنحاء فلسطين، ولا تخلو قرية من ولي أو شيخ أو ما يسمى بالصُّلاح أو العُمّار، ويقسم الأولياء إلى قسمين الأحمدي: أقرب إلى الله والأعجمي أقرب إلى العفاريت[4].

يؤمن الفلسطينيون بالله الواحد الأحد، وهم يقولون (الله واحد مالو تاني) كما أن هناك اعتقاداً شائعاً بأن الطيورُ تُوَحِد رَبها من خلال تغريدها، ويقال إن بعض أنواع الحمام يكرر باستمرار وهو يشدو (وحدوا ربكم). وهم يقولون أيضاً (الشكوى لغير الله مذلة) ويؤمنون بالقضاء والقدر فيقال: (عند التقادير راحت التدابير، وعمر أعطيني والبحر ارميني، المكتوب ما منه مهروب، رمح صايبك إن توررايت ما يخطيك، وما بيجي الفنا لا للي عمرو دنا) [5]، إلا أنهم يؤمنون

---

(1) مقابلة شخصية، سبعية طه، بيت ريما، 84سنة. 2007/8/2.

(2) امعيين: أي جربوا كل أنواع العلاج.

(3) انظر: غربال، محمد شفيق، **تاريخ الحضارة المصرية**، ص155. وانظر: غليونجي، بول، **الطب عند قدماء المصريين**، ص 157–158.

(4) كنعان، **الكتابات الفلكلورية**، ص224.

(5) المرجع السابق، ص221.

بالأولياء كوسطاء بينهم وبين الله، لذا فهم يلجأوون إليهم في كثير من المناسبات، ويعتقـدون أن لهم خوارق ومعجزات، ولا يختلف المقام عن المسجد في القدسية كونه بيت الله على الأرض إلا أن بعض المقامات أنثوية بأسماء سيدات جليلات. ولا تكاد تخلو قرية مـن قصـص الأوليـاء ومعجزاتهم، ويكون التقرب إليهم واسترضاؤهم بالوفاء بالنذور التي أخذها الناس على عاتقهم.

تقول الحاجة تمام[1] من بيت دقو "شايفة الحمام اللي على السـطح عندي أنا بمنع الولاد يصيبوا الحمامة المْعَشْعِشَة، ما يصيبوهاش لأنها بتظل اتقول (أذكروا ربكم)، حرام إنه حدا يصيبها ".

وتحكي لنا الحاجة سميحة[2]، "مرّة اختي مريم راحت على ساعد واسعيد[3]لمت الورق اللي تحت الشجرة اليابس[4]، وجابتهن وزبلت الطبون، في نفس الليلة ما شافت حالهـا إلا انحشـرت فـي جواه، وتروح من هناك يكون امسيَّج، قالت: نِذْرِن علي يا سيدي ساعد واسعيد افتح لي اطلـع، ولا أطبخ طبخة لوجه الله، والله قالت ما شفت إلا هو الباب انفـتح وظليـت طـالع وطبخـت ووزعتها الصبح".

طقس الوقوف أمام الولي والنطق بالتعاويذ والنذور:

"تقف الواحدة، إلّي ما خَلّفّتْ أمام المقام وتقول: "يا سيدي وأنا ناخيك وانت تنخي جـدودك، يـا سيدي الشيخ ياسين إنك تعطيني واظويك بسراج وفتيلة"[5].

"لما أوجهت على سيدي أبو العنين–عليه نور وبخور– قلت تراني مِطْنِبْ عليك يا سـيدي يـابو العنين وْكَرامْتَكْ عند الله قوية، واقبل مني يا سيدي يابو العنين، أنا جاي مِطْنِـبْ عليـك وانـتَ اطْنِبْ على الله"[6].

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة تمام حسن، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/6.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة سميحة، اللبن الغربي، 56سنة. 2007/1/6.

(3) ساعد واسعيد: اسم ولي له مقام عبارة عن غرفة صغيرة ما يزال يضاء بالشموع ويكنس وينظف، ويوضع فيه زيـت للمارة، موجود في اللبن الغربي.

(4) يابس: يبس، كان رطباً مجففاً، المنجد، ص923.

(5)مقابلة شخصية، الحاجة انشراح، الجديرة، 68 سنة. 2007/1/16.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة صفية أم وجيه، عين قينيا، 84 سنة. 2007/1/17.

اتروح الوحدة واتقول:" يا سيدي شبان أنا مِتْوكلْ عليك إنك اتخليني أحْبَل، والله يْعَوظ علي وْأَحبل، وأجيبلك خُلعة[1] وأذبح ذبيحه عِندك وأَعزم كل القرايب، والخُلعة شقفه قماش خَظْرا ايْلبّسوها إلو[2] للمقام (زي القبر) كان يجي عليه خُلَعْ كثير، كنا نِظْويه بشمع نروح الصبح نِظْويه وكل يوم خميس، ويوم جمعة كانوا يْجيبوا الذبايح ويطبخوا ويوكلوا عنده"[3].

" ربي يشهد علي إذا أنا بَخلّف، إلا غير أَلْبِس الشيخ عبد الله، وإذا الله بِطْعَمني الخِلّفة الصالحة إلا أروح أَصلي في الصخرة والحَرَم... وإذا الله أعطاها الوحده، تِعْمَل النذر.. اتكنس الولي وتْلَبسه خُلْعَه واتروح تِظوي، هاظا لما تُنقُل[4] واتظل تِظويه على حَدْ[5] ما نَذْرَتْ [6].

أنواع النذور:

1. طعام نباتي: أنواع من الطبخات كالمجدرة، والمفروكة، والتمر.
2. ملابس: خلعة خضراء أو بيضاء لكسوة المكان، حصير وبسط.
3. زيت زيتون للأكل وزيت زيتون للسراج.
4. شموع.
5. ذبائح (قرابين).

"كان المرض والعقم قديماً لعنات الآلهة، لكن الآلهة لا تقوم بنفسها بإحداث المرض، بل تأمر به، وتسخر كائنات العالم الأسفل للقيام به، وكان الشفاء كذلك يحدث بأمر يصدر عن الآلهة العليا الكبيرة، وكان ا

كائن والمعزم يقوم بدور الوساطة بين المريض والآلهة، ويتعهد نيابة عن المريض أنه سيقوم بوجباته نحو الآلهة كما يجب، ويتم ذلك بالصلاة والقرابين والأدعية في المعابد" [7].

---

(1) الخلعة: عامية، وهي الخِلْعَة بالفصحى: ما تخلعه من الثياب، ويقال: خلع عليه خِلْعَة: أي ألبسه إياها. أنظر: مصطفى، إبراهيم وآخرين، **المعجم الوسيط**، مطبعة مصر، ج1، ط1، 1960، ص250.

(2) إلو أو إله: أي لَهُ.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مهدية محمد صرصور، البيرة، 86 سنة. 2008/1/9.

(4) تنقل: أي تحمل

(5) لحد أو قد: أي بقدر بحسب.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة زينب شحادة، عين يبرود، 69 سنة. 2008/7/29.

(7) انظر: الماجدي، **بخور الآلهة**، ص143، 144، 233.

"ولا يزال شعار الطب الذي وضعه السومريون، والمتمثل بثعبانيّن يلتفان على عصا منذ أواسط القرن الثالث قبل الميلاد هو نفسه شعار الطب في العصر الحديث، حيث تكون الحية ملتفة على عصا، وهو الشعار الذي نجده اليوم على أبواب الصيدليات ولافتاتها، وهو في الهند لا يزال يَعْتَبِر (نفسه) قادراً على إعطاء الخصوبة للنساء العاقرات، والحية تشير بين ما تشير إليه، إلى الشفاء والخلود، فقد امتازت منذ أقدم الأزمنة في الأساطير السومرية والأكديه (ملحمة جلجامش)[1] مثلاً بقدرتها على الاحتفاظ في جسدها بقوة الشفاء، فهي رمز الإلهة الكونية الهيولية الأم رمز الماء الأولى التي لا تنتهي فهي تضع ذيلها في فمها رمزاً للاستمرارية واللانهاية"[2].

... كانت الأمراض غضباً إلهياً يحل على الإنسان بسبب خطأ ارتكبه أو تقصير في أداء واجباته، لذا كان عليه أن يبدأ بتطهير نفسه من جديد حتى ترضى عنه الآلهة، وكان عليه أن يفعل ما يلي:

أولاً: تطهير الجسد بالاغتسال والصلاة والأدعية[3]: وقد كانت المعابد في وادي الرافدين، المراكز الأولى التي نشأت فيها العلوم والمعارف الدينية والدنيوية، وكان الكهنة يمارسون الطب فيها، ويبدو أن حقيقة وجود مكان لتطبيب المرضى في المعبد ينبع من اعتقاد العراقيين القدماء بأن الآلهة كانت صاحبة القرار الأخير في شفاء المرضى، وأن التوسط عندها والتضرع إليها كان جزءاً من العلاج في نظرهم[4].

ثانياً: التكفير بتقديم الأضاحي من القرابين بأنواعها الحيواني والنباتي والنذور كطقس غسل فم الإله وكسوته، فقد كان تمثال الإله يغسل، ثم تخلع الثياب التي ارتداها في الليلة السابقة ويلبس ثياباً جديدة[5].

---

(1) أسطورة جلجامش2700 ق. م. انظر: السواح، فراس، **ملحمة جلجامش**، سومر للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 1987، ص 26.

(2) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص144-145. انظر: الماجدي، **إنجيل سومر**، ص13.

(3) المرجع السابق، ص144.

(4) المرجع السابق، ص362.

(5) سونيرون، سريج ترجمة عيسى طنوس، **الكهان في مصر القديمة**، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1994، ص112.

ثالثاً: طرد الأرواح الشريرة باستخدام الشموع والتبخير، وتلاوة التعاويذ وعمل التمائم واستخدام التماثيل والدمى في البيت والمعبد لاسترضاء الأرواح الطيبة، وقد كان التطهير يمارس بواسطة كهنة مختصين في دور العبادة[1].

"اتخذت المعابد في حقبة[2] العبيد طابعاً واحداً، حيث تم تثبيت بعض مبادئ البناء، التي أصبحت تقليدية تقريباً للعمار، حيث كانت في مكان واحد يعني أن جميع البنايات الحديثة ضمت الأماكن القديمة، بحيث نجد ثلاثة أو خمسة أو سبعة معابد فوق بعضها بعضاً، ويسمى المعبد الموجود في الأعلى بالزاقورة[3]، مما أظهر طموحاً إلى تشييد معابد مرتفعة، تبرز إشادة القدماء بالأصل القديم والرغبة في تقريب المعبد للسماء حيث تسكن الآلهة"[4].

وكانت مثل هذه المعابد بزاقوراتها المرتفعة عند السومرين تسمى (بيت ايل) أي بيت الإلـه[5]، وقد سميت عند البابليين بـ (ايتامنتكي) ويعني هذا الاسم (أساس معبد السماء والأرض) وقد وصفت بأنها صلة الوصل بين الأرض والسماء فكانت مرتفعة جداً"[6].

تسمى الخطيئة بالسومرية "نك –كك" (Nig-gig) وبالأكديه "أكبو" (ikkbu) أي كبوة، وكذلك "إنزالو" النازلة، كما يستعمل المصطلح السومري كلمة (SE.BA.DA) التي ترادفها بالأكدية خطو (Khitu) وخطيتو (Khititu) وهي الخطيئة[7].

والأمر الأساسي الذي يقف في وجه وقوعها هو الصلاة والتضرع إلى الآلهة، وربما الاعتراف لكي يهدأ قلب الآلهة[8] يقول المتضرع:

"أيتها الآلهة، انتهاكي لأوامرك كثير وخطاياي كثيرة أيتها الآلهة، انتهاكي لأوامرك كثير، وخطاياي عظيمة، أيها الإله المعلوم، والمجهول، ذنوبي كثيرة، وخطاياي فظيعة، الآثام التي

---

(1) انظر: الماجدي، **بخور الآلهة**، ص144–146.

(2) الحقبة بين 4500 ق. م إلى 3500 ق.م اطلق عليها التاريخ اسم الفترة العبيدية نسبة إلى بلدة العبيد الواقعة على بعد 85 كم من أور. انظر: دياكونوف، **تاريخ الشرق القديم**، ص92.

(3) الزاقورة: هي المعبد العالي. أنظر: الماجدي، خزعل، **أديان ومعتقدات**، ص139.

(4) دياكونوف، **تاريخ الشرق القديم**، ص92.

(5) ديورانت، **قصة الحضارة**، ص164.

(6) كونتينو، **الحياة اليومية في بلاد أشور**، ص459.

(7) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص344.

(8) المرجع السابق، ص344. وانظر: جورج كونتينو، **الحياة اليومية**، ص447–448.

ارتكبتها لا أعرفها.... الشيء غير الطاهر الذي أكلته لا أعرفه، الشيء النجس الذي لمسته لا أعرفه"[1]. وقد يقول المتضرع وهو هنا الملك "آشور بانيبال" [2]، الذي يرفع صلاته إلى الإله أدد[3]... "أيها الإله أدد... ارفع اليك صلاتي وألهج بمدحك، لأن الشر الذي يرافق خسوف القمر وعداء قوى السماء والأرض وطلائع النجس موجودة في قصري، وفي بلدي، ولأن الفتنة الشريرة والمرض النجس، وخرق قوانينك والظلم والخطيئة موجودة في جسدي ولأن شبحاً شريراً يلتصق بي"[4].

وفي أسطورة إيتانا:

وهي " أسطورة الملك إيتانا الذي يُحرم من الإنجاب، فيصعد إلى السماء بمساعدة الحية، رمز الطب، والنسر ليحصل على نبات من السماء له خاصية الإخصاب، لأن امرأته كانت عاقراً، أي على دواء لعلاج العقم، وحيث بلغ السماء السابعة –لا نعرف ما الذي حصل بالضبط–، لكنه حصل على عشبة الإنجاب ويبدو أنه قد قام بفعلٍ يرضي الآلهة عندما أنقذ النسر من وقوعه في حفرة، أي أنه كوفئ بالصحة، وهذا يعني أن الإنسان الذي يرضي الآلهة، يشفى من مرضه، أو علته، وقد حصل إيتانا على عشبة الإنجاب من الإله عشتار"[5].

الطقوس السحرية التي تلجأ لها المرأة العاقر:

تعزى العوقة[6] لأسباب غيبية خارقة، خاصة إذا لم يكن عند المرأة مرض جسماني[7]، فتلجأ في كثير من الأحيان إلى الشيوخ الذي يعالجون بالقرآن على شكل أحجبة وغيرها، وقد تلجأ إلى السحرة والمشعوذين وإلى طقوس سحرية عديدة منها:

1- طقس إغراء الآلهة:

تذهب المرأة لأحد المقامات، فتركع أمامه أو تحت شجرة الولي، تضرع صدرها وتخرج أحد

---

(1) شمار، جورج بوييه، **المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية**، ترجمة سليم الصوصي، دار الرشد للنشر، بغداد، 1981، ص50. وانظر: **الحياة اليومية**، ص447–449.

(2) آشور بانيبال، ملك آشوري عاش في القرن السابع ق.م (668–626 ق.م).

(3) أدد: إله البرق عند الأراميين وهو حدد ومردوخ عند البابلين. انظر: الماجدي، **المعتقدات الآرامية**، ص54.

(4) بوييه: **المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية**، ص50–51.

(5) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص50–56.

(6) العوقة: المرأة التي تتأخر في الحمل.

(7) انظر: كناعنة، **الإنجاب الطفولة**، ص73.

ثدييها وكثيراً ما تجلب معها قطعة قماش كشيء مـن أثرهـا أو أثـر زوجهـا أو حجـاب[1]، وتميمه[2]، وتقوم بربطه[3] بأحد أغصان الشجرة، تركع تحتها، وترفع يديها طالبة حاجتها وقـد تقف على رأس الجبل أو على ظهر منزلها، حيث يفضل أن يكون الوقت فجراً كـي يسـتجاب طلبها. وما تزال الحاجة زهرة قاسم مهنا[4] تقوم بهذا الطقس وتعلمه لحفيداتها.

ويعتقد الفلسطينيون أن الصلاة إذا كانت في منتصف الليل، وعن ظهر بيت فإنها تُحمل رأساً إلى العرش الإلهي خاصة إذا كان الشخص مكشوف الرأس، وإذا قلب ثيابه، ويحمل الـبعض طفـلاً ويقول: بحياة هالطفل" [5].

تقول الحاجة أم فهد من كوبر[6] "ظليت أروح على سيدي الشيخ ياسين هناك تحت الشجرة كنت أدلع أو أضرع[7] صدري وأطلب من الله أن يعطيني تمنه[8] أعطاني". ويُؤدى هذا الطقس لأمور عديدة أخرى، ويعتقـد الكثيرون أن له مفعولاً فورياً حيث لا بد أن يسـتجاب الـدعاء، وهـو يعود إلى أمور سحرية سنتحدث عنها لاحقاً.

"كانت الفتاة عند قدماء المصريين خاصة العذراء ويفضل أن تكون حديثة العهد بالحيض تقـوم بطقوس مشابهة، يسمى حلب النجوم، حيث تركع كاشفة عن صدرها أو عارية تمامـاً بعـد أن تدهن ثدييها بلبن، ثم تمثل بيديها حركات حلب النجوم وكلما استدرت لبناً وهمياً، مـرت بيـديها على موضع أنثوتها وهي بهذا تأخذ قوى الطبيعة لتضعه في جسدها، وهي تحاول هنـا التـأثير على الآلهة وقوى الطبيعة لتسخيرها لما تريد"[9].

ونجد في الأساطير اليابانية القديمة طقساً مشابهاً، "حيث تعتكف إلهة الشمس، فيترك النور الدنيا

---

(1) الحجاب، حرز يكتب فيه شيء ويلبس حماية لصاحبه، **المنجد**، ص118.

(2) التميمة: خرزة أو ما يشبهها توضع للوقاية من العين. **المنجد**، ص64.

(3) ربط خرقة في شباك أو شجرة الولي من أنواع السحر الاتصالي حيث تأخذ الخرقة مع الوقت شيئاً من قـوة الـولي. انظر: الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص100.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة زهرة، قرية الجديرة، 82 سنة. 2007/1/9.

(5) كنعان، **الكتابات الفلكلورية**، ص164.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/8/1.

(7) أدلع صدري: عامية، بمعنى أخرج ثديي، والضرع هو مدرّ اللبن. أنظر: **المعجم الوسيط**، ص541.

(8) تمنه: عامية بمعنى حتى.

(9) صالح، رشدي أحمد، **الأدب الشعبي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1971، ص177-178.

ويتوقف تعاقب الليل والنهار، وإذا بمئات الآلاف من الآلهة تضطرب اضطراباً عميقاً لهذه الأحداث فتجتمع في مجرى نهر السماء تتشاور فيما بينها عن أنجع الوسائل لاستدراج الإلهة من مخبئها، فيضعون طيوراً ليلية لها القدرة على الغناء الطويل (ديكة) قرب مدخل الكهف ويحملونها على الصياح ويعلقون من شجرة خيطاً[1] من جواهر مقدسة ومرآة وقرابين وثياب بيضاء وينشدون أجمعين شعائر رسمية غير أن الذي يثبت آخر الأمر كفاءته إنما كان رقصاً شهوانياً أرعن تؤديه الإلهة إيزانامي[2] التي طفقت تدق الأرض بصوت عال تجذب حلمات ثدييها وتنزل ثوبها، فإذا بها بذلك تدهش الآلهة فيعجبون بما فعلت، وإذا بإلهة الشمس وقد استاءت بفضول غير مفهوم تطل خارج الكهف حيث دفعت المرآة إلى الباب، وإذا بالإلهة التي أغوتها صورتها تخطو رويداً رويداً، وإذا بحبل يمد وراءها حيث منعت من العودة من ورائه، فكان بظهور الشمس أن عاد النور مرة أخرى إلى العالم واستؤنف تعاقب الليل والنهار"[3].

ويبدو لنا جلياً أن هناك علاقة بين طقس الكشف عن الصدر والمفاتن لدى الأنثى وبين استجابة الدعوات للمحتاج ولربما يعود هذا الأمر لسببين الأول أن الآلهة تستجيب الدعوات بسبب الإغراء، أي تغريها مفاتن المرأة فتستجيب لها أو أن المسألة برمتها تعود إلى أمور غيبية خارقة وعقائد سحرية قديمة جداً، تربط الأمر بالعودة إلى الحياة الكونية الأولى فعندما تتعرى المرأة أو تكشف عن جزء من جسدها، فهي إنما تمثل الوضع الجنينيّ الأول عندما خُلقَ الإنسان عارياً محاكياً البدايات والأصول في الوضع الهيولي البدئي الأول عندما خلق العالم من البيضة الكونية الأولى[4] وفي هذا ما يوحد الاتصال بين هذه الطالبة المحتاجة والكون فيسهل أمر الوصول للآلهة وبهذا التداخل بين العالم والإنسان الذي في ولادته تشابةٌ ومحاكاةٌ لولادة الكون تصل الدعوات بقوى سحرية حيث يسيطر الإنسان على ظواهر الطبيعة ويحقق رغباته.

---

(1) تشبه ما يفعله الناس اليوم عندما يربطون قطعاً من الملابس على شجرة الولي.

(2) إلهة يابانية، انظر: كريمر، صموئيل نوح، **أساطير العالم القديم**، ترجمة د. أحمد عبد الحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974، ص381.

(3) المرجع السابق، ص380-381.

(4) انظر: السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص 206.

2- **طقس تقليد عملية الولادة:**

تمثل المــرأة نفســها وكأنها تحمل طفلاً ثم تضعه داخل ملابسها وتُخْرِجُه وكأنها تقوم بعمليــة الولادة، "كانت الوحدة اللي ما بتخلف اتجيب شريطة تعملها زي ولد صغير واتصير اتحطها في أواعيها وكأنها حامل وبْعدين اتنزلها من بين إجْريها كأنها بتولد، هذا لما تِشْتهي الخِلفة ومــرات الله يْحِنْ عليها ويَعطيها"[1].

"أنا تْعَوَقِت تَحْمِلِتْ قالن لي الخِتْيارات أجيب شَرايِّط وأَلَبسْهِن من أواعي ابن سلفتي، وأعْمَلْهِــن زي الوَلَدْ، والله وكنت اتصوره زي الَولَدْ وأحُطَه في حُضْنْي وأصير أزَغْونْلَه زي ما بيزغــون الواحد (يلاطف، يداعب) لابنه، تَمِنه الله أطعمني"[2].

وقديماً جداً في الأساطير الإغريقية عندما أقنع زوس[3] زوجته الغيورة هيرا أن تَتَبنــى هرقــل دخلت الآلهة إلى التَخْتْ ثم جَذبت هرقل إلى حُضنها ودفعته وجعلته يســقط على الأرض مــن خلال ردائِها في إيحاءٍ وتقليد لعملية الولادة[4].

ويبدو أن هذا الطقس يعود إلى طقوس سحرية، وهي ما يقوم به الســاحر من تقليــد ومحاكــاة بحسب قانون التشابه بمعنى: أن الشبيه ينتج الشبيه،

وهو ما يسمى بالسحر التشاكلي أو سحر المحاكاة[5].

3- **طقس الدعاء عند قبر (قتيل) قُتِلَ ظُلماً:**

هناك اعتقاد شائع في قرى رام الله أن من قتل ظلماً تبقى روحه قلقه مضطربة تنوح في نفــس المكان الذي قتل فيه، ومن الجدير بالذكر أن هناك عدداً لا بأس به من القبور التي قتل أصحابها أيام الإنجليز ولم تعرف أسماؤهم، فقد كانوا غرباء، تَصادَف وجودهم في المنطقة أثناء دفــاعهم عن فلسطين في ذلك الوقت ومن هذه القبور، قبر يقع شمالي قرية سردا، قرب عــين معروفــة تسمى عين الليمون، ويذكر كبار السن في هذه القرية أنهم كانوا يسمعون صوته ينوح في الليــل

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الرحمن، اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.

(2) المصدر السابق، 2007/1/11.

(3) زوس، وهو كرونوس، إله الهواء القديم، ثم أصبح إله الزمان، ابن أورانوس إله السماء، يلتقي مع الإلــه إيــل فــي المثيولوجيا الكنعانية. انظر: الماجدي، **المعتقدات الإغريقية**، ص198، 205.

(4) Frazer, The goldon pough, pp17.

(5) انظر: الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص167.

ولا يزال حتى اليوم، حيث تخرج روحه الشابة لتقول: (حسبي الله ونعم الوكيل). [1] ويوجد قبر آخر في قرية بيت ريما أطلق عليه اسم (قبر الغريب)، وآخر في قرية بيت دقو وفي بيت عــور حيث لا يزال الناس يسمعون أصواتهم النائحة التي تنادي على من يساعدها ويريحها.

تخبرنا الحاجة سبعية:"لما كانت الوحدة تتعوق كانت تذهب إلى قبر قتيل مقتول بغير حــق. والله أنا أخذت مرت أخوي، مرت العبد (شمعة)، رُحنا على قبر ناس انقتلوا سنة التراك والإنجليــز (ناس انقتلوا ظلم). وقفنا قُدامه، وقالت أكثر من مرة: "يا قَبِرْ يا مَقتول بغير حَقَ خُــذ منـــي دَم الكْباس[2]، وأعطيني دَم زي الناس. وبعدين فَشْقَت عنه ثلاث مرات"[3].

تذكر العقائد القديمة ومنها الأرواحية[4] أحوال ما بعد الموت، ويبدو أن أرواح المــوتى تحصــل على الراحة بنسب متفاوتة بقدر حجم الشعائر الجنائزية التي تقام لها، والقرابين التي تقدم إليها، أما روح القتيل فتظل قَلِقه مضطربة، ونجد هذا في حديث أنكيدو وجلجامش[5]، فبعد أن توسّــل جلجامش لــ (أوتوا)[6] إله الشمس البابلي أن يفتح له ثقباً في العالم الأسفل ليخرج شبح انكيــدو كي يتحدث معه، أمر (أنكي) الإله (أوتو) بأن يفتح ثقباً في العالم الأسفل ففعل، خرج شبح انكيدو منه أمام جلجامش، فعانق السيد خادمه ورحب به ثم قال: جلجامش لأنكيدو:

أخبرني يا صديقي عن أحوال العالم الأسفل الذي رأيت

... لن أقص عليك أخباره يا صديقي وإذا كان لا بد

من ذلك فسأجلس، وأبدأ البكاء

... سأجلس واستمع إليك تنوح

... إن جسمي الذي كنت تلمسه عندما

تكون سعيداً يلتهمه الدود الآن، كما لو كان خرقه.

---

(1) مقابلة شخصية، الحاج أحمد علي طه 87 سنة، والحاج حسين أبو درويش 90 سنة، سردا. 2008/8/7.

(2) كباس: أي من الدم الفاسد الذي تم حَسْدُه من الغير فلم يعد صالحاً.

(3) الحاجة سبعية طه، بيت ريما، 84. 2007/8/2.

(4) هي عقيدة قديمة بدائية تُؤمن بأن هناك قوة حية تسكن الأشياء غير الحية، وهي واحدة في الكون. انظــر: فــرديلش. رج. س، **ديانات الأرواح الوثنية في أفريقيا السوداء**، ترجمة يوسف شلب، دار المنار للدراسات والترجمة والنشر، الشام، ط1، 1988، ص67.

(5) جلجامش: حكم فترة ما بين 2700 و2500 ق.م مدينة أوروك في العراق. انظر: السواح، **جلجامش**، ص26.

(6) أوتو إله الشمس عند البابليين.

فصرخ جلجامش صرخة مدوية وانطرح يتمرغ في التراب،

وصاح يا ويلتاه... يا ويلتاه، ثم استعاد أنفاسه وقال لأنكيدو:

هل رأيت الذي قتل في المعركة؟

نعم لقد رأيت، أمه وأبوه يرفعان رأسه

وتنوح عليه زوجته.

فهل رأيت جثمان الذي ترك في البرية؟

نعم رأيته، وكانت روحه قلقة لا تجد الراحة في العالم الأسفل[1]

4- طقس بلع الجلدة (القلفة) (بقايا عملية الختان):

وهو بلع الجلدة أو القطعة التي كان الحلاق قديماً والطبيب حديثاً يقوم ببترها، فيما يعرف بعملية الختان أو (الطهور) [2]فبعد أن تلجأ السيدة إلى كل الوسائل كي تحمل، فهي أيضاً تلجأ لهذا الطقس الذي يكاد يكون شائعاً في قرى رام الله، فهاهي الحاجة انشراح من الجديرة تحدثنا فتقول: "هِيْ (وَحدة) حرمها الله من الخلفة، وكل ما بِيِّطَهَر ولد بتزلطها"[3]، أي تبلع الجلدة التي يقطعها المطهر، أملاً في أن تحمل بولد، وفي بعض المناطق تحرقها المرأة، وتضعها في صرة ثم تنثرها في مجرى ماء وقد تحتفظ بها محروقة، في صرة تُعلقها فوق الباب في صدر البيت، واعتقد أن هذا الطقس إنما يعود للعقائد القديمة الثلاثة الفيتيشية والأرواحية والطوطمية[4]. والتي تقول (أن الجزء لا بد أن يؤثر على الكل)، وبالتالي فإن قوة الذكورة سوف تنتقل للمرأة وكذلك فإن الروح التي تكمن في كل الأشياء بشكل الطاقة الكونية الأولى التي خلقت العالم، سوف تنتقل للمرأة العاقر كما نجد أن للطوطمية دوراً كبيراً في هذا الطقسً.

فقدْيماً " شَهِدَتْ ثقافة نقاده[5] الأولى في مصر ظاهرة عدم وجود الهياكل العظيمة الكاملة في

---

(1) انظر: الماجدي، **إنجيل سومر**، ص230. انظر: السواح، **جلجامش**، ص234-235.

(2) ختن: ختن الشيء، قَطَعَهُ، و الختان: عملية قطع قلفة الصبيّ. انظر: **المعجم الوسيط**، ص1217

(3) كانت هذه العادة جارية في العديد من قرى رام الله ومنها اللبن، مقابلة شخصية، فاطمة عبد الرحمن، اللبن، 67 سنة. 2007/8/2.

(4) هي عقائد سحرية قديمة. انظر: الماجدي، **المعتقدات الإغريقية**، ص103 – 114.

(5) ثقافة نقادة الأولى، نسبة إلى نقادة، وهي إحدى مدن محافظة قنا في مصر، تعود إلى 4500 عام قبل الميلاد. انظر: غربال، شفيق، **تاريخ الحضارة المصرية**، ص51، 58.

المقابر، بل وجود بعض أجزائها، وهناك آراء تفيد بتناول الأحياء أجزاء معينة من أجساد الموتى تبركا وقدسية"[1]، كما كانت الأعضاء التناسلية للرجل إذا مات (عند قبائل الزولو[2] البدائية) تُشوى ثم تطحن وتسحق رماداً يُذرُ فوق الحقول لإخصاب التربة[3].

ولما كانت عبادة الجنس من أقدم العبادات " حيث اعتبرت رمز الخصوبة وانبعاث الحياة، عندما شاكل الإنسان البدائي بين إثمار الطبيعة وإثمار[4] المرأة، ظهر هذا في فن الرسم والنحت لديه، فرسم وشكل التماثيل التي تظهر أعضاء المرأة التناسلية، متناسياً وجهها في كثير من الأحيان فقد كان المجتمع البدائي القديم مجتمعاً أمومياً عَبد المرأة أم الكون وأصل الحياة، وتركز المنظر على الثديين والبطن أو الرحم والحوض وأعلى الفخذين، مركز الخصوبة في تماثيل العبادة"[5].

"وتظهر المعابد التي كُرست للأم السورية الكبرى نظرة الإنسان القديم للجنس باعتباره فعلاً دينياً مقدساً فبعض هذه المعابد صُمِمَ بطريقة توحي بالعضو التناسلي للمرأة كما هو الحال في معابد تل العبيد وخفاجة وأوقير في بلاد الرافدين"[6].

"ثم خلقت عشتار[7] من نفسها زوجها واتحدت به، فأظهرت الأعمال التشكيلية قيمة الجنس، حيث وصلتنا تماثيل من العصر النطوفي تعود للألف التاسع ق.م تظهر تماثيل متعانفة في وضع جنسي"[8]. "وعندما أدرك الإنسان أن المطر هو السبب في الأخصاب فهم دور الرجل، فعقدت العلاقة بين المطر ومني الرجل، وانعكس ذلك على عقيدته فظهرت أولى الديانات الذكرية، فرسم الإنسان البدائي رأس العضو التناسلي الذكري في فلسطين في الألف السادسة ق.م"[9].

---

(1) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص163.

(2) قبائل إفريقية بدائية.

(3) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج1، م1، ص111.

(4) ما تزال هذه الكلمة تستعمل بنفس المعنى فيقال للمرأة التي لا تنجب "الشَجَرَة إلّي بَلا ثَمَرَة قَطِعّها حَلال".

(5) انظر: الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص122. وانظر دياكونوف، تاريخ الشرق القديم، ج1، ص129. انظر السواح، **مأساة عشتار**، ص43-46.

(6) انظر: السواح، **مأساة عشتار**، ص179.

(7) عشتار: إلهة الحب والخصب لدى البابليين. انظر: السواح، **مغامرة العقل الأولى**، ص 383.

(8) المرجع السابق، ص 178، وانظر: الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص 161.

(9) تعود الثقافة النطوفية (نسبة إلى وادي النطوف)، شمال غربي القدس في كهف اسمه الشقبة، دين المزوليتية الأعلى، 8000 – 12000 ق. م، المرجع السابق، ص63.

وقد عُثر على الكثير من التماثيل النسائية، وتماثيل الثيران في العصر النيولتي، في جرمو في بلاد الرافدين[1]، في أماكن حفظ الحبوب، وفي المواقد، حيث جسدت في الغالب مفهوم الخصوبة[2]، التي تشير إلى محاولات سحرية جبارة للتحكم في الطبيعة وتؤثر على تكاثر الحبوب بواسطة نماذج الأمومة البشرية، وهو ما يعود إلى القانون التشابهي[3].

هناك الكثير من الطقوس السحرية الأخرى التي تمارس في وقتنا الحاضر سنؤجل البحث فيها كطقس الاستحمام على قطع الذهب والحجارة، وطقوس أخرى تتناول المرأة التي تنجب أطفالاً يموتون فور ولادتهم أو يعيش الإناث منهم فقط، ويعود هذا بالطبع (للكبسة) الحسد، وللقرنية أو التابعة التي تجهض المرأة وتقتل الرضع وتلاحقهم بالمرض على أن نفرد بحثاً مطولاً عنها في مواضعها.

طقوس الكشف عن القدرة على الحمل:

1. لبوس الثومة:

تخبرنا القابلة سبعية طه[4]: "كُنِتْ أَعطي الوَحَدَة لبوس ثومة مثل (صَرصور صْغير) تْحُطْها زي تحميلة، إذا كانت بتحمل بْتِطْلَعْ الريحة ثاني يوم من ثِمْها (فمها)، وإذا لأ معناها ما رَحْ اتْخَلّف، بِدْها اتْطَوِلْ شْوَيّ تَتِتْعالَجْ".

"كانت كل الإشارات الخاصة بمعرفة العقم والكشف عن الحمل مبنية على نظرية أن هنالك اتصالاً بين المهبل وبقية الجسم في الخصب، هذه النظرية هي التي أوحت بهذه الوصفة من بردية كارلسرج[5]: (رطب بصلة أو ثومة... واتركها[6] طوال الليل على فرجها حتى الفجر، فإذا خرجت الرائحة من فمها فإنها ستلد وإذا... فسوف لا تلد، وتعتبر هذه الطريقة من الطرق

(1) العصر النيولتي 8000 قبل الميلاد، الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص79.

(2) انظر: دياكونوف، **تاريخ الشرق القديم**، ص128.

(3) المرجع السابق، ص183.

(4) مقابلة شخصية، القابلة سبعية طه، بيت ريما، 84 سنة. 2007/8/2.

(5) بردية كالسرج: هي قصاصات مهلهلة عليها نُصْوص ترجع إلى تاريخ الأسرتين 19 –20 في مصر القديمة، وتحتوي بيانات عن إنذار الوضع ونوع الجنين .

(6) تشير النقاط (...) إلى أن النص مفقود من المصدر.

العلمية السليمة كما يقول د. محمد فياض، بدليل أن (أبو قراط) قد ورثها عن المصريين[1].

2. الاختلاف في شكل الجسم:

تقول الحاجة فاطمة من اللّبَّن: "كنت أَحط على صِدرها زيت فإذا نَفَر فَمعناها حامــل. الوحــدة الحامل بتكون حلمات صدرها بارزات وأحياناً بِيُنْفُخْ منخارها ووجهِها بِيْبَقِع (بيكلف)"[2].

ويقول المثل كل شيء بخفى ما عدا الحب والحبل والركوب عالجمل[3].

3. القيء:

وقد تكتشف المرأة أنها حامل إذا تقيأت وشعرت بدوخة وهو ما يعرف بالوحام[4]، لذا فهي تكره بعض أنواع الطعام وتحب بعضها الآخر، وتخبرنا الحاجة زينب من عين يبرود: "لَمّــا تِحْمِــلْ الوَحَدَة فيهِنْ ما توكل إلا لِيّة الخاروف، اللحمة المِدهْنَة وفيهن بِتْحِبْ المِلِحْ والليمون الحــامض، لما تنام اتحطها تِحِتْ الوِسادة، فِش إشي في الكون بيوَقف مِعْدِتها إلا غير المِلِح وليمون حامض، واتقوم تُقْرُش[5] في الليل بِقُلّهاجوزها: هذا بِيّنَشِفْ الدَم، تقْرَفْ الخُبزْ واللَحِمْ في الطبــيخ، ولمــا تولد بيجبي ابنها ضْعيف، وبقول المثل "وحمانة وطلبت رُمَانَه"[6].

كانت هذه الطقوس حديثة تُستخدم حتى يومنا هذا، وقد يندهش القارئ عندما يجدُ أنها تكاد تكون نفسها منذ أقدم العصور، فهذا نصٌ من بردية برلين 1350 ق.م[7] يقول:"ضع زيتاً...[8] ثم لاحظ المرأة بعد ذلك، فإذا ما وجدت أوعية صدرها متوترة فقُل إنها تحمل، وإذا وجدتها مسترخية فقُل إنها ستبطئ في الحمل"[9].

وإذا كانت أوعيتــها تهرب مثل الجلد الملتصــق فهي لن تلد وإذا وجدت أوعيتهــا نضرة فهي

(1) www.google.net. وانظر: غليوجي، **الطب عند قدماء المصريين**، ص64.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللبن، 67 سنة.1/11 2007.

(3) كناعنة، **الإنجاب، الطفولة**، ص155.

(4) الوحام: اشتهاء الطعام.

(5) تقرش: قرش، قطع. **المنجد**، ص619.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(7) إحدى أهم البرديات (اللفائق) الطبية التي اكتشفت في مصر وهي ثمانية سميت بأسماء مكتشفيها.

(8) تشير النقاط (...) إلى أن النص مفقود من المصدر.

(9) www.google.net

ستلد[1].

"... أعطها بطيخ يُدْهَكْ بلبن المرأة التي ولدت ذكراً فإذا تقيأته فستلد، وإذا صرفته ريحاً فهي لا تلد... تجلس السيدة فوق جِعة[2]... فإذا تقيأت فهي خصبة".[3]

طقوس الكشف عن جنس الجنين:

"... يمكن التكهن بجنس الجنين منذ الوقت الذي تشعر فيه المرأة بالحركة، إذ يعتقد أن الجنـين الذكـر أحكم وأقوى من الجنين الأنثى، ولذا فإن حركته تسـبق حركتها، فهو يتحرك في نهاية الشهر الرابع، بينما تتأخر حركة الأنثى حتى منتصف الشهر الخامس أو نهايته، كما أن حركـة البنت "بتظل تدق دق، الولد بيظل هادي رايح جاي بهوادة، وإن الجنين الولد يتحرك في الجهـة الشمال، أما الأنثى فتتحرك في الجهة اليمين وبيقولوا: "اليَمين مَسْكَن الحَريم والشّـمال مَسْـكَنْ الرّجال". كذلك يقال: "إلّي حَبَلها حِلو بِتْجيب صَبي، وإلّي حَبلها كبير بتجيب بِنِتْ"[4].

... "وإذا كان ظهر الحامـل

أي قفاها) عريض فإن الناس يقولون إنها حامل بأنثـى، وإذا كان

عادياً فإن الجنين ذكر، وإذا بطن الوحدة (مْعَرْنِسْ) أي مرتفع لأعلى فهو ولد، أما إذا كان لتحت متهدل فهي بنت"[5].

وإذا كان أنف الأم متورماً بارزاً فإن الجنين الذي تحمله ولد[6]، وقد تضع المرأة عدة نقاط مـن الحليب على خيط حَرير، ثم ترميه باب بيت نمل، فإذا جر النمل الخيط، يكون الجنين ذكراً وإذا لم يقترب منه فالجنين أنثى[7].

وقد تُحَمّي المرأة سكيناً وتُنقط عليه نقطة من حليبها فإذا انبسطت فهي أنثى وإذا بقيت كما هـي فالجنين ذكر، وكذلك إذا دبقت[8] البقعة ببْقى ذكر أما إذا بَقَتْ مثل الميّه فالجنين أنثى[1].

---

(1) www.google.net، من بردية كارلسرج.

(2) الجعة: هي نبيذ الشعير والقمح. انظر: **المعجم الوسيط**، ص126.

(3) غليونجي، **الطب عند قدماء المصريين**، ص64.

(4) كناعنة: **الإنجاب والطفولة**، ص109.

(5 انظر: الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص128. وانظر: كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص109.

(6) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص157.

(7) كناعنة، **الطفولة والإنجاب**، ص111. انظر: الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص128.

(8) دبقت: أي التصقت، كانت لزجة.

وتُجْمِعُ العديد من النساء اللواتي تحدثت إليهن على صدق هذا التشخيص ودقته، والذي هو على لسان القابلة سبعية، كما يلي:" إذا كان أولَ بُطن للوحدة، بتشوفي جبينها فإذا كان عليه بقعة مْدَوَرَة بيظة بس مش كبيرة فالمولود ذكر، أما إذا كانت البقعة مْبَسْلَطَة يعني زي البيضة ولونها بيظة بتلمع فالمولود إنثى، وبعدين كنت أشوف رأس المولود إذا كان في وسط راسه هالبقعة الصغيرة بيكون البطن الجاي ذكر وإذا كانت البقعة هي الكبيرة إلّي بتِلّمَعْ، بيكون البُّطُن الجاي أنثى"[2].

اهتم الطب الأكدي قديماً بالتشخيصات الخاصة بالحمل والولادة، وقد أطلِقَ على المرأة الحامل لقب "ام المستقبل"[3]، وتكاد تكون تلك التشخيصات هي نفسها المتبعة حالياً في قرى محافظة رام الله وكانت كما يلي "إذا وجدت في جبين أم المستقبل بقعة لامعة بيضاء فإن الجنين الذي تحمله سيكون بنتاً وستكون غنية[4]، وإذا كان أنف أم المستقبل متورماً بارزاً فإن الجنس الذي تحمله ولد [5].

... وجاء في بردية برلين 1350 ق. م "إذا تبولت المرأة على كيسين أحدهما قمح والآخر شعير فإن نبت القمح فالمولود سيكون ذكراً، أما إذا نبت الشعير أكثر فالمولود سيكون بنتاً، وقد يعود هذا لكون القمح مذكراً في اللغة المصرية، أما الشعير فهو مؤنث[6].

... يستطيع المتابع لما ورد في طقوس وتشخيصات الحمل لمعرفة جنس الجنين أن يرى بكل وضوح مدى التشابه بين هذه الطقوس قديمها وحديثها.

"شاكل الإنسان في العصر النيولتي 1000 – 800 ق.م –دين الخصوبة– فربط بين الزراعة والمرأة، فلما أصبحت الزراعة هي الصورة السائدة في الحياة الإنسانية، اعتبرت الأشجار أيام الإِزهار حوامل أجنة، فلا يجوز في جوارها ارتفاع الصوت أو إشعال النار، وإلا لَجاز أن تسقط ثمارها قبل نضجها، كما تجهض المرأة، فعبدت لذلك الأشجار، فكان تقديس الأشجار وينابيع

---

(1) انظر: كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص110. وانظر: الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص128.

(2) هو تقليد متوارث في معظم قرى رام الله، وتعتقد النساء أنه دقيق ولا يزال يستخدم حتى اليوم.

(3) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص156.

(4) المرجع السابق، ص156.

(5) المرجع السابق، ص157.

(6) www.google.net.

الماء، أقدم عقيدة دينية في أسيا"[1].

... لقد وجد الإنسان في المرأة البدينة المعافاة الخصيبة الحامل رديفاً للأرض الخصبة المثمرة، والمرأة كما هو معروف مكتشفة الزراعة وحافظة البذور، ولذلك رفعها إلى مرتبة الألوهية، وأصبحت الإلهة الأم تبدو وكأنها سبب إخصاب الأرض في العقيدة الدينية[2].

... وكما رأى العقل البدائي سراً عميقاً إلهياً في نمو الشجرة، رأى كذلك يداً إلهية في حمل الجنين وولادته، فقد كان يرى الأعضاء الظاهرة أمام عينه فألَّهَهَا[3].

وقد حافظت تماثيل عشتار في سوريا والأردن، وتركيا وفلسطين على كثير من خصائص عشتار الباليوليته من حيث التركيز على مناطق الخصوبة، إلا أنها ظهرت بشكل الأم الكبرى[4] السيدة الولود كما في الإلهة الأم الأناضولية في شتال حيوك 6000 ق.م، حيث صورت جالسة في وضع ولادة على عرش، وتمسك لبؤتين بيديها كأنهما مسنديّن لهذا العرش ويظهر ثدياها متهدلين[5].

ثم رحل الإنسان من مواطن الزراعة الأولى التي كانت في الغالب كثيرة المطر نحو أماكن شحيحة المطر من جرمو إلى سامراء فأدرك الإنسان أن الأرض ليست العامل الوحيد لإن المطر هو السبب الأهم في الزراعة، وترافق ذلك مع فهم دور الرجل في الإخصاب، وربط الإنسان البدائي بين المطر ومني الرجل وكان هذا التحول فاتحة الانقلاب الذكوري، وانعكس ذلك على العقيدة الدينية[6]، وسنجد آثارَ ذلك في العبادة البابلية بشكل واضح عندما أطاح مردوخ[7] بتيامت أو تعامة[8]، وحاربها ثم قضى عليها ومزقها.

مما سبق يمكن استنتاج ما يلي:

---

(1) ديورانت، **قصة الحضارة**، ص104-105.

(2) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص82.

(3) ديورانت، **قصة الحضارة**، ص105.

(4) السواح، **لغز عشتار**، ص44، 45.

(5) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص87.

(6) المرجع السابق، ص122.

(7) إله البابليين الأعظم المرادف لإنكي عند السومريين.

(8) تعامة: ننخرساج الإله الأم الإلهة الهيولية الأولى والأم الكونية. وهي تيامت أو تيامة (البحر). انظر: السواح: **مغامرة العقل الأولى**، ص382.

أعتقد أن تلك الطقوس التي تحدثنا عنها، وتشخيصات الحمل والولادة، قديمها وحديثها إنما تعود للحالة الكونية الأولى بعد الانقلاب الذكوري، وهي تنقسم إلى قسمين: الأول يشاكل حالة المـــاء الأولى، فالمرأة هي الماء السفلي في الوضع الهيولي الأول أي المالِحَة، لذلك نجــد أن الحليــب الذي يكون دبقاً، كما دلت عليه التشخيصات الحديثة إنما هو الماء العذب أي ماء المطر الأعلى، الماء الذكوري (المني)، وقد عبدت الشعوب السامية (الماء)، وخصصت إلهاً للمطر هو (حَــدَدْ) وعند البابليين يرمز الإله (أبسو) إلى الماء الهادئ، حيث تعوم الأرض، فيما تمثل (تيامة) البحر المالح[1] والمرأة، لذلك نجد المولود الذكر يتحرك بهدوء فهو (أبسو) وهو (إنكي) المحيط (بيــت الحكمة)، أما الأنثى فهي (تعامة)، هي الماء المالح الكدر الهائج.

وما زال يقال في الأمثال الشعبية (أرض مالحة وسما قادحة)،[2] كما نجد أن بطن المرأة التـــي تحمل ذكراً يكون (معرنساً) مرتفعاً لأعلى (لأنه إله السماء إله المطر)، أما التي تحمــل أنثـــى، فيكون متهدلاً للأسفل كما هي الأرض هي السفلى، وكذلك تبقى بقعة أو نقطة الحليب من صـــدر المرأة الحامل بِذَكَر، متكتلة إذا ما وضعناها عل سكين (حامية)، ساخنة، أما التي تحمل أنثى فإن هذه النقطة تنبسط كالأرض، وكذلك لو وضعنا هذه النقطة في كأس ماء فـــإن حليـــب الحامــل بالذكر، يبقى في الأعلى، يطفو (كما الســـماء) مرتفعة، أما نقطة الحامل بالأنثى فإنها ترسب في القعر كما (الماء العكر).

وكذلك فإن(قفا) أي مؤخرة الأم الحامل بالذكر يكون (ملفوفاً لفاً) [3]، منتظماً (أنيقاً)، وقفا الحامل بالأنثى يكون متضخماً، منتفخاً كما هي الأرض التي تحمل البذور.

كذلك نجد على جبين المرأة التي تحمل ذكراً بقعة صغيرة جداً، لا تكاد تُرى، أما التـــي تحمــل أنثى فنجد على جبينها بقعة بيضاوية الشكل واسعة (مفلطحة) كمـــا هـــي الأرض الأم الأولـــى، وغالباً ما تَبْشَعْ المرأة إذا كان جنينها ذكراً، أما إذا كان أنثى فنجدها جميلـــة مكتنـــزة محمـــرة الخدين، لشـــدة النضارة، كما هي الأرض التي تستعد للإزهار، حاملة البذور والثمار، ولا يزال المثل يقول: البطن بستان[1]، وبكره بتجيبي الصبيان وهذي بذور الرمان[2].

---

(1) صدقه، جان، **رموز وطقوس**، رياض الريس للنشر، بريطانيا، ط1، 1989. ص18- 19.

(2) عباس، إبراهيم، **مجمع الأمثال الشعبية**، ص57.

(3) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص109.

مكانة المرأة الحامل:

تهتم الأسرة الفلسطينية بالحامل، وتعاملها بعناية ودلال، وتحقق لها كل رغباتها ويحق لها ما لا يحق لغيرها، وهناك اعتقاد واسع الانتشار بأن المرأة التي تتوحم إذا اشتهت طعاماً ولم تأكل منه، وصدف أن حكت جزءاً من جسمها في أثناء ذلك، فإن زائدة لحمية أو بقعة قاتمة اللون تظهر على جلد الطفل عند ولادته، وتكون بشكل الطعام الذي اشتهته وهو ما يسمى (الوحمة)[3].
وتعبر هذه الأغنية عن ذلك:

عَلَى بَيَّاعين العِنَبْ	حبلى بتتوحم عَ العِنَبْ
جَاب لِي اللّبّة ميّه وحَبَّةْ	بيع اللّبّة واشْتري العِنَبْ
جَابْ لِي الْحَلَقْ مَلْفوفْ بْورَقْ	بيعِ الْحَلَقْ واشْتِري العِنَبْ
جَابْ لِي الطَرْبوشْ بِعُضْ وبيبوسْ	بِيعِ الطَرْبوش واشْتِري العِنَبْ[4]

ويغنى لها أيضاً:

حِبْلِتْ البنِتْ مِن ثَلاثْ تُشْهُرْ	حَبَلها لايِق يا رب تُسْتُر
ليلةْ ميلادها يا ربِ أنا احْظُرْ	أُوكل مِن قَطّعِ السُّرَّة حَلقومَا[5]

وتتساءل النساء في مهاهاتهن عن نوع الطعام الذي توحمت عليه الأم، حتى انجبت البنت الحلوة:

هي يي قولي لي بيش اتَوَحَّمَتْ إمك تَ جابَتِكْ حِلْوه	هي يي اتَوَحَّمَتْ بْراسِ الّقَلِبْ والمِعْلاق والكِلّوَه
هي يي ويش طَلبتي مِن خَطيبِك ليلة الجِلْوَه	هي يي طَلِبتْ سِنْسال لَرَقْبَتي الحِلْوَه
هي يي شو اشْتَهَتْ إمك تَ جَابَتِك حِلْوَه	هي يي اشْتَهَتْ مُصْران جاجة والقَناصة والكِلوه

---

(1) عباس، إبراهيم، **معجم الأمثال الشعبية**، ص57.

(2) المرجع السابق، ص94.

(3) انظر: كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص92. واعتقد أن هذا نوع من السحر سنبحث فيه في الصفحة التالية.

(4) المرجع السابق، ص94.

(5) المرجع السابق، ص99.

هـــي يـــي ويـــش قَالِـــكْ عَريســـكْ ليلـــةْ الجِلْـــوَه   قَلّـــك خَـــاتِم ذَهَـــبْ يلَيــقْ لَقَامْتِـــكْ الحِلْـــوَة[1]

وتنظر المرأة الحامـــل للأطفال الحلوين حتى تنجب أطفالاً مثلهم ويقال: "بعض النِسْوان عينيهن نقُولات مثل المَغّناطيس"[2]، ويبدو جلياً هنا أن الوحمة ونقل العين هو نوع من السحر، فبعـــد أن تشتهي طعاماً ولا تأكله تستخدم أظافرها ويدها فتحك جسدها، وكأنما تطبع في نفس المكان على جسد جنينها ما اشتهت، وبعد أن تلاعب المرأة الحامل الطفل الجميل فإنهـــا تشـــتهي أن يكـــون جنينها كذلك فيكون، وقد تَنْظُر إلى طفل بشع فيأتي ابنها كذلك. تقول سيدة حبلى "وانا حِبْله فـــي فلان لاقاني ابن دار أبو فَطيمه، الولد الخَامِمْ، وقلت ما أَخَمْ هالولد، وأروح وأنا جايبه الولد اللي أخَمْ منه"[3].

واعتقد أن تفسير الأمر يكون كما يلي:

عندما تكون المرأة حاملاً تكون أقرب إلى بدايات الكون، والأم الهيولية الأولى المقدســـة، لـــذلك تمتلك الحامل قدرات خارقة لا تمتلكها غيرها، فرغم أن الفلسطينيين مسلمين ومسيحيين يؤمنون بأن كل شيء بقدرة الله، إلا الحامل هنا تستطيع- كما يستطيع خنوم أو بتاح-[4] أن تتدخل فـــي شكل مولودها، وقد يكون هذا أقرب إلى السحر الخارق، فبعد أن تخرج التعويذة من فم المعـــزم لا يستطيع ردها، وهذا ما نجده في نقل الأم الحامل لصورة طفلها، فهي إن نظرت للطفل الجميل يأتي مولودها جميلاً وإن نظرت للبشع لا تستطيع منع عينيها من نقل صـــورة البشـــاعة لوجـــه طفلها، ويكون أحياناً بشكل لحمية أو بقعة على جلد طفلها بعد حك جسدها، وهـــذا النـــوع مـــن السحر له أدواته كالعين والأظافر أو اليد، وهي الأجزاء الفاعلة في الجسم والتي تقوم بعمليـــات السحر، وخاصة العين، هذا الجزء الذي ما يزال يُعتبر، غامضاً يتميز بقـــدرات رهيبـــة، كمـــا سنرى عند الحديث عن الحسد الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، وحينما لا تريد نقـــل صـــورة الطفل البشع، عليها أن تبصق على الأرض، وكأنها تبصق روحه التـــي دخلـــت فيهـــا، ومـــن

---

(1) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص97.

(2) المرجع السابق، ص97.

(3) المرجع السابق، ص34.

(4) خنوم وبتاح إلها خلق مصريان. انظر: **الدين المصري**، ص 75، 79.وانظر: بدج، والس، **آلهة المصريين**، ترجمـــة حسين يونس، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، 1998، ص233.

المعروف أن إحدى أساطير خلق الإنسان كانت من الطين وبصاق الآلهة، التي يعتقد هنا أنها الروح[1]. ويبتعد الفلسطيني عن إخافة الحامل أو إغضابها، لأن هذا ربما يؤدي إلى إجهاضها[2]. وتأخذ المرأة الحامل مكانة مقدسة عند الرجل فهي التي تحمل في رحمها أملاً يُنتظر زمناً، وقد تؤدي هذه القدسية إلى خلق تصورات واعتقادات من شأنها تقديس المرأة ومعاملتها معاملة خاصة[3]. لهذا فقد ربط بينها وبين الشجرة خاصةً (النخلة) التي كانت " شجرة عشتروت المقدسة، وشجرة الحياة عند السومريين والمصريين، وشجرة الإنجاب ورمز الخصوبة عن الصينيين والهندوس غيرهم"[4]

"ومما يجدر ذكره أن هناك علاقة بين النخيل، وبين الموت ثم القيامة، أو توالي الولادة والاستمرار"[5] "لذا كانت عقيدة تقديس الأشجار هي أقدم عقيدة في آسيا"[6]، " وقد وحَّدَ الفنيقيون بين النخلة، التي اعتبرها الساميون بعامة شجرة الحياة في جنة عدن، وبين إلهة الإخصاب الجنسي والتعشير عشتروت أو عشتار، فالنخلة كانت شجرة الميلاد أو شجرة العائلة عند كل شعوب غرب آسيا، في مصر وبابل"[7]، كما عبدها العرب في الجاهلية حيث " عُبدت نخلة طويلة في نجران، كانوا يقيمون لها عيداً كل سنة، فيعلقون عليها الأثواب الحسنة والحلي وغير ذلك"[8]، لذا قدس الأنبياء بعض الأشجار وبخاصة شجرة البلوط، وقد بارك القرآن الكريم بعضها (كالزيتون والتين) حيث أقسم الله عز وجل بهما في قوله تعالى: "والتين والزيتون وطور سنين"[9]. وكذلك كانت الطاولة التي أرسلها إلى المسيح من السماء تحتوي على خمسة أصناف من تمر الجنة[10]، كما ارتبطت أشجار النخيل بولادة عدد من الآلهة والأشخاص، منهم "أبولو"،

---

(1) الماجدي، **بخور الالهة**، ص330.

(2) انظر: كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص105.

(3) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص125.

(4) المرجع السابق، ص 335.

(5) كونتينو، **الحياة اليومية**، ص 139. وانظر: **الباش، المعتقدات الشعبية**، ص 335.

(6) ديورانت، **قصة الحضارة**، ص 104.

(7) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص 335.

(8) المرجع السابق، ص 334.

(9) سورة التين، آية 1-2.

(10) كنعان، **كتابات الفلكلورية**، ص100.

"ونبتون"، "وذيلين" في الأساطير الإغريقية[1]، وارتبط المسيح بالنخلة، حيث جاء المخاض مريم العذراء تحت شجرة نخيل "فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة"[2]، وفي مصر القديمة أوصى الحكيم بتاح حب ابنه قائلاً: "أحبب زوجتك داخل بيتك أطعمها واكسها، وأسعد قلبها طوال حياتها فهي حقل مثمر لصاحبها"[3].

ويحدثنا الدكتور محمد فياض عن عناية المصريين القدماء بالحامل، فيقول: "نحن أمام أول مشفى في تاريخ الطب لرعاية الحوامل فمنذ أكثر من 4000 ق.م شيّد المصريون معبداً خاصاً باسم الإلهة نيت التي كانت تستعين بها الحوامل والتي نسب لها المصريون أنها إلهة التناسل، وأنها عظيمة وقد كان هذا المعبد يقوم بوظائف عديدة منها:

أولاً: تعليم القابلات فن تمريض الحوامل.

ثانياً: العناية بالحوامل أنفسهن، فتقيم فيه الحوامل أو تتردد عليه، فيُعنى براحتهن وتقدم لهن الأدوية حتى ينلن الشفاء، ويضعن حملهن[4].

وفي القضاء المصري قديماً كان لها استثناء فإذا حدثت جريمة فيها حامل، لا يتسرع القاضي في تنفيذ العقاب، بل يؤجله حتى تضع، وكان لها حصانة قانونية ومراعاة من المجتمع [5].

وترى بعض التصورات الكنعانية أنه يجب الامتناع عند مشاجرة الحامل، وأنه يجب التهيّب ساعة الولادة، وعلى الذين أرعبو المرأة أن يهربوا، فإن المرأة تتعذب في أثناء الحمل، ويمكن أن تلد قبل الأوان، وأن تتأخر ساعة الخلاص، فمن أحس بأنه ارتكب مثل هذا المعصيات يكون غير جدير بالعودة إلى بيته[6].

وفي أسطورة ولادة أدونيس وهو إله مدينة جبيل اللبنانية، أن مورا ابنة الإله بعل إله الكنعانيين

---

(1) عبد الحكيم، شوقي، **مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير**، دار ابن خلدون، ط1، 1978، ص59.

(2) سورة مريم، آية 23.

(3) حكيم مصر القديمة 2686-2181، www.google.net.

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر السابق.

(6) انظر: ميديكو، هـ. ي، **اللآلئ من النصوص الكنعانية**، تعريف مفيد عرفوق، دار أمواج للنشر، ط2، 1988. ص226-227.

الأقدم، تفاخرت يوماً بشعرها، فحقدت عليها فينوس زوجته، وانتقاماً منها حكمت عليها أن تقـــع في حب أبيها، وهكذا مارست مورا الحب مع أبيها فحملت منه، ولما قرب شهرها التاسع هربت في القفار، وتضرعت للآلهة بأن تصبح بين الحياة والموت وتتحول إلى شجرة[1].

مدة الحمل:

من المعلوم أن مدة الحمل الطبيعية لا تزيد عن تسعة أشهر، إما أن تكملها المرأة الحامل كلهـــا، وإما أن تلد في أول التاسع، وتبدأ المرأة عادة بحساب تاريخ حملها من وقـــت (الفوتـــة)[2]، أي الشهر الذي فاتتها العادة الشهرية فيه، وفي أغلب الأحيان لا تحسب شهر العـــادة لـــذلك فهـــي تخطيء في الحساب ويقال: "عد البيض المقلي ولا تعد شهور الحبلى"[3]، وإذا دخلـــت المـــرأة الشهر التاسع تقول: (أَكَلِتْ شهري)، ومفهوم شهر المرأة هو شهر الولادة، أما إذا تأخرت الولادة عن الشهر التاسع، فيعتقد أن المولود غير طبيعي، واحتمال معيشته ضعيفة فيقال: "من عَشَّرَتْ[4] ما بَشَّرَت" وتعتقد النساء أنه إذا تقدمت الولادة عن الشهر التاسع فلا يعيش المولود إلا في حالـــة الولادة في الشهر السابع ويسمى الطفل في هذه الحالة سبعاوي أو سبعوية، سبعية [5].

وقديماً جاء في بردية وستكار[6]: أن خوفو[7] سأل ساحراً يسمى ديجيـــدي: متـــى ســـتتم ولادة ريديجدت زوجته؟ فأجاب الساحر قائلاً: سوف تلد في الخامس عشر من أول شهر الشتاء، وتلك فترة تتراوح بين 275 و294 يوماً، هذه المدة تقول عنها الأساطير مدة حمل إيزيس[8]بحورس، ونقرأ على التوابيـــت في برديـــة برلين 1350ق.م العبارة التالية: أمك احتفظت بك حتى اليوم

---

(1) الماجدي، **المعتقدات الكنعانية**، ص161.

(2) الفوتة: هي عدم مجيء العادة الشهرية للمرأة في موعدها الطبيعي، انظر، كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص88.

(3) عباس، إبراهيم، **معجم الأمثال الشعبية**، ص145.

(4) عَشَّرَتْ: أي بلغ الحمل عندها عشرة أشهر، وفي بعض الحالات يقولون عشرت بمعنى حملت. انظر: كنعان، **الكتابات الفلكلورية**، ص120.

(5) انظر: المرجع السابق، ص119-121.

(6) من أضخم البرديات المصرية، 550 ق. م. www.google.net .

(7) أحد فراعنة مصر، ابن سنفرو والملكة حتب حرس، 2650 ق.م.

(8) إلهة مصرية وابنها حورس هو(رع) أعظم آلهة المصريين. انظر، بدج، **آلهة المصريين**، ص242، 440.

الأول مـــن الشهر العاشر[1].وجاء في الأنومااليش:

وحده إنكي[2]الفطن وأمام ننتو[3](أم البلاد)

إنكي الحاذق أمام نيتتو(أم البلاد)

ملأ بماء قضيبه المجاري جمعاء

وبماء منيه الغزير أغرق منابت القصب

ممزقاً بقضيبه الكساء الذي يستر اخضرار الأرض

(انه هنا يشاكل تماماً عملية الزواج وكيف يفض الرجل بكارة المرأة)

خصص إنكي منيه

وسكبها في رحم ننخرساج[4]

وبتلقيها في رحمها المني، مني إنكي

عند ذلك ومن أجلها عد اليوم الأول شهراً

واليومان شهران

والأيام الثلاثة عدت ثلاثة أشهر

والأربعة عدت أربعة أشهر

والخمسة عدت خمسة أشهر

والستة ستة أشهر

والأيام السبعة سبعة أشهر

والتسعة عدت تسعة أشهر

أشهر الحمل تسعة

وبعد ذلك كالزيت الناعم (لزوجة)

وُلِدَت نِنْسار سيدة الخضرة والنباتات[5]

---

(1) www.google.net.

(2) إنكي إله السماء.

(3) ننتو: اسم آخر لننخرساج، انظر: السواح، **مغامرة العقل الأولى**، ص 385.

(4) ننخرساج: إلهة الماء الأولى السومرية.المصدر السابق، ص 385.

(5) الشواف، قاسم، **ديوان الأساطير**، دار الساقي، بيروت، ط1، 1996، ص22.

طقس إعلان الحمل:

تقوم المرأة الفلسطينية بالإعلان عن حملها، نظراً لظروفها الخاصة، وهذا ما تخبرنا به القابلة سبعية: "كنت أعرف إذا فاتَتْني إني حبله، إذا ما إجِتنيش اليوم الظهر، أعرف فوراً، لما مَشى الختيار على أمريكا كنت حامل بابني مُرسي رَسلان، وهو ما بعْرِفِشْ، كانت فايّتني إلها ثلاث أيام، كانوا جايين ايْودعوا الختيار والبيت كبير ملان نسوان وزلام، صَبيت القهوة وقُتِتْ علَيهم وقُلِتْ يا ناس أنا إلي ثلاث أيام ما إجِتنيش العادة لأن الختيار بدَه يّسافر والله بعْلَم شو بِيصير[1].

وقد كان الإعلان عن الحمل أو عدمه يتم منذ أقدم العصور، ففي مصر القديمة عقد زواج تجريبيّ نَصَّ على فترة تجريبية هي 275 يوماً حيث تقسم العروس على أنها كانت في وقت الزواج بدون طفل (أي غير حامل)[2].

القرينة وطقوسها:

يقول المثل في فلسطين "ابليس ما بخرب بيته"[3]، ويقول أيضاً: "راس الكسلان معمل الشيطان"[4].

تهاجم النساء الحوامل في فلسطين شياطين، أو عفاريت متخصصة في إجهاض الحوامل وقتل الأجنة والأطفال والرضع، وهي تستطيع أن تتقمص عدة شخصيات، وتأتي في الأحلام[5].

ويُطلق عليها أهل فلسطين التابعة أو القرينة، ولهذه الشيطانة طقوس معينة تهاجم فيها الأم الحامل، تتذكر الحاجة فاطمة فتقول: "لما كَنِتْ أَولْ حَمْلي كُنِتْ أَحْلَمْ، إني أَرى حَالي في خَلا كِفْريا[6]، أَنُط عن سِنْسِلَة... وهي عن سِنْسِلَة، ثلاث مرات نَزَّلِتْ في السبع شهور في كل مَرّة أحلم فيها. راح لي وَلدين وبنِتْ ".

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة سبعية طه، بيت ريما، 84 سنة. 2008/8/2.

(2) www.google.net.

(3) كنعان، **الكتابات الفلكلورية**، ص244.

(4) المرجع السابق، ص244.

(5) بدران، سلوى إبراهيم خماش، **دراسات في العقلية العربية**، الخرافة، دار الحقيقة، بيروت، 1979، ص31.

(6) منطقة خلاء، تقع شرق قرية سردا، قضاء رام الله.

وتقول الحاجة أم سليمان من اللبن[1]: "كنت متجوزة جديد تصورتلي في صورة عمتي إم سَمعان وقالت لي، واالله لاقلع عينك بإصبعي هذا، قُمِتْ أَنُط عن الفرشة، وصار جوزي يقرا على راسي آيات قرآن، وثاني ليلة كُنت حامل، وطْلِعِتْ على دار عَزيز على الأوظة فوق على البلكونة من غَرّبَه ولا في وَحَدَه قاعدة بهالمَنْديل مْلَفْلَفَه، وْشُفْتْها وْقُمِت أَنُط عن الراوية[2] آجي فـــي الجنـــان اللي تحت، اصحيت إلاني واقفه، بيقولوا ابتيجي للحوامل والوالدات، بتخنقها وابتُخْنُــقْ ابنهـــا، ومرة إجت عليّْ قالتلي اطعميني (يَنيني)[3] ورِكْ، قُلْتِلّها لَمَرةْ عمي هَذول لزكريا خليهن، وكـــان على إِيْدَيّ، واالله قِمِتْ ورِكْ وَأعطيتها نُصَّه، وْخَليتْ نُصَّه إصحيت من النوم. وَاالله بَقى ثلاث أيام ومات. فقط ثلاث أيام".وتقول الحاجة مريم[4] من سردا: "طلعت لي وَحَدَه من البيـــر[5] وقُلْتِلهـــا تُقْتِلينيش حرام عليكي أنا ولادتي[6]صغار، قالت لي بتعاهديني... في عهد االله يوم الأحد تلاقيني؟ قلتلها بعاهدك (في المنام)، ويوم الأحد اوقعت وبطل يتحرك قلبي رحت ما أموت".

وتحدثنا الحاجة جدية[7] من سنجل: "مَرَّتْ عَلَيّ قصَّادة[8]، وكنت والدة إلي ثلاث أيـــام، قُلْتِلّهـــا إنت يا خالتي مش صايمه؟ قالوا لي يقشيلك يا خَايّه واالله ما بْتيجي لَحَدا في المنام إلا بِضرُرَّة إذا نَوَتْ".

أما السيدة عزيزة[9] من بيت دقو فتقول: "االله يعلم إنها شيطانه بتتصور للإنسان عَهَيّئِة وحش أو حيه، واالله أنا صارت معي أَوَلْ بُطُنْ خَلَفْتَه، كنت أشوف حَيّه كبيرة غَليظة، أَشوف حالي عنـــد دار أَبوي وأَشوفها جاية من عِنْدَ جيرانا وْقَتَلّتْها، إلّي بُقْتِلْها بِتْروح عَنَّه وإذا اتْغَلَبَتْ هيْ بيـــروح الولد. في تابعة بْتُقْتِل الوّلاد وبِتْعَيِّشْ البَنات، وفي تابعة بِتْقْتِل الجَنين، في جارتنـــا جَابَــت اولاد

(1) مقابلة شخصية، الحاجة سلمى (أم سليمان)، اللّبَن الغربي، 59 سنة. 2007/1/6.

(2) الراوية: مكان لحفظ الطعام يوجد في البيوت القديمة..

(3) يَنيني أو يانينة: عامية تستخدم للتحبب والتدليل.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة 2007/8/7.

(5) البير: عامية بمعنى البئر.

(6) ولادتي: عامية بمعنى أولادي.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة جديه، سنجل، 74 سنة.2008/8/3.

(8) قصادة: عامية بمعنى متسولة.

(9) مقابلة شخصية، السيدة عزيزة، بيت دقو، 52 سنة.2007/8/5م

واليوم فِش عندها غير ثلاث بنات، جَابَت توم ولد وبنت، مات الولد، وظلت البنت. وخمس اولاد راحوا ما عاش ولا وَلَدْ.إذا الوَحَدَه ما بْتِتْغَلَّبْ عليها بِتْظَل راكِبْتها أبداً وعُمُرّها ما بِتْخَلّفْ".

أما قديماً فتنقسم شياطين العالم الأسفل في معتقدات بلاد الرافديين إلى أربعة أنواع: [1]

1) الشياطين المنحدرين من أصل سماوي وهم (ذرية الإله أنو)، وذرية الإله أنليل وأمهم هي أرشيكال.
2) الشياطين المنحدرين من أصل بشري، وهم أشباح الموتى ويسمون الأطيمو ويمثلون الناس الذين كانوا في حياتهم تعساء.
3) الشياطين المركبة من تزاوج البشر والشياطين، مثل الليلو الذي يطارد الحوامل ويفزعهن، و(اردات ليلي)، هن النساء اللواتي يُلاحقهن الرجال ويشبعن رغباتهن منهم ويسببن الأمراض.
4) الشياطين المنحدرين من الالم الأسفل، وهم عفاريت وجن عالم الأموات وجنوده، والذين يشكلون معظم شياطين الأمراض، يعنينا منهم:

- الأوتوكو "وهم الأشرار المعرفون بالسبعة، الذين يعيشون في المقابر إنهم سبعة موضوعون في الأعماق لا يعرفون الرحمة والشفقة ولا يسمعون التماساً ولا دعاء إنهم خيول رُبيت في الجبال... معادون لـ(إيا)[2] إنهم حاملو عرش الأرباب، ولعرقلة الطريق يرمون أنفسهم في الطريق. إنهم أشرار إنهم سبعة عددهم سبعة مرتين سبعة، وهم يمنعون الأطفال من الولادة ويقتلون الطفل الحديث الولادة"[3].
- لاباشو، المخرب أو الداحر، يهاجم الأطفال ويسبب لهم الأمراض.
- الكالا، جنود وجيوش العالم الأسفل، السبعة الأشرار، الذين يقتلون الأطفال الرضع ويؤخرون ولادة النساء.

---

(1) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص 215.

(2) إيا: إله الشفاء (إله الطب الأعلى) انظر: المرجع السابق، ص320.

(3) المرجع السابق، ص215. انظر: الماجدي، **متون سومر**، ص344.

- ليبارتو، شيطان متخصص يهاجم الأطفال ويسبب لهم أمراضاً في أجزاء محددة من الجسم.
- ليلو وزوجته ليلتو، أو ليليت شياطنة الليل أو روح الليل.
- بازوز، يهاجم النساء أثناء الولادة.
- لامشتو[1]، تهاجم النساء أثناء الحمل والرضاعة، وتهاجم الرجال ولها رأس أسد وجسد إمرأة تقف على حمار وترضع حيوانين[2].

وهناك شياطين أخرى سنأتي على ذكرها لاحقاً.

وللشياطين والعفاريت صفات واحدة تقريباً تتضح في التعويذة البابلية التالية:

"إنهم ليسو ذكوراً أو إناثاً

إنهم الرياح الهابة المهلكة

ليست لهم زوجات ولا ذرية

ولا يعرفون شفقة أو رحمة

ولا يستجيبون لتضرع ولا دعاء

إنهم كالخيول الجامحة في الجبال، يناصبون الإله إيا العداء" [3]

وفي الأنيوماإليش جاء عن الكالا "وهم مردة وشياطين العالم الأسفل الذين رافقوا إنانا[4] في رحلتها أثناء عودتها من العالم الأسفل إلى العالم الأعلى:

"الشياطين والمردة الذين حفوا موكب

إنانا، لم يكن لهم قلب ولا يعرفون الطعام

أو الشراب، الذين يسلبون المرأة من

حضن الرجل ويبعدون الطفل عن ثدي

---

(1) لامشتو بالأكدية تقابلها دمة بالسومرية، انظر: الماجدي، **إنجيل بابل**، ص281، وهي لامستو من اللمس، يقال: فلان ملموس، أي فقد عقله، أذهبت عقله التابعة، أو القرينة، أو الشيطان.

(2) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص 216.

(3) حنون، نائل، **عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص215.

(4) إلهة الخصب والجمال.

أمه وكان اسم هؤلاء الـــ كالا.." [1].

... بدا العالم القديم من وجهة نظر السومري والبابلي "مكون من عالمين أساسيين: الأعلى (عالم الآلهة) الذي يحتوي على آلهة قاسية تأمر بالمرض وآلهة شافية تأمر بالشفاء، والأســفل (عــالم الشياطين) الذي يحتوي على شياطين تُحْدِثُ المرض، والإنسان بين هذين العالمين عــالم ثالــث يسير وفق ضوابط وموازين وشرائع وسنن، فإذا أخَل بها شعرت الطبيعة أن نواميسها اختُرقت، عندئذ تقوم الآلهة بعقاب الإنسان وتقوم آلهة العالم الأسفل باستلام أمر العقاب فَتُسَخِر الشــياطين لتنفيذه[2].

وكانت العفريتة لاماشتو(Lamachtu) التي تقتل النساء الحوامل والأطفال، قــد قبلــت رشــوة تضمنت تقديم ما يلزمها من مؤونة في رحلتها إلى العالم السفلي، وأعْطِيَتْ هذه العفريتــة حلــيً وحماراً تقطع به الصحراء، وزورقاً لعبور المياه الموجودة تحت الأرض[3]، وكان طقس الولادة عند السومريين يحمل شعائره منذ بداية الحمل، حيث تقدم المرأة منــذ بدايــة حملهــا تقــدمات للعفريتة الشريرة لاماتشو طيلة فترة حملها، التي ترغب في تقديمات اللحوم والهدايا والدمى التي تجعلها تهرب بها دون أن تتربص بالحامل وتوقع طفلها[4].

كان للشياطين أسماء دالة على أفعالهم مثل الماسك والرابض، والقابض، وكانت ليليت شــيطانة سومرية، وصفها الماجدي[5] بأنها متخصصة بإغواء الرجال، في حين أشــار البــاش [6] أنهــا متخصصة في قتل الأولاد حديثي الولادة، والتي جاء ذكرها في قصة جلجامش وإنانا وشــجرة الحلبو[7].

"قرأت التعاويذ والرقي لتكسرها فلم

تستطع وأرادت معرفة الأمر فوجدت أن

---

(1) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص118.

(2) المرجع السابق، ص320.

(3) كونتينو، **الحياة اليومية**، ص488.

(4) الماجدي، **الدين السومري**، ص157.

(5) الماجدي، **متون سومر**، ص344.

(6) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص135.

(7) هي شجرة إنانا وهي شجرة الصفصاف غرستها إنانا على ضفة الفرات. انظر الماجدي، **انجيل سومر**، ص223.

طائر الصاعقة (زو) قد بنى عشه ووضع

فراخه في أعلاها وأن عذراء الأرض

المقفرة (ليليت) التي تهيم في

البراري ليلاً قد نخرت وسطها وسكنت فيه" [1]

طقس التمائم والأحجبة للتخلص من القرينة:

قد تذهب المرأة الحامل للشيخ أو الفتّاح حتى يعطيها حجاباً أو خرزة زرقاء، تقول الحاجة فاطمة عبد الفتاح[2]، من عين يبرود: "بتكون الوَحَدَة حامل أول مَرّة وبِتْتَزّلْ، بتروح عند الفتاحين، بِفْتَحولها وبِيقولوها عِندها قَرينة تَابعة، بِتْخَليهاش اتْظَل مْثَبْتَه، بيعملولها تِحْويطة (حْجاب) بِتْحُطه تِحِتْ راسها في الوسادة أو بْتِحْمِلها في رَقْبتها، بتنام عليه وفي النهار بِتْظَل حَامِلتها، ولما بِتحَجِبْ الوحدة بتمتنع من الروحة على الفَرِحْ أو الكَرِهْ أو عَالقبور، ممنوع تُمُرْق عن دَمْ اذبيحة أو عن مَيّة جارية، لازم تِحْفَظ حالها". والحجاب هو السِتر في اللغة وغالباً ما يكون مكتوبا بكلمات وتراكيب غير مفهومة ومسجوعة[3].

وقد تلبس المرأة الحامل مسبحة "يسر" وتضعها في رقتبها حيث تتدلى على بطنها فوق منطقة الرحم، وتحرص على أن تكون مسبحة لأحد المشايخ أو الصالحين وهي هنا تستخدم كتميمة[4].

ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى أصل الرقية، والتعويذة، والتميمة، والحجاب، أو بداياتها لأنها أقدم الآثار التي خَلّفَها الإنسان، وهي مرتبطة بالسحر، والسحر كما هو معروف مغرق في القدم[5]، ولابد أن نذكر هنا أن الرقية هي العوذة، وأن الرقي والتعاويذ هما شيء واحد، ونجد كذلك أن التميمة أيضاً تعني التعويذة، تعلق على الإنسان، وفي الحديث الشريف: "من علق تميمة فلا أتم الله عليه"[1] وقيل هي خرزة، إذن نجد هنا أن الرقية والتعويذة والتميمة والحجاب،

---

(1) الماجدي، **إنجيل سومر**، ص223-224.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الفتاح، عين يبرود، 63 سنة، 2007/7/29

(3) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص169-170.

(4) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص141.

(5) المرجع السابق، ص169.

(1) الحاكم، الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، م4، رقم الحديث 7501، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص 240.

جميعها بمعنى واحد تقريباً، وتستخدم لنفس الأغراض، والغايات، كما أنها جميعاً تعتمد على قوة الكلمة وفاعليتها[1]، وكانت الرقي والتعاويذ السحرية قديماً "تحتل المكانة الأولى، ويحتل الطب ومشرط الجراح، المكانتين الثانية والثالثة"[2].

تنحدر التمائم والتعاويذ والأحجبة التي تعتبر وسائل المعزم (الوسيط) أو الساحر، إلى أقدم ديانة سحرية عرفها الإنسان، وهي الديانة الفيتيشية (Fetchisme) التي تسمى أيضاً التمائمية[3]، ونستطيع اختصار مبدئها في أنها "أشياء تكون مشحونة بقوة كونية عالية جداً، مثل العصي والقرون، والأكياس، والأحجار والخرز، والعظام، وقطع الحديد والأحجبة وغير ذلك، وقد تكتسب قوتها من الكلمة فالخرزة التي يحملها بعض الناس أو الخاتم أو القلادة أو الأيقونة التي تحمل اسماً أو كتابة كلها تمائم سحرية اختلطت مع أغراض دينية أخرى، وحتى الأعلام والشعارات المصورة تعتبر فيتيشات[4].

وفي مصر القديمة، كان السحرة يصنعون للنساء تمائم خاصة لنجاح الحمل على هيئة إناث الحيوانات التي تمتاز بقوة النسل كالضفادع، وأخرى على هيئة إناث الحيوانات التي تمتاز بضخامة البطن والثدي كأفراس النهر[5]، ويبدو أن هذه التمائم كانت تعود لنوع من أنواع العبادات السحرية، مثل الطموطمية وتقديس الحيوان.

ومن التعاويذ المعروفة تعويذة لاماشتو، كان الشيطان لاماتشو وحشاً غريب الشكل، ذا رأس أسد وجسد امرأة، وكانت تهاجم النساء الحوامل ساعات الولادة، والأمهات المرضعات، لذلك كانت توضع لهن تميمة على شكل وحش برأس أسد، ويظهر الوحش على شكل حمار يركب قارباً في النهر ويُرضع حيوانين، ولعل الوحش هو لاماتشو نفسها، وقد طُردت بهذا الأسلوب السحري،

---

(1) انظر الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص169–170.

(2) كراب، الكزاندر هجرتي، **علم الفلكلور**، ترجمة رشدي صالح، وزارة الثقافة، مؤسس التأليف والنشر، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967، ص308.

(3) من الكلمة البرتغالية Feitico، سحر، تعويذة، تميمة تصورات تسبغ على الأشياء صفات غريبة عنها، غالباً ما تكون صفات غيبية خارقة وهي أقدم عقيدة مادية آمن بها وجاءت من خلال تصور سحري للكون. انظر: الماجدي، **بخور الآلهة**، ص 47– 48. وانظر: سليم، سلوى علي، **السحر والدين**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1988، ص 40 – 41.

(4) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص48. وانظر: ديورانت، **قصة الحضارة**، ص107.

(5) الماجدي، **الدين المصري**، ص233.

وترافق تعويذة لاماتشو طقوس خاصة[1].

طقس تقديم القرابين للتخلص من القرينة:

تشكل القرابين والأضاحي التي تذبح، طريقة ناجعة للتخلص من القرينة، وتخبرنا القابلة سبعية[2] من بيت ريما، طقس طرد القرنية المتبع في قرى قضاء رام الله، والذي تقوم به القابلة (الداية): "جابَتْ أختي هالوَلَد صار يصيح ومات، قلت لأختي هاذي قَرينة يا فَريده، هــذا شُــغل قرينــة مْشَلوقْتَه[3]بالمطارق، المُطْرَقْ بالمُطْرَقْ[4]، وثاني بُطُنْ بيدي رُحِتْ على واد (بوذنب)[5] القيــت حمارة ميتة، سلخت عنها بالحشاشة، طُلِتْ لَحْمَة وْصَرَيْتها، وأعطيتها إلها وْقُلّتِلْها خُذي قَسّــميها، ومَلّحْيها وحُطّيها حوَلين الدار، أو وين ما بَدَكْ،والله وْعاش الولد.

وقد ينسب كل ما يتعلق بالحامل أو الطفل من أمراض إلى القرينة، حيث يقال للمرأة التي بحاجة إلى تعديل في (إم ولادها)[6] رحمها: قرينتها بتغار منها، لَوّقَتِلها[7] إم أولادها[8].

"اجتني هالوَحَدَه من دير السودان[9]، كل ما بِتوْلَد، القرينة بِتخْلَعْ إيدَه، وكل إلّي بيولَدوا بيموتوا، (من واد الشاعر)[10] إلّي تِحِتْنا، كُل ساعة بموت فيه حماره أو جحش، بِتْنِزِل اخْتْيْارَه أو اخْتْيْار بِيسْلَخْ عن هاظا الجَحِش وبيطول لَحْمه لازم (يَصرَْصِروها[11]) في باب الدار، وحوالي الــدار، وفي سرير الولد، في باب العَتبة، وْقُلتِلّها اتَمَلّحْهِن واتْعلّقهِن وراحتْ وعاشولها بنات وبعدها توم أولاد".

قدّم القدماء قرابين متنوعة للشياطين والكائنات الغربية والقرنية، تماماً كما نفعل نحن في أيامنـــا هذه، ويحمل طقس الولادة عند السومريين شعائر بداية الحمل، حيث تقدم المرأة تقدمات للعفريتة

---

(1) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص223.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة سبعية طه، بيت ريما، 84 سنة. 2007/8/2.

(3) مشلوقته: شَلَقَ، شلقاً: شقَّهُ أو خَرقهُ طولاً. بالسوط: ضربه. **المنجد**، ص 400.

(4) المطرق: أي العصا.

(5) اسم وادي في قرية بيت ريما (قرية من قرى رام الله).

(6) إم ولادها: كلمة عامية وهي تعني الرحم.

(7) لَوّقَتِلّها: كلمة عامية، وتعني قلبته لها، اعوجته، وضعته في غير مكانه الصحيح. **المنجد:** ص740.

(8) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الرحمن، اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.

(9) دير السودان: من قرى قضاء رام الله.

(10) اسم وادي يقع في قرية بيت ريما.

(11) يصرصروها: بالعامية وتعني يصروها يجعلوها في صُرَرْ جمع صرة.

الشـــريرة (لاماشـــتو)[1] طيلة فترة حملها، وكانت هذه العفريتة ترغب بتقديمات اللحوم والهدايا والدمى التي تجعلها تهرب بها دون أن تتربص بالحامل وتوقع طفلها[2].

إذن يبدو واضحاً هنا أن الطقس نفسه ما يزال يمارس. ولكن ما يثير الدهشة حقاً أن (لاماشـــتو) التي تقتل النساء الحوامل والأطفال، وصفت قديماً أنها تركب حماراً، وقد قبلت رشوة وحمـــاراً تقطع به الصحراء[3]، وقد يبدو واضحاً أن هذا الطقس الحديث له علاقة وثيقة، وجذوره ضاربة في عمق التاريخ، فهذا الحمار الذي تسلخ منه الداية حالياً، يبدو على علاقة مباشرة بالحمار الذي قبلته لاماشتو رشوة، وارتبط بها بعد ذلك، فهي تركبه وتقطع به الصحراء، وقد وجدت الطقـــس نفسه في معظم قرى رام الله إن لم تكن كل القرى التي زرتها كاللبن، والجديرة، وسردا، وأبـــو قش، وسنجل، وبيت عور، وبيت ريما، وعين يبرود... الخ، إذ يبدو أنه تراث شـــعبي متوارث عند القابلات أينما كن[4].

طقس تمويه القرينة للتخلص منها:

في هذا الطقس يلبس الأطفال الأغنياء ملابس قديمة، لأن الجمال والنظافة يجلبان القرينة، كمـــا ويلبس الصبيان ثياب البنات، لأن القرينة تفضل قتل الذكور على الإناث[5]، وقد يســـمى الطفـــل خميساً، لأنه يرمز إلى الرقم خمسة، وهو تعويذة قوية وكنية شائعة للخنزير، ذلك الحيوان الـــذي تكرهه الأشباح والجن لأنه أقذر منها[6].

كان الإله إيل يحفظ الناس من الشقاء بتمويههم بالدهان[1]، كما كان إنسان الكهوف منذ العصـــر الحجري القديم يرسم الوحوش مطعونة بالسهام والحراب، أو يرسمها وأرجلها مثبتة في المصايد التي دأب على نصبها، وكان أحياناً يرسم قلب الحيوان، وكأنه يحدد موضعه للصـــائد الحـــديث الخبرة، لكنه كان يستخدم مع ذلك أغراضاً سحرية لتمويه الفريسة التي قد تســـعى بعـــد مـــوت

---

(1) صورها القدماء على شكل شيطانة تركب حماراً. انظر: الماجدي، **بخور الآلهة**، ص 219.

(2) الماجدي، **الدين السومري**، ص157.

(3) انظر: كونتينو، **الحياة اليومية**، ص489. وانظر الماجدي، **الدين السومري**، ص157. وانظـــر: الماجـــدي، **بخـــور الآلهة**، ص222. وانظر الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص135.

(4) أجمعت كل النساء اللواتي تحدثت إليهن على الطقس نفسه وعلى كون الحيوان يجب أن يكون حماراً.

(5) كنعان، **الكتابات الفلكلورية**، ص77.

(6) المرجع السابق، ص75.

(1) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص161.

الحيوان إلى تقمص روحه للانتقام من الصائد، وإلحاق الضرر به، أو قد تُسلط عليه أنواعاً أخرى من الحيوانات المفترسة، أو قد تصيبه بالأمراض والعقم، لذلك فعند تصوير الحيوان يتم التدقيق في إظهار تفاصيل أعضائه والتعبير بصدق عن حركته، وحين يُصَوِرُ الإنسان نَراهُ يخشى إظهار تقاطيع وجهه ومعالم شخصيته، كي لا تتعرف عليه قرينة الفريسة، فيرسم الإنسان بشكل رمزي مجرد للغاية، كأنه أشكال هندسية، أو رسوم بسيطة صادرة عن طفل صغير غير قادر على الرسم[1]، ويسمى هذا مبدأ الإيهام عند السومريين[2].

طقس العفريت (أبو الرابوص):

من أنواع العفاريت أو الشياطين المشهورة في فلسطين ما يسمى بأبي رابوص وهو عفريت مشهور جداً، يهاجم الإنسان وهو نائم ويحاول خنقه، فيستيقظ مذعوراً، تقول الحاجة جدية[3]، من سنجل: "أبو رابوص هاظا شيطان أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بخنق الواحد وهو نايم بِصْحى يقول إجاني أبو رابوص بيجي للولاد الصغار بخنقهم، وللكبار".

تقول الحاجة مريم[4] من سردا: "بِطْلَعْ للواحَد في المنام –بسم الله الرحمن الرحيم– بِحاول يُخنق الواحد بِقولوا دَمّه وَقَفْ. بِحاول إيقوم، بقدرش. لازم ايّظَل ايّحاول تَيصْحى اسمه أبو رابوص إشي إثقيل على صدر الواحد بخنقه وهو نايم".

يبدو أن لهذا الشيطان او الشيطانة جذوراً مغرقة في القدم، إنه نفسه"(**الرابيصو**) السومري والبابلي، المتربص الذي يخرج في الليل ويختفي في النهار، يخنق الصغار والكبار".[1]

ومن التعاويذ المضادة لهذا الشيطان في تراث وادي الرافدين هذه التعويذة: "بماء طاهر نظيف، وبماء صاف لامع سبع مرات وسبع مرات، رش وطهر ونظف، هلا ترحل **الرابيصو** الشريرة

---

(1) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، مصر، ط1، 1977، ص10-11.

(2) انظر: الماجدي، **بخور الآلهة**، ص205.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/1.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(1) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص 216.

هلا ينتحي جانباً...." [1]. وفي هذه التعويذة: "يقوم الساحر بحـــرق شـــكل معـــين يمثـــل أحـــد الشياطين، ويقرأ: أنا أحمل الشعلة وأحرق أشكالهم، أشكال الاتوكو والشيد والرابيصو..." [2].

(1) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص224.

(2) المرجع السابق، ص225.

الفصل الثاني
طقس الولادة

طقس الولادة

قد تنذر المرأة، أو أمها أو حماتها، أو زوجها، أو جميعهم بنذر لله تعالى حيث يقولون: "إذا قَامت فلانة سَالمة لأذبح ذْبيحة لِوجِه الله أو أفَرّق كذا، أو أضوي الولي الفلاني، أو أشعل شمعة في المهد (خاص بالمسيحيين)، ويتركز الاهتمام على سلامة المرأة أولاً فيقال المهم سلامة الوالدة ويقال "إن ظل العود[1] اللحم بيعود"[2].

طقوس عسر الولادة:

"يعزى عسر الولادة في كثير من الأحيان إلى (استثارة القرينة)، وذلك لوجود النجاسة[3]، أو غضب الجن، أو غضب الزوج على الزوجة، ولأسباب أخرى كثيرة. وتقاسي المرأة آلام المخاض، فتطلب النسوة حولها من الله رفع (الشدّة) عنها، وأبعاد القرينة"[4]، ويصاحب الدعاء عادةً الطقوس التالية:

صلوات عدد من القديسين[5]، أو مسبحة أحدهم، تُسَرِع عملية الولادة فما أن تضع المرأة المتعسرة المسبحة حول رقبتها وبطنها ورحمها حتى تبدأ الانقباضات الطبيعية للرحم، وتخف كل الاضطرابات والأوجاع، ومن هذه المسابح: مسبحة البكري، ومسبحة الشيخ أبو يمين وبنفس الطريقة تقدم المساعدة بوساطة أغطية قبر الشيخ الخليلي[6]. وتستخدم المسبحة كتميمة، فهي تتكون من الخرز الذي له قدرة على شفاء الحالات المستعصية، وهو أنواع: فهناك خرزة الكباس لحماية الطفل والأم، وخرزة الرضاعة، وخرزة النفاس، وخرزة المحبة.... الخ[7].

ولا يزال الفلسطينيون يجلبون معهم من الحج أنواعاً من المسابح التي تستخدم تمائم وأحجبة مع أن الحديث الشريف نهى عن استخدامها " من علق تميمة فلا أتم الله عليه".[8]

---

(1) العود: الغصن وهنا بمعنى الهيكل العظمي للجسم. انظر: كناعنة، **الانجاب والطفولة**، ص145.

(2) المرجع السابق، ص145.

(3) النجاسة: وجود إحدى النساء "غير طاهرة " عليها العادة الشهرية.

(4) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص 142.

(5) القديسون عند المسيحين، والشيوخ عند المسلمين.

(6) كنعان، **كتابات فلكلورية**، ص58.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة أم زياد، الجديرة، 68 سنة. 2007/8/6.

(8) انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط 1، 1922 ص 79 و 128.

كما يبدو أن في استخدامها نوعاً من السحر الاتصالي[1]، فبمجرد أن تعلــق المــرأة المتعســرة الولاّدة مسبحة قديس أو شيخ، ستنتقل إليها قوة هذا الشيخ، إذ يعتبر الأولياء والمشايخ وأصحاب الكرامات أقرب إلى الله من الناس العاديين، ووسطاء بين الله والبشر، فهم يمتلكون قوى خارقــة ومعجزات، ولهذا فقد تحمل مسبحة الشيخ أو الولي للمرأة قوته الخارقة.

ويعود استخدام تعاويذ الخرز والعقود والتمائم إلى العصــر الحجــري القــديم، 500000 إلــى 200000 عام قبل الميلاد، حيث عثر في قبور الكهوف على قطع كثيرة من المحار التي يعتقــد أنها كانت توضع وفق أشكال تعاويذية خاصة، ففي أحد الملاجئ الصخرية في (لي إيزيس) فــي فرنسا عثر على مجموعة مكونة من ثلاثمائة قطعة من المحار البحري كانت مثقوبة يبدو أنهــا كانت منظومة في الأصل بشكل عقود[2].

وهو يعود كذلك إلى العبادات السحرية وبخاصة الفيتيشية أقدم عبادة في التاريخ، والتــي تقــوم على الاعتقاد بقوة الأشياء، وكانت مادتها التمائم والخرز والأحجار، وكان الإنسان يعتقد أن قوة الكون كله تكمن فيها، وأنها تؤثر في ما حولها، ولهذا كان الإنسان يرتديها وهو يخوض عمليات الصيد أو الرعي لتحافظ على حياته[3].

كما عثر في مقابر النياندرال[4]، على حصاة بيضوية محززة باثني عشر جزءاً كنوع من التقويم القمري، والتعاويذ في شمال وادي الرافدين[5]. وفي مصر القديمــة اهــتم الإنســان المصــري النيولتي بعد الألف الخامســة قبل الميلاد[6]، باســتخدام الحلي ومنها أقراط النســاء والأســاور والخرز والقلائــد لجلــب الحظ ومنع أذى الأرواح الشريرة[7].

ورد في كتاب الموتى: "أن القلادات كانت تخبأ بين ثنايا المومياء، أو تعلق حول رقبة المتوفى كتعاويذ تحميه من الشرور والتحلّل والسرقة، وهذا ما جاء عن قلادة تيت من اليشب الأحمر[1].

---

(1) السحر الاتصالي. انظر: الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص 166.

(2) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص49.

(3) المرجع السابق، ص 64.

(4) إنسان النياندرال 500000– 200000 ق.م. السواح، **جلجامش**، ص215.

(5) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص40.

(6) في مصر تأخر العصر النيولتي عن العراق. انظر المرجع السابق، ص118.

(7) علي، ثُريا، (**العروس**)، ص94.

(1) اليشب: حجر كريم يشبه الزبرجد، لكنه أصفى منه. انظر: **المنجد**، ص926.

وهناك طقس أخْذِ أثر من رجل مبارك أو شيخ لتسهيل عملية الولادة ففي دير غسانة يعتقد أن أخذ خيط (المُغيط)[1]، المأخوذ من بنطلون رجل شريف وطاهر يمكن أن يخفف آلام الولادة أثناء الطلق، إذا لف حول بطن المرأة الوالدة[2].

وتذكر لنا الحاجة فاطمة من قرية (اللبن) طقساً مشابهاً فتقول: "إلّي بِتْتِعوق عند الولادة، بيروحن على شيخ وبِيّجبِنْ الدِكّة[3] تَبْعَتَه وبِيّشدين ظَهرها فيها وبإذن الله بتولد"[4]. تقوم دكة بنطال الشيخ بالدور السحري للمسبحة.

طقس الدحرجة

تقول أم فهد[5]: "لفتني وحطتني الداية في حصيره وصارت ادّحدل فيّي، غادي جاي، غادي جاي غادي ما قمت وِلاّني والدة".

كان الساحر أو الكاهن قديماً يُدحرج أحياناً حجراً على بطنه ثم يسقطه على الأرض، آملاً أن يقلده الجنين المستعصي فتسهل ولادته، وقد يقوم الساحر إذا أراد أن يخفف آلام امرأة تضع، بحركات الوضع نفسها على سبيل التمثيل، لعله يوحي إلى الجنين بقوة سحرية كي يظهر[6].

ولربما كان للحصير علاقة بالسحر والطوفان والعبور إلى العالم الآخر والميلاد الجديد، فالحصير يشبه في مبدئه النسيج المكون من الخيوط والحبال المتقاطعة، التي تدخل في عالم، السحر.

فقد كانت المقبرة عند إنسان العصر الحجري الحديث عبارة عن حفرة بيضوية الشكل ذات أركان ملفوفة، يكفن فيها المتوفى بلفائف من الحصير أو الكتان، ويوضع رأسه فوق وسادة بحيث تتخذ الجثة شكل القرفصاء بوضع يمثل الجنين في بطن أمه، وأحياناً أخرى كان الطفل المتوفي يوضع في سلة شبه مستطيلة من البوص يغطيها الحصير[1].

---

(1) المغيط: مادة صمغية تصنع منها خيوط تنسج مع خيوط قطن أو حرير، عامية فصيحها المطاط. **المنجد**، ص769.

(2) كنعان، **الكتابات الفلكلورية**، ص58.

(3) دكة: كلمة مُحرفه صوابها التكة، وهي رباط السراويل الأعلى، فارسية معربة. **المنجد**، ص220.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الرحمن، اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.

(5) مقابلة شخصية،الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/8/1.

(6) ديورانت، **قصة الحضارة**، ص111.

(1) صالح، عبد العزيز، **الشرق الأدنى القديم**، مكتبة الأنجلو، القاهرة،ط4، 1987، ص47.

واهتم الإنسان المصري النيولتي بعد الألف الخامسة ق.م كثيراً بعقيدة الخلود، وقد ربط نفسه بهذا التقليد الديني بتغطية جسم المتوفى بالحصير آملاً في تحقيق عقيدة الأبدية[1]، ويبدو أن الإنسان البدائي ربط بين القبر والحصير في تمثيل لعملية الطوفان التي تشبه المخاض، والتي تشبه كوخ القصب (سفينة) نوح أوتنابشتيم[2]، وبنجاته مولد جديد في عملية عبوره إلى العالم الآخر، حيث شهدت الآلهة عملية البعث التي تمت في ستة أيام واستقرت في السابع، في تشاكل مع خلود الكون البدئي الأول.

الطقوس المصاحبة لعملية الولادة:

في غرفة الولادة:

يتواجد مع المرأة الوَلاّدة، ثلاثة نساء، الداية وسيدتان. وتخبرنا الحاجة مريم[3]من سردا: "بتيجي الداية ومعها ثنتين نسوان، بِتْقَعِّدْ الداية المَرَة على حَجَر أو خشبة واحيان وهي نايمة، وبِتْحُطِلّها عصبة على راسها وبتشدها".

ويعتقد الفلسطينيون أن السماء تكون مفتوحة لحظة الولادة، وأن الملائكة تحيط بالمرأة الوَلاّدة[4]. تقول القابلة سبعية طه[5]: "والمرة تِطلق بِحكموا الملايكة نازلين طالعين مثل اللي بدهم يموتوا وفي خطر".

وتذكر لنا الحاجة فاطمة[6] من اللبن: "كانن النسوان الحاضرات يصيرن يستدعين عند الميلاد، باب السماء بيكون مفتوح".

وتقول الحاجة مريم[1]: "بْتُقْعُد الوَحَدَة على خَشَبة أو حَجَر بِيمسكنها واحدة بتغلقلها من (وره)[2]، لخوف المولود يجرب ينزل وحتى ينزل، من قدام بتستنى الداية، وإذا اتعسرت

---

(1)انظر: الماجدي، **بخور الآلهة**، ص118.

(2) أوتنابشتيم: بطل أسطورة الطوفان البابلية، وهو نوح عليه السلام جاء ذكره في الكتب السماوية. انظر: السواح، **ملحمة جلجامش**، ص57، 205، 214.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8.

(4) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص145-146.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة سبعية، بيت ريما، 84 سنة. 2007/8/2.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.

(1) مقابلة شخصية مع الحاجة مريم، سردا، 71سنة، 2007/8/8.

(2) وره: أي من الوراء (الخلف) أي منطقة الشرج.

ونزل نص الراس بَتْحُط ايدها وبتسحبه، بتْلِفْ وِجْهَه لتَحِتْ تَمِنّه[1] يْصيح وحتى ينزل أي إشـــي من ثمه[2] بعدين بْتِقْطَعْ الداية السرة وبتلفعه".

وتقول الداية فاطمة[3] من اللبن: "لما تِتْفَجَم وتِتْنَفَخْ وايطُل راس المولود، الداية الشـــاطره بِتْمِــدْ ايدها وْبتِسْحَبه" وهي تُرَدّدْ:

"مَـــــــديت ايـــــــدي اليَمـــــــين وْاتَكلّـــتْ عَليـــك يـــا رَبِّ العـــالمين
مَـــــــديت ايْـــــــدي الشـــــمال وْاتَكلّــتْ عَليــك يــا ربِّ يــا رحمــن[4].

شبه الإنسان البدائي قديماً الأرض بالمرأة، وقد رأى أن المقدس، أو القوة العظمى للوجود تكمن في صفات الإخصاب والولادة، التي هي خصائص المرأة، ثم حاكى هذه القوة العظمى بـــالأنثى (الأرض والمرأة) ذات الطبيعة الإلهية فعبد خصوبتها[5].

وفي جاتال هويوك[6] شغلت خصوبة المرأة الأم المكانة الرئيسة في عباداتهم، وغالباً ما صورت بتمثال دائري مع فهد بالقرب من الثديين. وتجلس الربة على العرش يساندها فهدان، وصـــورت بعض التماثيل الربة الأم وهي تلد طفلاً[7].

وأعجب البدائي بقوى الخصوبة الخلاقة العجيبة، ورأى يداً إلهية في حمل الجنـــين أو ولادتـــه، فعبد الجنس وأَجَلّه[1]، كما عبد الجنين (المولود) بعد أن شاكله بالكون الوليد من ننخرســـاج[2](أم كل شيء حي)[3].

وتبدو لنا الولادة عند السومريين أقرب إلى الصحة والشفاء، أما الموت فكان اقرب إلى المرض،

---

(1) تمنه: كلمة عامية بمعنى حتى.

(2) ثمه: عامية بمعنى فمه.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.

(4) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص144.

(5) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص82-83.

(6) جاتال-هويوك في الأناضول في العصر النيولتي، 8000 ق.م.

(7) دياكونوف، **تاريخ الشرق القديم**، ص67.

(1) ديورانت، **قصة الحضارة**، ص105-106.

(2) ننخرساج، إلهة الماء. انظر: الماجدي، **بخور الآلهة**، ص296.

(3) دياكونوف، **تاريخ الشرق القديم**، ص186-187.

لذا كان الإنسان وما يزال يعيش بين حدين قاطعين، اســمهما الولادة والموت وتدل شجرة الحياة السومرية على أن ما تخرجه الأرض من نباتات، سيكون كفيلاً بإدامة حيــاة الإنســان، وربمــا خلوده، وهذا ما يظهره ختم سومري لشجرة الحياة التي تتدلى منها ثمرتان، حيث يجلــس عــن يمينها ويسارها رجل وامرأة يمدان أيديهما لقطفهما[1].

ويبدو أن المرأة الحامل كانت تلد وهي راكعة على حجرين بينهما فراغ، وقــد صــورت عنــد المصريين القدماء وخلفها ثلاث نساء هن المُولدة (الداية)، والمرضعة، والخادمة.

أما في الحجران فجاء عنهما في قرطاسية تورينو: " مَكثت الوالــدة علــى القرميــد، (الحجــر الأحمر)، وجاء في التوراة قول فرعون: " وانظروا إلى الحجــرين فــإذا كــان الطفــل ذكــراً فاقتلوه"[2].

أما بيت الولادة، وهو (مبنى ضئيل الحجم يلحق عادة بالمعابد المصرية الرئيسية، كانت تتم فيه عمليات الولادة الإلهية تحت رعاية وحماية الإله القزم "بس". وبصفه رمزيــة تفيد كلمــة بيت معنى (إلهة)، تقوم بدور المأوى، وتضم بداخلها الحياة، لذا فإن حتحور[3] (تعتبر إيزيس إحــدى تجلياتها، وقد لقبت "بيت حورس"[4][5]). ويتواجد الآلهة وربات الولادة مع المرأة التي على وشك الوضع في غرفة الولادة، وهن: سبع إلهات ثانويات مخصصــات ليســاعدن ننمــاخ[6] ســاعة الولادة، ويبدو أن لكل واحدة فيهن دوراً خاصاً: نن إما، نن مادا، نن بارا، نن مكك، نن كونــا، سوزي أنار، موسار غابا[1]. وقد حافظت ننماخ على دورها في الخلق فهي إلهة الــولادة التــي صنعت الإنسان من الطين مع إيا[2].

"إيا: أمي إن المخلوق الذي نطقت باسمه موجود، اربطي عليه صورة الآلهة

اخلطي قلب الصلصال الذي فوق الغمر

---

(1) انظر: الماجدي، **بخور الآلهة**، ص147.

(2) غربال، **تاريخ الحضارة**، ص 553. شكل 24 صورة توثق ذلك.

(3) حتحور:إحدى ربات السماء الأوليات في مصر القديمة. انظر: **آلهه المصريين**، ص127.

(4) حورس، أي الوجه إله سماوي بدئيّ وهوأحد تجليات رع. انظر: المرجع السابق، ص130.

(5) المرجع السابق، ص78.

(6) الآلهة الأولى السومرية.

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص159، 165.

(2) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص314.

إن الخالقين الطيبين الأجلاء سوف يكتفون بالصلصال

أنت، تُخْرِج الأعضاء إلى الوجود

إن ننماخ إلهة الأرض الأم سوف تكون من فوقك

وإلهة الولادة... سوف تقف من خلفك"[1].

تعتبر الإلهة إنانا إلهة الحب والجنس والإخصاب والولادة أشهر وألمع إلهة سومرية[2]، وكانت الإلهة باست سيدة برأس قطة، ربة النساء الحوامل[3]، وكان الإله خنوم يصوغ شكل الجنين حين يحضر ساعة الولادة، وتساعده الإلهات الأربع (إيزيس، نفتيس، حقت، مسخنت)[4].

جاء في الأساطير الحثية (650 ق.م):

"القابلات جئن به إلى الولادة

وربات المصير والإلهات والأمهات رفعن الطفل"[5].

كان حمل المرأة حدثاً مهماً في بلاد سومر، وكان يحظر عليها إسقاط الجنين لأي سبب كان. وهناك عدد من التعاويذ والصلوات التي كانت تُقال للمرأة الحامل(اريتو Eritu) والتي كانت تقدم خلال أشهر حملها للعفريته (لاماشتو) كي تضمن ولادة سهلة وطفلاً كاملاً.

وكانت عملية الولادة تجري في البيت، وتقوم بها القابلة (sha-zu) والتي غالبا ما كانت تأتي حين تحين الولادة (Aladu) وهي تردد الصلوات والتعاويذ لتسهيلها، ويبدو أن الولادة كانت تجري على مصطبة[1] من اللَّبِن تحضرها القابلة التي أخذت هنا دور كاهنة أو دور الإلهة ننتو إلهة الولادة والمساعدة في الإنجاب وربما أورورو، وهما صورتان من صور الإلهة السومرية الأم ننخرساج[2]. كانت القابلة تعصب رأس الأم، أثناء عملية الولادة بقطع حبل السرة، وتثبت الولادة وتأييد نسب الطفل إلى الأم[3].

---

(1) كريمر، **أساطير العالم القديم**، ص84.

(2) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص294.

(3) بدج، والس، **آلهة المصريين**، ص532.

(4) انظر: الماجدي، **الدين المصري**، ص233.

(5) روست، **صلوات وحكايات حثية**، ص12.

(1)المصطبة، مكان ممهد، قليل الارتفاع عن الأرض يُجْلَسُ عليه، (من الحجر) انظر: **المنجد**، ص424.

(2)انظر: الماجدي، **متون سومر**، ص322.

(3)انظر: المرجع السابق، ص322.

وفي مصر القديمة كان الإله خنوم يقرر الشكل النهائي للجنين، أما ساعة الولادة فتقوم الإلهة إيزيس وكاهنتها القابلة بعملية الولادة، تساعدها الإلهات الباقيات فتسندها (نفتيس) وتستعجلها (حقت) وتشجعها (مسخنت)، ثم تغسل القابلة الوليد وتقطع حبله السري[1].

جاء في الاينوماإليش:

"تلقت (مامي) [2]

من إلهات النسل نصائح الحمل

فشهور الحمل بعد الجماع، تسعة، ثم ينفخ الرحم،

فتقوم الآلهة بوجه مشرق ورأس معصوب

بإجراء الولادة ثم تشمر عن ساعديها وهي تردد

التبريكات لتخط صورة المولود بالطحين ثم تقول:

لقد خلقته... لقد صنعته يداي"[3].

الأقوال المأثورة والأدعية عند الولادة:

تقول القابلة أثناء عملية الولادة بعض الأدعية والأقوال كما تخبرنا الحاجة مريم[1] من سردا:

"لما تقرب الوحدة بتصيح الداية:

نوح[2] على راسِكْ بِنْدَه بِخَلاصِك

نوح على راسِكْ بِنْدَه بِخَلاصِك "

يا نوح يا نوح يا مْخَلِصْ روح من روح"

"يا الله يا الخظر

---

(1) انظر: الماجدي، **الدين المصري**، ص233.

(2) مامي: الإلهة الأم هي ننحرساج تظهر هنا أشكالها الأمومية والخالقة مامي= الأم. انظر: الماجدي، **انجيل بابل**، ص106.

(3) الماجدي، **إنجيل بابل**. ص111-115.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71سنة. 2007/8/7.

(2) نوح: نبي ورد ذكره في القرآن الكريم في قصة الطوفان، وفي التوراة، وهو نفسه أونباتشيم بطل أسطورة الطوفان البالية. انظر: السواح، **جلجامش**، ص 57.

يا سيدي يا خَظر[1] أبو العباس، تِطْلِعْ الراس

هيه يا ربي با بو خيمة زِرْقَه تِنْشِل هَلوِّلِيّه

وعندما يطل الرأس، تصرخ الداية فاطمة[2] من اللبن:

عِيِيني[3] وَلَدِكْ، عِيِيني وَلَدِكْ

ولا تزال الجدة أو الأم الفلسطينية تقف في غرفة الانتظار في المشفى قائلة هذه الأدعية بصوت منخفض فهي تؤمن بمدى أهميتها في إعانة المرأة أثناء الطلق.

وقد تقول الداية: "إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت، وإذا الأرض مدت، وألقَتْ ما فيها وتخلت" تُكَرّر ألقت ما فيها وتخلت ثلاث مرات، وقد تقول: "حَنّة جابت مريم، ومريم جابت عيسى، أخرج أيها الملود بحق الرب المعبود"، وأحياناً تكون هذه العبارات مكتوبة على صحن من شيخ، وبعد ترديدها تغسل الداية الصحن وتشرب المرأة التي في حالة الولادة الماء[4].

أعتقد أننا هنا أمام طقس سحري ينطلق من اعتقاد الإنسان القديم أن الألم علامة من علامات الاختلال في الطبيعة، بحيث يمكن شفاؤه عن طريق انتزاع الشخص المتألم أو المريض من سياق زمنه الحالي والعودة به إلى الخلف، وفي اتجاه معاكس نحو كمال البدايات عن طريق استحضار القوة الإلهية الخلاقة التي أبدعت الكون في الزمان الأول، والمعنى العميق للطقس هنا، تكرار أحداث الأصول والبدايات وتصحيح "الاختلال في حياة الإنسان"[5].

فعندما أرادت ننخرساج (الأرض) أن تشفي إنكي وَضَعَتْهُ في فرجها، أي أعادته إلى البدايات والأصول:

"ننخرساج أجلست أنكي في فرجها

ما الذي يوجعك يا أخي... [6].

---

(1) الخضر: أحد الأنبياء في رأي بعض رجال الدين وعند البعض الآخر صاحب النبي موسى في رحلته المشهورة في سورة الكهف، وبهذا وضعه القرآن في مرتبة الأنبياء. انظر الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص182.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الرحمن، اللّبن، 67 سنة. 2007/1/11.

(3) عييني: عامية بمعنى أعيني أو ساعدي.

(4) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص 144.

(5) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص 77.

(6) المرجع السابق، ص70.وانظر: الماجدي، **بخور الآلهة**، ص301.

كانت أسطورة الخلق السومرية تتلى في العديد من المناسبات كنوع من القوى الشفائية:

في الأيام الأولى، في مطلع الأيام الأولى

في الليالي الأولى، في مطلع الليالي الأولى

في الأيام الأولى، عندما جرى خلق كل ما يلزم

في الأيام الأولى، عندما جاءت المشيئة بكل ما يلزم

عندما تم فصل السماء عن الأرض

عندما تم تعيين اسم الإنسان... [1].

كل شيء كان في نمو، ونمو كانت الأشياء في النوم، ونمو كانت البحر الذي يغمر الكون ومثل نبض كان الجنين، الكون (آن –كي) يتكون في (نمو) مثل بذره كان يشقها ويبزع[2].

طقوس الاستعانة بالأنبياء والأولياء:

تخبرنا الحاجة جدية[3] من سنجل: "لما تْقَرِبْ الوحدة توظِع[4]، وهي تِطْلَقْ، بْتِقرأ قرآن، بيكون جبرائين[5] على اليمين بنقول:

الله يُجُبْرِك، الله يّقيمِكْ سالمة، جبرائين وعزرائين[6] بِيكونوا واقفين للنفاس، بِطْلُبِنْ من الله، جبرائين يساعدها".

إنها فكرة العود الأبدي السومرية وطقس استحضار زمن الأصول، حيث يربط التراث الفلسطيني هنا بين قصة نوح أونباشتيم البابلي والطوفان ثم البعث، الذي يشبه مخاض المرأة، ثم الخلق والميلاد، والمشاكله بين الحالتين، وبين العودة إلى الأصول والبدايات، واستحضار هذا الزمن البدئيّ الأول (العماء الأول، وميلاد الكون)، لكن الجدة أو الأم الفلسطينية تقوم بهذا دون إدراك وفهم واضح لهذه المقارنات، وإنما باعتبارها تراثاً شعبياً وتقليداً مورثاً منذ أقدم العصور.

---

(1) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص 81.

(2) الماجدي، **إنجيل سومر**، ص 13.

(3) مقابلة شخصية الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(4) توظِعْ: عامية بمعنى تضع..

(5) جبرائين: عامية أي جبرائيل عليه السلام.

(6) عزرائين: عامية أي عزرائيل عليه السلام.

ومن الصلوات التي كانت تقال لتسهيل عملية الولادة قديماً هذه الصلاة: "عسى أن تلد هذه المرأة التي تعاني آلام المخاض بسهولة، كما ولدت البقرة السماوية (كيمي سن)، وعسى أن لا تؤخر عمل القابلة"[1].

وكانت تستعمل تعويذة بازوزو ضد القلق والريح، ثم أصبحت تستعمل لحماية النساء وقت الولادة، وكانت تبدو مثل طائر وعليها كتابة، تقول: "أنا الذي يثور بقوة في جبل العالم السفلي حتى يرتفعوا أما بالنسبة للرياح التي ترافقهم، فقد وَضَعْتُ الريح الغريبة أمامهم، الرياح كسرت جناحها"[2].

وهناك طقس كانت تقوم به (أورورو)، (ماما)، أو (ننخرساج) الأم الكونية الأولى، وهي نسخة أشورية من أصل بابلي أصبحت تستعمل تعويذة لولادة الإنسان، وفيها تُخرج مامي ذكوراً سبعة وإناثا سبعة، تقول: " من الأربع عشرة رحماً الولودات، سبع ولدت ذكوراً وسبع ولدن إناثاً.

الرحم الولود، خالقه المصير

أتمتهم أزواجاً أزواجاً

(مامي) تكون أشكال الناس

في بيت المرأة الحامل التي في المخاض

ستبقى الآجرة [3] سبعة أيام...." [4]

ترعى عشتار حياة النساء الحوامل وتكون فوق سرير الولادة، لتسهل عملية الوضع، وكانت نساء بابل يدعين عشتار وهن على فراش الوضع،وهذه ترتيلة بابلية إلى عشتار:

تعين النساء، فتاة أو امرأة أو أمة

نافذة شرائعها سامية محكمة[5]

وهذه ترتيلة من عصر المملكة المصرية الحديثة[6]

---

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص322.

(2) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص220.

(3) آجره: ما يبنى به من الطين المشوي. **المنجد**، ص5.

(4) الماجدي، **بخور الالهة**، ص328.

(5) السواح، **لغز عشتار**، ص84.

(6) الدولة المصرية الحديثة، 1575–950 ق.م. انظر: صالح، عبد العزيز، **تاريخ الشرق الأدنى**، ص205.

سيدة حجرة الولادة، البقرة التي أنجبت كل شيء

سيدة الحياة، واهبة الحياة خالقَة كل شيء أخضر

سيدة الرقى والتعاويذ، النسّاجة الحائكة للأقدار [1]

وهذا نص بابلي طقسي كان يتلى لتخفيف آلام الحوامل عند الوضع:

"أنت عون الآلهة، يا مامي[2] الحكيمة،

أنت الرحيم أيتها الخالقة، اخلقي الإنسان،

فقالت ننتو[3] للآلهة الكبار: لن يكون لي أن أنجز ذلك وحدي،

ولكن بمعونة إنكي سوف يخلق الانسان"[4].

وتقول ترتيلة مرفوعة لعشتار:

"لك الحمد يا أرهب الإلهات، لك الإجلال يا سيدة البشر وأعظم الآلهة،

عشتار ما لها في عظمتها قرين، بيدها مصائر الموجودات جميعا،

لها الدعاء، واسمها الأول بين الأسماء نافذة شرائعها سامية محكمة... [5].

وتقول ترتيلة إغريقية:

"غنو لجيا، أم الكون، وأقدم الآلهة..." [6].

وتقول ترتيلة مسيحية:

"السلام عليك يا مريم، يا أم الله، يا كنزاً يمجده العالم"[7]

وتقول ترتيلة هندية:

"سيدة الأناشيد، أم النسل البشري،

حملت بنا منذ البدء، أم الأجناس جميعاً وأم القبائل المختلفة،

---

(1) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص 195.

(2) مامي، هي ننخرساج، الأم الأولى.

(3) ننتو: هي ننخرساج، الأم الأولى. انظر: السواح، **مغامرة العقل الأولى**، ص 385.

(4) السواح، **لغز عشتار**، ص55.

(5) المرجع السابق، ص52-53.

(6) المرجع السابق، ص58.

(7) المرجع السابق، ص59.

سيدة الرعود والأمطار،

أم الأنهار والأشجار سيدة الصخور والأحجار،

أم الحبوب، وكل شيء حي..." [1].

طقوس أخرى تابعة لعملية الولادة منها:

طقس التخلص من المشيمة، الخلاصة أو الأخت في المعتقد الشعبي:

"بعد أن ينزل المولود، تقول الحاجة مريم[2] من سردا: بْتِبْقَى الخَلاصة (الأخت)، بربطوها في طرف إصبع إجِرْ المَره إلّي بْتِوْلّد، بربطوا الحبل لحد ما تطلع الخلاصة، وإذا ما نِزْلِت بتحط الوَحَدَة طرف جديلتها[3] في ثمها وبتلوكها وبس اتقول "إع"[4] بتزل الخلاصة على طول، بيخافوا ترجع على قلبها".

يُطلق اسم الخلاص على المشيمة، وكثير من الناس يعتقدون أن المشيمة كائن إنساني، وهي الأخت التوأم أو الأخ التوأم للطفل الذي يولد قبل نزولها بفترة قصيرة، وإذا ظلت الخلاصة داخل الرحم، فإن المرأة ستموت بالتأكيد، وتبقى المرأة معلقة بين الحياة والموت حتى تنزل المشيمة، كما يُعتقد أن الخلاص يحوي روح الطفل الوليد، أو يضم روحه الحارسة، والتصرف فيه سوف يحدد مهارات الطفل وحظه، ومصيره في الحياة[5]، تضاف التاء المربوطة لها في العامية فتسمى (خلاصة)، وكلمة الأخت هي الشائعة.

تذكر الحاجة تمام[6]، من بيرزيت: "بِحطوها في شقفة، بِحفرولها حفرة عشان المرة اتظل اتْوَلِد وتبقى الوِارثة مِسَتَمِرّة، وْعَشان ما يصيبها إِشي".

وعند أهل اللبن "يحفرون لها جورة غَويطة، وإذا خَرَجَت الأُخت بَرّه، ثاني مَرّه ما بتحمل"[7].

---

(1) السواح، **لغز عشتار**، ص60.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8.

(3) الجديلة، الشعر له قوة سحرية سنتحدث عنها لاحقاً.

(4) إع: عامية، نوع من التقيؤ.

(5) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص129-130.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيرزيت، 63 سنة.2007/1/6.

(7) مقابلة شخصية الحاجة فاطمة، اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.

وفي بيت ريما "بِدبوها في بير أو بيقبروها من خوف الكلاب والبِساس يطولوها، إذا أكلها بس أو كلب بِموت الولد"[1].

وفي سنجل "بِتْحُطها في كوز[2] فُخار واتطيّنه[3] واتعلقه من الباب وجوه، أو بدفنوها في قاع البيت"[4].

اعتقد الإغريق أن لكل روح كائناً خاصاً مرافقاً (Genius) ومعناه روح طيبة أو خبيثة تسيطر عليه وتملي عليه كل أعماله منذ ولادته[5].

كما اعتقد المصريون القدماء قبلهم بوجود طاقات وأرواح يخلق بعضها مع الإنسان منذ مولده، وبعضها الآخر يأتي بعد ذلك ومنها:

1. البا: إنها الروح، الطاقة النفسية في الكائن الحي "روح خالدة في الظاهر والباطن"[6].
2. الكا: وهي طاقة حيوية لدى الكائن الحي، وبعد الموت ترجعه إلى منبته الإلهي الأول، والانصهار في بوتقة الأبدية "قم وانطلق إلى الحياة، فإنك لم تمت أبداً، هذا ما يقوله المتوفى في النص الجنائزي الخاص به"[7].
3. آخ: أما الآخ فهي روح أو نور إلهي يحظى الإنسان به منذ بداية تكوينه كجنين، وتبقى معه بعد الموت والبعث[8]. ويبدو أن هذه الروح تحمي صاحبها كما جاء في كتاب الموتى: "لتخرج الروح المقدسة (آخ) لأوزير[9]– الكاهن نس باسفي–[10] معك إلى السماء".

"دعيني أخرج روحاً نورانية (آخو) وسط موكبك

(1)مقابلة شخصية، الحاجة سبعية، بيت ريما، 84 سنة. 2007/8/2.

(2) الكوز: إناء كالإبريق، لكنها أصغر منه. انظر: **المنجد**، ص702.

(3) اتطيّنة: أي تضع عليه الطين حتى تُحكم إغلاقه. والطين رمل وكلس يجبلان بالماء. انظر: المرجع السابق، ص478.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2008/8/3.

(5) انظر: الماجدي، **المعتقدات الإغريقية**، ص167.

(6) تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص65. انظر: صالح، عبد العزيز، **تاريخ الشرق الأدنى**، ص339.

(7) المرجع السابق، ص266. انظر: المرجع السابق، ص339.

(8) المرجعان السابقان بالترتيب، ص15 و ص339.

(9) أوزير: أوزيرس، إله مصري قديم رب الخصوبة والخير. انظر: تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص57.

(10) كاهن عاش في عصر الملك بسماتيك حوالي 650 ق.م. انظر: الصيفي، **كتاب الموتى**، ص456.

افتح لي، دعني أخرج في النهار

اجعلني روحاً نورانية آخو(آخ)"[1]

واعتقد هنا أن الأخت، لها جذور قديمة وعلاقة بالروح الإغريقية، وبالآخ المصرية القديمة التي تكاد تكون نفسها، وبالروح السومرية،التي أطلقوا عليها اسم (كدم GIDIM)، أو (آدم IDIM)[2].

و"يلاحظ أن الخلاص[3] يرتبط عند كافة شعوب الأرض تقريباً ارتباطاً وثيقاً، بروح الشخص الذي يولد فيه وحياته وموته وصحته وطباعه ونجاحه أو فشله، ولذلك نجده يرتبط بالاعتقاد الإنساني الراسخ الجذور،"أن الروح لا تنفصل عن الجسد"[4]، كما يعتقد أيضاً "أن الخلاص يحوي روح الطفل الوليد، أو يضم روحه الحارس، وهو أخوه أو توأمه أو نظيره الحقيقي أو أنه مرتبط به ارتباطاً غامضاً ووثيقاً، فالتصرف فيه أو بمصيره سوف يحددان مهارات الطفل وحظه، ومصيره في الحياة"[5].

الطقوس المصاحبة لقطع الحبل السري:

الحبل السري: "هو قطعة لحمية تصل بين الجنين (عن طريق سرته) وجسد أمه في أثناء الحمل، ويسقط بعد الولادة ببضعة أيام"[6]. وتشرح لنا القابلة سبعية طه[7] عملية قطع السرة كما تجريها هيَ فتقول: بِجيب هالزيتات وهالمِلحات بَواجي حد السرة، الدكاتره اليوم بعرفوش بِقطعوها بزِيادة، بقطعها وبَربطها وبْحُط عليها زيت وملح وبَخليها حتى تُسْقُطْ".

أما القابلة فاطمة[8] من اللبن، فتقول: "بقيس للسرة ثلاث قراريط –تُريني على إصبعها الثلاث قررايط – وبَربُط المولود، وبَقطع، وبِشْوَيّة ملح وزيت على قُطْنَه بَدهَنْها وبَحُطْها على المُصْران المَقطوع وبَلِفْها بْخيط، اثنين لثلاث أيام بْتِنْزِلْ".

---

(1) الصيفي، **كتاب الموتى**، ص155.

(2) الماجدي، **متون سومر**، ص 299.

(3) الخلاص: عامية تسمى الخلاصة أو الأخت. وبالفصحى المشيمة التي نادراً ما تستعمل في منطقة رام الله.

(4) الجوهري، محمد، **علم الفلكلور**، ج2، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980. ص563.

(5) المرجع السابق، ج2، ص563.

(6) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص131.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة سبعية، بيت ريما، 74 سنة. 2007/8/2.

(8) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.

وللحبل السري أســرار غامضة تتعلق بالمولود، لذا يعتقد الفلســطينيون أنه إذا ضاع أو أخذته إحدى النساء فإن مصير المولود المرض ثم الموت[1]. لذا تضعه المرأة فــي خُــرج[2] البَيّــاع (حِرز)[3] للمولود، كما في سنجل[4]، أو قد تضعه المرأة في كيس، (صرة) بِتْعَلِقها باب الدار مِنْ جوَّه كما في اللبن[5]. وتقول القابلة أو الأم أثناء التَصَرُف في الحبل السري هذا الدعاء: "بسم الله الرحمن الرحيم، الله يجعَل وِجهَك علينا خير، الله يا رَبي يطَوّل عُمرَك ويرزِقَــك، وِتشــــوف السعد والهَنَا".[6]

"لما كنا انخلف، تِقْطَع الداية سُرِّة الولد، انْحُطها في خُرج البَيّاع عشــان يلاقــي، والبنــت فــي المجاري مِش امليح اتلاقي"[7]، هذا ما اخبرتني به الحاجة زينب اسحاق من عين يبرود، وعندما سألتها ما معنى مش امليح اتلاقي؟ لم أعثر على إجابة واضحة فقد قالت: "إن (خُــرج) البَيّــاع بِيجيب الرزقه".

وهذه الحاجة تمام[8] من بيت دقو تقول: "لما تِقْطَع الداية السُرَّة بيصرِّروها حتى تَقَعْ من المولود، إما بِحطوها في خُرج البَيّاع أو بِيصُروها وبِحُطوها عالباب، جبت أنا ثلاث اولاد وخبيتهن لليوم في محل محفوظ". وتستطيع القابلة أو المرأة الكبيرة السن التعرف على جــنس الجنــين القــادم وربما عدد الأولاد والبنات الذين سوف ترزق بهم المرأة، من سرة الولد، وهو تقليد شــائع فــي منطقة رام الله تصفه لنا الحاجة جدية [9] من سنجل فتقول: "فيه إشي بِيكون مثل العود أو عَجــم الزيتون، وإشي مثل حب الطرمس طري، إذا كان حب الطرمس بِقُولِن هــذي بنــت، وعجــم الزيتون بقولن ولد بِحْسِبن أكم معها ولد ولا بنت".

---

(1) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص131.

(2) الخرج: وعاء يوضع على ظهر الدابة. **المنجد**، ص173.

(3) الحرز: الحصن المنيع. انظر: **المعجم الوسيط**، ص666. وانظر: **مختار الصحاح**، ص130.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(5) مقابلة شخصية الحاجة فاطمة، اللّبن، 67 سنة.2007/1/11. نجد هذا الطقس في معظم قرى رام الله وهذا ما أجمعت عليه السيدات اللواتي التقيتهن جميعاً.

(6) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص 173.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود 67 سنة. 2007/7/29.

(8) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة.2007/8/5.

(9) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل،74سنة. 2007/8/3.

وتعود هذه الطقوس جميعها إلى العبادات السحرية البدئيـة الأولـى (الفيتيشـية والأرواحيـة، والطوطمية) وهي هنا ترجع لقانونيّ السحر التمثيلي والاتصالي معاً، فقطعة اللحـم هـذه التـي سوف تَلُفْ مع البَيّاع وتستقبل الأموال طالما هي في الخُرج، سيصبح صاحبها غنياً وثرياً لأنهـا ستؤثر عليه، فالشبيه ينتج الشبيه حسب قانون السحر التمثيلي أو التشابهي، وهذه القطعة بحسب قانون السحر الاتصالي العدوائي ستؤثر على الشخص كله، فالجزء يؤثر في الكـل، كمـا أنهـا تحمل روح الرجل أو المرأة كما جاء في الديانات القديمة الأولى لذا فهي هنا حرز أو تعويذة، أو تميمة، أو طوطم مقدس، يحمي هذا الشخص ويرعاه ما دام في أيد طيبة.

أما التكهن بجنس الجنين فيرتبط بصفات الرجل والمرأة، فنواة (عجمة) الزيتون الصلبة أقـرب إلى صفات الرجل من حيث القوة والخشونة، وحبة الطرمس الدائرية المنتفخة الطريـة أقـرب للأنثى (الأرض)، الحياة الأولى البدئية، وهي الأفعى التي تضع ذيلها في فمهـا، الحلقـة، دورة الطبيعة التي لا بداية لها ولا نهاية، كما أن هذه السرة، هي التـي عبـدها الإنسـان النيـولتي 8000ق.م. وهي سُرّة عشتار المقدسة، فكانت ذات قيمة رمزية كبيرة، لأنها مثلت مركز الكون، وكان معبدها سُرة الأرض[1].

طقوس عَيش المولود:

ذكرنا سابقاً أن القرنية أو التابعة تهاجم الأم الحامل وتحاول قتل الجنين، فإذا لم يسقط، تلاحقـه فور ولادته، فقد تخنقه وقد تصيبه بمرض يموت على أثره، لذلك كلـه تمارس الأم الفلسـطينية بعض الطقوس الخاصة كي تحمي مولودها:

الطقس الأول: المشيمة (الروح):

تقول الحاجة مريم[2]، "كانت مرت أخوي تولد ويموتو إولادها، فقالوها: ما رَحْ ايعيشلك ولد إلا إذا طُلتي خلاصته وحطيتها في كوز فخار، وسكرتيها، وطُلْتي حجر من الـدار، مـن البُنـى[1] وحطتيها محل الحجر وطَيّنتي عليها لأن أولادك بموتو بسبب القرينة، وبعدها بقدرة الله جابـت اولاد وعاشو.

---

(1) انظر: السواح، **لغز عشتار**، ص48.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(1) طُلْتي: تناولتِ. البُنى: البناء.

جذور هذا الطقس:

ذكرنا سابقاً أن الوسط الشعبي الفلسطيني اعتبر الخلاصة أو الأخت روح الطفل، أخاه توأمــه أو حارسه، وبحسب قانون السحر الاتصالي فإنه يفترض وجود علاقة بــين الإنســان وأي جــزء ينفصل عنه أو يبتر من جسده مثل الأظافر والشعر والمشيمة أو الأخت[1]، لذلك تبــذل المــرأة قصارى جهدها لتخبئة الخلاصة حتى تضمن عدم العبث بها. وهي هنا تستخدم الفخــار الــذي يعتبر وسلة سحرية أيضاً، "فمنذ أن تعلم الإنسان النيولتي[2] صناعة الجرار الفخاريــة، انضــم الإناء الفخاري إلى رموز الأم الكبرى، ذلك أن الجسد الأنثوي هو أشبه بالوعاء السحري الــذي تختمر في ظلماته بذور الحياة، لتنطلق من بوابة الرحم، وجسد الأنثى الكونية هو الجرة الفخارية الذي يحتوي على نعم الحياة، وأسبابها، وقد أظهرت الجرة المقدسة الأثداء التــي هــي مركــز العطاء في جسد المرأة، فكانت على هيئة جسم كروي ذي عنق قصير يليه ثديان أو عدة أثــداء، وسرة واضحة"[3]، "وفي صناعة الفخار، تشبه ليونة الطين في أثناء تشكيله ليونة الجسم الحــي، وفي الوقت نفسه يدل على أنه جزء من جسد إلهة الخصوبة، التي تعيش في رطوبة دائمة فــي جوف الأرض أو في قاع النهر، وهكذا تكتسب طينة الفخار أهمية خارقة"[4].

"وقد كان للقيمة الرمزية للجرة الفخارية أثر في تكوين بعض عادات الدفن، ففي فلســطين، تــم العثور على جرار فخارية استعملت كتوابيت للموتى منذ الألف الخامسة قبــل المــيلاد، وفيهــا تكورت الهياكل العظيمة على نفسها متخذة وضعية الجنين في رحم أمه"[5].وفي نص بابلي "لقبت ننخرساج الإلهة الأم الأولى التي تظهر هنا بإسمها الآخر مامي بالرحــم الأم:

"أنت عون الآلهة، مامي، أيتها الحكيمة

أنت الرحم الأم[6]"

---

(1) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص41-42.

(2) العصر النيولتي 10000- 8000 ق.م.

(3) السواح، **لغز عشتار**، ص48-49.

(4) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص39.

(5) السواح، **لغز عشتار**، ص48-49.

(6) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص80.

"وفي ثقافة العبيد[1] 4000ق.م. عثر على جرار قُبِرَ فيها أطفال، ويعود هذا إلى بدايات ظهــور فكرة الخلود"[2].

كما "وجد لعشتار نفسها العديد من رسوماتها ومنحوتاتها، تحمل جرة فخارية يميل عنقهــا قلــيلاً إلى الأمام ومن ذلك، التمثال المعروف باسم (ربة الينبوع) المحفــوظ في متحف مدينــة حلــب بسوريا، والذي يعتبر من أجمل الأعمال الفنية التي تركتها الحضارات القديمة"[3].

"وفي العصور الفرعونية، كانت عادة إلقاء الآنية الفخارية المسحورة في حفر وآبار قريبة مــن القبور فكرة شائعة، حتى تكون أرصاداً [4]،تضر من تحدثه نفسه بسرقة المقابر"[5].

وقديماً قيل عن العذراء في إحدى مدائحها: "السلام عليك يا جرة تحوي المن المحلــى حــواس الأتقياء، السلام عليك يا غذاء يقدم بدل المن"[6].

بعد هذا التقديم عن الفخار اعتقد أن هذا الاستخدام الحديث للجرة لم يكن وليد الصدفة بل هونوع من السحر يشبه التعويذة أو التميمة، فطالما ظلت الجرة المحتوية على الأخت، الــروح، آمنــة، بعيده عن عبث الأشرار والقرينة، بقي الطفل المولود في آمان وسلام وعاش...

الطقس الثاني: الذبح

تقول الحاجة عديلة[7] من سنجل: "محمد الموسى ذَبْح على طرف خَلَقْ مرته (زوجته) حرباية[8]، حتى يعيشــوا إولادها، تِسِعْ شهور والدم على طرف خَلَقْها، وعاشــوا، وراها ولدين وأربــع بنات".والذبح هنا قربان يقدم للقرينة كي تفك قبضتها عن الجنين، إنها الرشوة التي قبلــت بهــا لاماشتو[1].

---

(1) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص161-162.

(2) السواح، **لغز عشتار**، ص49.

(3) المرجع السابق، ص262.

(4) أرصاد: حَرَس، جمع رَصَدْ. انظر: **المنجد**، ص262.

(5) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص50.

(6) السواح، **لغز عشتار**، ص50.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة عديلة، سنجل، 52 سنة. 2007/8/3.

(8) حرباية: كلمة عامية، وهي الحرباء بلفصحى، ضرب من الزواحف تتلون في الشمس ألواناً مختلفة. انظــر: **المنجــد**، ص125.

(1) هي لاماشتو السومرية والبابلية قديماً وهي القرينة أو التابعة في أيامنا هذه.

أما الحرباء فهي "حيوان له قوة سحرية، وهي لا تحظى بأي تعاطف لدى النـاس فـي الوسـط الشعبي الفلسطيني، ويرون وجوب قتلها لاعتقادهم أنها تبخ[1]السم، وبالتالي فهي ضـارة، ومـن الأقوال الدارجة "فلان مثل الحرباية"[2]. وأرجح الاعتقاد التالي: إن الخـوف من الحرباء يكمـن في أنها تتلون ويعود هذا إلى اسـتطاعة الشياطين تقمص أشكالها، وألوانها، وهناك أغنية شائعة عن الحرباء، على لسان الحاجة عديلة[3].

"حربايـة يـا بنـت اختـي   وريـني سـختي بختـي
إن كـان إحمـر، وإن كـان إخظـر   وإن كـان معفـر بالسـكن"[4].

وتعلق الحاجة عديلة، إذا البخت[5] إخظر، امليح، أما إذا سكني مش مليح.

الطقس الثالث: الالتجاء للجنين المتوفى:

تذكر الحاجة مريم[6] من سردا: "كانت أختي حامل وجابت ولد سبعة شهور ومات، وحطوه فـي مغارة، وَمَسَكْني أبوي وأخذني معه على المغارة، ورفع الكفن وطال تراب،وحطه فـي صـرة، وقال خذي اعطيه لاختك، لأنها فتحت عند الفتاحين وقالولها بِتِحْبَلِيش إلا تِتْجيبي تراب من تحت ابنك، ولليوم بيرحن النسوان عند الفتاحين وبيعملن زي ما بيقولولهن مهما كان".

ويعود هذا الطقس إلى السحر التشابهي أولاً، وإلى فكرة أن الميت يعود إلى رحم أمـه الأرض، وإلى بيضته التي ستبعثه من جديد ثانياً، فهذا التراب الذي يحوي جسد المولـود، يضـم أيضـاً روحه، ولأن الشبيه ينتج الشبيه، والتقليد يؤدي إلى نفس النتجية، فإن احتفاظ الأم بتراب يضـم روح ابنها سيعيد لها إبناً في أحشائها من جديد. "وقد كان هذا النوع مـن السـحر البـدائي أول الطرائق التي كسب بها الإنسان معونة الأرواح أولاً والآلهة ثانية، إذ يقوم الإنسان بأداء أشـباه الأفعال التي يريد من الآلهة أن تقدمها له، وكأنه يغريها بتقليده، فقد تضع المرأة العقيم صـورة

(1) تبخ: عامية بمعنى تنفث.
(2) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص291.
(3) مقابلة شخصية، الحاجة عديلة، 52سنة. 2007/8/3.
(4) السكن: كلمة عامية تعني الرماد.
(5) البخت: الحظ والسعد (فارسية). **المنجد**، ص27.
(6) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71سنة. 2007/8/7.

طفل في حِجرِها[1] راجية أن يأتيها الجنين"[2]. إضافة إلى أن التراب نفسه هو الذي خلـق منـهُ الإنسان واحتفاظها بتراب ابنها، كأنما تحتفظ بشكل الجبلة الأولى التي خلق منها ابنها المتوفى.

الطقس الرابع: الوَقْفْ:

تذكر الحاجـة جدية[3] من سـنجل: "بنت عمتي جابت ثَمَن صبيـان، والثَمَن صبيان الله يوخـذ وداعتهم، آخر مرة كانت بنت، خَلّتْها وَقِفْ[4]لأبونا الخليل، راح رحمـة أبوهـا كتـب اسـمها وْزَتْ[5]الورقة في البير إلّي في الخليل ومشى ثلاث خطوات، طِلعت الورقة مـن البيـر، إلّـي بِقْبَلِشْ وَرَقَتَه بيعيش، وقبل ما كانت اتنص[6](بنت عمتي) كانت اتقول هْيْ يا خليل في كل إشـي حتى في الغناني وعاشت بنتها وجابت بعدها اولاد وعاشوا"[7].

تعني كلمة وقف هنا: أي احتسبها في سبيل الله. أي جعلها فداء، "وقد كانت فكرة البديل استمراراً لفكرة الأضاحي البشرية الموغلة في القدم، وهي تذكرنا بقصة النبي إبراهيم وابنـه اسـماعيل، ويبدو هذا واضحاً من التجاء الأب إلى الخليل سيدنا إبراهيم، وقد كان (طقس الفوهـو، البـديل) شائعاً في بلاد الرافدين"[8]. وسوف نبحث هذا الموضوع لوحده في (طقس الطهور). أما إذا مات المولود فتقوم المرأة **بطقس الإبرة:** حيث لا تلمس المرأة الإبرة طول فترة العيد، وليلـة العيـد خاصة، وإذا أرادت أن تخيط شيئاً، طلبت من البنات الصـغار أن يُخِطـنَ عنهـا، وتعطـيهن التعليمات كيف يغرزن الإبرة، لكنها لا تلمس الإبرة أبداً، إذ يقال: "إن الطفل الذي مات للمـرأة، سـيأتي يوم القيامة حاملاً قربة ماء، فإذا لمسـت الأم الإبرة قبل العيد وفي أيامه فإنها تخرمها ويسيل ماؤها"[1].

يختلط هذا الطقس مع جذور دينية إسلامية إذ يعتقد الفلسـطينيون "أن الأطفال الموتى هم طيور

---

(1) حِجرِها: عامية بمعنى حُضنها.

(2) انظر: ديورانت، **قصة الحضارة**، ج1 م1، ص111-115.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة جديه، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(4) وَقْفْ: أي احتسبها في سبيل الله. **المنجد**، ص914.

(5) زَتْ: عامية بمعنى رمى.

(6) اتنص: أي تنص: تتكلم من نص ونصوص، الكلام. انظر: **المنجد**، ص811.

(7) الماجدي، **متون سومر**، ص319-329.

(8) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص232.

(1) اعتقاد شائع في منطقة رام الله.

الجنة في العالم الآخر، وهم المستقبلون الأوائل لأهلهم، حيث يقدمون لهم مـــاء الجنـــة، لـــذلك يقولون: "نيال من إله قطعة لحم في التراب" يقصدون الأطفال"[1]، ويُروى عن النبي صـــلى الله عليه وسلم أنه قال: "من مات وله ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحدث[2]، كان له حجاباً من النار، أو دخل الجنة"[3].

وارتبطت فكرة الغزل والنول واشغال الإبرة والتطريز، وفكرة العقد التي يعقــدها الرجــل فـــي العصر الحجري القديم لنصب الشباك والمصايد لايقاع الحيوان بالعقائد السحرية التي اختلطــت بشكل النول البسيط الأول المصيده وبأفعال سحرية قديمة، وأصبح غزل الخيوط وجدل الحبـــال، واستخدام كافة أداوات النسيج والغزل والتطريز تقترن في أذهان الناس بعوامل تسخير للخير أو لإحداث الأذى في الآخرين، واعتبر التطريز و الزخـــارف نوعـــاً مـــن التعاويـــذ والطلاســـم السحرية[4]، لكن ما يهمنا هنا هو الأبرة المصنوعة من الحديد، وتحريم لمسها في أيـــام مقدســـة كأيام العيد، حيث تتواجد الملائكة ومعها أرواح الأطفال التي تشبه الطـــائر الشـــبحي[5]. يقـــول فريزر: "إن من بين المناسبات ذات الطابع السحري والديني التي يحرم فيها اســـتخدام الحديـــد، مناسبة الختان والولادة وبناء الأضرحة، كما يحرم حمل الحديد لمن يمس أحد الملوك والكهنـــة وذلك في كثير من المجتمعات البدائية"[6]. وكان إله الحدادة هيفاستيوس قبيحاً جداً[7]، "كما كانت مكانة الحداد في المجتمعات البدائية محاطة في كثير من الأحيان بنوع من الغموض أو القدسية، كأنه شخصية خارقة"[1].

ويبدو أن الماء الذي في قربة الطفل هو المـــاء المقدس[2]، الذي أحيا عشـــتار في أســـطورتها

---

(1) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص147.

(2) الحدث: الإدراك. انظر: **المعجم الوسيط**، ص160.

(3) أبو عبدالله، أحمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي الوائلي، **مسنده**، ج2، دار الفكر، بيروت، ص276.

(4) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص49-50.

(5) الماجدي، **الدين السومري**، ص47. الشبحي: من الشبح: وهو ما بدا لك شخصه غير جلي من بعد، وشـــبح الشـــيء: ظله وخياله. انظر: **المعجم الوسيط**، ص473.

(6) الماجدي، **المعتقدات الإغريقية**، ص315.

(7) Frizer.The golden pough. Pp. 270-272.

(1) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص77.

(2) الماء المقدس، هو ماء البعث في العالم الآخر، وقد كان عنصراً جوهرياً في التعاويذ إذ ينقذ النـــاس مـــن الأمـــراض والشياطين. انظر الماجدي، **بخور الآلهة**، ص315، 332.

المعروفة، فهو ماء من العالم الآخر عالم الخلود، ولأن الوقت هنا مقدس وهو ليلة العيد حيث تختفي الشياطين، بسبب التعبد والصلاة، فإن استخدام الأبرة والخياطة تعتبر طلاسم أو رموزاً ستعيد الشياطين مرة أخرى، وقد نجد هنا اختلاط العوالم مع بعضها بعضاً في هذه الليلة التي عادة ما تكون مباركة، ويذكرني هذا الطقس بحلم دموزي، و(مشكاته) الذي فسرته له اخته كما يلي:

"أي أخي إن حلمك غير حميد، إن تفسير اليراع الذي يرتفع حولك يعني أن مجرمين يقومون ويهاجمونك، وأن القصبة التي تقوم وحدها تحني رأسها لك تعني أمك التي ولدتك، أما القصب القائم مزدوجاً وتنتزع منه واحداً، فواحد مِنّا سوف ينتزع من الحياة، أما الأشجار فتعني الظلام الذي ستغرق فيه، وستسقط كأسك وتموت طيورك وعنزاتك وشياهك، وحظائرك، سيعم الخراب وستمزق شكوتك[1]. وسيندلق لبنها ويحطم كوبك"[2]. فالقربة إذن هي شكوة دموزي. وربما كانت عين الأبرة ووضع الخيط فيها هو طقس عبور للعالم الآخر في هذه الليلة.

الأبناء في المعتقد الشعبي الفلسطيني:

... يعتبر إنجاب الأطفال أحد معايير نجاح الأسرة الفلسطينية، فمن المهم أن يكون للعائلة الفلسطينية أطفال، لأنهم يمنحونها السعادة[3]، يقول المثل:"وليداتكم سعادتكم"[4]، كما يعتبر الإنجاب شكلاً من أشكال الصراع ضد البقاء، ورمزاً للاستمرارية. فيقال: "اللي خلف ما مات"[1]، ويقال أيضاً: "هم زينة الحياة الدنيا[2]".

وتقول ترويدة على لسان المرأة التي يهاجر أو يموت ابنها وتبقى دون خلف:

"دارهم يا ناس ما فيها حدا

سافروا منها كما طير النّدا

دارهم يا ناس ما فيها صغار

---

(1) الشكوة هي وعاء من الجلد للماء أو لِلّبن. **المنجد**، ص399.

(2) الماجدي، **إنجيل سومر**، ص124-125.

(3) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص19.

(4) عباس، إبراهيم، **معجم الأمثال الشعبية**، ص221.

(1) عباس، إبراهيم، **معجم الأمثال الشعبية**، ص70.

(2) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص19، والقول هنا مجتزأ من الآية الكريمة"المال والبنون زينة الحياة الدنيا".

سافروا منها كما طير الحمام"[1]

كذلك يقال بعد موت الأب الذي لديه أولاد: "سلامة أولادته الله يْحُطْ البَرَكه فـيهم"[2]، كمـا أن الأطفال مهمون لأنهم يشكلون عزوة لأهلهم وأقاربهم "ما بسند الأحجار إلا صرارها، وما بسـند الرجال إلا صغارها"[3]، وتفتخر النساء بكثرة شباب الحمولة، وإليها يلجأ الآخرون.

وِاحنا الـوَرِد والنَخِـل حـولا نـايف وِاحنا الحَمْولة إلّـي اتْجيـر الخَـايف

وِاحنا الـوَرِد والنَخِـل حـولا مَرْمـي وِاحنا الحَمْولة إلّي اتْجيـر المَـدمي[5]

وتغني نساء دير دبوان[4]:

يا عليّة العاووده ومعلق فيها جوز جراس هذي عِلِيّة العاووده واتفضلوا يا ناس[6]

ومن أغاني العتابا:

مسـا الخيـر مسـيكم رجـالي وانتـو عزوتـي وانتـوا رجـالي

ليـوم الضيـق وانخـاكم، رجـالي عندمـا تصيـح لَيْلـي يا عرب"[1]

وتسعى المرأة إلى إنجابِ مزيد من الأطفال، فيقال "حِبلى ومرضعة وقُدامها أربعة وطالعة الجَبل اتجيب دوا للحَبل"[2].

وقد تغار المرأة فتحمل فيقال: "لولا الغيرة ما حبلت النسوان"[3].

---

(1) المرجع السابق، ص20.

(2) المرجع السابق، ص22.

(3) المرجع السابق، ص20.

(4) دير دبوان: تقع شرق رام الله مساحتها 77 ألف دونم، عدد السكان فيها 7500 وعدد المغتربين 7000. اتصال هاتفي مع وجيه عبد الكريم، 58 سنة. من أعضاء المجلس القروي.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(6) مقابلة شخصية السيدة ربحية، دير دبوان،54، 2007/8/16. عيلة العاوودة: ديوان حامولة العاوودة في دير دبـوان. والعليّة: عامية بمعنى الغرفة العالية.

(1) كناعنة، **الانجاب والطفولة**، ص24.

(2) عباس، إبراهيم، **معجم الأمثال الشعبية**، ص107.

(3) المرجع السابق، ص193.

وينفع الأولاد أهلهم، فيقال: "ربي ابنك الصغير ينفعك في مكبرك". والولد هو أعـز مـا يملـك الإنسان، ويقال: "فؤادي ولا ولادي"، ويقال "ربيتك يا ولدي كل شبر بنذر"[1].

وعندما تزف العروس يأمل لها المدعوون الإنجاب:

يـا ريتـك مباركـا... عالينـا، عالينـا	وتَبكِـري بالصَـبي يلعَـبْ حاولينـا".
يـا ريتـك امباركَـا عالينـا يـا ربّـى	وِتبكـرّي بالصـبي وِيتزيـدي المَحَبـي
يا ريتـك امباركَـا عالجـار وعالجـارة	وِتبكـرّي بالصـبي ويتعَمِـري الحـارة
يـا ريتـك امباركَـا عَ مْحَمَـد لَحالَـه	وِتبكـرّي بالصـبي ويتعَمِـري داره [2]

ويقال في الزفة أيضاً:

ديـري ارجالـك قُـدامِك يَـمِّ الـدبوس	هَـيّ ارجـالي قُـدامي بِعِـزْ ونـاموس
ديـري ارجالـك قُـدامك يـا نَشْـمِيّة	هَـيّ ارجـالي قُـدامي فـي العِلْيّـة[3]

ويغنى للابن الوحيد:

يـا حـب اللولـو عالـدارِب مَـديتا	محمـد وحَـداني رَبـي يعمـر بيتـا[4]

وعندما تنجب المرأة بعد أن تمر بمعاناة طويلة، حيث عايرتها سلفتها وحماتها وقريبات زوجها. لذلك فهي تزغرد:

هـيّ ويامـا قعـدت علـى الـدرج	ودمـوعي زي البَـرَدْ
هـيّ والحمـد لله يـا ربـي	مـا بعـد الظيـق[5] إلا الفـرج

لـولـولـولـوي

هيّ والحمد لله صبرنا ومـا صبرناشـي	هيّ وصبر الطريق على الخَيّال والماشـي

---

(1) عباس، إبراهيم، **معجم الأمثال الشعبية**، ص168

(2) مقابلة شخصية الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) المصدر السابق، 2007/8/7.

(4) المصدر السابق، 2007/8/7.

(5) الظيق: أي الضيق.

هــــــيّ والحمــــــد لله يــــــا ربــــــي هــــــيّ صــــــبرنا ومـــــا افشلناشــــــي

لــــــــولــــــــولــــــــوي

هيّ وِالحمد لله صـــبر قلبـــي وماقَصّــر هيّ وانْحَلْ حَبَل الجفا من بعد مـــا اتعســر

هيّ وِحياة من خَلاّ انجوم الليــل تَتْفَســرْ هيّ وإلي زمان عَهاظـــا اليـــوم بَتْحَســرْ[1]

لــــــــولــــــــولــــــــوي

وتخبرنا الحاجة جدية[2] من سنجل: "كنا نْمَلّي من النبعة، تِعْمَلّها حماتهـــا عَســـلية[3]، صـــغيرة (للعروس)، اتروح على العين اسمها (عين الجب) وكان ثوبها اتْخَلَيه ينْسِلْ، ما يُطُرْقُولْهـــاش[4] إيهاه، تُخْبُطْ فيه وينْسِلْ عَشان اتْخَلِفْ".

ويُظهر هذا الطقس حب الفلسطينين للإنجاب وفيه نوع من السحر، فَنَسل الثوب سيؤدي إلى كثرة الأولاد.

وتظهر ملحمة جلجامش[5] أهمية الأبناء:

فبعد أن ذهب أنكيدو[6] صديق جلجامش إلى العالم الأسفل طلب جلجامش من (أوتو)[7] أن يخرج له شبح صديقه، ففتح أوتو ثقباً في العالم الأسفل، تسللت منـــه روح أنكيـــدو فأخـــذ الصـــديقان يتحاوران، قال جلجامش لأنكيدو:

أخبرني يا صديقي عن أحوال العالم الأسفل الذي رأيت

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا 71 سنة. 2007/8/7.

(2) مقابلة شخصية الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(3) عَسلية: جرة صغيرة

(4) يطرقولها: يَخيطوهُ لها

(5) ملحمة جلجامش: لها نصوص سومرية كثيرة، ولكنها وضعت في رواية متماسكة في مطلع الفترة البابليـــة القديمـــة، ووجدت ضمن أنقاض مكتبه الملك "آشور بانيبال" توفي عام 626ق.م. وهو النص الذي يعزى إلى كـــاهن بـــابلي عـــاش حوالي سنة 1100ق.م. انظر السواح، **ملحمة جلجامش**، ص47-48.

وجلجامش بطل الأسطورة، يعتقد المؤرخون أنه حكم في فترة بين عـــام 2500 و2700 ق.م. انظـــر المرجـــع الســـابق، ص26.

(6) أنكيدو، خادم جلجامش، في النص السومري، وصديقه في النص البابلي. انظر المرجع السابق، ص53.

(7) أوتو: إله الشمس السومري، وهو إيا إله الطب والحكمة في النص البابلي. انظر المرجع السابق، ص55.

أجابه أنكيدو: لن أقص عليك أخباره يا صديقي، وإذا كان لا بد فاجلس وابك

- سأجلس وأبك

- إن جسمي الذي لمسته وقلبك مبتهج

تنهشه الحشرات كخرقة بابلية

فصرخ جلجامش صرخة مدوية، وانطرح يتمرغ في التراب وصاح

يا ويلتاه.. يا ويلتاه

ثم استعاد أنفاسه وقال:

هل رأيت الذي لم ينجب أولادا؟ نعم لقد رأيت

إن طعامه التراب والطين

هل رأيت الذي أنجب ولداً واحداً؟ نعم لقد رأيت

إنه ساجد عند الجدار يبكي بحرقه

هل رأيت الذي أنجب ولدين؟ نعم لقد رأيت

إنه يسكن في بيت من الآجر ويأكل الخبز

هل رأيت الذي أنجب ثلاثة أولاد؟ نعم لقد رأيت

إنه يشرب من ينابيع الأعماق

هل رأيت الذي أنجب أربعة أولاد؟ نعم لقد رأيت

قلبه مبتهج

هل رأيت الذي أنجب خسمة أبناء؟ نعم لقد رأيت

يده مبسوطة كالكاتب الطيب، ويسمح له بدخول القصر

هل رأيت الذي أنجب ستة أولاد؟ نعم لقد رأيت

إنه في غاية السعادة

هل رأيت الذي أنجب سبعة أولاد؟ نعم لقد رأيت

إنه مقرب إلى الإله[1]

وفي مصر القديمة كانت هناك دعوات للزواج وتكاثر النسل، فهذا بتاح حوتب[2] يقول: "احب زوجتك، وأسعدها ما حييت، فالمرأة حقل نافع لولي أمرها[3]. وهذا الحكيم المصري آني يقول: "تزوج حديث السن لترى لك ولداً في ريعان شبابك، يكون سبباً في احترامك واجلالك وبرهاناً على صلاحك وتقواك"[4]. "لا تهمل الترحم على والديك وتحر لهما من أعمال الخير والبر أكثرها نفعاً وأرجأها قبولاً، ومتى قمت لهما بهذا الواجب قام لك ولدك"[5]."ضاعف الخبز لأمك، واحملها كما حملتك، فلطالما تحملت عبأك ولم تتركه على... [6] ومنذ ولدتك بعد أشهرك أسلمت ثديها لفمك خلال ثلاث سنين، فإذا شببت واتخذت زوجة ضع نصب عينيك كيف ولدتك أمك وكيف كانت تربيتك كلها"[7]"كان الحكم على الآباء والأمهات الذين يقتلون أبناءهم يجري أمام الناس"[8]. "وفي بلاد آشور في الفترة 700-500ق.م كانت الأرملة التي لا أولاد لها حسب القانون الآشوري تُطْرَد"[9].

وفي المعتقدات الكنعانية "كان الزواج القاعدة الأساسية لتكوين العائلة ثم المجتمع، وكان الإنجاب أمراً محبباً ومُفرِحاً، وكانت الآلهة ترعاه، كما كانت العائلة تكفل رعاية الأبناء ولا تفرط بهم"[10]. "وكان الكنعانيون يعتقدون أن إنجاب الأولاد يعيد إلى البلاد ازدهارها، وبالمقابل فإن قتل الفتيان والأخوة الصغار والأولاد يعتبر عملاً مهدماً لكل أمل في التجديد"[11]، وقد كانت

(1) السواح، **ملحمة جلجامش**، ص323-234. وانظر: الماجدي، **إنجيل سومر**، ص230-231.

(2) بتاح حوتب: من أقدم أصحاب التعاليم في مصر القديمة، كان وزيراً في القرن الخامس والعشرين ق.م. انظر صالح، **تاريخ الشرق الأدنى**، ص359.

(3) الحكيم آني: مصري، من أهل القرن السادس عشر ق.م. انظر: المرجع السابق، ص361.

(4) الماجدي، **الدين المصري**، ص296.

(5) المرجع نفسه.

(6) النص مفقود من المصدر.

(7) صالح، عبد العزيز، **تاريخ الشرق الأدنى**، ص361.

(8) الماجدي، **الدين المصري**، ص295.

(9) كونتينو، **الحياة اليومية**، ص37. بلاد آشور وبابل استمرت من 2900ف.م إلى 330 ق.م.

(10) الماجدي، **المعتقدات الكنعانية**، ص277.

(11) المرجع السابق، ص262.

"الإلهـــة عناة راعية الخطوبة والزواج، وكانت الإلهة كوثرات راعية الحمل والولادة" [1].

وفي الديانات السماوية جاء في التوراة، "فخلق الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم، وباركهم وقال لهم انموا واكثروا واملؤا الأرض وأخضـــعوها"[2]، وفـــي القـــرآن الكريم: "المال والبنون زينة الحياة الدنيا"[3].

تمييز الذكر عن الأنثى:

ينتظر الفلسطينيون المولود الجديد، ويفرحون بولادة الصبي، أكثر من فرحهم بـــولادة البنـــت، فميلاد البنت يولد الخيبة والامتعاض فتغني امرأة:

"يوم قالولي ابنية   هالت الحيطة عليه"[4].

ويقال في الأمثال: "هم البنات للممات"[5]، "ماتت وليتك من صفاوة نيتـــك"[6]، مصـــايب الـــدينا أربعة: الدين ولو درهم، والبنت ولو مريم، والغربة ولو ميل، والسؤال ولو كيف الطريق[7].

ويقال أيضاً:

"موت البنات من المكرمات"[8]

"البنت يا جبرها يا قبرها"[9].

"مكروهة وجابت بنت"[10].

"دلل ابنك بِغنيك، ودلل بنتك بتخزيك"[11].

وزواج البنت أهم من الولد، لأنه ستره فيقال "الجوز ستره"[12].

---

(1) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص124.
(2) العهد القديم، الفصل الأول، آية 27و28.
(3) سورة الكهف، آية 46.
(4) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص152.
(5) عباس، ابراهيم، **معجم الأمثال الشعبية**، ص217.
(6) المرجع السابق، ص197.
(7) المرجع السابق، ص205.
(8) المرجع السابق، ص211.
(9) المرجع السابق، ص44.
(10) المرجع السابق، ص207.
(11) المرجع السابق، ص119.
(12) المرجع السابق، ص106.

"اخطب لبنتك ولا تخطب لابنك"[1].

"جهنم جوز ولا جنة أبو"[2].

"المرة بلا رجال مثل البستان بلا سياج"[3].

"الجوز رحمة ولو ما بيجيب إلا فحمة"[4].

وقد يسخر من المرأة فيقال: "البنت مثل مدقة الباب مين ما كان بيدقها"[5].

ورأي المرأة يستهان به "اسمع للمره ولا توخذ برأيها"[6].

أما الولد فتربيته صعبة "تربية الصبيان مثل أكل الصوان"[7].

والصبيان يحفظون الأسرار: "الولد سر أبوه"[8].

"بكرة بتيجي الصبيان، وهذي بذرة رمان"[9].

"ابن العازه عكازه"[10].

"اللي بتموت بنته بترقص العذرا في بيته"[11].

"اتجيب حيّه ولا اتجيب بنيه"[12].

"خلف البنات من المتعبات"[13].

"ماتت اختي من كبر بختي"[14].

---

(1) عباس، ابراهيم، **معجم الأمثال الشعبية**، ص54.

(2) المرجع السابق، ص106.

(3) المرجع السابق، ص204.

(4) المرجع السابق، ص106.

(5) المرجع السابق، ص95.

(6) المرجع السابق، ص58.

(7) المرجع السابق، ص101.

(8) المرجع السابق، ص221.

(9) المرجع السابق، ص94.

(10) المرجع السابق، ص50.

(11) المرجع السابق، ص160.

(12) المرجع السابق ، ص160.

(13) المرجع السابق، ص160.

(14) المرجع السابق، ص160.

"لما يجي الصبي بنصلي على النبي"[1].

"ابن ابنك الك، وابن بنتك لأ"[2].

وتقول المرأة التي أنجبت ذكراً:

يـــوم قـــالولي غـــلام انســـند ظهـــري وقـــام[3]

وتطلق الزغاريد التي تقول:

"هَـيّ وصـبي صـبي يـا حَرايـر هَـيّ وشوشـته بـاربع جَـدايل

هَـيّ وسـبع وابـن سـبع هَـيّ وركـاب للأصـايل[4]

وعندما سألت القابلة فاطمة[5] رأيها اليوم في تمييز الذكر عن الأنثى، أجابت: "يا محلا ولادتهم ولو بِتْطُبْ[6] ساعتهم" "من حد ما اجت البنت كشر اللّهم إرظ [7] عَنّه".

تجري عملية الولادة إلى اليوم، في بعض القرى البعيدة في البيت على يد القابلة حتى ولو سَجَلت المرأة احتياطاً في مشفى رام الله[8]، وهذه القابلة فاطمة ما زالت تُوَلِدُ قريباتها وبعض الحالات الطارئة في اللبن الغربي، وحتى إذا وجدت المستوصفات –وهي الآن منتشرة في بعض القرى والمخيمات– فإن القابلة غالباً ما تكون سيدة ورثت هذه المهنة عن جدتها أو أمها، كما هو الحال مع القابلة أم أبراهيم التي تعمل في مستوصف مخيم الجلزون، وقد تعلمت المهنة على يد والدتها.

وما أن تتلقف الداية الطفل المولود حتى تسألها الحماة، قمحة ولا شعيرة، سُكَرة ولا مِفْتاح، فإذا كانت قمحة أو مفتاح فهو ذكر، وعندها تخرج الداية لتبشر الجد والأب وتأخذ الحلَوان، واليوم

---

(1) عباس، ابراهيم، **معجم الأمثال الشعبية**، ص119.

(2) المرجع السابق، ص50

(3) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، 152.

(4) المرجع السابق، ص152.

(5) مقابلة شخصية، الداية فاطمة، اللبن، 67 سنة. وتعني كشر أي غضب سيدنا محمد.

(6) ولو بِتْطُبْ ساعتهم: عامية بمعنى حتى ولو ماتوا فور ولادتِهِمْ.

(7) ارظ: عامية بمعنى إرض.

(8) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص70.

تطلب الحماة من إحدى الصبايا إبلاغ الخبر لتنال الحلوان، إذا كان المولود ذكراً[1].

وحتى اليوم ورغم معرفة جنس الجنين منذ الشهر الرابع، لا يزال الأهل ينتظرون خارج غرفة الولادة في المشفى، وما أن تخرج القابلة أو الطبيبة حتى تستخدم نفس العبارات فإذا كانت شعيرة فهم يقولون "ياالله المهم قامت بالسلامة"، أو " إلّي بتجيب البنت بتجيب الصبي، بارك الله بِلّي بكرت بالبنت وثَنّتْ بالصبي المهم سلامتها"، أما الأم فتقول إذا كان أول بطن: "عروس وجابت عروس، إنتي يَمّه صغيرة والله غير بُكره اتْزَهْقيهِم، والله وجهها زي قُرص الجبنة"[2].

كانت العادة أن يؤخذ المولود الذكر إلىالمضافة ويوضوع في حضن أكبر الرجال سناً، فيقوم هذا الرجل بإهداء الولد مبلغاً من المال (نقوط) حسب مركز والده، وربما يكون النقوط عروساً من أحد الحاضرين، حيث يهديه ابنته ويقول ابنتي له، أما اليوم فتأتي المهنئات للبيت، ولا يزال نقوط الذكر يختلف عن الأنثى فإذا كان مالاً فهو أكثر، وإذا كانت هدية فهي أغلى[3].

قد تتقبل المرأة مولودها الأول إذا كان أنثى، أما إذا تكرر الأمر مع المولود الثاني فإنها قد تصاب بإحباط، وتحاول هي وزوجها كل الطرق العلمية الحديثة ومن ثم الشعبية، إذ قد تلجأ للدايات المشهورات وربما الفتاحين حتى تنجب صبياً، وهي لا تتورع عن إنجاب عدد لا بأس به من الإناث إلى أن يأتي الصبي، مهما كانت درجة تعليمها وثقافتها، إذ لا يزال المجتمع الشرقي على العموم مجتمعاً ذكورياً.أما قديماً في العصور الأولى فقد ورث العصر النيوليتي، آخر حلقات العصر الباليولتي 30000 – 10000 ق.م عندما صورت القوة الإلهية في ماهية أنثوية، هي الأم الكبرى للكون، فقد كانت تماثيل عشتار أول عمل فني تشكيلي صاغه الإنسان على شاكلته، مجسدة أول معبوداته، فمنذ أن اعتدل جسد الإنسان عن شكله النيادرتالي ذي القامة المنحنية، كانت عشتار الأم الكبرى له. وطفق يصنع تماثيل انتشرت من أقاصي سيبيريا إلى شواطئ المحيط الأطلسي، ولم تكن هذه الأعمال مجرد ولع بقدر ما كانت نتاج حس ديني، وخبرة أولى مع العنصر الإلهي، فكان الرأس عبارة عن كتلة غير متمايزة الملامح ترتكز على الجذع مباشرة أو بوساطة رقبة صغيرة، أما التركيز فكان على الصدر والبطن، فالثديان عبارة

---

(1) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص198.

(2) المرجع السابق، ص160.

(3) المرجع السابق، ص162.

عن كتلتين هائلتين مستديرتين، والبطن منتفخ في إشارة إلى حمل أَبديّ والردف ثقيل، والوركان قويان بارزان، ومثلث الأنوثة منتفخ يشكل مع أعلى الفخذين وحدة متماسكة[1].

لم يترك العصر النيوليتي لنا نصوصاً مكتوبة ولكنه ترك لنا رسوماً وتماثيل ومـدافن ومعابـد، حَمَّلها كل ما يمكن أن تُحَمَّل الرُقَمْ المخطوطـة، فالديانة النيوليتيه هـي ديانـة زراعيـة فـي اعتقادها وطقسها، والأسطورة الأولى هي أسطورة زراعية تتركز حول إلهة واحدة هـي سـيدة الطبيعة[2].

وقد قدم رواد الانتروبولوجيا والعلوم الإنسانية أدلة على وجود شكل أقدم مـن العائلـة بشـكلها الأبوي الحديث نسبياً، وهذا الشكل يقوم على قيم الأنوثة ومكانة الأم، فالمجتمع الإنساني الأول لم يؤسس بقيادة الرجل المحارب الصياد بل تبلور حول الأم لكونها المسؤلة الأولـى عـن حيـاة الأطفال وتأمين سبل العيش لهم. كانت المرأة مسؤولة عن تحضير جلود الحيوانات وتحويلها إلى ملابس ومفارش وأغطية، وكانت النسّاجة الأولى والخَيّاطة. وأول من صنع الأواني الفخاريـة. ولأنها كانت تمضي وقتاً طويلاً في البحث عن الأعشاب والجذور الصالحة للأكـل، أصـبحت الطبيبة الأولى، فقد تعلمت خصائص الأعشاب السحرية، وكانت من يبني البيت ويضـع أثاثـه، وكانت تاجرة تقايض بمنتجاتها منتجات الآخرين، وكانت الحارسة على شعلة النار المقدسة فـي المعابد، ثم استطاعت أن توقد شعلة النار الأولى وحرستها وحافظت على أسرارها، وكان دورها كبيراً في اكتشاف الزراعة والانتقال من مجتمع الصيد إلى مجتمع إنتاج الغذاء[3].

"في هذا المجتمع الأمومي أسلم الرجل القيادة للمرأة، لا لتفوقها الجسدي بل تقديراً لخصائصـها الإنسانية وقواها الروحية وقدرتها الخالقة، وإيقاع جسدها المتوافق مع الطبيعـة، إضـافة إلـى عجائب جسدها المرتبط بالقدرة الإلهية"[4].

وخلال الألف السابع للميلاد بلغت الثورة النيوليتية غايتها حتى صارت الزراعة العامل الأساسي في الاقتصاد، ومع تزايد الثروات بتأثير حياة الاستقرار، والزراعة كان مركز الزوج الاقتصادي

---

(1) السواح، **لغز عشتار**، ص41–42.

(2) المرجع السابق، ص24.

(3) المرجع السابق، ص32–33.

(4) المرجع السابق، ص 32.

يتدعم باستمرار على حساب الزوجة الأمر الذي أدى إلى ما عــرف بــالانقلاب الــذكوري[1]، ويعطي الماجدي تفسيراً آخر يقوم على كون الرجل في عصر النيوليت لم يكن يعرف دوره في الإخصاب، ولذلك كان يرى أن المرأة هي المسؤولة عن التكاثر والخصــوبة، وعنــدما رحــل الإنسان من مواطن الزراعة الأولى – التي كانت في الغالب كثيرة المطر– نحو أماكن شــحيحة المطر؛ أدرك الإنسان أن الأرض ليست العامل الوحيد، بل إن المطر هو الســبب الأهــم فــي الزارعة، وترافق ذلك مع فهم دور الرجل في الإخصاب، فعقدت العلاقة بــين المطــر ومِنْــي الرجل وكان هذا التحول فاتحة إنقلاب ذكوريّ كبير [2].

ثم أخذت الأنظمة النيوليتية تتزعزع مع بزوغ الكتابة، وظهور المدن الكبيرة، وانتقلت الســلطة نهائياً إلى الرجل، مما أدى إلى تحول في الأسطورة البابلية، التي جاءت بعد الســومرية التــي كانت قريبة زمنياً من الأسطورة النيولتية، فكان انقسام بالإكراه والقتل يمارسهُ الإلــه مــردوخ الذكر الأسمى على الأم الكبرى، ففي البدء كانت الأم تعامة (تيامة) على شكل المياه الأولى، إلى أن خرج جيل متمرد قرر الخروج على تعامة (تيامة)، فعقدوا اللــواء لأشــجعهم مردوخ الذي تغلب عليها فقتلها وقسمها قسمين، فمن قسم رفع السماء ومن قسم ثبت الأرض[3].

لكن المرأة ظلت تقاوم ولم يندثر المجتمع الأمومي تماماً، إذ توضح عقود الزواج التي وصــلت في فترات مختلفة من تاريخ الثقافة المصرية وضع المرأة الحقيقي، ففي أحد صــكوك الــزواج الذي يعود تاريخه إلى الألف الثالث قبل الميلاد يقول الزوج موجهاً كلامه إلى سيدة المســتقبل: "منذ اليوم، أُقِرَّ لكِ بجيمع الحقوق الزوجية، ومنذ اليوم لن أفوه بكلمة تعارض هذه الحقوق لــن أقول أمام الناس بأنك زوجة لي، بل سأقول بأنني زوج لك. منذ اليوم لن أعــارض لــك رأيــاً، وتكونين حرة في غدوك ورواحك دون ممانعة مني. كل متلكات بيتك لك وحدك، وكل ما يأتيني أضعه بين يديك..." وبعد ألفي عام من هذا الصك نجد المرأة في صك آخر تقول لزوج المستقبل "إذا تركتك في المستقبل لكرهي لك أو لمحتبي رجلاً آخر فإنني أتعهد أن أدفــع لــك مكيــالين ونصف من الفضة، وأعيد إليك هدايا الزواج"، لقد كان الأطفال ينســبون إلى أمهاتهم في هــذه

---

(1) السواح، **لغز عشتار**، ص36.

(2) انظر: الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص121، 122.

(3) انظر: السواح، **لغز عشتار**، ص53–54.

الفترة[1].

وهذه (إيزيس) تقول في أحد النصوص من الفترة الرومانية "أنـــا أم الأشـــياء جميعـــاً. ســـيدة العناصر وبادئة العوالم، حاكمة ما في السموات من فوق وما في الجحيم من تحت، مركز القـــوة الربانية، أنا الحقيقة الكامنة وريح البحر، وصمت الجحيم. يعبدني العالم بطـــرق شـــتى وتحـــت أسماء شتى، أما اسمي الحقيقي هو إيزيس به توجهوا إليَّ بالدعاء"[2].

وهذه عشتار سيدة الأسرار تقول عن نفسها بلسان الأم المصرية الكبرى: "أنا ما كان، وما هـــو كائن، وما سيكون وما من إنسان بقادر على رفع برقعي"[3].

الانقلاب الذكوري:

انتزع الرجال من أيدي النساء زعامتهن الاقتصادية التي توفرت لهن حيناً مـــن الـــدهر بســـبب الزراعة، وكانت المرأة قد استأنست بعض الحيوان، فجاء الرجل واستخدم هذا الحيوان لنفسه في الزراعة وبذلك تمكن أن يحل محلها في الإشراف على زراعة الأرض، هذا إلـــى أن اســـتبدل المحراث بالمعزقة التي تتطلب شيئاً من القوة البدنية، وبذلك تمكن الرجل من أن يؤكد ســـيطرته على المرأة، وانقلب الآلهة – وقد كانوا قَبْلُ نساءً في أغلبهم- إلى رجال ذوي لحى هـــم للنـــاس بمثابة الآباء، وهكذا كان الانتقال إلى الأسرة الأبوية[4]، فأخضعت المرأة جنسياً حتى أَصـــبحت تُشترى (ففي العصر الآشوري المتأخر والعصر البابلي الحديث عثر على أحد النصوص يسجل أن سيدة تدعى (نختشارو)، حصلت بسعر ستة عشر شاقلاً من الفضة، على امرأة تدعى (ننليهـــا تسبنا)، فتمتلكها بصفة عملية كيما تزوجها من ابنها)[5].

هذا التحول الأبوي موجودٌ حتى أيامنا هذه إلا أن بعضاً من بقايا الأم الكونية لا يـــزال يتـــرك أثاره في قِلة من قرى فلسطين، فهذه بيت عور لا زالت تؤمن (بستي الحنينية) وتقدم لها القرابين وتطلب منها البركة والخيـــر، إذ ما زال الناس يذهبون للتبرك عندها وزيارتها. تقول الحاجة أم

---

(1) السواح، **لغز عشتار**، ص38-39.

(2) المرجع السابق، ص27.

(3) المرجع السابق، ص29.

(4) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج1، م2، ص61-62.

(5) كونتينو، **الحياة اليومية**، ص35.

سليمان[1]:" الولي عِنا بيقولولها ستِي الحنينية إلها مقام وجنبها شجرة بلوط، لليوم بنروح انزورها وانقول:

جينا انزورِك يا سِتي الحنينية   خروف محشي يا سِتي الحنينية
جينا انزورِك يا سِتي الحنينية   جاجة محشية يا سِتي الحنينية

وهناك (ستي قمرة) في كوبر وفي غيرها من القرى كدليل واضح على تقديس الأم المرأة المياه الأولى الأزلية.

طقوس ما بعد الولادة:

طقس حمام الطفل:

"كان الناس يحطوا الولد في (فِتِلْ[2] طين، فُخْارة) اليوم بِحطوه في طُشُتْ[3]، أول ما بيجي بَحَمِمَه وبْسَبْعَه وبقول:

اسْمَ الله عَليك وحَواليك   بِسم الله الرحمن الرحيم
دَستور يَا اصْحاب المَطارِح   دَستور يا اصْحاب المَسْكون

"المي البارده أحنْ من الوالدة
يا مي لا تاذينا ولا بنذيكِ
إذا أذيتينا لرسول الله بنشكيك
دَياتك عَشَرة، واجْرَيّاتك عَشَرة
والمَيَّه عَليك حَروزْ ونشرة" [4]

---

(1) مقابلة شخصية، أم سليمان، بيت عور، 80 سنة، 2007/1/17. (ستي الحنينية): مقام في بيت عور: من إنانا (حنّانا) الإلهة السومرية.

(2) فِتِلْ: حَبل، ويبدو أنها تعجن مع الطين كنوع من الفخار، والفخارة هنا هي أشبه برحم المرأة، وقد تحدثنا عن جسد الأنثى الكونية، والجرة المقدسة في العصور النيولتية. انظر: السواح، **لغز عشتار**، ص48–49.

(3) طُشُتْ: فارسية بمعنى وعاء كبير.

(4) مقابلة شخصية، القابلة فاطمة، اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.

وبعدين بَجيب شوية ملح مع المي وبجيب قطنة بغمسها في المي والملح، وبنقط في عينيه، العصريات بَفَرْفِك المِلِحْ عَنّه، ويوم أدهنة بزيت وأقَسّي رِجيله، أوصلن لثمه (فمه)، ويوم أحَمِمه وأملحه، بَدْهَنْ بطنه وظهره بِزيت وايديه ورجيله"(1).

وقد تقول القابلة أو الجدة:

"حَوطَتك بولاد يعقوب العشرة
اللي قاعدين تِحِتْ الشَجرة
حَوطتك باللي ما يُضرُّكْ ولا ياذيك
باسم اللي يرْحَمَك ويباريك
باسم اللي حط الروح فيك"(2)

وبعد أن يكبر قليلا كانت تأخذه للعين وتحممه، أما اليوم فهي تفعل ذلك في البيت ولا تزال تقول: "شبرتك وكبرتك وللمولى سلْمَتك " وتقيس بيدها الأشبار وهي تغني(3).

"وتختلف الآراء حول موعد حمام الطفل، فتعتقد بعض النساء أنه لا لزوم لحمام الطفل في اليوم الأول، لأن الملائكة تنزل من السماء وتغسله، وبعضهن يحممن الولد على الأسبوع حتى يشتد، لأن الحمام يهيج القرينة فتخنقه، وكذلك حمام الأربعين، فمنهن من كانت تُضلِل القرينة فتحممه قبل، أو بعد الأربعين بيوم"(4).

وتغنى له أثناء صب الماء عليه:

اسم الله على (فلان) اسم الله عليه	جيبو قناني العُطر ورشوا عليه
طالع من الحمام وشعره مِايل	يا ميمتي يا فلان واجانا زاير
طالع من الحمام وشعره عَسجدي	يا ميمتي يا فلان إجانا عسكري
غَنِّين لَفْلان مِيْمتَه فَرْحانَه	بِزرّار بَدِلّتَه حَبْةِ الرُّمانَا

(1) مقابلة شخصية، القابلة سبعية، بيت ريما، 84 سنة. 2007/8/2..

(2) مقابلة شخصية، القابلة فاطمة، اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.

(3) مقابلة شخصية، الحاج يونس قندح أبو مشهور، أبو شخيدم، 81سنة. 2007/2/29.

(4) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص176.

غَنِّـــين لَفْـــلان مِيْمتَـــه مِشْـــتاقه   بِـــزّرار بَدِلّتَـــه حَبْـــةِ الـــدُّراقَا[1]

أما الملح فلا يزال الفلسطينيون يقدسونه، فإذا سقط منه شيء على الأرض دون قصد يقولـــون: "نذرتك وبذرتك في عين الحاسدين[2]، وتصاحبهُ حركة باليد وكأنها تنثره.

وتقول المرأة أثناء وضع الملح عليه:

خُـــــذوا مِلِـــــحْ مَلّحُـــــوا   وِرْدُّوا عَافيتـــــه إلَـــــه

خُـــــذوا بَخّـــــور تْبَخـــــرُوا   وِرْدُّوا عَافيتـــــه إلَـــــه

خُـــــذوا حِنَّـــــا تْحَنّـــــوا   وِرْدُّوا عَافيتـــــه إلَـــــه

خُـــــذوا خِيطـــــان خَيّطـــــوا   وِرْدُّوا عَافيتـــــه إلَـــــه

خُـــــذوا مَيِّـــه اســـقوا خِـــيلّكم   وِرْدُّوا عَافيتـــــه إلَـــــه[3]

ولقد كان الماء والملح والزيت من المواد المقدسة عند القدماء وكانوا يستخدمونها فـــي طقـــوس عديدة أهمها طقوس التطهير[4]. وقد لعب الماء دوراً هاماً في طقـــوس الولادة عند القدماء مـــن ســـومريين وبابليـــن وكنعانيين ومصريين، حيث كانت الآلهة تحضر ساعة الولادة، ففي حـــين كان نخوم يسوغ شكل الجنين على عجلته الفخارية كانت الإلهة إيزيس وكاهنتها القابلـــة يقُمـــن بتوليد المرأة الحامل، ثم تغسل القابلة الوليد بالماء وتقطع سُرته في ظل طقوس يقوم بها الكهنـــة المولدون والكاهنات الذين يلبسون ملابس خاصة، ويمسكون عصياً خشبية معينة يستعينون بهـــا حين يتلون رقاهم لإبعاد أشباح الشياطين الذين يتوهمونهم مجتمعين حول المرأة لإجهاض حَمْلِها أو قتل جنينها. [5]

كانت هناك طقوس كثيرة تستدعي التطهير بالماء المقدس يرتبط بها أنواع من التمـــائم، وكـــان بعضها يبدأ بدعاء للآلهة: "يصف الكرب الذي يعانيه الآثم وأمله في الغفران، وكان يرش المـــاء

---

(1) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص175.

(2) مقابلة شخصية، عبير الجديرة، 24 سنة. 2007/8/6.

(3) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص280.

(4) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص233.

(5) انظر: الجوهري، **علم الفلكلور**، ج2، ص553. وانظر: الماجدي، **الدين المصري**، ص233.

على المريض (ماءٌ مقدس)"[1]. وفي بلاد آشور، كانت تستعمل رشاشة ماء مقدس علـــى شـــكل مخروط من شجر الأرز، عندما يروح الكاهن يرش ماءه البهيج، ويظهر هذا في منحوتات يقف خلفها الملك الآشوري، ويبدو أن هذه الرشاشات كانت تمثل مظاهر احتفالية، (أحد مظاهر الدين الآشوري) من ماء يمنح الحياة تم سحبه من مصبات نهريّ دجلة والفرات، في حين يظهر الملك وهو يحمل وعاء يحيوي ماء التطيهر[2].

كان الماء هو مادة الطب والسحر[3]، في كل مراحل الحضارة الرافدانية الســومرية والأكــدية والبابلية والآشورية[4].

وفي المثيولوجيـــا اليهودية نقرأ في نبوءة زكريا، "في ذلك اليوم، يكون ينبوع مفتوحاً لبيت داود ولسكان أورشليم للخطيئة والطمث[5].

وفي المسيحية، تقوم المعمودية على الماء، والماء خالق الحياة، والماء الذي يغسل الجسد، والماء ينظف النفس أيضاً[6]، ويعتبر الخروج من الماء، رمزاً للقيامة فكما يقوم المســيح مـــن القبـــر، يخرج المعمد من الماء[7]، كما أن المياه التي ترش على الميت هي "الندى للمـــراحم"، فالكهـــان يمارسون هذا الطقس قولاً وفعلاً ويقولون:

أرسل يا رب حنانيك

سكبة ماء نقي

لكن ليس أثمن منها

بالنسبة إلى المسافر[8]

وفي الدين الإسلامي يعتبر الماء في الأصل طاهراً، مُطَهِراً "وأنزلنا من السماء ماءً طهورا"[1].

---

(1) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص220.

(2) كونتينو، **الحياة اليومية**، ص140.

(3) الماجدي، **بخور الالهة**، ص201.

(4) المرجع السابق، ص204.

(5) التوراة، نبوءة زكريا، ص1013.

(6) صدقه، **طقوس ورموز**، ص24.

(7) المرجع السابق، ص25.

(8) يوحنا، ثابت، **الجنازات المسيحية**، منشورات قسم الليتولوجيا، جامعة الروح، القدس، لبنان، 1990، ص23.

(1) سورة الفرقان، آية 48.

أما الملح فيمكننا إضافة بعض المعلومات عنه، فقد أمر الملك آشوربانيبال[1] بنثر الملــــح بعــد انتصاره على عيلام وأسر العائلة المالكة[2].

اعتبر العراقي القديم الملح كائناً حياً يلجأ إليه إذا وقع ضحية للسحر، فهو عندئذ يخاطب الملـــح على الوجه التالي:

أيها الملح، يا من خلقت في مكان نظيف

طعاماً للآلهة جعلك "انليل"

بدونك لا تمد مائدة في "أيكور"

بدونك لا يَنشق البخور إله أو ملكٌ أو سيدٌ أو أمير

أنا فلان ابن فلان

وقعت أسيراً للسحر

وقعت محموماً في أحابيله

أيها الملح، حُل عني العقدة!

إرقع السِّحْرَ عني! وكخالقي

أرفع المجد والتسبيح لك[3].

وفي مصر القديمة كان النترون وملح البارود المضاف إلى الماء يعدان من وسائل التطهير التي تحول الشخص إلى ما يشبه الوليد الجديد، كما أن ملح النترون، إذا وضع قليل منه فوق الجســم ينظفه تماماً من دنس الحياة، لذلك استعملت هذه المادة في تجهيز الموميات[4].

لقد كان التطهير عند السومريين ومن ثم عند البابلين والأشوريين يتم بعدة طرق هـــي إحـــراق البخور، وسكب السوائل كالماء والزيت، والحرق، والدفن، والاغتسال[5].

"كان الكاهن المعزم الذي اكتسب صفة الساحر أيضاً في الأديان القديمة يسمى المشماشو، وهـــو الكاهن المطهر للجسد والمشماشو هو الأصل اللغوي للماسح بالزيت، وهو الكاهن الـــذي كـــان

---

(1) الملك آشور بانيبال، 668 – 626، ق.م

(2) كونتينو، **الحياة اليومية**، ص270.

(3) فرانكفورت، هـــ، **ما قبل الفلسفة**، ص152.

(4) تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص93.

(5) الماجدي، **متون سومر**، ص315.

يمسح المعمدين أو المرضى أو الملوك، ووظيفته الأساسية مسح الأجساد باعتبارها جزءاً من عملية طرد الأرواح الشريرة، وكان يقوم بهذه المهمة داخل المنزل أو في المعبد في أثناء عملية التعميد"[1].

وفي تعويذة الإله مردوخ من الطب الآشوري، وهي تعويذة لإبطال السحر الأسود، حيث يستعان بالإله إيا والإله مردوخ، يدهن جسم المريض بالزيت، وتقرأ التعويذة التالية: "زيت نقيّ، زيت لامع، زيت مشرق، زيت يجعل الأرباب مشرقة زيت يلطف عضلات الإنسان، زيت تعويذة مردوخ، أصب عليك مع زيت الحياة، وبواسطة تعويذة إيا يا رب أربو، سأطرد منك المرض المصاب أنت به"[2].

كما كان طقس سكب الزيت في الماء من طقوس العرافة في بلاد الرافدين: "حيث تسكب كمية من الزيت في إناء يحتوي على ماء تطفو مكونة أشكالاً وحلقات يستدل منها العَرّاف على ما يريد، ويعتبر هذا النوع من العِرافة أقدم أنواع العرافة التي عرفت في التاريخ، حيث مارسه الملك السومري (اينمتدر إنكي) قبل الطوفان"[3]. كما كان الزيت يقدم قرباناً وأضحية للموتى ففي وصف لعهد الملك كوديا[4] جاء "في البيت لم يملكوا أن يضعوا الزيت كأضحية".

أما الزيت عند قدماء المصريين فقام بدور مهم في الطقوس، إذ كانوا يدهنون جسد المتوفين به حتى يحتفظوا باكتمالهم إلى العالم الآخر، وكان من المعتاد كذلك تضميخ الكهنة والملوك بالزيوت العطرية، لحمايتهم أيضاً أثناء ممارستهم أوجه نشاطاتهم الدنيوية، وكانت تكفل هذا الإلهتان إزيس ونفتيس حيث كانتا تشرفان على عملية التبخير بالزيت المقدس في أثناء الجنازات. وبصفة رمزية، فإن التألق واللمعان (كمثل ضوء الشمس) الذي يتراءى به أي جسد

(1) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص127، 371. ومن هنا جاءت أصل تسمية المسيح، وهي في الأصل لقب دموزي إله الخصب السومري الذي لقب بالمسيح. فقد عذّب دموزي في الأسطورة السومرية وصلب عندما افتدى إنانا إلهة الخصب (الحياة)، إنه صورة قديمة للسيد المسيح، كما اصبحت مراثيه الثلاث من أمه وأخته وزوجته نواة لمراثي السيد المسيح بعد موته.

(2) المرجع السابق، ص225.

(3) علي، فاضل عبد الواحد، **طرق العرافة في النصوص المسمارية**، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع25، 1979، ص700.

(4) كوديا، ملك سومري توفي عام 2123ق.م. انظر: دياكونوف، **تاريخ الشرق القديم**، ص336.

مضمخ بتلك الزيوت يطرد الظلمات بعيداً [1].

وفي المثيولوجيا الكنعانية: "لم يكن طقس المسح بالزيت طقساً مقتصراً على الملوك والكهنة في بداية ظهوره، فقد كان طقساً عاماً لعامة الشعب يقوم به الإله إيل، ولكنه بعد ذلك أصبح خاصاً بالملوك، حيث تنتقل السلطة بعد الدهان للملك الجديد الذي يعتبر ابن الإله إيل[2].

وفي المسيحية يعتقد أن أشجار الزيتون تركع في ليلة عيد رفع الصليب، وهم يعتقدون أن رؤية شجر الزيتون في الحلم تعني ضوء أمل[3]. كما كانت أول ما حملته الحمامة بعد الطوفان إلى نوح ورقه شجرة زيتون لذلك صار رمز السلام[4]، وفي القرآن الكريم اقترن اسمها باسم الله تعالى: "والتين والزيتون وطور سنين"[5].وقد استخدم الزيت للإضاءة بوضعه في السراج"[6]، ولا يزال يستخدم في بعض الأحيان.

استنتاج: يبدو هنا أن دهن الطفل بالزيت طقس قديم هدفه تطهير الطفل من المرض والأرواح الشريرة كما أنه بلمعانه الذي يشبه الشمس ميلاد جديد وبعث.

الكحل وطقوسه: (ملحق بطقوس الحمام)

تقول الحاجة تمام، من بيت دقو[7]: "بِنِشْتْريه رَبَدْ اسمر وبِنْجيب الهون وبْنِطْحَنْ الكحل، وعَشان ينْعَمْ بِنْجيب حَبْ زيتون وبِنْدُقَه مع الكحل وبِنْحُط شوية مَيَّ المَغْرِب، وبنتركه في النجم، والصبح بنطولهن وبنكَحِل الوَلَد، بِجْلي العين مليح". تستعمل المرأة المرود لتكحيل العينين فتمر به فوق الجفون، فهو يجمل العين ويوسعها ويقوي النظر[1].

وإذا كانت عينا الولد صغيرتين، يلقى اللوم على أمه أنها قصرّت في تكحيله، وتضع القابلة أو الأم على جبهة الطفل (صنعته) نقطة من الكحل بإصبعها وقد تكون على شكل صليب[2].

---

(1) تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص179.

(2) الماجدي، **المعتقدات الكنعانية**، ص255.

(3) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص332.

(4) المرجع السابق، ص332.

(5) سورة التين، آية 1.

(6) **قاموس الكتاب المقدس**، مكتبة مشعل، بيروت، ط6، 1981، ص438.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(1) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص178–179.

(2) المرجع السابق، ص179.

استخدم الكحل للغرض نفسه قديماً إذ "استخدمت الألوان للتزين منذ العصر الحجري الحديث فمن مركبات النحاس، تم الحصول على المادة الخضراء التي كانوا يستعملونها في التكحيل"[(1)].

واستخدمه السومريون حيث نجد إنانا تتزين لدموزي وتقول: "عندما سأستحم من أجل الملك من أجل الإله وبعد أن أدهن شفتي بالمرهم العنبري وأضع الكحل حول عَينيّ "[(2)].

واستخدمه قدماء المصريين وذكروا الوعاء الزجاجي أو البلوري الذي يوضع فيه، و(المكحلـــة)، وقد عثر في المقابر القديمة على العديد من المكاحل حيث وجدت مكاحل ذات مراود، وأخـــرى دونها[(3)].

ولا يطلق الكحل على اللون الأسود، بل يطلق على مواد بنفسجية، وقرمزية، بيضاء، وصفراء، ومن هنا توصف الألوان الداكنة بأنها كحلية، ويغمس طرف المرود في مـــاء الـــورد[(4)]، وهـــو يستعمل لإنارة العين وجعلها براقة[(5)].

ويبدو أن الكحل تعويذة تجلي العين وتجعلها تلمع واللمعان صفة للشمس، والشـــروق والتجـــدد والميلاد الجديد، وهو عودة للأصول، كما جاء عند السومريين في طقوس العود الأبدي للحياة الأولى، الخالية من الأمراض، لهذا فالكحل تعويذة تطرد الأرواح الشريرة بما فيها القرينة.

أما الصليب الذي ترسمه المرأة على جبين ابنها باللون الأسود الذي يشبه الكحل، فهو نوع مـــن الوشم، سنتحدث عنه في الفصل القادم.

طقس فتح فم الطفل:

بعد حمام الطفل وتطهيره بالماء، والملح، تفتح القابلة فم الطفل، وتمر بعد أن تبل إصبعها بالماء والملح على شفتي الطفل ودكة[(1)] أسنانه[(2)].

---

(1) علي، ثريا، **(العروس)**، ص89.

(2) الماجدي، **متون سومر**، ص235.

(3) علي، ثريا، **(العروس)**، ص89.

(4) المرجع السابق، ص90.

(5) المرجع نفسه.

(1) دكة الأسنان: عامية بمعنى اللثة.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الحبيب، 81 سنة. 2007/8/5.

كان طقس فتح الفم من أهم الطقوس الجنائزية، فكما تبدأ حياة الطفل بفتح فمه والصراخ (الكلام)، فإن فتح فم المتوفى يعطيه القدرة على الكلام وتلاوة التعاويذ والابتهال للآلهة تمهيداً لميلاده الجديد، ويصاحب هذا الطقس عمليات تطهير بالماء والملح والزيت والبخور، ويبدو أن هذا الطقس استعادة للدور الأسطوري الذي قام به حورس مع أبيه أوزوريس في بعض النصوص(1).

ويتم هذا الطقس بأن يغمر تمثال الميت بالماء المقدس، ثم يبخرونه ويقدمون له ملح النطرون، ثم يجسون أعين التمثال بآله نحاسية، وأدوات أخرى سحرية، ثم يفتح فم الميت (التمثال) حتى يستطيع الكلام تمهيداً للميلاد والقيامة(2)، تماماً كأنه يخلق من جديد ليبدأ عملية نطق الحروف- وهذه هي طقوس الحمام بالترتيب-.

طقس صينية القش التي تحمل المولود والطواف بها:

"أول ما يولد المَلود بِتْحَمِمَه الداية أو الحماة، وبتحطه على صينية قَشْ، (جونه)، بتحط أواعي تحته، فراش وبتنيّمُه وْبِنقلها: أوّعي تحمليه بِتْعَوَّد على الحَمِل، وكانت اتمصصه (ترضعه) وهو على الصينية، وكانن يُرقُصِن وهن حاملات الصينية وايّغنين"(3)، وهن يْطُفِنْ(4):

"يــــا مِجَرْجِــــرْ عَباتــــك	حَميــــرك غيــــدين
مــــا عليــــك مــــن حميــــري	حميــــري بيجــــين
يــــا مِجَرْجِــــرْ عباتــــك	حَميــــرك راحِــــن
مــــا عليــــك مــــن حميــــري	ضِــــعِنْ والتقــــين"

يعود طقس صينية القش قديماً إلى الاحتفالات القديمة، فقد كانت الاحتفالات السومرية والبابلية كالزكمك والأكيتو وايزنماخ احتفالات دورية، يُعاد فيها تذكر الزمان الأول، حيث يقوم الكهنة بطقوس محدده تنطلق من مواقف فكرية تستدعي العودة للأصول والبدايات، وهي أكثر الطقوس

(1) الصيفي، **الخروج إلى النهار**، ص457.

(2) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص46.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، بيت دقو، 82 سنة. 2007/8/5.

قداسة، إذ تتضمن تلاوة أسطورة التكوين كاملة، لتجديد العالم الذي بلي في السنة الماضية، وكانت هذه الممارسات الطقسية، وهذا الاستحضار للأصول يحمل معنى عمقياً لا يتصل بإحياء ذكرى تلك الأحداث المثيولوجية العظمى، بل بتكرارها بحيث تتضمن قوى شفائية تعمل على تصحيح علامات الاختلال في حياة الإنسان[1]، وقد كانت هذه الطقوس ذات جذور أقدم تمتد إلى العصور الحجرية الحديثة (النيوليت).

وسواء كانت هذه الأعياد أسبوعية أو فصلية أو سنوية فإنها كانت جزءاً من الدورة الكونية التي تستند إلى المصطلح السومري (سار) الذي يعني (سنة، دورة، ملك)، وقد أسماها اليونان (الساووس) [2].

طقس الحمل على الأكتاف ومنها (طقس الإله مردوخ)

أما حمل الطفل والدوران (الطواف) به وهو على صينية القش التي تشبه المحفة[3]، فيبدو أنه يعود لطقوس الحمل على الأكتاف، ومنها (طقس الإله مردوخ)، "فقد تمتع الإله مردوخ (مردوك) وابنه تابو بعبادة مميزة كإله خاص للسكان المدنيين بشكل خاص في مدينة بابل ذات الإدارة الذاتية المميزة، وقد وصل إلينا طقس كامل للأيام الأربعة من عيد رأس السنة أكيتو، أو زاكيموك الذي يتكون من أحد عشر يوماً، والذي أقيم في معبد (أي– سانجيل) الكبير، ودخل في الطقس عامة الناس سيراً في احتفال مهيب رافقوا خلاله الإله مردوخ، ثم وضِع في قارب وحُمل على الأكتاف، وقرأ الكاهن أوريجاللو نصاً كاملاً من الشعر يتحدث عن خلق العالم (أنيوماإليش) حيث يكتمل طقس التوبة" [1].

كان الملك في بلاد آشور يحمل على محفة مزينة بشكل متوال من خطين منحنيين يشبه الهلال أسند ظهراً لظهر[2].

ويستحضر طقس صينية القش (زمن الطوفان العالمي)، عندما بنى أونباشتيم كوخ القصب ونجا

---

(1) انظر: السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص77.

(2) الماجدي، **متون سومر**، ص334.

(3) المحفة: هودج لا قبة له. انظر: **المعجم الوسيط**، ص185.

(1) دياكونوف، **تاريخ الشرق القديم**، ص 618.

(2) كونتينو، **الحياة اليومية**، ص227–228.

به من الغرق هو ومن معه[1].

في ثقافة العبيد[2] لم تقتصر مساكنهم على البيوت الطينية وإنما استخدم الطوب النيّ أيضاً، وكان معظمهم الطوب من القصب، ولا تزال تبنى المساكن في الفرات الأسفل بشكل يتم اقتطاع مكان محدد وسط قطعة أرض القصب، ثم تغطى بالحصر، وجذوع القصب على الجوانب بحيث ينحني إلى الوسط ويرتبط بشكل مقوس، وغالباً ما حطم الفيضان البلدات في القدم، وتفادياً للغرق، بسطت أرصفة من أشجار القصب[3].

جسدت التماثيل في الفترة شبه الكتابية 2850–2750 ق.م الإلهة إنانا، وبجانبها رسومات رمزية فيتيشية[4] على شكل قصب أو شعار (القش) [5].

وكانت حصران القصب تستخدم للف جسد الميت، ثم تثبت بدبابيس وقد استخدمت انطلاقاً من مبدأ ميثولوجي يخص الطوفان، فقد كان كوخ القصب الذي سكن فيه زيوسيدرا – بطل الطوفان عند السومريين (أونباشتيم) عند البابلين– هو المثال الأعلى لإنقاذ الإنسان من الشر، وقد استعملت السلال أيضاً للدفن[6].

طقس التسمية:

جرت العادة أن يكنّى الرجل بعد زواجه، فيقولون له "أبو فلان"، حيث يحضر اسم ابنه في المستقبل، وكان الميل السائد قديماً هو تسمية الولد البكر باسم جده لأبيه، وتسمية البنت الكبرى باسم جدتها لأبيها، حيث كان الجد الذي يختار اسم حفيده، أما اليوم فإن اختيار الاسم يتم بعد المشاورة، ولكن غالباً ما يكون رأي الأبوين هو النافذ[1].

تتم التسمية الفعلية بعد الولادة، لذلك يقولون: "تايجي الصَبي بنصلي على النبي"[2]، ويقولون

---

(1) دياكونوف، **تاريخ الشرق القديم**، ص646.

(2) هي الحقبة الممتدة من 4500ق.م، إلى عام 3500ق. م.

(3) المرجع السابق، ص92.

(4) الفيتيشية: سحر، تعويذة، تميمة، تصورات تسبغ على الأشياء صفات غريبة عنها، غالباً ما تكون صفات غيبية خارقة، وقد كانت التصورات الفيتيشية رائجة في المجتمع البدائي. انظر: المرجع السابق، ص184.

(5) المرجع السابق، ص184.

(6) انظر: الماجدي، **متون سومر**، ص327.

(1) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص73.

(2) عباس، ابراهيم، **معجم الأمثال الشعبية**، ص191.

ساخرين ممن يشغلون أنفسهم باختيار اسم الطفل قبل الولادة "لا إجه ولا شافوه واتحيروا إيش ايسموه"[1].

كانت تسمية الشخص عند القدماء تعني خلقاً له وظهورا، وقد خلق الكون بتسمية السماء ثم الأرض. وخلق الإنسان بعد تعيين اسمه[2]، وفي نص من الأنومايلش أسطورة الخلق البابلية:

"عندما كانت السموات من فوقنا بلا أسماء

ولم يكن تحتها من مسكن يدعى بالاسم

ولم يكن لأي شيء اسم ما"[3].

وجاء أيضاً:

"حيث لما في العلا لم تكن السماء قد سميت بعد،

ولم تكن الأرض اليابسة في الأسفل قد دعيت باسم،

لما لم يكن أي إله من أي نوع قد جاء إلى الوجود،

حيث لم تكن أسماؤهم قد دعيت وسماتهم قد حددت[4]"

"وبعد أن تكون جبل الكون بفعل انفتاح أوروبوس[1] وأصبحنا أمام أوروبوس غير هيولي أو عمائي وبفعل اطلاق الاسم (نمو) أو الكلمة، خُلِقَ عُنصرا الذكورة والأنوثة، وهما هنا في هذه المرحلة وفقاً للنصوص المسمارية (الخلق الجنسي) الذي أمرت به نمو، أن يسمى الأعلى سماء ويكون ذكراً، ويسمى الأسفل من جبل الكون الأرض، ويكون أنثى، فعندما أصبح لهما اسمان كانا متلاصقين وبدءاً بممارسة الجنس، وتعني كلمة (نم)، خواص الشيء وفعله وقدرته، وقد ترجم الأكديون هذه الكلمة إلى (شمنو)، أي رأي السمة والاسم والطبيعة الكامنة فيه، ويبدو أن هذه اللفظة ما زالت حية في اللغة العربية، حيث (نم) تعني جوهر الإنسان وطبعه وكل ما ينم عنه[2]، وجاء في الأنومااليش أيضاً"

---

(1) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص192.

(2) الماجدي، **متون سومر**، ص171.

(3) كونتينو، **الحياة اليومية**، ص276.

(4) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص330.

(1) الأوروبوس: الأفعى الكونية التي ذيلها في فمها بشكل الحلقة. انظر الماجدي، **متون سومر**، ص70.

(2) انظر: المرجع السابق، ص70-71.

"بعد أن ابتعدت السماء عن الأرض

بعد أن انفصلت الأرض عن السماء

بعد أن عين اسم الإنسان"[1].

وفي أسطورة الخلق المصرية القديمة في النص الثاني نجد "أنا الخالق لكل ما في الوجود، وأنا نفسي جئت على هيئة الإله خيبرا[2]... أنا جئت إلى الوجود في الزمن الأول... أنا شكلت نفسي من المادة الأولية، اسمي هو أوزوريس"[3].

"أنا كنت وحيداً لأنها أي الآلهة كانت لم تولد بعد،... أحضرت اسمي داخل فمي، أي يمكن القول (أنا نطقته) مثل كلمة قدرة (هيكاو) وأنا ظهرت للوجود بشكل خيبرا"[4].

وفي كتاب الموتى جاء:

" لم أمت ولم يمت إسمي"[5]

وفي الأساطير الحثية 2000 سنة قبل الميلاد جاء:

"القابلات جئن به إلى الولادة

وربات المصير والإلهات رفعن الطفل

ووضعنه على ركبتيّ كوماربي[1]

وبدأ كوماربى يفرح بولده

وطفق يُدَلّلُه

شرع يعطيه اسمه العزيز

وبدأ كوماربي يكلم عقله هو: أي اسم سوف أضفي عليه"[2].

وفي فلسطين "تجري عملية التسمية عند المسملين في اليوم الأول، وفي بعض الأحيان في اليوم

---

(1) الماجدي، **بخورالآلهة**، ص307.

(2) خيبرا: إله مصري قديم.وأوساريس هو أوزوريس: إله الخصب عند المصريين.

(3) بدج، **آلهة المصريين**، ص342.

(4) كونتينو، **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، ص277.

(5) المرجع السابق، ص277.

(1) كوماربي، إله حثي. انظر: روست، صلوات حثية، ص56.

(2) كريمر، **أساطير العالم القديم**، ص140.

الثاني، ولا تتأخر التسمية عن اليوم الثالث لأنه (مش امليح)، لأنه إذا مات الطفل قبل التسمية فإن الطفل يعاقب أبويه يوم القيامة لعدم تسميته، ويجب تسميته حتى لو ولد ميتاً، بشرط أن تكون معالم جسمه مفسرة"، إذ يعتقد أن الناس يوم القيامة يدعون كل واحد باسمه ساعة الحساب، ومثل هؤلاء الأطفال لا يعرضون على الحساب، حيث يكونون طيوراً من طيور الجنة. إنما يدعون لدخولها فقط، ويسمى الأولاد الذكور باسماء الأنبياء، أما الإناث فبأسماء زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم[1]، أما المسيحيون فيسمون الوليد في اليوم الثامن من الولادة، يتقدم الكاهن لابساً بطرشيله إلى حيث الطفل المحمول على ساعدي القابلة، ويبتدئ قائلاً: "تبارك الله...الخ" "قدوس الله وما يتلوها" وبعد الإعلان، "لأن لك الملك والقدرة...الخ". يختم الطفل بشكل صليب على جبهته، وعلى فمه، وعلى صدره، وبعد ذلك يقال الدعاء التالي: "أيها الرب ألهنا إليك نطلب وإياك نسأل أن ترسم نور وجهك على عبدك هذا فلان، (وهنا يلفظ الاسم المراد إعطاؤه للطفل)..." [2].

ونجد في الوسط الفلسطيني كثيراً من الناس يسمون أبناءهم باسماء الوحوش الضارية[3]، و"عند اطلاق الاسم يؤذن في أذن المولود اليمنى، وتقام الصلاة في اليسرى ثم يطلق عليه الاسم"[1]، "تحمل الداية هاون نحاس بِتدُق فيه وبِتْصير إدّور حوالين سرير البيبي وبتقول: اسمك (فلان) إوعى تِنسى وبِتْلِف ثلاث مرات، بيقولوا بْتُهرُب التابعة أو القرينة أوالعفريت، وبعدين بتحمل الداية إبريق مَيّ، وبتدور حوالين السرير وبتظل تنطق في اسمه، بيقولوا بيسمعه"[2]، ولا يزال هذا الطقس متبعاً في معظم قرى رام الله.

وفي بعض الأحيان يذهب أهل الطفل للفتاحين أو السحرة ليبحثوا للطفل عن أفضل اسم يناسبه، حيث يعتقدون أن كل طفل يوافقه اسم معين، فهم يقولون: "اسمه على جسمه" أو "الجسم بخلق الاسم"، أو "الاسم بسقط من السما"، أو "الاسم وَسم"[3].

---

(1) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص193.

(2) موري، نقولا، خوري، **كتاب الأجياز مطاري**، مطبعة القبر المقدس، القدس، 1934، ص6.

(3) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص 134.

(1) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص193

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(3) انظر: كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص 194.

"وقديما كان لكل طفل اسمان واحد معروف للناس، والآخر مكتوب في شهادة الميلاد، ولا يعرفه إلا قلة، تقول الحاجة مريم "كل واحد من إسلافي إلَهْ اسمين عادل اسمه الحقيقي عبد الـرؤوف، ومحمد اسمه توفيق، وفوزي اسمه موسى، وناصيف اسمه عبد الكريم، هيك كانوا يسـموا مـن زمان"(1).

ويعتقد البعض أن تسمية الطفل على اسم جده يجعل القرينة تتهيج وتغار كثيراً، فتلاحق الطفل أو الجد، وغالباً ما يكون الجد هو الضحية، لذلك فإن الجد يقول حينما يسمى على اسـمه: "بـدكو تُقُشروني من الدار، أي (تْمَوْتوني)" لذلك يوضع تحت رأس الطفل ملح وآيات قرآنية، أو حجاب وقد تعلق حوطة لحمايته مثل عظم كلب، إذ يعتقد أن هذه الأمور طاردة للقرينة"(2).

"أما إذا مـات الطفل الأول، فسيحمل الثاني نفس الاسـم، وقد تُمَوَه القرينة، بحيث يحمل الطفل الثالث اسم أخيه الذي مات، ومن المفترض أن يستأذن الشخص الذي يسمى على اسمه المولود، وقد يبعثون له هدية، "جاجة وكماجة" مقابل اسـتعمال اسمه، وإذا توفي الزوج فإن الطفل يحمل اسمه حتى يظل ذكره في البيت"(3).

ويعود اطلاق الاسم إلى جذور دينية وجذور أسطورية قديمة، فهم دينياً يسيرون حسـب قـول الرسول صلى الله عليه وسلم، "أحب الأسماء على الله عبدالله وعبد الرحمن وأصـدقها حـارث وهمام وأقبحها حرب ومرة"(1)، وقد يعود لأصول سحرية قديمة وإلى الديانة الطوطمية بالتحديد، والسحر الاتصالي.

كان للاسم أهمية عظمى، إذ إنه "يمثل في جميع الثقافات التقليدية قوة خاصـة، وهـو مـرتبط بشخصية صاحبه بواسطة قوة روحية، وقد لعبت هذه الخاصية السـحرية للاسـم –ولا زالـت تلعب– دوراً هاماً للغاية في الحياة الروحية لجميع الشعوب وفي جميع العصور"(2).

لذلك فقد يسمى الطفل باسماء الأنبياء، والقديسين وقد يحمل اسم ابيه المتوفي، لأنه بهذا قد يحمل معه روح هذا الشخص وبعضاً من صفاته إلى المولود الجديد. "وقديماً كانت معرفة اسم العـدو

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص 194.

(3) المرجع السابق، ص195.

(1) الطبري، محمد بن جرير، **المجمع الكبير**، م22، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، حديث رقم949، ص380

(2) الجوهري، **علم الفلكلور**، ج2، ص563.

تمنح الساحر قوة، وتعينه على التركيز ضده، لذلك فهو يقول: "إني أعرف اسمك... ألا أعــرف اسمك؟..."[1].

كانت العبادة الأرواحية أقدم العبادات البدائية، وتشكل (المانا) ركنها الأساسي، وهي قوة موجودة في كل مكان، ولكنها توجد بشكل خاص في بعض الأماكن المقدسة، وفي أجزاء معينة من جسم الإنسان، كما تتركز في الاسم[2]، لذلك فقد تسمي الأم طفلها كي يعيش باسماء الوحوش لإخافــة القرينة، وطرد الأشرار مثل: فهد، سبع، ذيب، والذئب هو الحيوان الوحيد الذي تخافه الجن"[3]، وقد يسمى الطفل خميســاً ليرمز للعدد خمسة، أو اليد التي تعتبر تعويذة قوية، وقد ذكرنا ســابقاً أنه كنية شائعة للخنزير [4].

"كما ترتبط تســمية الطفل باسم أحد الوحوش في المعتقد القائل أن الجنية (الليليت) تقتل الأولاد حديثي الولادة، لكن تسميتهم باسماء الوحوش تجعلها تهرب وتبتعد عنهم"[5].

"كان السومريون يطلقون الاسم على الطفل بعد الولادة مباشرة، لأن الاسم كان بمثابة الخــلق أو الولادة أيضاً"[1].

وكان الإله إنليل مصدر كل سلطة على الأرض فهو الذي يعين الملك، وهو الذي يهب القوة لمن يشاء، ورد في الأنوماإليش:

"أنت الذي تلفظ اسم الملك، واسم الحاكم

ذلك لأن خلق الإله، والملك

امتياز خاص بك"[2].

"ومن الطقوس السومرية طقس الشومازكارو، وهو طقس ذكر الاسم، والمقصود منــه تطمــين الميت بأن ذكراه ما زالت قائمة بين الأحياء، وأن نوعاً من البقاء من خلال الاسم يتحقق له"[3].

---

(1) غليونجي، **الطب عند القدماء**، ص39.

(2) السواح، **دين الإنسان**، ص187. انظر: الماجدي، **بخور الآلهة**، ص51.

(3) كنعان، **الكتابات الفلكلورية**، ص75.

(4) المرجع السابق، ص75.

(5) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص135.

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص322.

(2) المرجع السابق، ص254.

(3) المرجع السابق، ص330.

وكان هناك تقليد آخر يوفي بهذا الغرض، وهو اطلاق اسم المتوفى على الوليد الجديد، وكـذلك ذكره المتصل بطقوس الحداد[1]. أما في الأنوماايلش أسطورة الخلق البابلية فقد جاء:

"تعالوا نعلق أسماء الخمسين لمردوخ،

هو اسم مولده الذي دعاه به جده (آنو)

واهب المرعى وموارد الماء،

مالئ العنابر بالمؤن"[2].

أما عند قدماء المصريين، فكان يطلق الأسم على الطفل يوم ولادته، وكانوا يطلقون عليه اسمين أو ثلاثة أسـماء، اسماً عادياً واسماً للدلال أو اسماً عادياً وكنية، وكان من المحبب لديهم إطلاق أسماء مرتبطة بالآلهة أو الفراعين مثل (حم، رع= عبدرع) و(باكن آمون=خادم آمون)[3].

"اعتقد المصريون أن كل إله أو ربة أو أي كائن روحاني كان، له اسم خَفيّ بواسـطته ومـن خلاله يعيش أو تعيش، وأن الشخص الذي يستطيع أن يعرف هذه الأسماء يسـتطيع أن يطلـب المساعدة ممن يحملها من الآلهة، كذلك اعتبر من يستطيع -بأي وسيلة- أن يحصل لنفسه علـى اسم مخفي، مساوياً للآلهة، وفي نفس الوقت كان تدمير أو محو اسم ما، يعني نفي وجود الكائن الذي يحمله، لهذا حرص المصريون ومنذ العصور المبكرة من حضاراتهم على إحيـاء أسـماء الموتى، سواء بحفلات التأبين، أو عن طريق الذكر الدائم لأسمائهم حتى لا تُمحـى مـن فـوق الأرض[1]، "وكانت عادة حمل حجر معين منقوش عليه اسم -كتميمة- تساعد من يملكها على أن ينعم بحياة سعيدة" [2].

وجاء في كتاب الموتى:

"أبواب السماء مفتوحة لي، وفتحت لي بوابات الأرض

ليتكم تعطوني دسم الحليب وتمكنوني من الماء

كما تمكن سِت من عدوه في يوم الغضب

---

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص330.

(2) السواح، **مغامرة العقل الأولى**، ص86.

(3) المرجع السابق، ص235.

(1) بدج، **آلهة المصريين**، ص343.

(2) المرجع السابق، ص344.

وكما أحضر العظماء العطايا له

وقد أتم ذلك الإله المبجل صاحب الاسم الخفي"[1].

وتقول أسطور رع وإيزيس:

كانت إيزيس إلهة حكيمة في بداية حياتها، وكانت معرفتها توازي معرفة رع الذي صنع كل شيء، وبعد أن تقدمت به السنون، أصبح شيخاً، وضعفت سيطرته على لعابه الذي كان يسيل من شدقيه، فتناولت إيزيس لعابه وعجنته بتراب الأرض، وصنعت منه ثعباناً مقدساً ثم وضعته على طريق رع، وحين جاء الإله عضه الثعبان، فصرخ الإله صراخاً عظيماً طال السماء، وتمكن السم من جسده فاستغاث بآلهة بالتاسوع:

"أنا العظيم ابن العظيم، صاحب الاسم الذي صوره أبوه، عندي أسماء كثيرة، وأشكال كثيرة هي أيضا في كل إله، أنا الذي يدعى (أتوم)، و(حورس) له الحمد، لقد أخبراني أبي وأمي باسمي وأخفيته في جسدي بعيداً عن متناول أبنائي، خوفاً من أن يعطى لساحر سلطان عليّ، ولما كنت قد خرجت لمشاهدة من خلقته، لدغني شيء لا أعرفه، وهو ليس بنار ولا ماء، ولكن قلبي يحترق وجسدي يرتعد، ليت أبنائي الآلهة يحضرون بكلمات مباركة الآلهة التي تعرف التعاويذ السحرية، فهرعوا إليه، وتقدمت إيزيس تسأله كأنها لا تعلم شيئاً فأخبرها، فقالت له: أخبرني باسمك أيها الأب المقدس، لأن الإنسان يحيا من جديد عندما ينادى باسمه، فعد لها أسماءه وصفاته، فقالت له: إن اسمك الحقيقي الخفي ليس بين تلك الأسماء، فاذكره لي وسأناديك به ويفارقك السم، فلم يجد رع بداً من البوح باسمه فقال لها: قربي اذنيك مني حتى يخرج اسمي من جسدي ويسري في جسدك، فقرأت له تعويذتها السحرية لطرد السم: "تسرب باسم، أخرج من رع ومن عين حورس، أخرج من الآلهة أيها الملتهب، بفضل عزيمتي أغرب عني داخل الأرض... لقد أفشى الإله العظيم اسمه، إن رع يحيا والسم قد مات، حسب كلمات إيزيس الساحرة العظيمة، سيدة الآلهة التي تعرف رع باسمه"[1].

توضح الأسطورة أموراً منها، أن أصول السحر تقضي معرفة الاسم السري للإنسان، وكان

---

(1) الصيفي، **كتاب الموتى**، ص143.

Spence.Lewis..**Ancient Egyption**.G.Harrap.London.1990. p.p 260. (1)

المصريون يسمون الإنسان باسمين أحدهما علني والآخر سري، لأن هذا الاسم يحمــل عنصــر الحياة الأبدية للإنسان والآلهة[1].

طقس العين الحاسدة أو الكبسة:

تقول الحاجة سبعية[2] "في نسوان بالعَمادة (عن قصد) بِلْبِسِنْ ذَهَــب، وبُعْبُــرِنْ علــى الوالــده وبِكْبِسِنْها هي والمولود".

وتقول الحاجة حسنية[3] "لما تولد أو لما اتْرَبْعِنْ الوالدة بْتُعْبُر عليهــا أجنبيــة غريبــة، عليهــا العادة[4]، وبقولوا انْكَبْسَتْ وبِتْبَطِلْ اتخلف".

أما الحاجة زينب[1] فتقول: "بتدخل عليها سِلْفِتها أو وَحَدَه والدَه جديد، مِــشْ مْوَفيــه السْــبوع، وبِتِكْبِسْها هي وابنها".

"مرات بِنْتْحِسْ الولَد الصغير بِيقولوا: "ناشق[2] صَابَتَه عين" كما تذكر الحاجة حسنية[3].

يحتل الاعتقاد بالعين الحاسدة في التراث الشعبي الفلسطيني أهمية خاصة، إذ يعتقد أنها قد تقتل فيقال: "ثلثين الجبانة من العين وبنات الدنيين"[4].

والحسد: "انفعال نفسي إزاء نعمة الله على بعض عباده، مع تمني زوالها"، وهو يقوم على تصور مؤداه، أن ما يحدث للإنسان أو لممتلكاته من سوء، يعود في أحيان كثيــرة إلــى تــأثير العــين الحاسدة التي غالباً ما تكون عيناً شريرة"[5].

والحسد في التراث الشعبي الفلسطيني "ينجم عن قوة شريرة تنفس على الإنسان ما فيه من خير، فتحاول أن تصيب هذا الخير"[6].

---

(1) الماجدي، **الدين المصري**، ص122-123.

(2) مقابلة شخصية، سبعية، بيت ريما، 84 سنة. 2008/8/2.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، بيت دقو، 82سنة. 2007/8/5.

(4) العادة: عامية من التكرار وتعني الدورة الشهرية.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، دير دبوان، 69سنة. 2007/7/29.

(2) ناشق، نشق الريح: شمها.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(4) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص172.

(5) المرجع السابق، ص173.

(6) المرجع السابق، ص173.

يعتقد الناس أن "العين – أساساً– هي أداة الحسد، وأنه ليس من الضروري أن يعبر الإنسان عن حسده بالكلمات أو الإشارات، وإنما يكفي أن ينظر بعينه فيصيب بها الشيء المحسود، بالسوء والضرر، لذا أصبحت كلمة إصابته العين أو عين اتصيبك مرادافاً للحسد وما يرافقه من حلول الشر، فكان من تأثير الأمر، أن أصبح الناس ميالين لإخفاء ما يخافون عليه الحسد، أو لإفساد جماله وكماله، ينشئون فيه عيباً، وذلك كي لا يجلب أنظار الناس، ولا يتمناه الحساد"[1].

ويقول المثل: "الحسد مالوش دوا إلا الموت"، "والحسد من الجيران والغيره من الأهل"، و"الحسود لا يسود"[2]، كما يقال أيضاً: "عيون الكبار خراب ديار"، "والعين ما بتشبع إلا من التراب"، "عين لا تشوف قلب لا يحزن"، وعين الحسود فيها عود"، "العين بتغار من أختها"، و"العين عليها حجاب"، والعين عليها ملك يحرسها"[3].

"ويعتقد الناس في الأوساط الشعبية الفلسطينية أن الأهل قد يَحسدون أولادهم لذلك قيل: "إن كان مِسْتَعْجِل عليه بوسه بين عينيه"[1]، وهم يمليون للاعتدال، ويرتاحون لمن شكله طبيعي، لذلك فهم يرون أن صاحب العيون الزرقاء والأسنان المتفرقة، شاذٌ ومؤهل لأن يصيب بالعين، لأن ذوي العيون الزرقاء قليلون في بلادنا، لذلك يقال: "عينين زرق واسنان فرق"[2]، ويقال عن عين الحسود: "بْتُقْتُل الجمل"[3].

كما يعتقد أيضاً أن الطفل هو أكثر من يتعرض للإصابة بالعين. والذكر أكثر تعرضاً لها من الأنثى، وقد تتعرض الممتلكات كالحيوانات وغيرها للحسد[4].

تعتبر العين الحاسدة زرقاء في فلسطين، والعين الحمراء رمز الغضب، فيقال: "فَرْجيه العين الحمرا"، أما العين البيضاء فهي رمز لقلة الحياء عند الفتاة، فيقولون "عينها بيضه" كما يعتقدون أنه يجب تقطير العين بالملح بعد الولادة حتى لا يصبح الشخص وقحاً في المستقبل، فيقولون

---

(1) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص174.

(2) عباس، إبراهيم، **معجم الأمثال الشعبية**، ص159.

(3) المرجع السابق، ص161.

(1) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص175.

(2) المرجع السابق، ص174.

(3) المرجع السابق، ص175.

(4) المرجع السابق، ص176.

"عينه مش املّحَة"[1]، كما أن العين قد تَبْيَض من الحزن الشديد. وفي القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك "وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم"[2]، ويقول المثل أيضاً "لولا الغيرة والحسد عجوز كفت بلد"[3].

ويروى عن النبي أنه قال: "العين حق"[4]، وفي القرآن إشارات كثيرة إلى الحسد، منها ما ورد في قوله تعالى: "من شر حاسد إذا حسد"[5].

"والاعتقاد بالحسد والعين الحاسدة هو أحد المعتقدات الشعبية الإنسانية التي لا يمكن نسبتها إلى شعب واحد وحصرها به، فتكاد الشعوب البدائية في التاريخ القديم تجمع كلها على مفعول اللعنات وشر العين الحاسدة[1]"، تمتلك العين قوة سحرية تكمن فيها استناداً إلى الديانة الفيتيشية أقدم الديانات[2]. ويظهر الحسد عند السومريين في أحد النصوص التي تدور حول عشتار وابنها الإله الممزق تموز الذي أرْدَتهُ قتيلاً حين سلّطَت عليه نظرة الموت[3].

ويظهر الحسد أيضاً في أسطورة إنانا عندما هبطت للعالم الأسفل، ورأتها أختهاالإلهة أرشيكال فحسدتها بأقسى أنواع الحسد، (القتل):

"وكانت أرشيكال الطاهرة تجلس على عرشها

فَصَوَبت نظراتها إليها، نظرات الموت

ونطقت بكلمة ضدها، كلمة سخط

واطلقت صرخة ضدها، صرخة إثم

فحولت الفتاة العليلة إلى جثة هامدة"[4].

---

(1) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص243-244.

(2) سورة يونس، آية 84.

(3) عباس، إبراهيم، **معجم الأمثال الشعبية**، ص193.

(4) أبو الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **كتاب السلام**، باب41، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، حديث رقم2187.

(5) سورة الفلق، آية 5.

(1) ديورانت، **قصة الحضارة**، م1، ص115.

(2) انظر السواح، **دين الإنسان**، ص187.

(3) عبد الحكيم، شوقي، **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، دار العودة، بيروت، ط1، 1988، ص383.

(4) علي، فاضل عبد الواحد، **عشتار ومأساة تموز**، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط2، 1986ص192.

"ومن أنواع الشياطين الخبيثة العين الحاسدة، وهي شيطانة العين التي تسبب الأذى والشر، وهي التي لا يصيب الرخاء أحداً تحت تأثيرها، ويتوقف المطر في السماء، ولا تنمو الحشائش، ولا تتكاثر الحيوانات في الإسطبل" [1].

وعُثر في تل براك على معبد العين 3000ق.م حيث كانت عبادة الإلهة منتشرة في أعالي الفرات وغربه، ويحتوي هذا المعبد على آلاف التماثيل الحجرية المنحوتة بزوج من العيون المحدقة، وقد رأى الباحثون أنها تماثيل (الإلهة العين)، المضادة للحسد والشر[2].

كانت العين في السومرية تعني الحكمة الواسعة[3]، وفي أسطورة إنانا كانت العيون والكلمات هي الوسائل التي أدت إلى موتها، وهذا يعطينا فكرة عن أهمية النظر، والنطق الإلهيّيْن كوسائل للخلق والموت[1].

تأثر الدين البابلي والأشوري تأثراً عميقاً بالاعتقاد القائل بوجود الجن والأوراح الشريرة التي تحيط بالإنسان إحاطة دائرية، إلا أن الأشرار من الجن والأرواح، كانوا يُعتبرون أبناء الآلهة الأشرار القدماء، الذين أوقع بهم مردوخ هزيمة لكي يحرر زملاءه للآلهة من تأثيرهم ونفوذهم[2].

فقد كانت الشيطانة –عفريتة الأحلام ابنة الإله آنو– تمنع ولادة الأطفال وتقتلهم، وهي العين الشريرة التي لا يمكن أن يوقفها أحد، إذا وقع تحت نفوذها الذي يمتد بقوته فيحبس مطر السماء، ويعيق القصب عن النمو، ويسلط العقم على المواشي في الاستطبلات والعائلة والبيت[3].

وفي مصر القديمة أسطورة عين رع، "وهي أسطورة يحيط بها الغموض، وتدل الظواهر على أن الإله (حور)[4] الذي وُحِّد فيما بعد بالإله (رع) لم يكن محارباً وحسب، بل كان رب السماء، وهذه الفكرة قديمة جاءت الإشارات إليها في متون الأهرام، وقد تخيل المصري أن لإله السماء

---

(1) انظر: الماجدي، **متون سومر**، ص344.

(2) انظر: الماجدي، **بخور الالهة**، ص216.

(3) انظر: الماجدي، **الدين السومري**، ص151. انظر: دياكونوف، **تاريخ الشرق القديم**، ص190–191. انظر: الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص160.

(1) دياكونوف، **تاريخ الشرق القديم**، ص291.

(2) كونتينو، **الحياة اليومية**، ص421.

(3) المرجع السابق، ص423.

(4) حور: حورس إله الشمس ابن أوزوريس وإيزيس.

هذا عينين هما الشمس والقمر، ولما كان كهنة عين شمس يطمحـــون أن يكـــون لإلههـــم (رع) المكانة الأولى وَحَدوا (رع مع حور)، وجعلوا عين الشمس خاصة بإلههم، أما إله السماء (حور) فاختص بعين القمر"[1].

أما العين الزرقاء التي نستعملها في أيامنا هذه بكثرة، فيبدو أنها تعود إلى أصول قديمـــة، فقـــد "استمر النزاع بين أوزوريس وست ابني (جب) [2]، على عرش مصر، فاغتال ست أوزوريـــس لكن الحياة دفنت في جسده بفعل إيزيس فنزل دنيا الغدر وهبط للعالم الأسفل، فنشأ نزاع بين ست وحور (حورس) ابن أوزوريس، وتمكن ست من نزع عين حور منه، ثم استمر القتال، وانتهـــى بنصر حورس واسترجاع هذه العين التي نزعت منه. وقد قدم هذه العين لأبيه أوزوريس فارتـــد إليه بصره، ومن تلك اللحظة أصبحت العين رمزاً لكل قربان جميل، وكل هدية حسنة ثمينة تقدم **للحيّ** والمتوفى، وقد جاء ذكر قصة أوزوريس في الأناشيد الدينية للدولـــة الوســـطى بصـــورة مختصرة، وبعد ذلك نجدها قد تجددت في قصص الدولة الحديثة[1].

وفي أسطورة أخرى عن عين رع الشريرة (حتحور)، نجد أن رع أصبح مسناً، وشعر أن رعيته من الآلهة وبنى الإنسان يتأمرون على قتله، فاستنجد بالإلهة (حتحور) التي تســـمى فـــي هـــذه الأسطورة، (عين رع) لتقضي على بني الإنسان، عاد رع عن رأيه فقد عز عليه بنو الإنســـان فأثملها بشراب الجعة المحبب لها فثملت، ولم تعد تعرف ما تريد[2].

عُرف حورس بـــ "حورس ذو العينين" وعندما كان القمر والشمس يختفيان من السماء كان يقال: "حورس يسكن بدون عينين وكانت العين رمزاً من رموزه"[3]. وجاء في كتاب الموتى: "أنا مـــن طبب عين حورس بعد أن فقدت في يوم صراع الإلهين المتخاصمين، هي العين اليمنـــى لـــرع، التي غضبت بعد أن فقأها ست"[4].

---

(1) غربال، **الحضارة المصرية**، ص113.

(2) جب: إله الأرض، انظر: الماجدي، **الدين المصري**، ص84.

(1) غربال، **الحضارة المصرية**، ص114.

(2) المرجع السابق، ص113.

(3) بدج، **آلهة المصريين**، ص557.

(4) الصيفي، **كتاب الموتى**، ص67.

"وتجلى الحسد عند الإغريق في إلهة الحسد "فتونـــوس Phthanos.، وتـــدعى عنـــد الرومـــان أنديفيديا، وهي تجسد الأثر السيء للعين الشريرة التي تنظر بحسد إلى أولى النعم، التي حُرمتها، وهي ذات روح شـــريرة وقلب تأكله الأفاعي وقد أنحلـــه طول الحســـد، ونخرتـــه الرغبـــات الظمأى"[1].

ومن الطقوس الواقية من العين الحاسدة التي يستخدمها الفلسطينيون في منطقة رام الله:

1- طقس العتبة لرد العين:

تقول الحاجة حسنية[2] من الجيب: "عند الميلاد بيشديين فيها وبِعِبرِنْها وبِيطلعنها عن العتبة مـــع الولد، الداية معها وحماتها فقط ممنوع غُرُب، حتى ما تتكبسش، على ثلاث مرات".

وتقول الحاجة فاطمة[1] من اللبن: "بتطلع الداية المولود على صينية القش، هي الأمامية والإماية وراها بَرّه العتبة وبتفوت على ثلاث مرات".

وتقول الحاجة مهدية صرصور[2] من البيرة "المرة الوالدة بيطلعوها هي والولد ثلاث خطـــوات عن العتبة وبيعبروها خوف الحسد".

تعتبر الولادة مرحلة خلق جديد، وهي تتشاكل مع ميلاد الكون البدئي الأول، فمن "المياه الأوليـــة والخواء، انبعثت أولى مظاهر الحياة، وتولدت العناصر الأولى في العالم"[3]، وهكذا هي الـــولادة البشرية عندما يكون الجنين محاطاً بالمياه الأولى الأم والخواء، ثم تأتي مرحلة المخـــاض التـــي تنبثق بعدها أولى مظاهر الحياة في ميلاد جديد يُشبه ميلاد الكون وانبِعاثه.

"كل شيء كان في نمو

ونمو كانت الأشياء في النوم، ونمو

كانت البحر الذي يغمر الكون

نمو كانت الكون

ومثل نبض كان جنين الكون (آن –كي)

---

(1) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص172.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللبن، 67 سنة. 2008/1/11.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مهدية صرصور، البيرة، 86 سنة. 2008/7/25.

(3) تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص331.

يتكون في نمو، مثل بذرة كان يشقها ويبزغ"[1].

إذن فالولادة هي العتبة الأولى إنها (البدايات) العودة للأصول الأولى، "وهي المرحلة العتبية والعبورية عندما كان الإنسان الداخلي المكون من جهاز روحي موحد في تماسكه وتكامله"[2]، إنها حالة ما قبل البدايات (العتبة) أو حالة ما بعد المخاض، "الطوفان حالة التعميد الأول للبشرية"[3].

ويبدو أن هذا ما يجعل المرأة الوالدة تعبر العتبة ثلاث مرات فهي "عودة للأصول عندما لم يكن هناك علامات اختلال في حياة الإنسان"[4]، وهي ما كان يسمّى عند السومريين فكرة "العود الأبدي إلى الزمان المقدس لأول ظهور"[5].

عند السومريين كانت "تدفن عند عتبات البيوت الحروز وتماثيل الآلهة والعفاريت، والحيوانات لحماية أصحابها من الشر، ومن الجائز وضع مثل هذه التعاويذ عند واجهات البيوت أو على الأبواب مثل رمز إلهة العين أو رمز الإلهة سبيتو (العيون السبعة) لدرء الشر[1].

وتبين التعويذة التالية أهمية العتبة:

"أنا رسول مردوخ ورقيتي هي رقية أيا، وتعويذتي هي تعويذة مردوخ، وقوة أيا بيدي، وكذلك هراوة آنو القوية التي أرفعها بيدي، وصولجان القدرة الذي أحمله بيدي، ولن يقترب أحد من جسدي وعلى مرأى بصري تتحطم قوى الشر، هذه التي لا يمكنها مخاتلتي والسير ورائي، والتي تبتعد عني عندما أقف على **العتبة**، ولا تضع أقدامها في مكان وقوفي أو جلوسي، وإلى أي جهة أسير لا تسير، وإلى أي مكان أدخل لا تدخل"[2].

وفكرة العتبة هذه كانت "موجودة لدى البابليين والآشوريين فقد كانت عتبات الأبواب الحجرية تنحت تقليداً للسجاد حيث يوجد منها نموذج موجود في متحف اللوفر في باريس، مزين بدوائر

---

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص13.

(2) الماجدي، **الدين المصري**، ص283.

(3) تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص223.

(4) انظر: السواح، **الأسطورة المعنى**، ص77.

(5) انظر: الماجدي، **الدين السومري**، ص51. انظر: الماجدي، **متون سومر**، ص67.

(1) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص232. وسبيتو هو سبيعتومن الرقم 7، حيث سقطت الحروف الحلقية من البابلية والأشورية.

(2) المرجع السابق، ص368.

متشابكة، ويبدو أنها أحيطت بشراشب من النسيج أشبه بما هو موجود الآن في السجاد العصري[1]، وقد تحدثنا سابقاً عن علاقة النسيج بالسحر والطوفان، فهي "بما فيها من نقشات وزخارف أشبه بالتعاويذ السحرية"[2]، وهي أيضاً كالحصر التي تستخدم انطلاقاً من مبدأ مثيولوجي يخص الطوفان ككوخ القصب الذي سكن فيه زيوسدرا (بطل الطوفان) السومري، وأنباشتيم بطل الطوفان البابلي"[3].

إذن فالعتبة مرحلة "عبور شفائية للعالم الأول البدئي والأصول الأولى، وتكرارها هو التجديد والاستمرار"[4].

أما المرات الثلاث والرقم ثلاثة فهو رقم سحري"يرتبط هنا بعدد الليالي التي يختفي فيها القمر كل شهر"[1]، قبل أن يظهر أو يبعث من جديد وهو يشير إلى الثالوث الأقدس، وإلى الصليب.

ففي الديانات البدائية الأولى كان التوحيد الأنثوي القديم Monotheism وعندما بدأت العقيدة الدينية تزحزح دور المرأة المركزي، كانت Dithesim وهي أنثوية ذكرية أولاً، ثم ظهور ثالث فكانت ثلاثية أقنومية Trithesim والتي كانت صدى لظهور العائلة بشكل مستقر وواضح، الأب والأم والابن، وظهر هذا واضحاً في ثقافة أريدو[2]، والعبيد[3]، عندما ظهرت الصلبان على إناء خزفي وبألوان متعددة، لكن ظهوره المفاجئ كان باهراً في معبد الإلهة إنانا[4]، حيث صمم الفناء الداخلي للمعبد على شكل صليب واضح"[5]، وهي أرضية متماسكة لتواتر الثالوث حتى العصر المسيحي"[6].

---

(1) كونتينو، **الحياة اليومية**، ص228–229.

(2) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص60.

(3) الماجدي، **متون سومر**، ص327.

(4) انظر: السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص77.

(1) كراب، الكزاندر هجرتي، **علم الفلكلور**، ترجمة رشدي صالح، وزارة الثقافة، مؤسسة التأليف والنشر دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص345.

(2) أريدو: مدينة تقع جنوب بلاد الرافديين، غرب مدينة الناصرية، تعرف أطلالها اليوم بـ أبو شهرين، بدأت ثقافتها في النصف الثاني من الألف الخامس قبل الميلاد.

(3) ثقافة العبيد: تجمعات سكانية واسعة وصلت حتى شمال بلاد الرافدين 4000–3500 ق.م.

(4) معبد إنانا في أوروك 3200ق.م.

(5) انظر: الماجدي، **متون سومر**، ص283.

(6) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص145، 164، 165.

2-الحسد عن طريق دم الحيض والنفاس وكيفية رده:

تقول الحاجة أم محمد[1] من أبو قش "إذا دخلت عليها وَحَدَه عليها دم بْتِكْبْسها وبْتِكْـبِسْ الوَلَـد، وهذي صَارت مع ابن أخوي، مرت أخوي طَوَّلَتْ تَحِبْلِتْ، واتْعالَجَتْ كثير وراحـت للـدايات، ظلت ثلاث أيام تِطْلَقْ، وهي تِطْلَقْ فَزَعِنْ كل بنات الحمولة، وجابولها الدكتور، وبعد مـا أطْلَـع كل الموجودين ولّدها، وسَمَتَه فؤاد على اسم ولد كان رايحِلْها- مات وهو صغير- ولمـا طلـع الدكتور فَتِنْ النسوان كلهن، وَحَدَه مِنْهِنْ عليها العَادة، صَار الوَلَد- إلّي كان وَجَه مثل البدر- مثل العيدان. وإجت وَحَدَه بَدوية عليها ولما شافَتَه قالت إلهن:هاظا مَكبوس وطلبت شـريطة سَـمرة وشبّه وشعير وملح وعَطَبَتْلَه، وقالت لإمه خذي هذه الشبّه وْحُطيها في الميّ على مدة سبع حدود (أي أيام آحاد) وحميّميه. وما كمل السبع حدود صار طبيعي ومليح".وتعود قوة الدم إلى العقيدة الفيتيشية تحديداً، وهي أول عقيدة مادية آمن بها الإنسان، وجاءت من خلال تصور سحري للعالم والأشياء، والعالم الفيتيشي الأولي المليء ببؤر ونقاط مقدسة محاطة بعالم مدنس، وتشع من هذه النقاط قوة الكون، ويستطيع الشامان (الساحر البدائي) تحريك العالم بواسطة الفيتـيش، بحيـث تصبح القوة الخفية هنا، في نفس الساحر وفي الشيء[1] و"لعل هذا هو الذي أوجد نظام التحريم، أو التابو اللامساس الذي يعني في جوهره عدم التقرب من المقدسات، وكان الطوطم أكبر هـذه المقدسات مجسماً في كل فرد من أفرادها وحالاً في عناصرها الدموية على الأخص، لذلك كـان دم كل فرد من أفرادها من أهم المقدسات وأعظمها حرمة على جميع أفراد العشيرة، لذلك وجـد قانون العزل لمنع الاتصال بالمرأة الحائض، لأنه يُعدُ خرقاً للمقدسات"[2].

وفي فترة التابو التي تسـتدعي طقوساً تطهيرية، تخضع النساء إلى تحريمات خلال فترة الولادة والنفاس، فتعزل المرأة تماماً حتى انتهاء فترة حيضها أو نفاسها، لأنهن يكن مشـحونات بقـوة خطرة ينبغي عدم السماح لها بالانتقال إلى الآخرين"[3].

وبسـبب قوة الدم هذه وجدت في لوسيل في فرنسا وتحت سقف صخري، بقايا من مغرة حمراء

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم محمد، أبو قش، 77 سنة. 2008/8/7.

(1) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص48.

(2) المرجع السابق، ص53.

(3) انظر: السواح، **دين الإنسان**، ص74.

كانت تلون هذا القبر منذ أكثر من ثلاثين ألف سنة إشارة إلى القوة الحيوية الكامنة في الدم[1].

وفي فلسطين ظهرت مقابر خاصة، كان لظاهرة ذَرّ التراب الأحمر فيها والذي يرمز للدم وإلى استمرار الحياة بالنسبة للمتوفى، وبذلك ينعم بالخلود في العالم الآخر[2].

وفي أسطورة إنانا تظهر لنا لعنة الدم، حينما اغتصب البستاني إنانا المقدسة، فأثناء هبوطها من السماء، توقفت إنانا لترتاح، فرأت بستان (شوكليتودا) ووجدته خير ملاذ، فأراحت جسدها تحت ظل شجرة، وغطت في نوم عميق، وحين أطل شوكليتودا البستاني رأى تحتها عنفوان البحر وذهب الشمس، وقد انكشف جسدها، ورأى ثدييها القطنيين، رأى ردفيها وبطنها، فحن لمضاجعتها وأزاح عنها ثوبها، وضاجعها ولم تشعر السيدة الإلهة، ولما أفاقت أفزعها أن جسدها المقدس انتهك، وأن ضرراً كبيراً داهم عورتها، فقررت أن تُنزل عقاباً (لعنة) بالإنسان، لذلك ملأت كل آبار البلاد بالدم، وصار الجميع يشربون الدم بدل الماء، ثم سلطت عليهم الريح والوباء ومات خلق كثير بسبب لعنات إنانا، لعنة الدم ولعنة العاصفة ولعنة الوباء[1].

أما الدماء عند المصريين القدماء فهي مسار الروح والطاقات الحيوية، فمن دماء رع المنسابة خلق كل من (حو، وسا)[2]، أما شجرة الأرز فقد أينعت ونبتت من دماء جب وعندما كان حورس الإله الشمس يشرب بعض النبيذ كان من المعتقد أنه يتجرع دماء خصومه أعداء الضياء، أي أنه يجردهم تماما من سطوتهم وقواهم"[3].

ويسمى الحناء عشب الحياة عند المصريين القدماء وكان يستعمل في التحنيط لأنه سر الحياة[4]، وهناك رواية إسلامية تقول: إن الحجر الأسود كان أبيض، لكنه أسود من مس الحيض في الجاهلية، أي أنه كان هناك طقس لدى الجاهلين تؤديه النساء في الحجر، وهو مس الحجر بدماء

---

(1) السواح، **دين الإنسان**، ص153.

(2) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص117.

(1) الماجدي، **إنجيل سومر**، ص161-162.

(2) حو، وسا: إنهما بحارا مركب رع.

(3) تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص147.

(4) الصيفي، **كتاب الموتى**، ص458.

الحيض، ودماء الحيض بالذات، فقد كان دم الحيض عند المرأة في اعتقاد الأقدمين سر المـيلاد، فمن المرأة الدم ومن الرجل المني، ومن الإله الروح[1].

3- طقس التطهير بالملح والشبة لرد العين:

وقد تحدثنا عن الملح والذي استخدم قديماً لرد العين الحاسدة، ولا يزال ليومنـا هـذا يسـتخدم للغرض نفسه، فيقال في الأمثال: "ملحة في عين إلّي ما يصلي على النبي"[2] والشبه هي نوع من أنواع الملح أيضاً فهي ملح معدني قابض، لونها أبيض أو أزرق، وتستخدم كالملح العادي تماماً في رد العين الحاسدة.

4- طقس استخدام الشعير لرد العين:

وهو يحرق على شكل بخور لرد العين الحاسدة وطرد القرينة، وقد كان أول شيء خلقه إنليل[1] بعد السماء والأرض والآلهة هو الحب والمرعى.

"آن الإله الذي أخرج كل شيء نافع

الإله الذي لا مبدل لكلماته

إنليل الذي أنبت كل الحب والمرعى

أبعد السماء عن الأرض

وأبعد الأرض عن السماء"[2].

"حكمتك هي الزرع، كلمتك هي الحبوب

كلمتك هي الماء الغامر، حياة جميع البلاد"[3].

" وقديماً أوجد الإله إنليل الإلهة (نصانا أو نشانا)، وتزوجها، وكان اسمها أيضا أشنان حيث كلمة أشـنان تعني الخبز، حتى ليقال: "دقيق اشنان الطاهرة، وقد كان كبار الآلهة يأكلون أشـنان، أي الخبز أو القمح والشعير، ويشربون النبيذ، وكان رمزها سنبلة مكونة من ساق بثلاثة أغصـان تشبه ثنية الكف، وكأنها العطاء، والسنبلة مكونة من ستة فروع بارزة، يتوسطها شـكل هندسـي

---

(1) القمني، سيد، **الأسطورة والتراث**، سينا للنشر، القاهرة، ط2، 1993، ص127.

(2) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص 301.

(1) إنليل: إله الهواء السومري. انظر: الماجدي، **إنجيل سومر**، ص 15..

(2) آن: إله السماء عند السومريين. انظر: المرجع السابق، ص15.

(3) السواح، **مغامرة العقل الأولى**، ص35.

مكون من تسعة مربعات لعلها إشارة لأشهر الحمل، وقد منحهـا إنليـل لقـب إلهـة الحبـوب والكتابة"[1].

"في تلك الأيام وفي حجرة الخلق

في بيت الإله خُلق اهار وخُلق أشنان[2]

كان الشعير أول القرابين في العصر النيولتي[3]، فقد كانت سنابله تـذبح فـي موسـم الحصـاد بالمنجل "كما لو كانت تنحر فيها آلهة زراعية، تستشهد في سبيل إنقاذ البشـرية مـن المجاعـة فيقتات الناس من أجسادها، وكما كانت تقوم حول الفريسة في العصر الحجري القـديم منـادب ومعاز تنتهي بولائم[1]، كذلك كان بالنسبة إلى مناسبات الحصاد، إذ كانت هي الأخـرى بمثابـة معازٍ يردد فيها المزارعون أغاني ذات صبغة حزينة فتتحول الحقول في أثناء جمع حاصـلاتها الى ما يشبه الجنائز، يتظاهر فيها الناس بالحزن لاضطرارهم إلى قتل آلهة أو أرواح النباتـات ليخفوا سرورهم وكثرة ما يجنونه من أجساد تلك الآلهة التي تكون حاصلاتهم[2] وكذلك نـرى السحر في صناعة الخبز حيث يشكل القمح أو الشعير مادة أو لحم الغلة المحصودة، أو المقتولة، وهي آلهة الخصب المقدسة، حيث تُسَرِّع ُالخميرة المسكونة بـالأرواح فـي تخميـر العجينـة وتهيئتها"[3].

كان الشعير مفضلاً على القمح في أسطورة الخلق السومرية والبابلية[4]:

"البشر الأوائل لم يعرفوا أكل الخبز بعد

ولم يعرفوا ارتداء الملابس، وكانوا يسيرون

على أيديهم وأرجلهم،

وكانوا كالخراف يعلفون الحشيش من القنوات ويشربون الماء.

---

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص257.

(2) انظر: الماجدي، **الدين السومري**، ص155.

(3) العصر النيولتي 8000 ق.م. انظر: الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص79.

(1) في الطوطمية حُرِّمَ أكل الحيوان أو النبات الإله في البداية، ثم أصبح يؤكل كي تحل روحه المقدسة في أجساد عبـاده في طقوس خاصة. انظر: المرجع السابق، ص 38.

(7) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص33.

(3) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص128.

(4) الماجدي، **إنجيل بابل**، ص114.

آنذاك في المكان الذي كانت فيه الآلهة، تعيش على الأرض

ظهرت النعجة وظهر الشعير بأنواعه"[1].

وهــكذا حكم الرب بين مخلوقاته بالعدل، ففعل مثل ذلك بين شجر الصفصاف والدفلى، وانتصر لِشجر الصفصاف، وفعل مثل ذلك ما بين الشعير والقمح وانتصر للشعير.

اعتقد المصريون القدماء أن حبات الشعير مقدسة لأنها ترمز الى الإلهين (ايزيس وأوزوريس)، لذلك صنعوا منها عقودهم لطلب حماية هذين الإلهين[2].

وجاء في كتاب الموتى: أنا أتعيشُ على العيش الفاتح والبيرة (المصفاة) من شعير نهــر النيــل الذهبي (الأصفر) من المكان الطاهر. وأجلس تحت سعف نخيل حتحور، أنا فرضت نفسي على قرص الشمس... "[1].

ويقول أوزوريس: "خبزي من الدقيق الأبيض والبيرة من الشعير الذهبي الأصفر"[2]

5- طقس الطاحونة والحسد (الكبسة):

تخبرنا الحاجة جدية[3]: "المرة الوالدة، اللي عندها في الدار طاحونة. حرام نطحن عليها عندها، مش مليح للوالدة وللمريض بِنكِبْسوا".

يعود هذا الطقس إلى خمسة آلاف سنة مضت "عند نشأة المدن في الهلال الخصيب، وســيادة الذكور وتزاوج الثقافتين الرعوية الأبوية والزراعية الأمومية، ولحــث الأرض علــى الإنتــاج تحولت القرابين إلى أضاحٍ، يضحي فيها الملك بنفسه، ويبدو أن تقديم الأطفال قرباناً للنيران، قد نشأ عن محاولة الملوك التهرب من هذا المصير المفزع، فنشأت عادة مضاجعة الملك للكاهنــة الكبرى (قاديشتو) [4]، لإنتاج آلهة من نسله الملكي الإلهي تخصص للتضــحية، وهكــذا أصــبح إنبات الأرض وعودة فصل الخصب رهينيّ سفك الدماء والأضاحي. وهو أمر لا تــزال أثــاره واضحة حتى أيامنا هذه، يتمثل في " تحذير الأم لطفلها بعدم الخروج وحيداً، حتــى لا يــذبحوه

---

(1) الماجدي، **إنجيل بابل**، ص116.

(2) غربال، **تاريخ الحضارة المصرية**، ص1.

(1) الصيفي، **كتاب الموتى**، ص160.

(2) المرجع السابق، ص221.

(3) مقابلة شخصية الحاجة جديه، سنجل، 74سنة.2007/8/31.

(4) قاديشتو: بمعنى قديسة.

على حجر طاحون الحبوب"[1]، هذ الحجر هو ذاته القديم الذي ارتهن دورانه برضى الآلهة عن طريق تقديم قرابين الأطفال كما عنى توقفه الجدب والموت، وهكذا بدا الأمر منذ أقدم العصـــور ولا زال مرتبطاً بالحزن والبكاء والنواح الذي نجده في قرى رام الله عند طحن الحبوب، وتَذَكُر الأعزاء الذين فُقدوا بالموت أو السفر أو السجن[2]. لهذا كله كان وجود الطاحــونة بجانب المرأة الولاّدة فألاً سيئاً وشؤماً يجلبان الموت لها ولجنينها.

6- طقس الحرق أو (العطبة)[1] لرد العين: "بتجيب الوحدة عطبة ســمرا، شــريطة بْتِحْرِقهــا وبترقيه، وبِتْنَقِط بين عينيه"[2]. "بعد عمل العطبة تروح مَرة لازم تكون (قاطع)[3]، اتْكِب الدعوك لما بدها تِطْفي النار بتحط في إيدها مية (اليمين)، وبِتْرُش النار بالمية وبتصير (تِنْشَغْ)[4]، مِشان اتروح، وبتقول: "انطفي يا عوينه كما انطفــت انويره، يعني العين بْتِنْطْفــي، مثــل النــار مــا انطفت، وبتبين العين الحاســدة لمين"[5].

لقد كان استخدام النار من طقوس أبطال السحر الأسود في بلاد الرافدين "حيث يستعان بالإلــه مردوخ او بأحد آلهة النار، حيث يقوم الساحر بحرق شكل معين يمثل أحد الشياطين وتُقرأ هــذه التعويذة "أنا أحمل الشعلة وأحرق أشكالهم أشكال الأوتوكو والسيدو والرابيصو والانيعو واللاباتو والاحنخار والليلو والليليث ورفيقه ليلو وجميع الشر، ودخانكم يرتفع الى الســماء وأعضــاؤكم سيشمها إله الشمس وهذا يحطم قوتكم مردوخ الساحر الكبير ابن إيا"[6].

كان الناس في أرض الرافديــن قديماً يعتقدون أن المرء المسحور يســتطيع تدمير الأعداء الذين

---

(1) القمني. **الأسطورة والتراث**، ص 106.

(2) لا تزال المرأة الفلسطينية تغني شوقاً لابنها السجين وهي تطحن الحبوب فتقول:

مِنِيْتــــي داليــــة عَبــــاب خيمــــتهم   عِنِــــــبْ جَنــــــدلي وأشــــــوف حــــــالتهم

مِنِيْتـــي يمـــه لَمّـــن خطـــر بْـــين الخْيـــام   شْــــــوف المــــــدلل ويــــــن بِيْنــــــام

مقابلة شخصية، أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

(1) العطبه: عامية، أي خرقة محترقة.

(2) مقابلة شخصية الحاجة حسنية، الجيب، 81سنة. 2007/8/2.

(3) قاطع: عامية، أي قطعتها الدورة الشهرية.

(4) نشغ: شهق حتى كاد يغمى عليه...، المنجد، ص809.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الفتاح، عين يبرود. 2007/7/29.

(6) الماجدي، **بخور الالهة**، ص 224 – 225.

سحروه بحرق صورهم أو تماثيلهم لهم، إن ذات العدو البارزة تحدق به من الصورة، ففي وسعه أن يؤذيها كما يؤذيه في شخصه، وهكذا يلقي الصور في النار وهو يخاطب اللهب بقوله[1]:

أيها اللهيب اللاظي، يا ابن السماء المقاتل،

يا من أنت أشد إخوتك بطشاً،

وتحكم في القضايا كالقمر والشمس،

احكم في قضيتي، وانطق بحكمك،

احرق الرجل والمرأة اللذين قد سحراني،

احرق أيها اللهيب الرجل والمرأة اللذين قد سحراني،

احرقهما يا لهيب

التهمهما يا لهيب

امسك بهما يا لهيب

ابتلعهما يا لهيب

دمرهما يا لهيب.

7- طقس البخور حديثاً (الدعوق) لرد العين"

"لما ينتحس الولد بيقولوا: بِيّقَلِبْ اسبوعات لأنه كان في بطن أمه وطلع. وبتيجي (إم علي) الداية الّي في بلدنا عمرها صار ميه وعشرين سنة وبتقول يا بنات: ادْعَكِنْلَه نِتْفِة اشـــريطه وْدَخِنِنْلَـــه شريطة زرقه وعليها شعير نبوي (مقري عليه)، وعشبة نفس من العين، أو شبه بتحطهـــا فـــي القلاية وبعدين بتكبهِن بدون ما تتكلم"[1].

يعود هذا الطقس إلى خمسة آلاف عام، ففي ترتيلة سومرية ذكرها ديورانت نجد: "الضأن فـــداء للحم الآدميين، به افتدى الإنسان حياته"، وفي قصة التكوين التوراتية، نجد قابيل يكتفي في قربانه للإله بأبكار فاكهته وأثمارها، وفي القرن الرابع قبل الميلاد نجد النبي اليهودي (أرميا) يقرر أن

---

(1) فرانكفورت، **ما قبل الفلسفة**، ص156.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة، 2007/7/29.

اليهود بنو مرتفعات للبعل[1]، ليحرقوا أولادهم، والمرتفعات هي المذابح والمحرقات تعني قرباناً يذبح، ثم يحرق، أو يقدم مباشرة طعامه لنيران الإله بعل[2]".

ويبدو أن البخور والدخان الناتج عن حرق القرابين حتى تشتمها الآلهة كان طقساً يومياً يجـري في المعبد، وكان الكهنة المطهرون، الذين يقومون به بالدرجة الأساس، كان يلازمـهُ التعـزيم لاعتقادهم أن مادة البخور، تطرد الأرواح الشريرة لأنها عندما تملأ المكـان تحاصـر الأرواح وتجعلها تخرج من الأبواب والنوافذ خصوصاً أن البخور يشبه الأشباح التي كان يعتقد أنها شكل أرواح شريرة، وكانوا في المعابد يقيمون مذبح بخور، وهو دكة عالية يوضع عليها مـا يشـبه الموقد المقدس". و"كان التطهير عند السومريين (ومن ثم عند البابلين والآشورين) يجري بعـدة طرق هي: إحراق البخور، وسكب السوائل كالماء، والزيت، والحرق، والـدفن، والاغتسـال[1] (وَجَدَتْ طريقة الحرق، كحرق الأضحية سواء أكانت بشرية أم حيوانية أم نباتيـة فـي النـار، وانتشار الدخان المنبعث، أو تصاعد رائحتها استحسـاناً لـدى الآلهـة الـذين أعجبـتهم هـذه الرائحة)[2].

ومن تعاليم آني: "الغناء والرقص والبخور هي وجبات الإله، وتقبل العبادة هي من حقوقه[3].

8- طقس حرق الرصاص لطرد العين الحاسدة.

"بِيْدَوْروا على رصاص من الخَلَه، رصاص حديد ورصـاص انحـاس (مـن زمـان تركيـا) بيدعكوله ثلاث رصاصات المَغْرِب وبِنَشقوا إياهن".[4] بِتْجيبي رصاص في شْـغلَه فـوق راس الولد المحسود وبِتْصيري انْسَيّحي منه على نار بِتحركي وبِتقيمي حتى اتِبَيْن عين فـي الوَسـط وبنقول فلان أو فلانة صاحب هالعين".[5]

وهو إجراء عراقي يمتد إلى جذورٍ رافدانية قديمة، فكرته تقوم على إذابة قطعة من الرصـاص

---

(1) بعل إله كنعاني، انظر: الماجدي، **المعتقدات الكنعانية**، ص91.

(2) القمني، **الأسطوره والتراث**، ص78.

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص315.

(2) وافي، عبد الواحد، **من غرائب العادات والتقاليد**، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة، القاهرة، ص79 – 80.

(3) العنتيل، **الفلكلور ما هو؟**، ص 155.

(4) مقابلة شخصية، إنعام عصفور، سنجل، 47 سنة. 2007/8/3.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة سميحة، اللبن، 56 سنة. 2007/1/6.

على النار، ثم رميها على التراب، فتتشكل بطريقة ما، يقوم بعدها العراف بقراءة هـذا الشـكل واستنتاج ما يراه مناسباً" [1].

9- طقس الصيام لرد العين:

"تْجيب الوَحَدَه شريطة سودة، وشجرة نفس وشعير نبوي وأشريطة زَرْقَة وْشَبَه أتْحُطهِن في قَلاية واتْدَخِنْها، وبعدين اتحُط بين عينين الولد، وهيك وهيك (على جوانب الرأس) وبعدين اتكب عليها ميه، وفي العقب تِطْلَع الوَحَدَه اتكبها في مفرق طرق، وما تِحْكيش لا وهي رايحة ولا هي جايـه وتِطْلَع من طريق وتِرْجَع من طريق وبقدرة الله ايطيب"[1].

ويقول محمد: "كان ابني صحته مش امليحة بعد ما انولد راحت أمـي جابـت اشـريطة بيظـه وأخرى زرقه وأخرى سودا، حطتهن بين أصابع إجرها وصارت تمشي في البلـد وتمـر عـن الناس وما ترد السلام ولا تِتْكَلَم أبداً حتى لَفّتْ البلد كلها ورجعت عَ الولد -هاظا مِـشْ زمـان- والله وابني طاب من سنتين بس هالحكي[2]".

يبدو ان فكرة الصوم قديمة قِدَمَ البشرية "ولا نعلم على وجه اليقين، متى نشأت هذه الفكرة فـي المجتمعات الإنسانية، ولا نكاد نعرف شيئاً عن الأسباب الأولى التي دعت إليهـا، كمـا أن مـا وصل إلى علمنا عن النظم الدينية للأمم الغابرة لا يرشدنا إلى شريعة جاءت به، ولا يقفنا علـى أول شعب ظهر عنده الصوم، غير أنه من أقدم العبادات الإنسانية بلا شك، ومن أكثرها انتشاراً، فلم يكد يخلو منه دين من الأديان، ولم تتحرر منه شعائر شعب من شعوب العالم قديمة وحديثة، فقد جاء في مِلِلْ التوتميين والمجوس والوثنين والصابئين والماسونيين والبـوذيين والبـرهميين وعبدة الكواكب والحيوان كما جاء في شرائع اليهود والنصارى والمسلمين"[3].

"اختلفت أشكاله باختلاف الأمم وتعددت أنواعه بتعدد الظروف المحيطة به والأسـباب الداعيـة إليه، فمنه ما يكون بالكف عن الأكل والشرب والاتصال الجنسي والكلام، ومنه ما يكون بـالكف عن واحدة منها" [4].

---

(1) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص 252.

(1) مقابلة شخصية، فاطمة عبد الفتاح، عين يبرود، 63 سنة، 2007/7/29.

(2) مقابلة شخصية، محمد عصفور، سنجل، 29 سنة 2007/8/3.

(3) وافي، عبد الواحد، **من غرائب العادات والتقاليد**، ص55، 56، 58.

(4) المرجع السابق، ص56.

"ولعل الكف عن الكلام أغرب أنواع الصيام وقد كان منتشراً لدى كثير من الأمم البدائية ومنها التي يتوفى زوجها إذ كان عليها أن تَظْل مدة طويلة تبلغ عاماً أحياناً صائمة عن الكلام"[1].

"ان الكلمة الأساسية للروح المنماة[2] في هذه الفترة هي (الصمت) أو الهدوء والاستسلام، والاستقرار، والخضوع، والتواضع، والدعة، وقد يقرن الصمت بالضعف أو الفقر كهذين النصين: (إنك آمون، رب الصامتين، المستجيب لصوت الفقراء، و"آمون حامي الصامتين، ومنقذ الفقراء والمساكين). وقد كان كاهن عمون الأكبر يصر على أنه "صامت حقاً كما ينبغي"[1].

وفي القران الكريم جاء عن الصيام عن الكلام: "اني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا[2]".

أما الصوم عن الطعام فاستند عند السومريين أساساً الى تحريم نوع معين من الماكولات الحيوانية أو النباتية، لأسباب ظاهرية دينية ترتبط بأسطورة معينة، أما الأسباب العميقة فكانت اقتصادية، في محاولة للحد من استهلاك نوع من اللحوم أو النباتات وخصوصاً أيام القحط والكساد"[3].

"وفي مصر القديمة كانت طقوس التنشئة (طقوس تلقين الأسرار)، عبارة عن طقوس غامضة لتهيئة مرشحين للكهانة، وقد كان طقس الصوم أحد هذه الطقوس التي ينبغي على المرشح المرور بها كي يصبح مؤهلاً لتسلم درجة الكهنوتية، إذ كان يُرسل إلى منف أو طيبة للتدريب، وقبل إرساله يتم ختانه، ويمنع عنه اللحم والسمك والخمر، كنوع من الصيام"[4].

وعند الإغريق كانت ديانة الأسرار الأليوسية، من أقدم ديانات الإغريق، وتعود جذورها للقرن السادس عشر قبل الميلاد، تقوم على إجراء طقوس تطهير في خليج (فيرون) شمال أثينا، حيث يقومون بالاغتسال، ثم ذبح خنزير صغير، ونثر دمه على المتعبدين، ويطلب منهم الصيام لثلاثة

---

(1) وافي، عبد الواحد، **من غرائب العادات والتقاليد**، ص58.

(2) المنماة: هي النامية أي المتطورة. انظر: الماجدي، **متون سومر**، ص70

(1) فرانكفورت، **ما قبل الفلسفة**، ص135.

(2) سورة مريم، آية26.

(3) الماجدي، **الدين السومري**، ص152.

(4) الماجدي، **الدين المصري**، ص260.

أيام تكون بمثابة طقوس للتكريس والعبور"[1].

10- طقوس الاستحمام بماء التمائم والأحجبة ولبسها لرد العين (الخــرزة، الــذهب، الحجــر، الفأس، المفتاح): "لليوم بِحُطوا خرزة زرقة في رقبة الولد من العين وبِطَقْطِقْــوا[2]تِحْتَــه شَــبه وبِرقوه"[3]. "بيجيبوا خرزة كبسة وخرزة حليب وخرزة نِفِسْ وخــاتم ذهــب وبِحمموهــا هــي والمولود عليهن[1]" "بيجيبوا مفتاح باب بيفتح لشرقه وبيحطوه في الميه وبِحمموها هي والمولــود وبيحُوطوه عليهن"[2].

"فَتْحَتْلي وَحَدَه في الفنجان قالت ابنك محسود، وقالت لي (علقي على الباب الشرقي شِبْشِبْ وعَلى الباب الغربي شِبْشِبْ وحُطي مَعْهِنْ خَرَزَةَ زَرقة، والله وعَلَقتهن - من جديد قاموهن-"[3].

"كنت رايحة على عرس- وكنت أنا من المغنيات - ولما صرنا عند العين الجديدة، ما تقْولي إلا هَلْ مَلَكْ رُحماني ــ وكنت لابسة قلادةْ ذهب ــ قالي لما تْرَوْحي بدك اتروحي على مَرْتْ العبد (شمعة) وتوخذيها واتجيبي باطية ورثه، وطُنجره ورثه وفاس ورْثه وتوقدي النار واتحُطي فيها مَيّ، واتحُطي قلادة الذهب في المَيّ والفاس الورثة تحت النار بين الكرامي وْغَليتهن وحممتــها، والله وعاش ابنها وراحت الكبسة عنها"[4].

"لما الولد بِمرض كانوا ايجيبوا خرزة عين وخرزة كبسه، وسبع احجار من عند (النبي عــور)، ويحُطوهن في المَيّ وتِتْحمم الوالدة والمولود على سبع أيام" [5].

"صابتني سخونة وأنا صغيرة، راحت إمي للشيخ امجاهد وجابت شوية قش وســبع صــرارات أدعَكَتْهِنْ تِحتي، ولَبَسَتني السَبِعْ صرارات في رقبتي والله بجوز اجوزت وخَلَّفِتْ ومــا ســخنتْ أبداً"[6].

---

(1) الماجدي، **المعتقدات الإغريقية**، ص122.

(2) هو الصوت الذي يصدر عن حرق الشعير أو الشبّه والملح.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(1) مقابلة شخصية، أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

(2) مقابلة شخصية، أم سليمان، بيت عور، 82 سنة.2007/1/17.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/8/1.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة سبعية، بيت ريما، 81 سنة. 2007/8/1.

(5) المصدر السابق، 2007/8/1.

(6) مقابلة شخصية، سلوى، بيت عور، 56 سنة. 2007/1/17.

لا تزال الخرزة تستخدم بشكل كبير فلا يزال شائعاً قدرتهاعلى شفاء الأمراض وعلاج حـالات مستعصية، وكل خرزة لداء معين.

(الحمراء): يسمونها بذلة، تبرئ من داء العين و(البيضاء)" خرزة رقبة، للرقبة وللحب وطـرد الأرواح الشريرة (القولة): خرزة تحبب المرأة بزوجها.

(الينجلب): لرجوع الرجل بعد الفرار.

(الخمصة): خرزة الدخول على السلطان وللخصوبة، وتجعل تحت الخاتم، أو في زر القميص أو في حمائل السيف.

(الكحلة): لحماية الأطفال وهي خرزة سوداء.

(القُبْلَة): بيضاء توضع في عنق الفرس[1] .

أما الحُلى والعقود فهي منتشرة بشكل كبير ولكن دون إدراك لأهميتها السحرية التي كانت عنـد القدماء "وكذلك الحجر فلا يزال يوضع بشكل شاشية[2] فوق البيت، وعليها بعض العبارات مثـل تبارك الله، كما يضع المسيحيون إشارة الصليب"[3].

كما أن كثيراً من المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسـرائيلية ينحتـون الحصـى الصـغيرة فيجعلونها هدايا بشكل قلوب حب لمن ينتظرونهم خارج السجن.

ويقال في الأمثال "قلبي على ولدي وقلب ولدي على الحجر"[4]."والحيطان الها ودان".[5] "حجر على حجر يصير سلسلة"[6].

يبدو واضحاً أن كل ما استخدم سابقاً هي أنواع من التمائم والأحجبة والتعاويذ، التي هـي مـن بقايا العقيدة (الفيتيشية) "أول عقيدة مادية آمن بها الإنسان وجاءت من خلال تصور سحري للعالم والأشياء".[7]

(1) علي، ثريا، **(العروس)**، ص100.

(2) الشاشية: عامية بمعنى الحجر الذي يوضع فوق باب البيت.

(3) كنعان، **الكتابات الفلكلورية**، ص229.

(4) عباس، ابراهيم، **معجم الأمثال الشعبية**، ص 177.

(5) المرجع السابق، ص 111.

(6) المرجع السابق، ص 108.

(7) انظر: سليم، سلوى، **السحر والدين**، ص62. وانظر: الماجدي، **بخور الآلهة**، ص48

"فالعالم الفيتيشي الأول مليء بالبؤر والنقاط المقدسة التي تكمن فيها قوى كونية يكون فيها هــذا الفيتيش مركزها وهي تشمل الأشياء المقدسة كالأحجار والمعادن والنباتات، فالخرزة التي يحملها بعض الناس أو الخاتم أو القلادة أو الأيقونة التي تحمل اسماً أو كتابة كلها تمائم سحرية اختلطت مع أغراض دينية"[1].

1) الخرزة:

"يبدو أن الإنسان القديم أخذ تقليد حبات الشعير أو القمح وجمع منها خرزات من عدة مواد منها الذهب واستخدمها في تكوين ونظم حلية كالعقود والقلائد وغيرها منذ أقدم العصور" [1].

"فالخرزة عند قدماء المصريين تعود (لعين حورس)، والمعنى الدقيق للعين هو "القمــر"، وذلــك وفقاً لما ذكره النص الخاص بأسطورتها، فخلال المعركة الرهيبة التي شنها حورس على ست[2] دفاعاً عن عرش أبيه، اقتلع ذلك الإله الشرير عينه اليسرى، فقام حورس[3] ومن معه بالقاء ست في النيران، أما العين التي اقتُلعت فقد وُجدت، وقام أوزوريس[4] بعد بعثه من جديــد بإعادتهــا مكانها، عندما وضع بعضاً من لُعابه فوق الجرح الدامي، فكان أول منظر رآه حورس هو أبــوه أوزوريس، ومن هذه اللحظة أصبح من المعتقد أن حورس قد اكتسب "القمر" في عينه اليسرى و "رع" في عينه اليمنى"[5].

"إنني الكائن في عينه (أي الضوء)، ها قد حضرت وسأقدم الحقيقة لرع"[6]. وتعتبر "عين حورس" دليلاً على كل تغير مضيء، يهيمن عليه رع فهي توفر الحياة الأبدية وتحمى من كل اعتداء، لذا استحقت أن تستعمل عن جدارة كطلسم أو تميمة"[7].

لجأ العرب قديماً إلى الخرزات والأحجار والرقى والعزائم والتمائم ومن هذه الخرزات:

السلوانة: يسلو بها العاشق، شَفّافه.

---

(1) انظر: سليم، سلوى، **السحر والدين**، ص 62.

(1) علي، ثريا، **(العروس)**، ص96

(2) ست: هو رب الصحاري المصري أخو أوزوريس، انظر: تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص185.

(3) حورس: إله سماوي مصري قديم منذ بدء الخلق. انظر: المرجع السابق، ص 130.

(4) أوزوريس: إله مصري قديم. انظر: **آلهة المصريين**، ص175.

(5) انظر: تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص241.

(6) المرجع السابق، ص241.

(7) المرجع السابق، ص241.

الهنمة: لاستعطاف قلوب الرجال.

القُبْلَة: سوداء تُجعل في عنق الفرس من العين

الفطسة: خرزة تُوقع بالعدو.

الدَرْدَبيس: سوداء تُستعطف بها قلوب الرجال

القرْزحلة: من خرزات الضرائر

العقدة: تمنع الحبل.

الينجلب: هدفها الرجوع بعد الفرار.

كرار: هدفها الاستعطاف

الهمزة: خرزة الحب

الخصمة: خرزة الدخول على السلطان

الكحلة: تدفع العين عن الصبيان. (1)

2) الذهب:

"رمز الذهب منذ آلاف السنين إلى الشمس(2)، ففي العصر المعدني بعد أن فَتحت الأرض مناجمها للإنسان ورأى هذه المرة أعماق الأرض المليئة بالمعادن القوية، المتلألئة، شمل هذا ظهور عقائد سرية مدفونة باطنية ينزل إليها الإنسان في نشواته الروحية الخاصة(3)".

ويقول مؤرخ الأديان مرسيا إلياد: "فإلى جانب القداسة السماوية المنبعثة من النيازك، أصبحنا الآن بحضور القداسة الأرضية التي تتوازعها المناجم والمعادن، فالمعادن تنبت في جوف الأرض والمغاور. والمناجم مشبهة بِرَحْم الأرض الأم والمعادن المستخرجة منها هي بنوع ما، (أجنته). إنها تنمو ببطء كما لو كانت تخضع لإيقاع زمنيّ آخر، غير ما لحياة الأعضاء النباتية والحيوانية. إنها على الأقل لا تنمو، إنها تنضج في الظلمات الأرضية وإن استخراجها من جوف الأرض الأم، هو عملية مبتكرة قبل أوانها ولو تُرك لها الوقت لتنمو أي الايقاع الجيولوجي

---

(1) انظر: حسن، حسين الحاج، **الأسطورة عند العرب في الجاهلية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1988، ص39.

(2) انظر: تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص241.

(3) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص 168.

للزمن فإن المعادن ستصبح ناضجة كاملة، لقد استعمل المعدنيون (عمال المناجم) طقوس طهارة أثناء عملهم، صلوات وأعمال طقوسية"[1].

"والذهب بالمصرية القديمة يسمى "نوب" (Noub) "لحم الآلهة". كما أنه المعــدن المفضــل لدى الفنانين المصريين فقد استعملوه على حد سواء، لإبداع الأدوات التي توضع عادة في المقابر، أو لكسوة قمم المَسَلاّت والتماثيل الطقسية، ويعبر معدن الآلهة هذا عن الشمس وكل ما يتولد عــن نشاطها الفيزيائي والروحاني. كما يوحي الذهب إلى الربة حتحور التي لُقِبَت "بالذهبية"، أو "ربة الذهب". وهو كذلك من صفات الفرعون باعتباره حورس "الذهبي" أو "جبل الذهب" [1].

وهناك تعويذة (قلادة الذهب) لمساعدة الميت على التخلص من لفافات مومياته[2].

أما طقس سلسلة الذهب الذي يستخدم فيه خاتم إيزيس: " ففي يوم أداء الطقــس حيــث الخبــز النظيف والفاكهة، وبعد أن تقدم ضحية على جذوع العنب، يؤخذ خاتم إيزيس (الذي وضع فــي مَرهم في مبخرة لمدة ثلاثة أيام)، ويستخدم المرهم فتدهن نفسك بالمرهم صباحاً متجهــاً نحــو الشرق، ومردداً كلمات (رقية معينة)، ويُنحت جعران من الزمرد، ويُثْقَبُ ثم يلبس فــي سلســلة ذهبية وتنقش صورة إيزيس على قاعدته" وتقرأ الرقية التالية:

"إنني تحوت المخترع وموحد الدواء والحروف

تعال إليّ أنت أيها الراقد تحت الأرض

انهضي أيتها الروح الكبرى" [3].

كان هذا الطقس لحماية القلب في الأحياء والأموات "ومن الخواتم بالغة التعقيد خاتم توت عــنخ آمون: سطح مربع بيضاوي ذو حلقة مُلتفه حول الاصبع، من الذهب"[4] كما يرمز الخــاتم إلــى حلقة الحياة الأفعى أوروبوس، سنتطرق لهذا الموضوع عند الحديث عن خاتم الخطبة في الفصل القادم.

---

(1) إلياد، ميرسيا، **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية**، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعــة والنشــر، دمشــق، 1986، ص72.

(1) تيبو، **موسوعة الأساطير**. ص113.

(2) الماجدي، **الدين المصري**، ص267.

(3) المرجع السابق، ص266.

(4) علي، ثريا، **(العروس)**، ص98.

3) الحجر:

أما الحجارة وهي تقع في دائرة العبادة الفيتيشية ففي الأساطير السومرية والبابلية كانت الأحجار تنوح على جلجامش"[1]. وكانت الإلهة كولا (Cula) إلهة الطب عند البـــابلين وابنـــة الإلهـــين أرشيكال ونركال إلهيّ العالم الأسفل، تُحيي الموتى بلمسة من يديها، وهي ربة السموم والجـــرع الطبية، ونراها على أحجار الحدود البابلية ورمزها القلب الذي اقترن في الأساطير بإسكلابيوس ابن الإله أبولو إله ورب الطب اليوناني[1].

يحمل الحجر مقدسات عديدة لدى عدد من الشعوب، لأنه يمثل القساوة والقوة والدوام، من هنا لم يعبد الإنســـان القديم الحجر في مادته، بل بالأحـــرى لما يحمل من معانٍ وأبعاد، لذلك فعبـــادة الإنسان للحجر، تأخذ بعداً سحرياً أكثر منه دينياً[2].

وفي الملحمة السومرية نجد قصيدة (ننورتا)[3]، التي يتصارع فيها مع الوحش (كور):

"ننورتا ابن إنليل الذي أتى إلى الوجود بأشياء عظيمة عزم على رأي سديد، حيث وضع الأحجار فوق كور، ولكن كور لم يمت، تكدست فوق كور الأحجار، فصارت أشبه بجدار أمام بلاد سومر حتى احتُجزت الميـــاه العظمـــى، أما ما تبدد وفاض من المياه فقد جمعه (ننورتا) وأجـــراه في دجلة......"[4].

"وبعد انتصاره قرر الإله أن يبدي اهتمامه المباشـــر بالأحجـــار، فأعطاهـــا أســـماءها، وقـــرر مصيرها. والأحجار التي وقفت إلى جانبه أعطاها أجمل الأسماء، إذ جعلها تُتخذ مواد للتماثيـــل والهياكل الخاصة بالآلهة، في حين تصنع الجواهر من الأحجـــار الكريمـــة، التـــي اســـتعملت لأغراض الزينة، أما الأحجار التي عادته فقد جعلها لرصف الطرق[5]، لقد عرف سكان العراق القدماء مجموعة واسعة من الأحجار، وخاصة الأحجار الجميلة النادرة التي صنعوا منها الأختام

---

(1) الماجدي، **إنجيل سومر**، ص237.

(1) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص319.

(2) انظر: صدقه، **رموز وطقوس**، ص97. وانظر: ديورانت، **قصة الحضارة**، ج1 م2، ص115.

(3) ننورتا: في السومريه تعني سيد الارض، وهو الفتى الذي أبوه إنليل إله الهواء. انظـــر: الماجـــدي، **إنجيـــل ســـومر**، ص96-97.

(4) المرجع السابق، ص98.

(5) وانظر: كريمر، **أساطير العالم القديم**، ص86.

الإسطوانية، والتي كان كل فرد يحملها، ومن أمثلتها ذلك الصوان الأزرق، واللازورد، والصخر البلوري والعقيق وأحجار أخرى كثيرة".[1]

وفي الأسطورة الكنعانية نجد الحجر يهمس في المعتقدات القديمة، ففي رسالة "عليان"، بعل "إلــه الكنعانين" [1] الى عناة[2]:

"إليَّ دعي أقدامك تسابق

إليَّ دعي ارجلك تسرع

لأن عندي كلمة أخبرك بها

كلمة الشجرة وهمس الحجر"[3].

ويبقى أن نقول هنا إن عادة حمل الحجر المنقوش في مصر القديمة، الذي يكتب عليــه (اســم)، كان تميمة لمساعدته في أن ينعم حامله بحياة سعيدة، كما إن أفضل ما يوهب للمؤمن من الكنيسة "حجر أبيض مكتوب عليه اسم جديد –لا يعرفه إيّ إنسان – ليحفظ من يمتلكه"[4].

4) الفأس:

أما اســتخدام الفأس (الورِثَة) أي القديمــة، فهو إشارة إلى الفأس الأولى فأس الإله إنليل. "كــان الفأس العادي والفأس المزدوج رمز الإله إنليل وهديته لشعب سومر"[5].

"قد أسرع لفصل السماء عن الأرض،

قد أسرع لفصل الأرض عن السماء

وبعد ذلك جعل الأنسان الأول يظهر وخلق المعول

وعندما انتهى النهار قرر واجبات العمل وقرر المصير

بينما كان يثبت مقبض المعول ومقبض سلة العمل"[6].

---

(1) كونتينو، **الحياة اليومية**، ص384–385.

(1) بعل: رب الخصب والحياة. انظر: كريمر، **أساطير العالم القديم**، ص159.

(2) عناة: أخت بعل، ملكة السماء. انظر: الماجدي، **المعتقدات الكنعانية**، ص139.

(3) كريمر، **أساطير العالم القديم**، ص175.

(4) بدج، **آلهة المصريين**، ص344.

(5) انظر: الماجدي، **الدين السومري**، ص103.

(6) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص304.

"هو الذي خلق العمل وقدر مصير فأسه التي من ذهب، ورأسها من حجر اللازورد، فأسه التي أعطاها للإنسان بعد أن وضع التاج المقدس على رأسه ونظر إلى الناس ذوي الرؤوس السود وأهداهم الفأس والسلة التي تبني المدن"[1].

"كانت الفأس أداة الخلق في سومر التي تحولت لأعظم البلاد"[2] "رمز إنليل وذكورته التي خصبت الأرض فازدهرت وأينعت، وهي هنا ستقوم بنفس الدور حتى تخصب وتعطي، وهو نوع من السحر الذي يسمى السحر التشابهي "الشبيه يُنتج الشبيه"[3].

5) المفتاح:

يستخدم المفتاح (بشرط أن يكون من باب يفتح جِهَة الشرق)، في طقس أخر، وهو طقس إزاله الصداع، إذ يُلف الرأس بعصبة ويوضع المفتاح في نهاية العصبة وتشد العصبة كثيراً لمدة معينة ثم تُفك فيختفي الصداع للكبار والصغار.

مارس النياندرتاليون القدماء في فلسطين عادة الدفن باتجاه الشرق[4]، وفي مصر القديمة دُفن الموتى بشكل جثو، وباتجاه الشرق، "الأفق الشرقي مع مولد شمس رع وبعثها من جديد، وفي "المشرق" تقيم أرواح الذين بعثوا من جديد في أجواء ضياء رع كالأبرار الذين انتقاهم المسيح عند رجعته"[5].

كما يشبه شكل المفتاح رمز الحياة الأبدية عند المصريين (عنخ) طاقة الحياة، وسمي بتاح الإله الخالق، "الفتاح" أي الخلاّق.

6) طقس الوشم:

"بِطشوه أربع نقاط عَذْيال السُرّة"[6]. "لما يمْرَضْ الوَلَدْ بيقولوا "والله ناشق هَيهم بِنَقْطوا[7] عليه

(1) الماجدي، **إنجيل سومر**، ص154.

(2) المرجع السابق، ص154.

(3) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص167.

(4) السواح، **دين الإنسان**، ص126.

(5) تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص202.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة مهدية، البيرة، 86 سنة. 2007/1/25.

(7) بِنقطوا: عامية بمعنى يرسمون عليه بالإبرة الساخنة نقطاً بشكل دائرة.

بالمَسلة"[1]. بِحَمّوها عَ نار وبِنَقْطوا، وبعدين بِكُمْروه تَيعَرَق عَ داير السُرة"[2]. وتعتبر العطبة التي تحدثنا عنها سابقاً نوعاً من الوشم بشكل صليب بين عيني الطفل لرد العين.

استخدم القدماء الوشم حتى إنهم وشموا الشفاه، وسوف نتحدث عن هذا الموضوع في الفصل القادم.

7) طقس استخدام الحبوب:

"إذا كان الولد ضعيف بيقولوا مكبوس، بيجيبوا سبع فولات سُمر بيحُطوهن في المَيّ وبِصيروا ايشَمِموه إياهن، بخلوهن بعدين خمس أسابيع، وبيقولوا: "إنفشي يا فوله وصيري قد العالولة وبينصح الولد وبيصير مليح" [1].

يبدو واضحا أن هذا الطقس هو نوع من السحر التشابهي. فكلما نفشت الفولة نفش الوَلَدْ "، أي أصبح سميناً. إنه استمرار لتقاليد ذات طابع سحري متصلة بالزراعة والحاصلات الزراعية ويرجع إلى عهود كانت تُقدس فيها آلهة الزراعة"[2].

شاركت الحبوب قديماً في كثيرٍ من الطقوس السحرية منها: طقس لدغة العقرب. "نذكرُ أن الأمراض كانت من الأرواح الشريرة، يأخذ المريض سبع حبات من القمح الخالص مع بعض الأعشاب الجبلية، ويمضغ هذا كله، ويذهب الى النهر، يغطس فيه سبع مرات وفي المرة السابعة يبصق ما في فمه"[3]. كانه يبصق المرض أو الروح الشريرة. "كما أن استعمال سبع قطرات أو حبات، وربط سبع عقد أو حلها، يتضمن معنى سحرياً يعتمد في الغالب على سحر الأعداد ورموزها الإلهية أو الشيطانية"[4].

" وبدئياً تمت مقارنة أوزوريس بحبه القمح تحت الثرى، التي نبتت بعد ذلك وانبعثت في ضوء الشمس، زمراً للبعث" [5].

---

(1) المسلة: هي إبرة طويلة جداً وسميكة، لا تزال الحاجة تمام من بيت دقو تستخدمها حيث سمحت لي بمشاهدة آثارها على فخذيها.

(2) بِكُمروه: عامية بمعنى يغطونه جيداً.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(2) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص48.

(3) المرجع السابق، ص48.

(4) الماجدي، **بخورالآلهة**، ص220.

(5) المرجع السابق، ص236.

8) طقس استخدم التعاويذ أو الرقى:

هو طقس مرافق لكل الطقوس السابقة، ففي أثناء قيام الداية أو الأم أو الجدة بالطقس تقوم بتلاوة بعض الرقى، لحفظ الأم ومولودها، و تختلف الرقى قليلاً من قرية لأخرى وسوف أذكر بَعْضَ هذه الرقى التي جمعتها: "الملح والكَدَر في عين إلّي شافك وافتكر، اللهم صلي على سيدنا محمد ألف ألف ما بينقص حرف. العين العينية الخايبة الردية، لقاها سيدنا سليمان في خلة البرية، قالها يا عين، إخسِ وخساك الله عن الولد المولود إخسِ وخساك الله عن الخيل في ميدانها، عن الأجاويد في الديوان، إخسِ وخساك الله عن الجمال تَحْت الحِمال، إخسِ وخساك الله عن العرايس في المجالس، إخسِ وخساك الله عن الصبايا في الزوايا.

يا عين خاس، خساس حَطيتك ياعين في اقميقم انحاس، رميتك ياعين في البحر الغطاس، لا يبقالك يا عين مدة ولا خلاص، قالت: يا سيدي اسليمان التوبة على يد الله ويَدّك، ما آذيك ولا آذي اللي يصلي على الحبيب محمد – على ثلاث خطرات بقولها.

وبقول يا عين يا عينيه اخرجي مثل ما خرج الحصان من بُطن الفرس، رقيتك واسترقيتك من عين امك ومن عين أبوك ومن عين جميع إلّي شافوك، من عين الجار مقلوعة بنار، ومن عين الحسود مقلوعة بالعود، ومن عين الضيف مقلوعة بْسيف، ومن عين المَرَة مقلوعة بْمِجْمَرة، ومن عين البنت مقلوعة بخشت[1]، ومن عين إلّي ما يصلي على سيدنا محمد بحياة الرب المعبود اللهم صلي على سيدنا محمد، النبي أرقى واسترقى من العين الزرقا والسن الفرقا، النبي أرقى ناقته واتبع رفاقته، نامت اتْنين وأصبحت اتسير بعزايّم الرب الكريم اللهم صلي على سيدنا محمد حَوْطَّتك بالله وثانيها بالله وثالثها بالله..... وعاشرها بعشرة رسول الله. اللهم صلي على سيدنا محمد. العين علّي عانها والنار ترجع لمكانها[2] " ويرافق النطق حركات تسير بشكل دائري على جسم الطفل.

وهذه رقية عند المسيحيين تُستَعْمل فيها "صينية" دائرية الشكل يوضع فيها "بخور وملح وشبه وقشرة خميرة مقدسة أو ورد مقدس وتقوم السيدة التي تبخر، بوضع الرقية فوق رأس المريض وتحركها بشكل دائري، ثم تضع يدها فوق جسم الطفل في المكان الذي تريد أن تخرج منه

---

(1) الخُشت: نوع من السلاح. انظر: رشدي، صالح، **الأدب الشعبي**، ص174.

2) مقابلة شخصية، أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/3/2.

الروح الشريرة، عن طريق حركات اليدين مع قراءة الرقية التالية:

"مديت إيدي اليمين، احفِظْتَك لرب العالمين، أنا قلتها واتكلت والشر عنك افترق، زي ما افترق الندى عن الورق، ارقيتك من العين العينية، الخايبة الردية، نافلة[1] كباشها[2]، ومْكَشْرَة نيابهـــا، لقاها السيد سليمان عليه السلام، قالها: على مين ترمي شرك واشرارك، قالت: له على الشـــاب الودود والطفل المولود، قالها: لا إجى ولا ربِي، ولا رعرع ولا استوى، يا عين يا باس يا باس لاحُطِتك في إناء أنحاس، وارميك في بحر غواص، ما إلك على فلان أو فلانه، لا مُنجـــي، ولا خلاص، رقيتك زي ما رقى الخضر ناقته، من عين رفافتة، أولها باسم الله، وثانيهـــا باســـم الله، وثالثها باسم الله، ورابعها باسم الله، وخامسها باسم الله، وسادسها باسم الله، وســـابعها باســـم الله، وثامنها باسم الله، وتاس

+عها باسم الله، وعاشرها لا حول ولا قوة الا بالله، العذرا قاعدة على كرســيها حاملـــه عـــرق اخْضَر، نورك بين عينيه، وشرك تحت رجليه، العذرا بِتْحَرِك بَخورها تشرق عليــك نورهـــا، بغيابها وبِحْضورها، وتتمشى يا شر، من كل شر فيها، من راسها من إجريها مـــن إيـــديها مـــن عينيها، بحياة الرب القاعد على كرسيه، زولي يا عين زي ما ذابت الملحة بالعجينة، كِشْ[3] يا شر"[4].

وهذه تحويطة:

حوطتك بالله من عيني ومن عين خلق الله، من عين الحسود فيها عود، ومن عين الجار مقلوعة بنار، ومن عين البنت مقلوعة بْخُشْت، ومن عين الصبية مقلوعة بْعَشْرَوِيَه، أخرجي يا عين كما خرج الطَرِح من بُطن الفرس، اللهم صلي على سيدنا محمد ارقيتك واسترقيتك من العين الزرقا والسن الفرقا. يا عين يا عوينيه يا ساكنه البريه فـــي البريـــه لقـــاك ســـيدنا ســـليمان ضـــربك بالرصاص، طبخنا عدس، وسقّينا عدس، أخرجي يا عين مثل ما خرج المهر من بطن الفرس[5].

---

(1) نافله: عامية بمعنى غير مرتبة أو مربوطة. انظر: كناعنة، **الإنجاب الطفوله**، ص296.

(2) كباشها: عامية بمعنى شعر رأسها. انظر: المرجع السابق، ص296.

(3) كِشْ: عامية بمعنى ابتعد، أي تطرده. انظر: المرجع السابق، ص296.

(4) المرجع السابق، ص296.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة انشراح، الجديرة، 68 سنة. 2007/8/8.

"رقوة مرقية للصبية، لقيها السيد اسليمان في واسع البرية كَشفَت عن نيابها ومدلية مُخلابها، قالها يا عين وين رايحة، قالتلوه رايحة للشب الشبوب. والولد المولود، للخيل في ميدانها وللجمال في حمالها وللبقر في دراسها، وللغنم في حلابها، قالها يا عين لا باس لا باس ارتــدي عــن ولادة الناس وأن ما إرتديتي عن ولاد الناس لرميك في البحر الغطاس، وأرمي عليكي كيلو رصاص، قالتلوه خذ مني بالله وبعهد الله ما أظر ابن.... ولا آذيه حوطته باللي صب الروح فيه"[1].

وفي الطب الآشوري قديماً نجد ما يشبه ذلك، تعويذة لعلاج العين: "أيتها العين الصــافية، أيتهــا العين ذات الصفاء المضاعف يا عين البصر الصافي، أيتها المعتمة ذات العتمة المضاعفة، يــا عين البصر المعتم، أيتها العين النائمة ذات العيب، أيتها العين المؤلمة... مثل جزّار الغــنم..... مثل التين الذي يرمى، مثل النبيذ الحامض الذي يرمى... من بين الزوج نرجال بين الحدين قد صار هذا الدعاء له.... إنه دعاء إيا ومردوخ... دعاء نين احاكدو "سيدة الســحر كولا" عجلي بالشفاء الذي هو هديتك"[2].

وفي إحدى المخطوطات التي كُتبت على أوراق البردى تحت عنوان الأقســام الســحرية لــلأم والطفل، نجد:

"اختفي أيتهــا الميتة التي تعيش في الظلام... اختفي قبل أن تشرعي في فعلك الردي. فاذا جئت لتقبلي هذا الطفل فسوف أمنعك من تقبيله، وإذا أقبلت لتسكتي صراخه فسامنعك من إسكاته، وإذا حضرت لخطفه سأمنعك من اختطافه، فلقد نثرت التعاويذ ضدك مستخدمة فــي ذلــك الخــص المطعم بالثوم الذي تكرهين رائحته، واعتمدت أيضــاً على الشهد الذي يبعد الموت عن الإنسان، كما استعنت أيضاً ببكرة خيط، فاختفي أيتها اللعينة قبل أن تحققي أغراضك"[3].

9) طقس الأسبوع لحماية الولد:

"بعملــوا مولد على الأســبوع بعزموا رجال دين وبِقروا وبعملوا عقيقة ويوزعــوا عَ الـــدار والجيران صدقه لله"[4].

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة سميحة، اللبن، 56 سنة. 2007/1/6.

(2) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص 176، النص غير مكتمل من المصدر.

(3) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص97.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيرزيت، 65 سنة. 2007/1/11.

"كانوا يعملوا أسـبوع ايجيوا الملح والشعير بِحُطوه تِحت الولد وبِحرقوا شوي، بِحُطوا الولد في الصينية وهو لابس أحلى لِبسْ بْبَخروه بالشعير، وايخبوا شوي بِقولوله شعير نبوي[1] بِلْـزَم"[2]. يختلف توقيت المولد فقد يكون على الأسبوع أو الأربعين أو السنة، "بنعمل مولد (لليـوم)، لازم على السنة شعير وشبه بِحُطوها على النار وبِبخروا الولد، والشيخ بِقْرا قرآن وبقول شعر"[3]

والنبـي يـا مغنيّـين	والنبـي حـافظ وامـين
والغزالـة زارتـه	زارتـه واختارتـه
قالـت جيرنـي يـا مختـار	جيرنـي مـن لهيـب النـار
قالهـا روحـي أجرتـك	روحـي رضـعي أولادك
ارضـعوا يـا أولاد منـي	ارضـعوا مـن ذا الحليـب
فـي شـفاعات الحبيـب	والحبيـب محمـدي
فـي النعـيم مخلـدي	فـي الجنـان وفـي النعـيم
فـي الجنـان وفـي النعـيم	يـا نعـيم انعـم علينـا
يـا نعيـم انعـم علينـا	علينـا وعَ والدينـا[4]

"وقد يغني الشيخ الشعر، كشعر (أحمد شوقي في قصيدة ولد الهدى)، يعيـد فيـه قصـة مـيلاد الرسول (صلعم).

"يـا آمنـه بشـراك	سـبحان مـن أعطـاك
بفرحتـك بمحمـد	رب السـما هَنّـاك"[5].

كانت فكرة الرقى والتعاويذ شائعة لدى العديد من الثقافات البدائية القديمة، وثقافة وادي الرافدين. ففي تعويذة وجع الأسنان من الملحمة البابلية (الأنوماإليش). يبدأ النص المخصـص لشـفاء آلام

(1) شعير نبوي أو مقري: هو الشعير الذي يقرأ عليه المولد، ويكون عادة تحت الفرشة التي يجلس عليها الشيخ. انظـر: الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص227.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة سبعية، بيت ريما، 81 سنة. 2007/8/2.

(3) مقابلة شخصية، الحاج أبو مشهور، أبو شخيدم، 81 سنة.2007/7/29.

(4)مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/3/2.

(5) مقابلة شخصية، الحاج أبو مشهور، 81 سنة. 2007/2/29.

الأسنان بمقدمة تحكي شطراً من حكاية التكوين البابلية، وبدايات الأشياء، ويعود لأصول وجـــع الإسنان وكيف ظهر".

بعد أن خلق آنو السماء

وبعد أن خلقت السماء الأرض

والأرض خلفت الأنهار

والأنهار خلقت المستنقعات

والمستنقعات دودوة السوس

مضى السوس باكياً لإله الشمس

وذرف الدمع في حضرة الإله إيا قائلاً:

ماذا تعطيني لطعامي؟

ماذا تعطيني لشرابي

(فأجابه إيا): سأعطيك شجر التين الناضج

أو أعطيك شجر المشمش

(قال السوس):

بماذا يفيدني شجر التين

بماذا يفيدني المشمش؟

دعني أصعد وأتخذ لي مسكناً

بين الأسنان وعظام الفك

حيث أمتص دماء الإنسان

وأنخر فيها

عند جذور الفك

(يلي ذلك سطر موجه للطبيب المعالج)

"أدخل الإبره وامسك بقدمه (السوس)

لأنك نطقت بهذا السوس، فليسحقك إيا بجبروت يديه"

الطريقة: احضر بيرة وزيتاً وامزجهما اتلُ التعويذه ثلاث مرات وضع المزيج على الأسنان"[1]

وهناك الكثير من التعاويذ كالتعويذه التي تتلى عند النزول في ماء الفرات للحصول على الشفاء، وبدايتها هي عودة إلى حكاية التكوين[2].

"إن هذه المواقف الفكرية التي تقوم وراء هذا النوع من الطقس السحري المرافق للعلاج الطبي، تنطلق من اعتقاد الإنسان القديم بأن المرض علامة من علامات الاختلال في الطبيعة، يمكن شفاؤه عن طريق انتزاع الإنسان المريض من سياق الزمن الحالي والعودة به إلى الخلف وفي اتجاه معاكس نحو كمال البدايات. عندما لم يكن ألم وشيخوخة وعجز، وهذه العودة تجعل القوى الإلهية الخالقة حاضرة هنا الآن من أجل مد يد العون إلى المريض"[3].

"وهذا ما يجري في ثقافتنا الشعبية الإسلامية حيث تتمتع قراءة المولد النبوي بقوة الأصول. فنحن عندما نستعيد قصة ميلاد الرسول (ص)، إنما نستحضر من جديد قوى فائقة مقدسة، ونستشعر وجودها بيننا لتعيننا على الأمر الذي من أجله يُقرأ المولد، شفاءً كان أو دفعاً لبلاء أو استجلاباً للبركات"[4] وإضفاء لجو الأمان والراحة على البيت.

ويضفي وجود الحبوب كالشعير الذي يُحرق أو يُنثر،"طابعاً سحرياً يتصل بالزراعة، يرجع إلى عهود تقديس آلهه الزراعة"[5].

وهكذا نجد الحبوب (الخصب) وصينية القش (كوخ أونباشتيم)، والمَوْلِدْ النبوي (العودة للأصول)، والملح والشبه (مواد التطهير، والتعميد والخلق الجديد) عوامل مساعدة تدخل في طقوس مولد الأطفال، لتضمن بقاءهم واستمرارهم.

10) طقس حلق الشعر:

لا يزال هذا الطقسُ منتشراً بشكل لافت لأنه يجمع بين الجذور الدينية والمثيولوجية. "بيوخذوا الولدْ وبِيّقَصْقِصْوا له شَعْرَه في الصَخْرة والحرم، بِيوزنوا شَعْراتَه قَدْيش بِيجِبن، وبيفرقوا

(1) السواح، **مغامرة العقل الأولى**، ص105- 106.
(2) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص76.
(3) المرجع السابق، ص 76.
(4) المرجع السابق، ص 79.
(5) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص 47-48.

مصاري عَ باب الحرم. بِقولوا هاظا سُنّة عن النبي اللّهم صلي عليك يا نبي"[1] "بحلقوا شعره من حَدْ ما تحلق له إمه بِتروح بِتوزع حلو، بِتخبي الشعرات واتْوَزِنْهِنْ وِتْفَرِقْ مصاري"[2].

يلعب شعر الإنسان في الوسط الشعبي الفلسطيني دوراً هاماً في حياة الناس، وقد انعكس هذا على تصرفاتهم وطقوسهم، فهم يعتقدون أنه مركز قوة، وأن شعر الرأس يمكن أن يطرح صاحبه أرضاً، إذا جذبه أحدهم بقوة"[3] ويقولون في ذلك "شَعْرُه بِرْميه"[4]. كما تحرص النساء بعد عملية التمشيط على إخفاء الشعر الذي قد يَعْلَق بالمشط (في ثقب الجدار)، كي لا تقوم امرأة معادية باستخدامه في عمل سحري يضر بصاحبة الشعر باعتباره ذا صلة وثيقة بجسم صاحبه[5].

ويطلق الفلسطينيون لحاهم رمزاً للحداد[6]. كما "ان الفعل (حـ، ل، ق)، أي حَلّقْ الشعر تعني القتل أو الإماته.... والنؤاسة هي ضفيرة أو شعر متدلٍ، ومنها ربما تكون قد أتت كلمة نـاس، حيث نجد الروح والحركة والنفس"[7].

وتخبرنا الحاجة أم مشهور[8]: "بيقولوا لَلّي بِتْمَشِطْ عند غياب الشمس (هْيِيّ حرام، الشمس بتتدلى والحِبلى بتِتْفَلى)"."كانت أمي تقول: يا ريتني ما ني من مَشّاطة الليل[9] ولا دَيّـارة المِشْـهابْ عَ الجَنبين"[10] وهناك مَثَلْ آخر يقول: (مِثِلْ جَدّادة [11] شعورها بالليل)[1]: وفي الوسـط الشـعبي الفلسطيني كانت المرأة تضع في جدائلها خرزة اسمها (الشقيقة) لحمايته من التشقق"[2].

تحدثنا سـابقاً عن أعضاء جسم الإنسان التي تكمن فيها القوة المقدسة (المانا) والتي من بينهـا

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جديه، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3

(2) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(3) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص337.

(4) المرجع السابق، ص337.

(5) المرجع السابق، ص338.

(6) المرجع السابق، ص240.

(7) زيعور، علي، **العقلية الصوفية ونفسانية التصوف**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1979، ص46.

(8) مقابلة شخصية، الحاجة بديعة قندح، أبو شخيدم، 60 سنة، 2007/2/29.

(9) مشاطة الليل: هي العفريته دمه، تظهر كامراة عارية الصدر تحمل في يدها مشطاً. انظر: الماجدي، **متون سومر**، ص136.

(10) مقابلة شخصية، الحاجة سميحة، اللبن، 56 سنة. 2007/1/6.

(11) جدادة: عامية تلفظ الجيم بشكل CH في الإنجليزية والمعنى هنا مشاطه، أي التي تمشط شعرها ليلاً.

(1) مقابله شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/2/3.

(2) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص 240.

الشعر، استناداً إلى العقائد السحرية القديمة وبخاصة الفيتيشية[1]. ونذكر هنا أن (المانا) هي شيء مقدس فوق الطبيعية، وقد آمن الإسان البدائي بها للسيطرة على العالم المحيط به[2].

"وقد كان الشعر الغزير والطويل سمة رئيسية من السمات التي تمتع بها الأبطال وأنصاف الآلهة لدى الشعوب القديمة "[3]. ففي الأسطورة البابلية " خلقت إلهة الخلق رغبة منهـا فـي معانـدة جلجامش، بطلاً مناوئاً له (أنكيدوا)، وكانت قوة أنكيدوا تعادل قوة فرقة من الجيش، تسـندها قوة السماء، وكان كل جسده مغطى بالشعر، كما كان شعر رأسه غزيراً كالنساء"[4].

" أنت يا من خلقت جلجامش

أخلقي الآن نداً يعادله صَخباً في الفؤاد

غسلت يديها، وجمعت قبضة من طين رمتها في الفلاة

[...........] في البراري خلقت أنكيدوا العظيم نَسْل ننورتا [5]

يكسو الشعر جسده، وشعر رأسه كالمرأة خصلات شعره تندفع كالقمح[6]

أما عند المصريين القدماء: فقد اعتقد بقوة الشعر السحرية، "وأن مجرد القبض على شعر شخص ما، يعني الاستحواذ على كامل قواه ومقدرته. كما كان شعر الإله رع يتألق نوراً وضياءً، ومـن شعره كانت تنبثق كفاءاته النافعة الراعية:

"يكمن الأسدان في شعري

إنهما يدعماني ويسانداني من خلاله"

وعند مقتل أوزوريس، انخرطت إيزيس باكية وقصت خُصلة من شعرها، ثم حلـت تسـريحتها وجعلت شعرها يغطي وجهها، وهكذا حَمَتْ نفسها بحجابها الشخصي الطبيعي هذا، وبشكل خفي

---

(1) انظر السواح، **دين الانسان**، ص187.

(2) سليم، سلوى، **السحر والدين**، ص71.

(3) الباش، **المعتقدات الشعبية**. ص236.

(4) ديرلاين، فريدريش فون، **الحكاية الخرافية**، ترجمة نبيلة إبراهيم، دار القلم، بيروت، ط1، 1973، ص46.

(5) ننورتا: هو ننجرسو، إله القنوات والسدود، ابن إنليل رب الهواء. انظر: السواح، **جلجامش**، ص 93.

(6) المرجع السابق، ص94.

استعادت قوتها ومقدرتها وكامل حيويتها"[1].

ويذكر كتاب الخروج إلى ضوء النهار: "إن المتوفى يستعيد وَعيه بفضل تستره واحتمائه بشعره وهو بهذا يحاكي إيزيس فيما فعله، وهو يستطيع أن يسلك الطريق الصائبة، لأنــه قــد تغطــى بشعره"[2]. "وفي المثولوجيا الحثية[3]، جعلت أسطورة (كامروشيبا الربه، إلهة النار والشفاء) من المشط أداة

سحرية لتمشيط الشرور من خلال كلمات الربط والحل والتعابير الخاصــة بالســحر[4]. وهــذه تعويذة لإزالة السحر:

" ثم نصبت كامروشيبا عرشاً من الحديد ووضعت عليه مشطاً للصوف من الرصــاص مشــطاً لشاة طاهرة، ثم مدّاها وهيآها لشخص يقيم الشعائر عليها عالجا الإثني عشــر عضــواً لــذلك الشخص... وأعادا الرضيع إلى أمه "[5].

وفي المعتقدات الكنعانية وقبل ذلك في البابلية، "كان العرف يقضي أن علــى كــل عــذراء أن تضاجع غريباً في الهيكل، وبمرور الزمن ولتاكيد سيادة الذكور التي تتميز بالغيرة. خُفِفَ هــذا القربان ليقتصر على بعض النساء اللواتي لُقبن بالعشتاريات أما باقي النساء فكان عليهن تقــديم قربان بديل لعشتار. فكانت المراة التي لا ترغب بتقديم جسدها للآلهة تكتفي بقــص شــعرها"[6] ومن طقوس الحضارة الهومريه[7]، كانت أعظم هدية يستطيع الرجل أن يهديها أن يقص شــعر رأسه ويقدمه قرباناً أمام كومة الحطب التي تُحرق عليها جثة صديقه[8].

---

(1) تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص203.

(2) الصيفي، **الخروج الى النهار**، ص25.

(3) الألف الثاني قبل الميلاد.

(4) روست، **صلوات وأساطير حثية**، ص41.

(5) انظر: المرجع السابق، ص87.

(6) فريزر، جيمس: **أدونيس أو تموز**، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراســات والنشــر، ط3، 1982. ص43-44.

(7) الهومرية: حضارة يونانية 1300-1100 سنة قبل الميلاد. انظر: ديورانت، ويل، **قصة الحضارة**، ج1. م2، ترجمــة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط3، 1969، ص86.

(8) انظر: المرجع السابق، ص87. وانظر فريزر، جيمس، **الفلكلور في العهد القديم**، ج2، ترجمة د. نبيلة إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص46.

وفي الأساطير الإغريقية أن "بوزيدون" قد أكسب "دبيتريلاوس" الخلود، بأن منحه شعرة ذهبية فوق رأسه"[1].

وفي حكاية توراتية، تؤيدها حكاية أخرى هندية نجد (شمشمون) يفقد شعره فيفقد في الوقت نفسه قدرته، ولا تعني القدرة هنا مجرد القوة الجسدية، ولذلك يظهر الجن بمجرد أن يحرق الإنسان شعره"[2].

وفي الإسلام "يحرم على الحاج قص شعره، إبان مدة معينة للدلالة على أنه في تلك الفترة يحيا لله وفي كنفه، وأنه لا يملك نفسه، أي هو مُلك لله وفي حفظه، إنه في حياة مقدسة"[3].

قد يبدو واضحاً أن قص شعر الولد الصغير هو قربان يفدي هذا المخلوق في بدايات حياته، ويحميه من الخطر.

11) طقس التسنين:

"لما يُشُقين سنان الولد بَعْمَل سليقه[4]، وأنادي على الولد وأنادي على الجاج والصيصان يوكل هو واياهن. بِفْزَعِنْ اسنانه مثل ما بِفْزَعِنْ الصيصان"[5]. "لما يطْلَعْ سِنَّه من فوق، بقولوا عُمره امْسَنّدْ"[6] "لما يطْلَعْ سِنّه من تحت بقولوا عمره امْهَوِد"[7].

"بتيجي عمته بتدلك اسنانه، بيقولوا: العمة بتخلى السنان مِلّتَمه"[8]. ويقول المثل "العمه بِتْخَلي العظام مِلّتَمه، والخاله بتخلي العظام انخاله"[9]. وتقوم فكرة هذا الطقس على مبدأ السحر التشابهي فمن المعلوم أن الدجاج يتكاثر بأعداد كبيره، وأسنان الطفل ستحاكي هذه الخصوبة والكثرة التي حوله "فالشبيه ينتج الشبيه"[10]. أي "العِلَلْ المتشابهه ينتج عنها نتائج متشابهة"[11].

---

(1) بوزيدون ودبيتريلاوس: إلهان إغريقيان. انظر: **الفلكلور في العهد القديم**، ج 2، ص 10- 20

(2) ديرلاين، **الحكاية الخرافية**، ص70.

(3) زيعور، **العقلية الصوفية ونفسانية التصوف**، ص46.

(4) السليقة: هي قمح وعدس وفول.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(6) امْسَنِّد: عامية بمعنى صاعد. انظر: الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص260.

(7) امْهود: عامية بمعنى نازل، المرجع السابق، ص 260.

(8) مقابلة شخصية، الحاجة صفية عبد الفتاح، دير غسانه، 80 سنة 2007/1/25.

(9) عباس، ابراهيم، **معجم الأمثال الشعبية**، ص63.

(10) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص167.

(11) انظر: الماجدي، **بخورالآلهة**، ص30.

والسليقة هي "الحبوب" بما يتصل بها من تقاليد سحرية قديمة تحدثنا عنها سابقاً" وقد "اعتبـرت أسنان بعض الحيوانات قديماً تمائم تماماً كالحجارة والحلى المنقوشة".[1]

ونذكر هنا أن الأسنان تنتمي لتلك الأعضاء في جسم الإنسان التي تكمن فيهـا (المانـا) القـوة الكونية المقدسة التي تحدثنا عنها سابقاً[2].

12) طقس قَلعْ سِن الطفل:

"لما يقلع الولد سن بنقوله يا ستي ما تِرْمِشّ، لما الشمس تطلع بكره الصبح بترميه وبتقول:

"يا عوينه الشَمِسْ خُذي سِنْ الحمار

واعطني سِنْ غزال من سنان ولادتك الصغار

عشان يطلع السن صغير- "[3].

ويُرافق الطقس حركة من يد الطفل يَرفع فيه السِن المَقْلوع باتجاه الشمس.

يَذكر الدكتور خَزْعَل الماجدي هذا الطقس، ويُعلق عليه كما يلي: " في المحيط الهـادئ يـردد الناس هذا الدعاء عندما يقلعون أسنانهم ويَرْمونها:"أيها الفأر الكبير... أيها الفأر الصغير... هذه سني القديمة... خُذها وأعطيني بدلاً منها سناً جديدة"، ثم يلقي بالسن بعد ذلك فوق سطح البيـت المغطى بالقش، حيث تقيم الفئران في العادة جحورها في تلك الأماكن المهجورة. وليس من شك في أن السبب في توجههم بذلك إلى الفئران بالذات هو أن أسنان الفئران هي أقوى أنواع الأسنان التي يعرفها الأهالي هناك.[4]

وهو نوع من أنواع السحرالاتصالي فوجود وسيط مادي، يعمل على توحيـد الأشـياء البعيـدة وربطها ونقل الانطباعات والتأثيرات من أحدهما للآخر، كما يفعل الأثير في الفيزياء الحديثة[5].

وهنا يَنْقل الوسيط (السن) انطباعات وتأثيرات أسنان الفئران القوية للطفل الصغير[1].

---

(1) علي، ثريا، **(العروس)**، ص101.

(2) انظر: سليم، سلوى، **السحر والدين**، ص 71

(3) مقابلة شخصية، الحاجة عديلة عصفور، 52 سنة. 2007/8/3.

(4) Look: Frazer. James. **The Golden Bough**. Penguin Books. London. 1996. pp47. وانظـر الماجدي، **بخورالآلهة**، ص41-42.

(5) المرجع السابق، ص41-42.

(1) Look: Frazer. James. **The Golden Bough**. pp47.

13) طقس الخشخيشة:

يستخدم الفلسطينيون الخشخيشة لملاعبة الطفل الصغير، وهي عبارة عن أداة تصـــدر صـــوتاً، حيث تستعمل في أيامنا هذه، لأشغال الطفل ولفت انتباهه، ويبدو أن لها دوراً آخر. ومـــا تـــزال الأجراس أو الأزرار والحليات النحاسية تستخدم في لجام الدابة وسرجها، ولا سيما ما يَجُر منها العربات، حيث يمكن أن نستشف منها الغرض السحري الذي يهدف لطرد الأرواح أو الشياطين التي قد تؤثر على الدابة فتجعلها تتعثر في سيرها، فأصدار الأصوات يفزع الأرواح.[1]

ارتبطت فكرة الحديد والأصوات المعدنية منذ القدم بعقائد كانـــت تتخـــذ منهـــا وســـيلة لطـــردِ الشياطين، كدقات الأجراس والآلات الموسيقية، ولعل استخدام السَـــحَرة قـــديماً أدوات معدنيـــة مختلفة في أعمالهم وتعاويذهم يُعتبر وَسيلة وِقائية تَصونُهم من الأرواح الشريرة.[2]

وقد كان الإنسان البِدائي يستخدم التصفيق و(الخشخشة) بالصفائح لامتصاص الشيطان من جســـم المريض.[3]

وفي العقائد المصرية نَجد إيزيس وهي تحمل المُثلث أو الجنك[4] في تماثيلها، ممسكة به ومتخذه منه سلاحاً لطرد الأرواح والشياطين الضارة[5]. كذلك نجد الربـــة (نهمعـــوت) الربـــة ماعـــت (القادرة) المصرية، لها هيئة امرأة ترتدي على رأسها آلة موسيقية كالشخشيخة [6] كما اشـــتهرت الإلهة حتحور، (زوجة حورس) والتي أنجبت منه الإله الطفل (أحي) الذي يصور عادة كصـــبي يقبض على خشـــخيشة أو (شخشيخشة)، يهزها مشـــاركاً في طقوس الموسيقى الدينية التي تقام لأمه، وكان لها (الحتحورات السبعة) كحاميات للحوامل والمواليد الجديدة.[7]

---

(1) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص79-80.

(2) المرجع السابق، ص 80.

(3) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج1، م1، ص 138

(4) الجنك: آلة طرب.

(5) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص80 .

(6) بدج، **آلهة المصريين**، ص 490.

(7) الماجدي، **الدين المصري**، ص 102.

طقوس متنوعة يدخل فيها رغيف الخبز (العيش) والبيضة:

1- طقوس الزيارة الأولى للوليد:

تقول الحاجة فاطمة:[1] "لما بدها تِطْلَعْ مع الولد أول طلعة بقولوا: حطي تحت راسه بيضة أو خبزه، وإلّي بيروح عليهم ايزورهم بعطوه بيضة".

"أول مرة تِطْلَعْ الولد الناس إلّي هو جاي عليهم بعطوه عنا بيضة، الناس الملاح كرتونة بيض"[2].

"الولد إلّي بدها إمه توخده وتروح من دار لدار، عند إمها أو أختها اتقولها قبل ما تطلع حطي على صدره فَتة خبز، لأنه عيش مشان ايعيش، "العيش إلّي عاشوا منه خَلِقْ الله كُلّهِم"[3].

2- طقس المشي:

"كان الولد إذا طَوَّل تَيمشي، نقول: بدنا نقطع اشكاله عشان يمشي ايحطوا في حِجْرَه بيضه وارغيف، ويربطوا اصبْعين رِجليه الكبار بخيط، ويكون واحد (عَزّابي) [4]، مَيحْكيش ولا يفْتَح ثِمّه اسمه أحمد أو محمد يُقْطُم[5] الخيط بْسُرْعَة ويُخْطُف البيضة والرّغيف من حِجْرَه فَيْقوم الولَدَ يجري وَراه يمْشي"[6] وبْعَدِ ما يمشي الَوَلَد، تزغرد إمه وتقول:

عمي شرالي باروده والسعر غالي

عمي شرالي باروده نقش الريالي[7]

3- طقس الخوفة:

إذا خاف الولد "بيجيبوا رغيف سخن بكونوا عاجنينه مع فلفل بيجيبوه من القدس فلفل أسود، أول ما بِسْخُنْ الرغيف بِغَطوا راس الولد في شققه وبِحطوا الرغيف السخن إلّي بكون نافخ في وجهه وبخبطوه تَيطلع الهوا السُخُن فَجأة في وِجِه الولد وهيذ بتروح الخوفه[8].

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللبن، 67سنة. 2007/1/11.

(2) مقابلة شخصية، عزيزة حبيب، بيت دقو، 52سنة. 2007/8/5.

(3) مقابلة شخصية، عديلة، سنجل، 52سنة. 2007/8/3.

(4) عزابي: عامية بمعنى أعزب غير المتزوج، المنجد، ص503.

(5) يُقْطُم: عامية بمعنى يقطع

(6) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللبن، 67سنة. 2007/1/11.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنه. 2007/8/3

(8) مقابلة شخصية، الحاج تيسير الهندي، الجديرة، 69سنة. 2007/8/6.

4- **طقس الذهاب للمدرسة:**

"لما يروح الولد على المدرسة أول يوم بتوزع الأم بيضة للولاد كلهم، خاصة إذا كان وحيدها، أو البِكِر، "أكبر أولادها"[1].

يعتبر الخبز مادة مقدسة في الوسط الشعبي الفلسطيني فإذا سقط منه شيء، يلتقطونه ثم يضعونه على شفاههم ويقبلونه ثم يضعونه على جباههم في حركة مشابهة لاستخدام القران الكريم [2].

وهم يقولون عن الخبز "حاشا العيش مصْحَف الله"[3]. ليظهر أنه مقدس، ولكن ليس في مرتبة القرآن الكريم.

وقد كان الناس يكسرونه ولا يقطعونه بالسكين لاعتقادهم أن ذلك سَيُفْقِدْهُ بركته، ويقول المسيحيون "المسيح كسر ولم يقطع الخبز"[4].

وهم يعتقدون أن سبب احترام الخبز يُعزى إلى الاعتقاد بأن القمح، والذرة، والشعير، قد جاءت كلها من السماء في سبعة مناديل. "فعندما طُرد آدم من الجنة أرسَلَ الله إليه بواسطة الملك جبريل حبات القمح ملفوفة في سبعة مناديل من الحرير، وقام آدم بزرع هذه الحبوب التي اتخذت شكل حرف الالف وهو الحرف الأول من لفظ الجلاله الله [5]، وتدعم المسيحية هذا الاعتقاد[6].

ويقول المثل" "بينّا وبينَه عيشْ وْمِلِح". لِمَنْ يُؤْمَنُ غَدْرَه"[7] ويَحلفُ البعض بالقمح والخبز "وحياة العيش"[8]. ومنذ أقدم العصور وجد القُدماءُ البدائيون في صناعة الخبز سحراً حيث يشكل العجين مادة أو لحم الغلة المحصودة أو المقتولة، وهي إلهة أو إله الخصب، ولذلك فهو مقدس، وتشكل الخميرة المادة المسكونة بالأرواح، لأنها تسرع في تخمير العجين وتهيئته إضافة إلى ما تمنحه

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67سنة. 2007/8/5.

(2) انظر: الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص349.

(3) قول شائع في منطقة رام الله.

(4) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص360.

(5) المرجع السابق، ص348.

(6) المرجع السابق، ص362.

(7) كنعان، **الكتابات الفلكلورية**، ص101.

(8) الباش، **المعتقدات الشعبية**، 348

النار لهذا العجين وجعله خبزاً.[1]

كان الخبز عند القدماء مقدساً، فقد كان طعام الآلهة قبل مجيء البشر، كما جاء في الأنوماإليش:[2]

"كان البشر عندما خلقوا أول مرة

لم يعرف الأنوناكي[3] أكل الخبز،

لا ولم يعرفوا لبس الثياب

بل أكلوا النباتات بأفواههم

في تلك الأيام، وفي حجرة الخلق

بيت الآلهة خُلق "لهار"[4] و "أشنان"[5].

وكان الغذاء الأساسي للمصريين القدماء، والمادة الأساسية للقرابين التي تقدم للملوك والآلهة، وكانت تؤدى به جميع الطقوس الدينية في المعابد، وهذا ما يوضحه نص منقوش فوق تمثال أحد الكهنة "ضعوا الفطائر أمامي، حتى أتوسط لكم لدى ححتور" وبالرغم من بساطة شأن الخبز فهو يعمل بكل سهولة على إقامة علاقة بين البشر والآلهة [6].

اعتُبر الخبازون "مشكلين للعجائن" وكأنهم خلاقين مثل الفخرانيين "مشكلي الصلصال"، وهم جميعاً يضفون الفعالية والنشاط على أوزرويس لأنه كامن في القمح" من خلال أشكاله التي يبدعونها: "كلوا خبزكم، كلو أوزرويس... ها هو الإله النبتة ينمو، ها هو أوزوريس يولد من جديد"[7].

ومن خلال صفحات كتاب الخروج إلى ضوء النهار تقوم الآلهة شخصياً بتقديم خبز الحياة

---

(1) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص128.

(2) أسطورة الخلق السومرية. انظر: السواح، **مغامرة العقل الأولى**، ص 51- 55. وانظر كريمر، **أساطير العالم القديم**، ص 98 - 100.

(3) الأنوناكي، مجمع الآلهة التي في السماء والأرض. انظر: الماجدي، **إنجيل سومر**، ص 113.

(4) لهار: إله الماشية

(5) أشنان: إلهة الحبوب.

(6) تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص137.

(7) المرجع السابق، ص 137.

للمتوفى، فالآلهة فقط هي التي تملك غذاء الأبدية والخلود [1].

التحيات لك أيها الكامن في قرص الشمس (آتون)

الخارج من الأفق

أوزير المبرأ يعرفك

ويعرف أسماء بقراتك السبع

التي أعطت الخبز المقدس طعام العالم الآخر[2].

وفي الأساطير الحثية جاء:

"من يريد أن ينال رضى إله الشمس ويحوز على إعجابه، فليضع خبزاً على الصخرة الكبيرة"[3].

"وفي صلاة حثية لإلة الطقس أقيمت بسبب مرض الطاعون. لم يسلم من الموت إلا عدد قليل من الناس الذين يقدمون للأرباب الأضاحي من الخبز " [4].

وفي عيد الأفانيزم Aphanisme الكنعاني، كانت فتيات يحملن سلالاً مملوءة بالكعك، يسرن خلف الكهنة والكاهنات متشحات بملابس الحداد[5].

أما البيضة فهي بيضة الكون المقدسة في معظم الأساطير القديمة، إنها البيضة التي دَفَنَ فيها الإنسان النيادرتالي موتاه بشكل جثو باتجاه الشمس، ووضع حوله تمائم من الحجارة والقرون كي يبعث من جديد"[6]. وهي نفسها " بيضة العالم التي شكلها بتاح الفخراني وخلق منها الكون"[7] هي" نبته الحياة الطبيعية الروحانية (البيضة الأولية) التي اعتبرت أحد رموز البعث الجديد في نطاق العالم الآخر، ولذلك أطلق اسم "البيضة" على التابوت الثاني الذي ترقد بداخله

(1) تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص138.

(2) الصيفي، **كتاب الموتى**، ص326-326.

(3) روست، **صلوات وأساطير حثية**، ص73.

(4) المرجع السابق، ص78.

(5) الماجدي، **المعتقدات الكنعانية**، ص269.

(6) السواح، **دين الإنسان**، ص126.

(7) الإله بتاح: إله مصري قديم لقب بـــ (سيد الفنانين)، كانت عجلته الفخارية تدور طوال اليوم، وكان يضع عليها بيضة العالم ليصوغ من هذه البيضة الكائنات وكان يخلق الناس ثم تقدم الإلهة ححتور رمز الحياة. انظر: بدج، **آلهة المصريين**، ص611.

مومياء المتوفين"[1].

(فالبيضة هي الدليل على الحياة الجديدة لهذا يقول رع "ها أنا أخرج من البيضـــة"، ورع داخــل "بيضته الذهبية" يؤكد قائلاً "لا يستطيع أحد مطلقاً اختراق بيضتي")[2].

"يا "رع" الذي في بيضته

المنير بقرصه الذهبي"[3]

5- طقس خميس البيض:

هو طقس خميس الأموات يشارك فيه الأطفال. " للمسيحي وللمسلم بِلونوا عشـــرين، أو ثلاثـــين بيظة للولاد بينبسطوا، بيظ زهري واحمر واصفر بنسلقه وبِنْزّلَه على القبور، وبْيِجوا الولاد على الدُورْ يشْحَدوا وبيقولوا:

أعطني بيظة ولا كعكة

بظل الولد يشحد حتى يملي المخلاة، (كيس) بِنْقُلّهَا خريطة وبِروح يْفَرجي إمه"[4].

ويشتهر أهل (جلجليا) [5] بهذا الطقس وبقدرتهم على زخرفة البيض بأشكال جميلة.

وسنتطرق للحديث عن هذا الطقس في الفصول القادمة.

6- طقس الاستسقاء: للطفل الفلسطيني دور أساسي فيه:

"كنا نركب على الجَحِش (زينب الرشيد) تْحُطْ هالديك[6] في حُضْنها واتدور اتقول وبلحقوها الولاد الصغار ايعيدوا وراها:

أُطلُبْ من ربكْ يا ديك

رُشـــــــوا بــــــــاب داركُــــــــم   تَتِحْـــــــــــــرِقْ فَــــــــــــــدّانْكُم

رُشـــــــوا بــــــــاب ســـــــقيفتكُم   تَتِحْـــــــــــــرِقْ بكيـــــــــــــــرتكُم

---

(1) تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص79.

(2) المرجع السابق، ص 79.

(3) الصيفي، **كتاب الموتى**، ص 70.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(5) جلِجليّا: قرية فلسطينية تقع شمال مدينة رام الله.

(6) في العصر البابلي وجد الديك بين الحيوانات المصورة في حين أن الساسانيين أدخلوه في الصـــور الزخرفيـــة علـــى منسوجاتهم انظر: كونتينو، **الحياة اليومية**، ص92.

راحـــت إم الغيـــث اتجيـــب الرعـــود	مـــا إجـــت إلا الـــزرع طـــول البـــارود
راحـــت إم الغيـــث اتجيـــب المطـــر	مـــا إجـــت إلا الـــزرع طـــول البقـــر

وشتت الدنيا هذيك السنة "قالوا أهل سنجل للطرامسة (أهل طرمسعيا): لاقونا بدنا نْصَلّي الجِمْعَة في أبو العوف ونطلب صلاة الاستسقاء، عُقُب ما صَلوا وطِلعوا طِلعت من غَربه غْيمة هالقدي، قالوا لهم رووحوا ورْوَحوا مبلولين، كان الدعا ينقبل....!" [1]. "كُنا نْروح نِشْحَد مَطَر لما كانـــت تُمْطُر الدنيا، نوخِذ ديك وطاحونه ويجوا كل **الولاد** وايصيروا ايْفُرّوا على الدور وايقولوا:

اسقونا يا دار الشيخ والمَيّه عَليكم زيح

ويطلّعوا الناس ويُرشُقوا عليهِم المّي"[2] وتقول الحاجة أم فهد[3]: كنا نوخـــذ طاحونـــة وديـــك ويمشوا **الولاد** يقولوا ورانا:

" يوم بيوم في خطر
والشُجير إلّي انهجر
اسقونا في الإبريق
والمّي على الطريق
اسقونا في الغربال
والمّي عا باب الدار
ربِّ الغيث اغيثنا
تِسقى زَرع اهالينا
ربّ الغيث يا دايم
تسقى زرع أبو محمد
هلي عالكرم نايم
ربنا... رب المطر

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جديه، سنجل، 74سنة. 2007/8/3.
(2) مقابلة شخصية، القابلة فاطمة، اللبن، 67سنة. 2007/1/11.
(3) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة، 2007/3/2.

والسِكَة والنير انهجر

يوم اسقونا بالغربال

ريت بْنَيّكُم خَيّال

ويوم اسقونا بالمِنْهَل

ريت بينكم يُدخُل

يا ربي ليش وليش

يبست عُروق الخُرفيش

يا ربي ليش واشْمِعْنَه

يبست عروق الكِرسَنّة

يا ربي لا تواخذنا

عا كُبرت ما شايخنا

ماشايخنا في الحَارة

وشلالتهم جرارة

يَمّ الغيث غيثنا

واسقي زرع أهالينا

واشي يْطَبِلْ على الطاحونه واشي على الديك". ويغني الأولاد في دير غسانة[1]

"مَطـــــــر وِارعـــــــود والـــــــدِنيا رَشاريشــــــي

والشـــــــيخ كبيـــــــر والمُهْـــــرَة مـــــا تِمشيشـــــى

يــــا ربِ اتجـــــر الوِديـــــان تَيـــــرخَص قمـــــح اســـــليمان

يــــا ربِ مَطَـــــرْ وارعـــــود َتيـــــرخَص قمـــــح محمـــــود

ايـــــش بـــــدو قَعّـــــاك الليـــــل بِـــــدو مطـــــر بِـــــدو ســـــيل

لا حَرثـــــــة ولا دَرْســـــــه ولا عميـــــــره السِـــــــكه

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة صفية عبد الفتاح، دير غسانة، 80 سنة. 2007/1/25.

ثم يرشوا عليهم ميّ، فيقولوا عامرة.... وايروحوا".

وفي بيت عور[1]:

"يــــا ربِ تِســـــقينا الغيـــــث مـــــن بَركـــــة ســـــيدي الشـــــريف
يـــــا نَبـــــي عُـــــور بْنســـــتَرجيك رشـــــق المطـــــر يُعبـــــر فيـــــك
راحـــت إم الغيـــث اتجيـــب المطـــر مـــا إجـــت إلا زرعـــي طـــول الشـــجر
راحـــت إم الغيـــث اتجيـــب الـــزلازل مـــا إجـــت إلا زرعـــي طـــول السناســـل
راحـــت إم الغيـــث اتجيـــب الرعـــود مـــا إجـــت إلا زرعـــي طـــول العقـــود"

وفي سردا[2]:

"غـــــدايا كَرْكَـــــدْ[3] فـــــي عِبْـــــي يـــــا ربـــــي اتْبِلَـــــه يـــــا ربـــــي
غـــــدايا كَرْكَـــــدْ عَ الرمـــــى يـــــا ربـــــي اتبلـــــه يـــــا ســـــما
شـــــورَبّنا يـــــا بنـــــات خبـــــزي كَرْكَـــــدْ فـــــي عِبـــــي"

"ويـــــا ربـــــي نُقطـــــة نُقطـــــة تَنِسْـــــقي حَلِـــــق القطـــــة
ويـــــا ربـــــي هولـــــه هولـــــه تَنِسْـــــقي زرع الدولـــــة
ويـــا أهـــل الحـــي ويـــا أهـــل الحـــي عطشـــــانين اســـــقونا مَـــــيّ"[4]
"ليش بْتِطْحَنـــي فـــي الليـــل اعجيـــزي مـــن قِلّـــة المَطَـــر والسْـــيل بَنيتـــه
يـــا شـــيخ يوســـف بتســـريجيك رَشْـــقْ المَطَـــرْ يُعْبُـــر فيـــك
شـــــورَبّني، شـــــورَباكا مـــــا يـــــروح إلا غَراقـــــا"[5]

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) كرْكد: عامية بمعنى يبس وجف.

(4) كمال، فريد، ***مقتطفات من المعتقدات الشعبية في فلسطين***، **مجلة التراث والمجتمع**، جمعية إنعاش الأسـرة، البيـرة، ع5، م2، 1976/ ص90.

(5) مقابلة شخصية الحاج صقر عبد الله، أبو شخيدم، 90سنة. 2007/7/29.

"وأعتقد أن (شورَبَنّي وشورباكا) تعود إلى كَلِمَة "شوربو، التي تعني الحــرق (Shurpu) فـــي السومرية والبابلية، وهو نوعٌ من أنواع السحر الوقائي استخدم قديما"[1].

وهي في طقس الاستسقاء، دعاء جماعي للحرق الذي هو البرق وطلب مـــن الله حتـــى يُنـــزل المطر.

عُرف هذا الطقس منذ أقدم العصور، في أعماق العصر الحجري القديم (الباليوليت)، عندما كان الإنسان يرى تشابهاً بين الجزء من النهر أو التراب أو النار أو الهواء الذي يظهر فـــي المكـــان نفسه دورياً، وبذلك ظهر قانون التشابه وهو القانون الأول من قوانين السحر، وعلى ضوء ذلـــك حاول الإنسان القديم أن يُطَبِقْ هذا القانون في حَياته، فكان يَرْسُم حَيواناً يَطْعَنُـــه لكـــي يَضْـــمَن صَيّده، وكان يَرُش الماء على الأرض لينتظر سقوط المطر[2].

مما أدى الى ظهور (صِناعة المطر) وهو مصطلح انثروبولوجي حديث، يشير الى الطقوس التي كان يقوم بها ساحر القبيلة لجلب الأمطار في مواسم الجفاف، حيث يتم ذلك بتقليد صوت المطر بأدوات طقسية متنوعة استجلاباً للمطر.[3]

طقس الاكيتو:

جاء هذا الطقس من جذور نيوليتية قديمة، فقد كان أجداد السومريين يمارسون طقوساً عديدة، تم التعرف على أحدها من خلال نقش خَزَفي[4]. ذلك هو طقس الاستسقاء أو إنزال المطـــر الـــذي يُظهر صورة أربع نساء يتقابلن في مواقع، كأنهن الجهات الأربعة للكون، ويقمن بنثر شعورهن إلى هذه الجهات فيتحرك الهواء في منطقة رقصتهن. وتقوم فكرة هذا الطقس على أن الهواء إذا تحرك في هذه المنطقة من العالم، فإنه سيتحرك في العالم كله ويجلب الغيوم التي تجلـــب معهـــا المطر اعتماداً على المبدأ السحري الأول الذي هو مبدأ التشابه الذي يقول: إن التحكم في جـــزء من الظاهرة يستدعي التحكم في الظاهرة كلها. ولا يقوم هذا الطقس على عقيدة دينية معينة، بل على اعتقاد بسيط مفاده أن الإلهة الأم أو المرأة الساحرة هي التي تستيطع القيام بهـــذا الطقـــس

---

(1) انظر: الماجدي، **بخورالآلهة**، ص226.

(2) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص183.

(3) السواح، **دين الإنسان**، ص159 – 193.

(4) يعود الوعاء الخزفي الذي وجد عليه النقش إلى 2700 – 2500 ق م. انظر: الماجدي، **الدين السومري**، ص165.

دون الرجل، وهذا جزء من العقيدة النيوليتية (الإلهة الأم) التي كانت سائدة آنذاك[1]. وينتج عن حركة الساحرات الأربع شكل الصليب المعقوف (السواستيكا Swastika): الذي كان الإنسان البدائي القديم يرمز به للخصب"[2]، سمي هذا الطقس لاحقاً بالسومرية (اكيتي)، الذي هو جذر لكلمة (أكيتو)، وهو عيد رأس السنة البابلي، حيث إن أقدم صيغة لكلمة أكيتو تعود (2400 ق.م)، وهو شكل (آ ــ كي ــ تي)، العلامة (آ) تعني الماء، ومجازاً المطر، و(كي) تعني الأرض، و(تي) فعل بمعنى يقرب، فيكون معنى الكلمة كاملاً (تقريب الماء إلى الأرض) أي الاستسقاء[3].

طقس العقيقة[4]أو الذبيحة فِداء للطفل الصغير:

"إذا كانت الذبيحة نِذِر، لازم يقول: " إني أنذرت عن ابني أو ابن ابني ويْفَشّقَه عنها ثلاث مرات، والذبيحة بِيْصِرِشْ يكون فيها عيب[5].

ومن طقوس الذبح: "يقول الواحد: "بسم الله الرحمن الرحيم اللهم جعلتك فدوى عن العيال والمال"، وكانت إمي تْبِلْ اشريطة بالدم وتُنْقُش داير الباب امليح. وبعد ما يذبحوا بيوزعوا على الجيران وإذا في ناس محتاجين"[6]. وفي أبو شخيدم رأيت آثار الدم المنقوش واضحة إذ لا تزال بقع الدماء موشومة حول بوابة بيت الحاج صقر قندح في أبو شخيدم.

"لما الواحد كان يذبح اظْحِيْتَه بيربط على رقبة الذبيحة منديل وبِحنيها، وبيركب عليها، ولما يذبحها بيفشق عنها سبع مرات، ويوزعوا لحمها على الفقرا والمحتاجين ثلثين بَرّه للفقرا وثلث لأهل الدار، إلّي بِظْحي مش امليح ايذوقها أبداً بِكون حَرام عليه يوكل منها، بيجيب لحم ثاني"[7].

"كانوا يْفَشّقوا الولد عن الذبيحة مِشان اجوز إلهم، وكانوا يعصبوها بعصبة خظرا ويلَبسوها قلادة، وَشْكلَه خَظْرا"[1].

---

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص309–310.

(2) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص104.

(3) المرجع السابق، ص105.

(4) هي الشاة التي تذبح عن المولود يوم أسبوعه عِنْدَ حَلْق شعره. انظر: **المنجد**، ص 517.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77سنة. 2007/8/2.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الفتاح، عين يبرود، 63 سنة. 2007/7/29.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88سنة. 2007/3/2.

اتخذ أغلب الباحثين من مسالة القرابين[1] أحد موقفين: موقف يرى أن "القربـان فـي بدايـة أمـره اقتصر على ثمار النبات، ثم رأى الإنسان زيادة في تملق آلهته أن يذبح لها من ماشـيته، بحسبان اللحم أعلى من النبات رتبة، ولما لم يكن متيسراً له أن يحمل قربانه ليذبحه عند عروش الآلهة فقد عَمِد إلى ذبحه ثم حَرقه لتَتَصاعد مادته دُخاناً تَشُمُه الآلهة فَتهدأ نفسها، وزيـادة فـي المغالاة، وإثباتاً لخلوص ضميره لآلهته تحول نحو الدماء البشرية، ثم تحول الأمر إلى ما يشـبه النذور فكان يذبح واحداً من أبنائه غالباً ما يكون البكر.."[2]

"وموقف آخر يرى عكس ذلك تماماً، مسايرة لسنة تطور العقل البشري، الارتقائية، إذ يذهب إلى أن البداية كانت بالضحايا البشرية، عندما كان الإنسان لا يصارع بدائيته الهمجية" [3].

" ثم استبدل هذا الشكل الهمجي من الأضاحي بصور أخرى، كالتضحية ببعض أنواع الحيـوان، وأحيانـاً اكتفى بتقديم النبات كالقمح والحنطة والدقيـق الممزوج بالزيـت، وبما يصنع من هذا كالخبز والفطير"[4].

ويرى القمني "أن العقل البشري في تطوره، لم يكن خاضعـاً كبقية مظاهـر الطبيعـة للسـنن والنواميس الفيزيائية البحته، وإنما لعوامل أخرى كثيرة"[5] فربما كـان خـوف الإنسـان مـن المجاعات وخشيته من مواسم القحط جعلته يلجأ إلى التفكير في الفديات الإنسانية رغبة منه فـي تهدئة أعصاب آلهة الخصوبة التي تتسبب في وفرة الحاصلات الزراعية، فقد سادت فترة كانت تُنحر فيها الفديات البشرية"[6]. " فقتلوا أطفالهم أو أكلوهم"[1] لكن هذا لم يسر على وتيرة واحدة، فكانت مسيرة القربان أحياناً تصعد فيقتصر القربان على رمز نباتي، وأحياناً تهبط فَيبذل الإنسان

---

(1) القربان: من قرب والقرب نقيض البعد، وقرب الشيء بالضم: يقرب قرباناً، وقرباناً بالكسر: أي دنا والقربـان واحـد القرابين، والقربان: جليس الملك وخاصته، وجمعها قرابين، والقربة، جمعه قرب وقربات وهي ما يتقـرب بـه الـى الله، انظر: **لسان العرب**، 44/5 مادة قَرُبَ.

(2) القمني، **الأسطورة والتراث**، ص77.

(3) المرجع السابق، ص77.

(4) وافي، **من غرائب العادات والتقاليد**، ص79-80.

(5) القمني، **الأسطورة والتراث**، ص 78.

(6) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص 33.

(1) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج1، م1، ص 89.

دمه ودم أبنائه"[1].

فقد نجد في أقدم المراحل التاريخية من ذبحوا أباهم قرباناً فيما يزعم سيجموند فرويد[2]، وبعدها نجد منذ حوالي خمسة الآف عام فقط تلك الترتيلة التي أوردها (ديورانت)[3]. تقول: "الضان فداء للحم الآدميين، به افتدى الإنسان حياته"، وبعدها بحوالي ثلاثة الآف عام، نجد (عبد المطلب بن هاشم) ينذر ابنه (عبد الله) ليقدم قرباناً[4]، "فقد روي أنه لما لقي العنت عند حفره لزمزم، إذ لم يكن معه من يساعده غير ابنه الحارث نذر لئن ولد له عشرة بنين، وبلغوا معه حتى يمنعوه ويغنوه عن معونة الناس، لينحرن أحدهم، ويقدمه أضحية للآلهة فلما بلغ عددهم عشرة وتوافرت فيهم شروط النذر أخبرهم بنذره ودعاهم للوفاء به، فأطاعوه"[5].

يقول الدكتور الماجدي: نحن لا نملك دليلاً تاريخياً دقيقاً يحدد ظهور فكرة الأضاحي لكننا نرجح أن هذا الطقس ظهر مع دين البالوليت[6] وربما كان الدافع الاقتصادي واحداً من أسباب ظهور هذا الطقس، إذ أن خوف الإنسان من المجاعات جعله يُضحي بأبنائه بصورة طقسية دينية"[7]، وقد تزايد الإقبال على تقديم الفديات تبعاً لنقصان القوت حتى بلغت في قسوتها ومظهرها الدموي حداً عظيماً، عندما بدأت المجتمعات تعتمد في مأكلها على النبات بصفة مستمرة، ولضمان وفرة المحاصيل استبدلت الفديات البشرية بالفديات الحيوانية" "وهكذا تحول التقليد من قرابين بسيطة إلى ما يشبه المذابح تسفك عليها دماء البشر، كما اقتضى تعطش الآلهة الزراعية إلى مزيد من الدماء، إلى سفك عدد أكبر من الفديات البشرية" وكانت القرابين تقدم للآلهة بطرق مختلفة منها إغراق الضحية في الأنهار المقدسة (عندما كانت تزف العذارى اليها في مواسم الفيضانات). أو ذبحها أو حرقها لإرضاء آلهة الزراعة، وكذلك كان ينظر لمواسم الحصاد كما لو كانت تنحر فيها آلهة الزراعة، تستشهد في سبيل إنقاذ البشرية من المجاعة، فيقتات الناس من أجسادها.

---

(1) القمني، **الأسطورة والتراث**، ص 78.

(2) فرويد، سيجموند، **موسى والتوحيد**، ترجمة جورج طرابيش، دار الطليعة، بيروت، ط3، 1979، ص 180 –181.

(3) ديورانت، ول، **قصة الحضارة**، ج2،م1، الإدارة الثقافية في الجامعة العربية، القاهرة، ط3، 1961، ص 26.

(4) القمني، **الأسطورة والتراث**، ص 79.

(5) المرجع السابق، ص 80.

(6) البالوليت: العصر الحجري القديم.

(7) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص80–81.

وكما كانت تقام حول الفريسة في العصر الحجري القديم منادب تنتهي بـــولائم، فكـــذلك الحـــال بالنسبة إلى مناسبات الحصاد إذ كانت هي الأخرى بمثابة منادب يردد فيها المزارعـــون أغـــاني ذات صبغة حزينة فتتحول الحقول في أثناء جمع المحاصيل إلى ما يشبه الجنائز. يتظاهر الناس فيها بالحزن، لاضطرارهم إلى قتل آلهتهم أو أرواح النباتات"[1].

ونَســـتطيع القول: "إن هذه الشعيرة وجدت في أبسط مظاهر التدين وأكثرها اضـــطراباً. وهـــي قديمة جداً، ولا أدل على ذلك، أننا نجدها تمارس عند السومريين والبابليين والفراعنـــة وكافـــة الأمم القديمة كما نجدها في جميع أسفار العهد القديم، وفي القرآن الكريم"[2].

ففي الأساطير السومرية ظهرت فكرة العنف والمقدس، القربـــان الأول، عنـــدما يصـــار إلـــى التضحية بـــ (لمكا)[3] الآلهة المذبوحة التي خلق من دمها الإنسان"[4].

"جلست الآلهة آنو، وإنليل، وأتو، وإنكي بعد أن وضعت الآلهة قواعد السماء والأرض وبعـــد أن نظمت الجداول والقنوات، وثبتت شواطئ دجلة والفرات. عندما قال إنليل لهم: ماذا تريـــدون أن نعمل الآن ؟ ماذا تريدون أن نخلق الآن أيتها الأنوناكي، الآلهة العظيمة؟ أجـــابوا ســـوية عـــن سؤال الإله إنليل: نريد أن نذبح آلهة لمكا، حتى تتسبب دماؤهم في ظهور البشرية"[5].

وفي الاحتفالات السومرية الدينية يؤكد ديورانت "أن الكهنة كانوا يَضربون أنفسهم حتـــى تلطـــخ دماؤهم المذابح، وبعضهم كان يفتدي ذاته بإخصاء نفسه بنفسه"[6]. "وقـــد تراوحـــت أضـــاحيهم الطقسية بين أضاحٍ نباتية وحيوانية. أما فكرة الأضاحي البشرية (فقد اكتشفت في أور في منطقة المقابر الواقعة جنوب العراق، زقورة الإله (ننا) مجموعة من المقابر الملكية)، حيث وجد فيهـــا ممرات مائلة وهي مغطاة بحصران، وهناك هياكل بشرية يتراوح عددها بين (74–3) شخصاً، يعتقد انها حاشية الملك التي كانت تدفن معه لتضمن له طقوساً احتفالية بعد الموت"[1].

---

(1) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص32–33. والمنادب: جمع المنْدَب، نَدْب الميت، نَدَبَ الميت: أي بكاه. انظر: **المنجد**، ص798.

(2) وافي، عبد الواحد، **من غرائب العادات والتقاليد**، ص81.

(3) المكا: آلهة العمل عند السومريين. انظر: الماجدي، **الدين السومري**، ص118.

(4) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص306.

(5) المرجع السابق، ص306–307.

(6) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج2 م1، ص315.

(1) القمني، **الأسطورة والتراث**، ص81.

كما تظهر (مسلة العقبان) التي وجدت 2400 ق.م عملية قتل الأسرى التي كانت تحدث بعد الحروب في طقس قتل جماعي لا يُستثنى منه الأطفال، ولم تكن هذه العملية انتقاماً بقدر ما كانت نذوراً وأفعالاً سحرية لتدنيس الإنسان.[1]

أما الأضاحي فكانت تقدم بكثرة إلى المعابد لإطعام الآلهة والكهنة منها النباتية كالفاكهة، الحيوانية التي كانت تتألف من الثيران والماشية والماعز والغزلان والأسماك والخنازير وأنواع الطيور، ويمكننا عقد صلة بين القرانين الحيوانية والرمز الحيواني للإله، فالإله إنليل كان يقدم له الثور لأن رمزه هو الثور[2].

وفي الأساطير البابلية كانت التضحية بالإله (كينغو) وهو إله شرير أو معاقب خُلط دمه بالطين لِخَلق الإنسان:

"قيدوه ووضعوه أمام إيا

فقطعوا شرايين دمائه

ومن دمائه جرى خَلقْ البشر" [3].

كما انتشر هذا النظام عند المصريين القدماء، "فكانت ثَمَّ ضحايا بشرية تقدم لآلهة النبات ليجود محصول الأرض، وجرت العادة أن تُحرق الضحايا ويُنثر رُفاتها في الحقول، وأن تُختار من بين الرجال الصفر الشعور، تفاؤلاً بهذا اللون الذي يحاكي لون النبات في مراحل نضجه وقرب حصاده"[4]. وكان بعضها يقدم للإله أوزوريس وبعضها لأرواح الموتى لخدمتهم في قبورهم، وقد تُختار هذه الأخيرة من بين رقيق الميت وحشمه، كما كانوا يقدمون للنيل الذي كان أكبر آلهتهم، بنتاً عذراء يُقذف بها فيه، وكانت تُختار من بين أسرات الأشراف حتى يتناسب مقامها مع مقام الإله المقدمة إليه، وقد ترك هذا التقليد رواسب فيما يسمونه عروس النيل، وهي تمثال يقذف له في النيل إبان فيضانه رمزاً للأضحية.[1]

وعند الكنعانين كانت هناك دبيحة الأبكار حيث كان الأطفال الرضع والأولاد يقدمون ضحية

---

(1) دياكونوف، **تاريخ الشرق القديم**، ص243.

(2) الماجدي، **متون سومر**، ص220–221.

(3) الماجدي، **بخورالآلهة**، ص329.

(4) وافي، عبد الواحد، **من غرائب العادات والتقاليد**، ص81.

(1) الماجدي، **بخورالآلهة**، ص81 – 82.

ثمينة للآلهة وخصوصاً (بعل آمون)، وكذلك كانت تقدم الذبائح الحيوانيـة التـي توضـع مـع الميت.[1]

وعند الإغريق "كان نظام إهراق الدم من عضو من أعضاء الضحية دون القضاء عليها، قد اتبع في كثير من معابد القدماء وبخاصة الإلهة أرتميس[2] "[3]. وفي عيد أثينا الأكبر كانت الطقـوس تقتضي إرسال القرابين في اليوم السادس منه تمهيداً للقربان المهرجـاني العظـيم وقـد كانـت القرابين من الماشية البيضاء، والأغنام ذات الفراء الفضية حيث يختتم العيد بالذهاب إلى معبـد أرخيثون، لإهداء الآلهة تماثيل الخشب وذبح القرابين لها"[4].

كما سار هذا النهج عند الرومان قبل الميلاد. ففي عام93 ق.م أصدر مجلس الشـيوخ الروماني مرسوماً يحرم تقديم الضحايا من الأدميين، لكن هذا التقليد ظل مستمراً.

وفي آيات العهد القديم ما يدل على هذا النظام، فقد ورد في هذه الأسفار، أن فرعون لم يسـمح لبني إسرائيل بالخروج من مصر، فأنزل الله نقمته على المصريين، فكان يهلك أول ذكـر لكـل أبويين من الآدميين، وأول مولود أنثى من الحيوان في سائر بلاد مصر. ثم خفف الله عنهم، بأن شرع لهم الفداء بِذبيحة من الضأن[5]. وفي قصة التكوين التوراتية: "نجد قابيل يكتفي في قربانه بأبكار آلهته وأثمارها، أما هابيل فقد قدم أبكار غنمه، " فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكنه إلى قايين ــ قابيل إسلامياً ــ لم ينظر "[6].

يبدو أن الخروف قد ظل قرباناً مفضلاً، ففي قصة إبراهيم عليه السلام نجد النص التالي "وحدث أن الله امتحن إبراهيم فقال:.. يا إبراهيم... خذ وحيدك الذي تحبه إسحق.. واذهب به إلى أرض المريا، واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك... فأخذ إبراهيم حطـب المحرقـة ووضعه على إسحق ابنه... واخذ بيده النار والسكين... ثم مد إبراهيم وأخذ بيده النار... ثم مـد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه. فناداه ملاك الرب من السماء وقال: لا تمد يدك إلى الغـلام

---

(1) الماجدي، **المعتقدات الكنعانية**، ص261.
(2) أرتميس: إلهة الصيد. انظر: المرجع السابق، ص308.
(3) وافي، عبد الواحد، **من غرائب العادات والتقاليد**، ص81.
(4) الماجدي، **المعتقدات الإغريقية**، ص346-347.
(5) المرجع السابق، ص83.
(6) **الكتاب المقدس**، سفر التكوين، الإصحاح (4).

ولا تفعل له شيئاً، لأني الآن علمت أنك خائف من الله، فلم تمسك ابنك وحيدك عني، فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا بكبش وراءه"[1].

وفي الجاهلية ساد عند عشائر العرب وأد البنات، وبخاصة بعض عشائر قريش وربيعة وكندة وطيئ وتميم. وكانت الطريقة السائدة حفر حفرة عميقة بجانب الموضع الذي تلد فيه الأم فإذا كانت أنثى دفنت حية عقب ولادتها[2]. وقد بقي هذا النظام حتى جاء في القرآن الكريم "ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم وإياهم"[3]. ولا يزال الناس يوفون بالنذور ويذبحون الأضاحي فدو أو فداء ويوزعون الحلويات بعد الوفاة، وفي أيام معينة كخميس البيض [4]. تماماً كما في طقس الفوهو (البديل) "ويستند هذا الطقس إلى أساسيين الأول: مثيولوجي (أسطوري) يستحضر أسطورة دموزي (إله الخصب). حيث يُنقل الشر أو المرض من المصاب إلى بديل (دمية أو حيوان). والثاني: سحري يستحضر مبدأيّ، السحر (الاتصالي أو التشابهي). وإذا كان البديل دمية يبقي الكاهن الدمية المصنوعة من الخشب أو الشمع ليلة كاملة مع المريض. وفي وإذا كان البديل حيواناً كالجدي، فإنه يبقى أيضاً في فراش المريض ومعه، وبنفس السكين يذبح البديل الحيواني أو تنحر رقبة الدمية، ثم يلبسونها من ثياب المريض ويدفنونها بقدسية. وبذلك ينتقل المرض أو الشرّ إلى الحيوان أو الدمية"[5]. وقد عرف هذا الطقس منذ أقدم العصور. فقد مارسه السومريون والبابليون والآشوريون... وغيرهم ولا يزال يمارس حتى اليوم.

طقس الختان (الطهور):

تقول الحاجة مهدية صرصور[1] من البيرة: "توفيق إجَه على شَهْوَه، سافرأبوه ولما رِجِع كان كبير، وكانوا بدهم ايطهروه، جابوا شكة ذهب، وخَيَّطولَه على طربوشه - كانوا طرابيش من زمان يلبسوا - خيطوا على كتفه من الجهتين وركبوه على الفرس يومها". "كنا نْلَبْسَه دشداشة

---

(1) **الكتاب المقدس**، سفر التكوين، الإصحاح (22). وهي قصة سيدنا إبراهيم وابنُه إسماعيل عليهما السلام في القرآن الكريم.

(2) القمني، **الأسطورة والتراث**، ص90.

(3) سورة الإسراء، آية 31.

(4) وافي، عبد الواحد، **من غرائب العادات والتقاليد**، ص80-79.

(5) الماجدي، **الدين السومري**، ص154. وانظر: الماجدي، **إنجيل بابل**، ص188.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مهدية صرصور، البيرة، 86 سنة. 2007/7/25.

بيظه وبيجي المطهر وايطهره، وكنا نْلَبْسَه أحلى أواعي وانْحُطَه على فرس وايّغنولـه وانَـوزِعْ حلو ومْلَبَس[1].

والختان: هو الذبح الأصغر للعضو التناسلي، وهو طهور بالدم، لذلك فإن الرجل لا يعتبر طاهراً في الأوساط الإسلامية، إلا إذا أجريت عملية الختان ويسمى أيضاً (الطهور) بمعنى التطهير[2].

وقديماً كان يتم ختان الطفل وهو في سن متأخرة، وغالباً ما يكون عُمره فوق العاشرة، أما حديثاً فإن الختان يتم في الأغلب في السنة الأولى ولا يتعدى السنة الخامسة"[3].

"يُطهر اليهود أولادهم في اليوم السابع، بينما يطهر المسلمون أولادهم غالباً بـين سـن الثالثـة والعاشرة ويُعَتبَرُ الطهور حدثاً مهماً في الأسرة الفلسطينية"[4]. ويرافق هذه الطقس أغان كثيـرة منها:

"يـا خـالتي يخـت إمـي خبينـي تحـت اسـوارة   إنْ إجا المطهر ايّسايل قـولي عنـي فـي الحـارة

يـا عمتـي يَخُـتْ آبويـه خَبينـي تِحـتْ الشَـكْه   إن إجا المطهر ايّسايل قولي امْطَـوِل فـي الدَبكـة

يَمطـاهِر الصَـبْيان ويـا مْحَمَـدْ عَلـي   يمطـاهِر الصَـبْيان ويـا مْحَمَـدْ عَلـي

وطـاهِرلي مْحَمْـد مَحَابّـه للنبـي   وطـاهِرلي مْحَمْـد مَحَابّـه للنبـي

طَهْـرَه يَمْطَهِـر بـالموس الرفيـع   وعَمَهْلَـكْ عالمـدلل تمنـه ايطيـع

طَهْـرَه يَمْطَهِـر و سَـمي عليـه   وعَمَهْلَـكْ يَمْطَهِـر تييجـوا ليـه[1]

طَهْـرَه يَمْطَهِـر بـالموس الفِظَـة   هـالبيبي المـدلل عَمَهْلَـه تَيرظـى

طَهْـرَه يَمْطَهِـر وناولَـه لَمـهَ   ودَمِعْتَـه هالغاليـة سَـقْطَتْ علـى كِمـه

طَهْـرَه يَمْطَهِـر ناولَـه لابـو   ويـا دَمِعْتَـه الغاليـة سَـقْطَتْ علـى سـاقو

طَهْـرَه يَمْطَهِـر و سَـمي عليـه   وهـالبيبي المـدلل ميـتْ اسـم الله عليـه

بِـالله عَليـك يـا شَـلَبي لا توجعـا واتْهِمـا   مـا جـاك الا متغـادي قُـرص العَسـل عَ ثِمَـه

بِـالله عَليـك يـا شَـلَبي لا توجعـا واتْهِمـا   ما جـاك الا متغـادي قُـرص العَسـل عَ ارغيفـه

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71سنة. 2007/8/7.

(2) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص132.

(3) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص88-89.

(4) كنعان، **الكتابات الفلكلورية**، ص73.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة ربيحة، دير دبوان، 54 سنة. 2007/8/16.

وَسْطِيّ البلد في دار، فيها طهور وغاني ... يَلّله طَهْرُوا مَحَمَد يا عَزّي ويا دالالي

وَسْطِيّ البَلَد في دار، فيها طهور وْكيفيّة ... يَلله طَهوروا مَحَمَد يا عِزّي ويا عَينَيّه

شمعةْ اطهور الصبيان لا عَلقها عَ الرَّفه ... تِيجي يا عَمْتَه اتغني والَبسها هالفضة

شمعة اطهور الصبيان لاعلقها باب الدار ... ييجي يا خَلْتَه اتغني والَبسها هاظا الشال[1]

"طَهْرَه يَمْطَهِر وناولَه لَمّهَ ... يا خيط الدرسي عَذيال كمه

طَهْرَه يَمْطَهِر وناولَه لابوه ... يا خيط المراسم عَذيال جيبه

يا بويا خبيني، خبيني تحت اسواره ... وان سايَلَكْ قول عني في الحَارة

يا عمتي يا اخت ابويا خبيني تَحْتْ الصفة ... من سايلك المطهر قولي عني في الزفه"[2]

شمعة الصبيان لأظويها بَاديّا ... وَنْدَه واقول يحبابي يا حسن طَلّبْ الغيَّه

شمعة اطهور الصبيان لأظويها عَ الحيطان ... وَنْدَه واقول يحبابي يا حسن سَيد العِرسان

لَظْوي الشَمِع واعَلّقَهَ في بيتي ... يَطول عميرك يا سند لخيتك

لَظْوي الشَمِع واعَلّقَهَ عَ لَحْمَكْ ... يَطول عميرك يا سَنَد لاوِمَك

لَظْوي الشَمع واعَلّقَهَ عَ كمامك ... يَطول عميرك يا سَنَد لعمامك[3]

لَظْوي الشَمع واعَلّقه في دَية ... يَطول عميرك يا سَنَدْ لَلخَيّه

طَهْرَه يَمطاهِر عَ سطوح الصَخْره ... أو ميمْتَه فَرحانه وْقِلِبْهَا برظا

طَهْرَه يَمطاهِر بين الحرمين ... أو ميمْتَه فَرحانه وْعماته بِستنين

طَهْرَه يَمطاهِر تَيجين عماتا ... وايجيبن الذهب واللولو ويقطبن عَ جبياته

"طَهْرَه يَمطاهر تَيجين خواته ... وايجيبن الذهب واللولو ايقطبن عَ جبياته

طهره يَمطاهِر عَ العراق البيظ ... وكِنْ قالت العَادِوة يا حيرتي يا غُلْبي

طَهْرَه يَمطاهِر في خلق عَباته ... جبنا الذهب واللولو وقطبنا عَ جبياته

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة ربيحة، دير دبوان، 54 سنة. 2007/8/16.

(2) مقابلة شخصية، الحاج صقر، أبو شخيدم، 90 سنة. 2007/7/29.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة صفية أم وجيه، عين قينيا، 84سنة. 2007/1/13.

طَهْرَه يَمطاهِر في خليقه البالي   جبنا الذهب واللولو تَنْقطب عَ الغالي"[1]

طهرولي مْحَمَد على القشْ المبلول   وفَصِله يا بيه بدلة الطهور

وطهرولي مْحَمَد على القش الناشف   وجبيله يا بَيّه بَدلةَ الكاشِف"[2]

" طول الليل واحنا انغني وانفرِّق حِلِوْ:

" طَهْرَه يَمطاهِر تيجِتْ فَيّ التين   ويَدموع المدلل امْعَلَقه إبَّرْسيم

طَهْرَه يَمطاهِر على الداراجات   ويَدموع المَدلل بَلّلَت القمحات

عَبَر عَلَيّ الشَلَبي وَانا بَغربِلْ قَمْحي   واصبُر عليّ يا شَلَبي تَعَدِدْ انا رُمْحي

عَبَر عَلَيّ الشَلَبي وَنا بَغَرْبِل عَدسي   واصبُر عليّ شلَبي تَعَدِدْ انا فَرَسي"[3]

يَمْطَهِر الصبيان في العلية   لتيجي عابو شوشه مَرْخِيّة

عَبَر الشَلَبي في عَدِتَه ومْواسه   وحلف الشَلَبي ما يطلع إلا بْشاشه

عَبَر الشَلَبي في عَدة الشَلَبيّه   حَلَفْ الشَلَبي ما يَطْلَع إلا بْمِيَّه

"نذرن عليّ إن طَهْرتي يا خيتي   لَظْوي الشَمِع واعَلّقَهَ في بيتي

نذرن عليّ إن طَهَرْتِي يا جاره   لَظْوي الشَمِع واعَلّقَه في الحَاره"[1]

الختان الطهور قديماً (الشامانية)

يكاد طقس الطهور يشبه طقوس الشامانية القديمة جداً، التي "تعود إلى الدين البالوليتي في مختلف مراحله، حيث تجلت صورة المقدس في انتقالات متساوقة من النار إلى الحيوان إلى شعائر الدفن وشعائر الفن الكهوفي ونحت الدمى الأنثوية، ففي هذا العصر ظهر الشامان، الساحر ذو القوة الخارقة ولم يكن كاذباً أو مشعوذاً بل كان يملك قدرات حقيقية في التأثير. وقد لعب الشامان دوراً أساسياً في طقوس التنشئة أو طقوس العبور وشعائره"[2].

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69سنة. 2007/7/27

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جديه، سنجل، 74سنة. 2007/8/3.

(2) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص 50 – 51.

الشامانية (Shamansim) عقيدة طقوسية تتمظهر فيها أشكال الـديانات السـحرية (الفيتيشـية، والأرواحية، والطوطمية)، حيث يخضع الصبيان الذين يصلون إلى عتبة الشباب إلـى طقـوس وشعائر قاسية يقومُ بها الشامان ويشرفون عليها[1]. "فينتزعون الفتى من بيت أمه ويعزلونه فـي كوخ خارج القرية، حيث يخضع لأنواع من التابو (التحريم)، ويؤدون حوله بين الحين والآخـر طقوساً خاصة تساعده على الولادة من جديد، وتسمى هذه الطقوس، طقوس التعدية".[2] ويـذكر ديورانت "أن البدائيين القدماء كانوا يستخدمون ما يسمى بالسحر التمثيلـي لزيـادة خصوبـة الأرض، فقد كانوا يشوون الأعضاء التناسلية للرجل إذا مـات فـي عنفوانـه، ثـم يطحنوهـا ويسحقوها رماداً يذر فوق الحقول" [3].

ويرى سيجموند فرويد "أن عادة الختان المستمرة حتى اليوم، إن هـي إلا بـديل رمـزي عـن الخصيِّ الذي كان الأب كُليّ القدرة يعاقب بها أبناءه فيما غَبَرَ من الزمن"[4].

فقد عاش البشر في أول عصورهم ــ كما يرى"فرويد" ــ على هيئة عشـائر، ورَزَحَـتْ كـل عشيرة تحت نير سلطة طاغية لأب ذكر (في المجتمع الرعـوي)، وكـان هـذا الأب القاسـي المرعب، أنانياً فظاً غَليظ القلب، يقتل أبناءه، و يرضى خصيْ الابن أوقطع ذكره من أصـوله، وذات يوم تضافر الأبناء، وأعلنوا عصيانهم فقتلوه وافترسوه سوياً"[1].

أما "القمني"، فيذكر:" إن عادة الختان هذه، أصلها القرابين البشرية التي غالباً مـا كانـت مـن الأطفال" [2].

وفي الاحتفالات السومرية الدينية، كان الكهنة يضربون أنفسهم حتى تلطخ دماؤهم المذابح، وكان بعضهم يَفتدي ذاته بإخصاء نفسه بنفسه.[3]

---

(1) انظر: الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص 50 – 51.

(2) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص68. وانظر: السواح، **دين الإنسان**، ص181.

(3) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج1 م1، ص111.

(4) سيجموند فرويد، **موسى والتوحيد**، ص315.

(1) المرجع السابق، ص180.

(2) القمني، **الأسطورة والتراث**، ص80.

(3) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج2 م2، ص315.

وكانت عادة الختان عند المصريين عامة، حيث اعتبروها من عوامل نظافة البدن، وقد سبقت الديانة المصرية غيرها كاليهودية في اعتبار الختان طقساً دينياً [1].

كانت عملية الختان تجري للأولاد بين سن السادسة والثانية عشرة من أعمارهم في المعابد، ومع ذلك لم تكن فَرضاً على الشعب. وقد وجدت بعض النقوش على المعابد الخاصة بولادة الأمراء وطفولتهم دليلاً على هذه العملية، كما وُجد نقش على جدران مقبرة (غنخ ماحور) في عصر الأسرة السادسة[2] في سقارة، وهذا النقش مكون من جزأين، ففي الجزء الأيمن نرى الجَرّاح وقد ذكرت قبالته عبارة "الكاهن المختن" وقد أمسك بآلة مستطيلة بيده اليمنى في وضع عمودي على العضو التناسلي، وفي اتجاه طول الجسم وهو يقول: "إن هذا يجعله مقبولاً للكحت". أما الجزء الأيسر فيظهر فيه الجراح ممسكاً بآلة أو شيء بيضاوي الشكل يلمس به العضو التناسلي الذي يشده بيده اليسرى، وفي هذا الجزء تدل ملامح المريض على شعوره بالألم. وهناك مساعد له، ونقرأ قول الطبيب (امسكه كي لا يقع). وهناك نقش لعملية الختان في الكرنك يظهر فيه الجراح وهو يضع الآلة القاطعة على العضو التناسلي"[1].

ومن الأساطير الإغريقية نذكر أسطورة (جيا) الأرض التي دب الشقاق بينها وبين زوجها أورانوس[2]، "فمضت تؤلب أبناءها على أبيهم، وتستنهض عزيمتهم على التخلص منه، غير أن نداءها لم يجد استجابة إلا عند ابنها كورونوس[3] أكثر إخوته شجاعة، وأشدهم عزيمة، فَتَسَلَّحَ كرونوس بالمنجل الكبير الذي قدمته له أمه، واختبأ في مكان أمين، حتى إذا أقبل أورانوس لمضاجعة أمه، باغته ابنه كرونوس بطعنة منجل، جَبَّ بها مذاكيره وأسال دماءه. ثم طرح بأعضائه المبتورة إلى البحر، فانبثقت منها ومن الزَبَدِ الذي أحدثه سقوطها (أفروديتي) فينوس، (ربة الجمال)"[4]. وقد حاول الرومان المسيحيون تحريم الختان، ولكنهم لم ينجحوا.[5]

---

(1) الماجدي، **الدين المصري**، ص234. وهذا في الإسلام وهو من الفطرة.

(2) الأسرة السادسة. 2420–2230 ق.م.

(1) غربال، **تاريخ الحضارة المصرية**. ص533–535. وانظر: غليونجي، **الطب عند القدماء المصريين**، ص144–147.

(3) عكاشة، **الإغريق بين الأسطورة والإبداع**، ص37

(3) أورانوس: إله السماء عند الإغريق. انظر: المرجع السابق، ص37.

(4) كورونوس: سيد العالم عند الإغريق، المرجع السابق، ص36.

(5) غليونجي، **الطب عند قدماء المصريين**، ص147.

طقوس تصاحب عملية الختان:

"أحيـــان بِتِنْذِر الإِم "إذا عاش إلا أزلـــط حَمْامْتَـــه بعد الطهـــور، وأمرار بتحطهـــا فـــي خُرج البياع".[1] وتخبرني أم زياد: "لما طَهَرَه المطهر حَطْيتها في النَبْعَه، إلّي ولَدْ واحد"[2] "لما يطهروه بتقول سِتَّه لإِمه: تِرْميهاش حُطيها تِحِتْ زير المَيّه"[3].

تحدثنا عن طقوس مشابهة سابقاً، لذا سنلخص أهم الاستنتاجات:

1) الطقس الأول يعود للعبادة الطوطمية القديمة، وهي أكل المقدس أو جزء منه "إننا نشـــعر بالروح تتحرك فينا"[1]. إنها بقايا القديم في تمجيد الطوطم ونوع من السحر، فالجزء الذي سينتقل لها سيحمل قوة صاحبه، الذي هو الخصب وهذا في قانون السحر الاتصالي[2].

2) أما وضعها في النبعة فلا بد أنها بقايا الأضاحي البشرية (عروس) النيل فداء عن شـــعب مصر وهبة للنيل[3].

3) أما وضعها تحت زير الماء، والزير عبارة عن جرة كبيرة لها أذنان كبيرتان يحفظ فيهـــا الماء، وقد تحدثنا سابقاً عن الفخار شبيه الإنسان "الوعاء السحري جسد الأنثـــى الكونيـــة، رمز الأم الكبرى المستودع الذي تختمر في ظلماته بذور الحياة، الجرة الفخارية، عشـــتار الأم المقدسة التي عثر عليها وهي تحمي جنينها، وتضمه، الرحم الذي يطلق الإنسان إلى الحياة ويستعيده ثانياً بعد الممات"[4]. فقطعة اللحم هنا حِرزٌ مُصان يراقب الطفل صاحبه، ويحميه من الشرور.

ونختتم هذا الفصل بطقسي النفاس والرضاعة حيث سنؤجل الحديث عنهما إلى الفصل القادم.

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللبن، 67سنة. 2007/1/11.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة أم زياد، الجديدة، 68سنة. 2007/8/6.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74سنة. 2007/8/3.

(1) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج1 م1، ص107.

(2) انظر: الماجدي، **بخور الآلهة**، ص51-52.

(3) انظر: الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص32. وانظر: وافي، عبد الواحد، **مـــن غرائـــب العـــادات والتقاليد**، ص81.

(4) السواح. **مأساة عشتار**، ص48-49.

الفصل الثالث

(طقس الزواج)

الأسرة هي النواة الأساسية في بنية المجتمع الفلسطيني ونسيجه الاجتماعي تتحد مع بعضها تحت اسم الحمولة، وهي بالتعبير الشعبي "العائلة أو الدار أو البيت" سواء في المدينة أو في القرية، فالسؤال الأول الذي يكشف عن هوية الشخص – أيَّ شخص – في فلسطين هو الرد عن السؤال التقليدي الذي يدور على ألسنة الناس جميعاً وعلى اختلاف مستوياتهم، إنت من دار مين؟ أو إنت من بيت مين؟ وأحياناً يسألون إنت من عيلة مين؟ فالمثل الشعبي يقول: "مقدارك من دارك ومن ترك داره قل مقداره"[1].

لذا فإن أهم ما تطمح إليه الأسرة، هو استمرار بنفس السمعة والمكانة والهيبة بين العائلات والحمائل الأخرى في القرية نفسها والقرى المجاورة؛ لهذا فإن السعي لزواج الابن من أعظم الأمنيات التي تتوق الأسرة لها، وهي تحضر لهذا جيداً "فخلال الفترة فيما بين الطهور والزواج، تعمل العائلة على توجيه سلوك الطفل "مشان يصير زلمة" فَيَأخذ الطفل بالانفصال التدريجي عن مجتمعه الطفولي"[2]؛ " لأنه ما بصير يظل يلعب زي الولاد الصغار في الحارة، لازم يكبر، بس يشِبّ شوي بيبطل يلعب مع البنات بيصير يستحي، بعرف إنه عيب"[3] وهكذا فهو يأخذ بالانضمام التدريجي لمجتمع الذكور (الرجال)، فيذهب معهم للديوان (قديماً) وللجامع وللزيارات العائلية. ففي حين تلبس الفتاة فستانها وتبقى يوم العيد في البيت، فإن الولد يرافق الرجال عندما يذهبون لزيارة الولايا، وفي أثناء ذلك تنتظر العائلة أن يبلغ الولد مبلغ الرجال لتزوجه وتفرح به، فالعرس هو محور اهتمامها في هذه الفترة، وهو بالتالي، محور الأماني وهذا ما تظهره ألفاظ المجاملات والدعوات التي يقولها أفراد المجتمع للعائلة وللولد نفسه، وفي كل مناسبة تتطلب الشكر، والتي تكون بشكل دعوات صالحة وأمانٍ بزواج الطفل، ومنها ما يقال للأب أو الأم "انشالله بفرحتك في ولادك"، "انشالله بفرحتك في ابنيك"، انشالله في عرسهم"، انشالله بتشوفيه وهو مصمود"، "انشالله وانتو مدِخلين العزبان"، ويقال للأخت: "انشالله في عرس خَيّك أو أخوتك". أما إذا قام الابن بعمل يستوجب الشكر كتقديم القهوة للضيوف أو صب الماء لغسل أيديهم خاصة في مناسبات الأعراس بعد أكل المناسف فيقال له: "انشالله بتسقينا وإنت عريس"،

---

(1) ديورانت، **قصة الحضارة**، ص 62.

(2) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص 47.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، دير دبوان، 69 سنة. 2007/7/29.

"في عرسك"، "في فرحتك"، "إن شاء الله بنشوفك وانت على اللوج"[1]

وفي هذه الأغنية النسائية حث على تزويج الشاب لأنه لا يجد من يُحَضِّرْ له طعامــه فيضــطر لتحضيره بنفسه بسبب الانشغال الدائم للأم.

طَـــــبَخْ طَبيخَـــــه مِنْحالَـــــه عُقبـــــال محمـــــد عُقبالَـــــه

طَـــــبَخْ طَبيخَـــــه ملوخيـــــة عُقبـــــال محمـــــد لُخريَّـــــة

طَـــبَخْ طَبيخـــه عُـــود الـــزّان عُقبـــال ناصـــر يـــا شـــبّان[2]

أما زواج البنت فتقول الحاجة فاطمة[3]: "بِنفرَحِلْها..بَس مِشْ مِثِل الولد، الولد بيعمّر الدار البنــت همّ وانزاح". وإذا ما عدنا قليلاً للطفل الذكر والطفلة الأنثى فإننا نجد المثل، لا يقلق اتجاه الطفل الذكر ولكنه يبدي قلقه علانية وبوضوح اتجاه الأنثى عندما يقول: "عليك بالأولاد ما أقل همهم لو داروا مشلحين ما استحت إمهم"[4]. ويبقى همهما حتى تكبر فتقول من تعاني هم بناتها "هَمَتــوني بَدري والحي ما بيدري"[5]. ويقول المثل عن الفتاة في سن الزواج: "سترة البنت جيزتها"[6]، "شو ساوت الحرة؟ اتجوزت"[7]، "الشرف زي القزاز"[8]، "اللي بخلف بنات، عمــره مــا برتــاح"[9]، "خلف البنات من المتعبات ولو إنهم عرايس"[10]. هكذا إذن "البنت مَلهاش فَرحة"[11]، أما الابــن فإن الأسئلة من الأقارب تلاحق الأبوين "إيمتى بدنا نفرح؟" "يالله جــوزوا هالولــد"[1]، وتســرع

---

(1) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص47

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، دير دبوان، 69 سنة.2007/7/29

(3) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللبن الغربي، 67 سنة. 2007/1/11

(4) عثمان، علي، ***المرأة في المثل الشعبي الفلسطيني***، **مجلة التراث والمجتمع**، جمعيــة إنعــاش الأســرة، ع7، م 2، 1977/ ص117.

(5) المبيض، سليم عرفات،**ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**، الهيئة المصــرية العامــة، مصــر، ط1، 1990، ص359.

(6) عثمان، علي، ***المرأة في المثل الشعبي الفلسطيني***، **مجلة التراث والمجتمع**، ع 7، م 2، 1977/ ص117.

(7) المبيض، سليم عرفات، **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**، ص359.

(8) المرجع السابق، ص359

(9) عثمان، علي، ***المرأة في المثل الشعبي الفلسطيني***، **مجلة التراث والمجتمع**، ع 7، م 2، 1977، ص18.

(10) المرجع السابق، ص18.

(11) المبيض، سليم عرفات، **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**، ص 355.

(1) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص 49.

العائلة في تزويج ابنها حتى يجيه اولاد ويعمر الدار فزواج الابن في صباه يعني الإنجاب المبكر للأولاد، حتى إذا ما وصل الأب لِقِمَة شبابه وفتوته وهو في الثلاثينات من عمره، يجد بجـوار‌ه شاباً يافعاً يقف سنداً له في العشرينات من عمره، وكأنه أخوه مما يهيء له الفرصة لتكون أسرة كبيرة قادرة على الإنتاج[1]، ويقول المثل: "ولد الصبا وقرش الحبا"[2]."والولد البدري زي الزرع البدري"[3].

ويدخل العامل الديني كسبب من أسباب الزواج، فقد قال الله تعالى: "ومن آياته أن خلق لكم مـن أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها"[4]. وقال أيضاً: "المال والبنون زينة الحياة الدنيا"[5].

"كما ذكرت الميثولوجيات القديمة أن الأرض خلقت كائناً مساوياً لها هو السـماء مقـر الآلهـة السعداء، وهذا الثنائي خلق العائلة الكبيرة للآلهة ولباقي الكائنات الحيـة، وهـو أول زواج فـي الكون"[6].

"ثم انتقل هذا الطقس ليصبح سنة يجري عليها الملوك في طقس الزواج المقدس الذي تحدثنا عنه سابقاً، ويجري عليها العامة في طقس زواج تقليدي، كما هو الحال عند كل الشعوب القديمة فقـد "كان الزواج هو أساس العائلة"[7] وكان يتم تحت رعاية الآلهة فَعِنْدَ السومريين "انقسمت طقـوس الزواج إلى نوعين مختلفين تماماً: طقوس الزواج التقليدية، وطقوس الزواج المقدس للملوك"[8]. وقد كانت تتم تحت رعاية الإلهة (اشخارا).

عبر حكيم سومري عن الشخص الأعزب الذي لا يرغب في الـزواج عزوفـاً أو خوفـاً مـن المسؤوليات الأسرية بقوله: "إن الذي ليس له زوجة أو ولد لا تحتمل أنفـه القيـد"، أي أنـه لا يستطيع أن يكون مسؤولاً.

---

(1) المبيض، سليم عرفات، **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**، ص 356.
(2) المرجع السابق، ص 357.
(3) المرجع السابق، ص 357.
(4) سورة الروم، آية 21.
(5) سورة الكهف، آية 46.
(6) صدقة، **رموز وطقوس**، ص 42.
(7) كونتينو، **الحياة اليومية**، ص 33.
(8) الماجدي، **الدين السومري**، ص 159.

كما جاء أيضاً "إن الشخص الذي لا يعول زوجته ولا يعول ابناً إنه شخص لا يؤتمن، ذلك الذي لا يعول نفسه"[1].

أما المرأة غير المتزوجة، فقد اعتبرت مثل الحقل غير المزروع، وبالتالي تنعدم الاستفادة منـــه، وردت حكمة بهذا المعنى في خطاب حاكم جبيل في الفترة من 1400–1360ق.م علـــى النحـــو التالي:

"إن المرأة من غير زوج كالحقل من غير زرع"[2].

"ومن الأمثال السومرية القديمة ما يعود إلى منتصف الألف الثالث قبـــل المـــيلاد، وقـــد يخيـــل لقارئها، أن قائلها يعيش مفاهيم العصر الحالي إذ يقول المثل: "تزوج حسب اختيـــارك، وأنجـــب أطفالاً كما يرغب به قلبك"[3] ويقول: "الأصل..الأصل" الذي يتناسب مع المثـــل الحـــالي: "خـــد الأصيلة ونام على الحصيرة"[4].

والزوجة هي عماد البيت والأسرة، فيجب عليها أن تكون ماهرة ومدبرة، وفي هذا المعنى يقول المثل السومري "الزوجة المبذرة التي تعيش في بيت هي أسوأ من جميـــع الأشـــرار"[5]، كانـــت الإلْهة إنانا هي المسؤولة عن الزواج، فكان يقال لمن هو مقبل على الزواج "عســـى أن تمنحـــك إنانا زوجة دافئة"[6].

"لم يكن اختيار الزوجـــة في العراق القديم متروكاً تماماً لرغبات قلب الفتـــى، بل كانت هنـــاك عوامل أخرى تتدخل فيه، وترتيبات عملية تتوازن فيها المصالح والنزوات، فقد جرت العادة أن يختار والد الشاب خطيبة ابنه"[1].

وعبرت إحدى الحكم السومرية عن أهميـــة المرأة في حيـــاة الرجل ودورها الكبير والفاعل في

---

(1) سليم، أحمد أمين، **دراسات في تاريخ وحضارة العراق القديم**، مكتبة بســتان المعرفـــة، الإســكندرية، ط1، 2004، ص179.

(2) المرجع السابق، ص180.

(3) القيم، علي، **المرأة في حضارة بلاد الشام القديمة**، الأهالي للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط2، 1997، ص82.

(4) المرجع السابق، ص82.

(5) المرجع السابق، ص83.

(6) المرجع السابق، ص64.

(1) المرجع السابق، ص 183.

تحديد مستقبله في عبارة قصيرة بليغة جاء فيها: "المرأة مستقبل الرجل"[1].

وعند البابليين والآشوريين كان الزواج من أهم طقوسهم وهو أساس العائلة، فالزواج من امـــرأة شرعية واحدة تسمى (المرأة الحرة)، ولا ضير من وجود امرأة أخرى في حياة الرجـــل تســـمى (المحظية)، التي تكون قد اختيرت من بين الإماء[2].

ومن الأمثال الآشورية التي تتحدث عن الزواج: "المنزل بدون صـــاحب، كـــالمرأة مـــن غيـــر زواج"[3].

كما عبر حكيم آشوري عن مسؤوليات الزواج: "إن من تحب سوف تحمل نبره"، ويشير ذلك إلى المسؤوليات الملقاة على عاتق الزوج تجاه زوجته وأنه كان مكلفاً بتحمل نفقاتها[4].

أما عند الكنعانيين، فقد كان الزواج القاعدة الأساسية لتكوين العائلة ثم المجتمع، وكانـــت الإلهـــة عناة ترعى الخطوبة والزواج وكانت هناك أعراف وتقاليد كثيرة له [5] وقـــد اشـــتهرت الحيـــاة العائلية الكنعانية باحترام الأب، فالإله إيل هو الإله الأب، إله الأجداد ونصيحته المثلـــى تتركـــز على إنجاب الأولاد حتى يحتفظ الميراث بطابعه المقدس، والأرض هي الميراث الأمثل، وفـــي غياب الأب تتحول السلطة الأبوية إلى الابن الأكبر فيكون إخوته تحت وصايته وحمايته، وهؤلاء الإخوة يلقبون "بالفتية الصغار" أو "النباتات الخضراء"[6].

كانت المرأة في نظر الكنعانيين أشـــبه ما تكون بالإلهة، "فنساء أوغاريت جميـــلات وعالمـــات ويعرفن كيف سيحيين من سيموت، لذلك يجب عدم الاقتراب منهن بأفكار سيئة، ومن المناســـب كبت جماح العواطف، ورفع اليد عن زوجة الغير"[1].

تمتعت المرأة الكنعانية بقدر وافر من الاحترام والتقدير، وجاءت دعوات الزواج وتكاثر النســـل

---

(1) القيم، علي، **المرأة في حضارة بلاد الشام القديمة**، ص 188.

(2) أبو خليل، شوقي، **الحضارة العربية الإسلامية**، دار الفكر، دمشق، ط1، 1994، ص 144.

وانظر: كونتينو، **الحياة اليومية**، ص 33.

(3) سليم، أحمد أمين، **دراسات في تاريخ وحضارة العراق القديم**، ص 180.

(4) المرجع السابق، ص 184.

(5) الماجدي، **المعتقدات الكنعانية**، ص 277.

(6) ميديكو، **اللآلئ من النصوص الكنعانية**، ص 104.

(1) القيم، **المرأة في حضارة بلاد الشام القديمة**، ص161. وانظر: ميديكو، **اللآلئ من النصوص الكنعانية**، ص226

كثيرة في النصوص الكنعانية[1]، وهناك نصائح بثوب طريف، لها علاقة مباشرة بالأسرة والمرأة "لا تتخذ للزواج فتاة في عرس، إن الفتاة القبيحة تتدثر في الاحتفالات بالثوب الجميل، ولا تطلع زوجتك على ما في صُرّتك"[2].

وفي مصر القديمة كانت الديانة المصرية تحث على الزواج وترعاه وتقيم أهمية خاصة للأسرة، فقد كان الزواج طقساً دينياً، وكان كاهن أمون هو الذي يشرف عليه، ولعل في وصايا الحكماء لأبنائهم الكثير من الحث على الزواج المبكر وإقامة الأسرة الصالحة[3]، فمن نصائح آني[4]:

"اتخذ لك زوجة وأنت في شبابك حتى تلد لك ابناً وأنت شاب، علمه ليصبح رجلاً، فما أسعد الشخص الذي يكثر أهله وتحييه الناس بسبب أولاده"[5]

"إذا كانت زوجتك كاملة مدبرة، فلا تعاملها بالخشونة والغلظة، بل راقب أطوارها لتتعرف أحوالها، ولا تتسرع معها في الغضب لئلا تزرع شجرة البغضاء في دارك فإن كثيراً من الرجال يخربون بيوتهم لجهلهم بحقوق المرأة"[6].

"تَخَير زوجتك حين الصبا وأرشدها كيف تصبح إنسانة، عساها أن تنجب لك طفلاً، فإنها إذا أنجبته لك وأنت شاب استطعت أن تربيه وتجعله رجلاً، وطوبى للرجل إذا أصبح كثير الأهل وأصبح يرتجى من أجل أبنائه"[1].

ويقول ناصحاً ابنه: "لا تمثل دور السيد مع زوجك في بيتها طالما أنها ماهرة، لا تنهرها وابذل جهدك لتجعلها سعيدة وتجنب الشجار معها"[2].

---

(1) الماجدي، **المعتقدات الكنعانية**، ص 279.

(2) القيم، **المرأة في حضارة بلاد الشام القديمة**، ص 158.

(3) الماجدي، **الدين المصري**، ص 238

(4) آني الحكيم: من أهل القرن السادس عشر ق.م. انظر: صالح، عبد العزيز، **تاريخ الشرق الأدنى**، ص 361.

(5) من بردية آني من المتحف المصري بالقاهرة، غربال، **تاريخ الحضارة المصرية**، ص 444.

(6) نظير، وليم، **المرأة في تاريخ مصر القديمة**، مطابع دار القلم، القاهرة، ط1، 1965، ص 17.

(1) صالح، عبد العزيز، **تاريخ الشرق الأدنى**، ص 361. وانظر: فياض، محمد، **المرأة المصرية القديمة**، دار الشروق للنشر، القاهرة، ط1، 1995، ص 123.

(2) نور الدين، عبد الحليم، **دور المرأة في المجتمع المصري**، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، ط1 1995، ص 166.

جرت العادة أن يكون للرجل زوجة واحدة شرعية، هي ربة البيت، وكان والد الفتاة في العـــادة هو وليها، يقدمها للخاطب الشاب كي يتخذها زوجة له لتشاركه في هموم الحياة ومسراتها، وقــد استعمل المصري القديم اصطلاحات وتعابير مختلفة لتسمية الزواج منها: "يتخذ زوجة"، "يؤسس بيتاً"، "ترسو السفينة أو يربطها"، "يحب"، أو "يرغب" أو "يشتهي"، أو "يتمنى"، "يجلس معهـــا أي يعيش ويسكن معها"[1].

"كان الرجل لا يعد حكيماً في نظر الناس إلا إذا تزوج، وكانت له زوجة تبادله حباً بحب، وعلى ذلك لم تكن العزوبيـــة من الأمور التي يرتاح إليها المجتمع في مصر القديمة، وكان بقاء الرجل أعزب يعد أمراً نادراً"[2]، ومن نصائح الوزير بتاح حتب[3]:

"إن الرجل يكون حكيماً عندما يؤسس لنفسه منزلاً ويحب زوجته"[4].

"إذا كنت شخصاً عاقلاً فأحبب زوجك التي تعيش في منزلك بصدق وأمانة، أشبع جوفها، واكسِ جسدها، واعلم أن العطور خير علاج لأعضاء جسدها، أدخل السرور على قلبها طيلـــة حياتهـــا فهي حقلٌ يدر الخير لسيده"[5].

اعتبر المصريون القدماء الأولاد نعمة من نعم الله ورحّبوا بالذرية لأنها تعلي من شأنهم وتعينهم على أداء الأعمال وتخلد ذكرهم[6]، لذلك كان الزواج عندهم ضرورة قصـــوى، لـــيس للحـــب والمتعة الجنسية فحسب، بل للولد، لما يكفل من استبقاء الذِكْرِ بعد الموت، ومن أقدم ما وصـــل إلينا من الوصايا ما يرجع إلى عهد بناة الأهرام 3000سنة قبل المـــيلاد حيـــث تقـــول إحـــدى الوصايا: "إذا كنت قادراً على الباءة–نفقات الزواج– فاتخذ لك داراً مستقلة، واختر لـــك زوجـــة تحبك حتى ترزق منها بالولد"[1].

---

(1) فياض، **المرأة المصرية القديمة**، ص 122.

(2) عبد الصمد، محمد كامل، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، مكتبة الدار العربـــي للكتـــاب، القـــاهرة، ج1، ط1، 1995، ص 36–37.

(3) بتاح حتب: كان وزيراً في القرن الخامس والعشرين ق.م.

(4) المرجع السابق، ص 36.

(5) من بردية بتاح حوتب: موجودة الآن في متحف اللوفر في باريس، وتسمىPapyrus Prisse ، غربال، **الحضارة المصرية**، ص 431–432. وانظر: نور الدين، **دور المرأة في المجتمع المصري القديم**، ص 165.

(6) من بردية بتاح حوتب ص 141.

(1) عبد الصمد، محمد كامل، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ج1، ص 43.

أما الزواج عند الإغريق القدماء فكانوا يقدرونه حق قدره، ويجعلونه في مرتبة سامية مقدسة، حيث كان الغرض الأساسي منه هو إنجاب الأبناء لضمان دوام بقاء الأسرة، وقد كان الآباء هم الذين يقومون بجميع الخطوات التمهيدية الخاصة بزواج أبنائهم[1].

وعند الرومان كان سلطان الزوج على زوجته يعرف باسم (مانوس) فالمرأة الرومانية تنتقل من سلطان أبيها إلى سلطان زوجها[2].

سن الزواج:

تراوح سن الزواج قديماً في فلسطين بين الثانية عشرة والسابعة عشرة للفتاة، وبين سن الخامسة عشرة والثامنة عشرة للفتى، وقد يقل هذا التقدير كلما ابتعدنا عن المدينة[3]. تقول الحاجة مريم: "أمي اجوزت وعمرها اطنعشر سنة، وحماتي اجوزت الثاني وعمرها أربعطعشر سنة، الأول كان كبير ومات، قالتلي: ظليت أنام عالحيطان ثلاث سنين، بقيناش[4] نعرف معنى الجوز، وأنا هَلّي قدامك اجوزت وعمري سِتَعْشَرْ سنة وجوزي بقى عمره خمسة وعشرين"[5].

أما الحاجة فاطمة[6] فتقول: "لما اجوزت بقى عمري سبعطعشر سنة وجوزي خمسة وثلاثين". فإذا بلغ الفتى مبلغ الرجال، وتأخر عن الزواج عدة سنوات عن السن المألوفة، فإنهم يعتبرونه بأنه "مثل فلان وفلان هاظا هُمِّه، ختيروا وراحت عليهم[7]. وقد يشك في بلوغ الشخص، تقول الحاجة مريم "اللي بقى ايطول تَمِنّه يتجوز، بقولوا عنه (باير) ولاّ (بنفعش)، يْقولوله كنك زلمه روح اجَّوَّز؟ في واحد في بلدنا لليوم متجوزش، بقولوا عَنّه نفس الإشي"[1]. أما الفتاة التي تخطت السن المتعارف عليه للزواج، فتقول الحاجة مريم: "بقولولها بايرة، وبجوز اتروح عالفتاحين هي وإمها، تتشوف إذا حدا عاملها عمل امْوَقِفْ طريقها، بِعْمَلها الشيخ حجابات

---

(1) عبد الصمد، محمد كامل، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ص 19.

(2) المرجع السابق، ص 32.

(3) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص 24.

(4) بقى أو بكى عند الفلاحين بمعنى كان، بقيناش: لم نكن.

(5) اتصال هاتفي، الحاجة مريم، سردا،71 سنة، 2008/8/6.

(6) اتصال هاتفي، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة، 2008/8/6.

(7) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص 51.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71سنة، 2007/8/8.

وأحياناً بعملها حجاب مَحَبْة، إذا بقت حاطة عينها على حدا وبدها اياه، بَلْكِ الله حنن عليها"[1].

تتولى الأم مهمة البحث عن عروس، وقد تَسْأل بعض النساء والجارات، وتختلف المعايير التي تختار على أساسها العروس من قرية لأخرى وأسرة لأخرى، إلا أنها جميعاً تلتقي عند عدة أمور:

أولاً: الخصوبة، حيث تستفسر إحدى القريبات قائلة: "كيف سلالتها؟ كيف بزرتها؟ أديش أو قديش عدد الولاد اللي جابتهم إمْها؟ وقد توصف إحدى الفتيات المرشحات عند تفضيلها على الأخريات بأنها "إجت على شروشها وعروقها بِحبَلِنْ وبولَدِن بسرعة"، "والله فلانة أصيلة وحبة بركة، وقد تقول له أمه: "يما بدنا نخطب لك بنت جيرانا، هذي بتخلف زي إمها، إمها خَلفت عشرة، خليها اتْخَلِف النا تملي الدار" أو "لا يمه، فلانه هذي اللي بنقول عنها، شجرتهن حلوة وبزرتهن ضعيفة بلاش اتْفَكِر فيها"، "فلانة شجرتها ثمورة هات نوخذ بنتها"[2].

ثانياً: كلما كانت العروس أصغر سناً كان ذلك أضمن للخصوبة وزيادة للنسل ويقال في ذلك "يا ميخذين الصغار يا غالبين التجار، الصغيرة بتربيها على ايديك"[3].

ثالثاً: أن تكون فلاّحة ومعدلة خاصة إذا كانت الحياة في القرية تعتمد على الزراعة في أغلبها وقد عبروا عن هذا في أغانيهم:

ولا يعجبك زينتها	وبياض خرقتها
بكرة ابتيجي الحصيدة	وبتشوف فعلتها

وقالوا:

والله لاكتب جريدة عابريق الزيت	ياشاطرة في الخلا يا معدلة في البيت
والله لاكتب جريدة عَ بلاط ارخام	يا شاطرة في الخلا يا معدلة في الدار[1].

ومن الصفات أن تكون اقتصادية في بيتها، إدارية في شؤونها، حيث يقول المثل: "صحيح لا

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71سنة، 2007/8/8.

(2) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص52.

(3) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص 24.

(1) ربيع، وليد، ***العرس الفلسطيني*، مجلة التراث والمجتمع**، جمعية إنعاش الأسرة، ع31، 1998/ ص57.

تكسري ومكسور لا توكلي"[1].أي أن لا تسمح بتفتيت الخبز، ولا ترك المكسور يتزايد لأن هـذا يذهب هباءً ولا يستفاد منه، ويقول المثل أيضاً: "النسوان كثار وربات البيوت قلال"[2] وأيضاً "الغزّالة الشاطرة بتغزل على رجل حمارة"[3] أي أنها مدبرة.

وعن هذا تخبرنا الحاجة أم محمد[4]. "على زماني كانت العروس الشاطرة هي المعدلة في دارها، بتعرف تطبخ، وتزبل الطابون، وتعمل مقلي ومطبق وقراص سبانخ ونعنع، مدبرة، مش متل اليوم بِدْهِن شهادات، المثل بقول: "شهادة البنت مطبخها".

وهذا ما نجده عند السومريين القدماء حيث كانت المرأة المبذرة سبباً في تعاسة الأسرة، ويظهر هذا في العديد من الحكم التي توضح النتائج الوخيمة المترتبة على الزواج من المرأة المبذرة ومنها:

"بزواجي من امرأة مبذرة وبإنجابي ابناً مسرفاً، يصبح الحزن ذخيرتي".

"إن فجيعة الرجل فوق تبذير أسرته"، "إن المرأة المبذرة في بيتها تبتلى بجميع أمراض الشياطين"[5].

وقد عبرت الأمثال البابلية والآشورية عن المرأة المبذرة بنفس الصورة التي صورتها بها الأمثال السومرية ومما جاء في ذلك: "إن المرأة المبذرة في المنزل أسوأ من جميع الشياطين"[1].

وفي الأساطير السومرية أيضاً تتعهد إنانا أن تحافظ على (مخزن دموزي)

"يازوجي، المخزن، الإصطبل المبارك،

أنا اينانا، سوف أحافظ عليه من أجلك،

سوف أحرس "بيت الحياة" الذي لك

مكان العجائب المشع في البلاد

أنا اينانا سوف أحافظ عليه من أجلك

---

(1) ربيع، وليد، *العرس الفلسطيني*، **مجلة التراث والمجتمع**، ع7، م 2، 1977/ ص78.

(2) المرجع السابق، ص77

(3) المبيض، سليم عرفات، **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**، ص 386.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة، 2007/8/8.

(5) سليم، **تاريخ وحضارة العراق القديم**، ص185 و199.

(1) المرجع السابق، ص186.

"بيت الحياة" مخزن الحياة المديدة"[1]

تسمى البنت المراهقة قبل الزواج بالسومرية (كي سيكيل تور) ومقابلها بالأكدية (بتولتو) أي البتول أو العذراء، أما البنت البالغة فاسمها (كي سيكيل).

وقد عبر السومريون عن الزواج بمصطلح (نادام ني، بآن توكو) وبالأكدية (اخازوا) أي أخذ، وقد حبذ السومريون الزواج المبكر للفتاة والفتى، والزواج (للصبي) عند أول ظهور الشعر على وجهه[2].

ويرجع سبب تمثيل الأب لابنته في عقد الزواج، صغر سنها، فقد "كان عقد القران يتم بين والد الفتاة أو أخيها أو ولي أمرها، وكانت الأسرة العراقية القديمة أسرة أبوية تسلب المرأة حق الاختيار أو القبول أو الرفض، وتمنح ذلك لولي أمرها على الرغم من أنها الطرف الذي يقع عليه تبعات العقد"[3].

"وفيما يتصل بالسن المحددة للزواج، يتضح من الحكم والأمثال السومرية أن الزواج كان يتم في سن مبكرة، ولذلك فهناك بعض الحِكَم التي تنتقد المغالاة في تزويج الأطفال وهم في سن صغيرة، وهناك حِكَمٌ أخرى تنصح الأزواج الذين تزوجوا من فتيات صغيرات بالصبر عليهن والتريث معهن حتى ينضجن جنسياً[1]. يقول أحد السومريين: "لن أتزوج من زوجة يبلغ عمرها ثلاث سنوات فقط كما تفعل الحمير"، ويلاحظ أن المقارنة قد أجريت هنا مع بعض الحيوانات التي تبلغ نضجها الجنسي في سن مبكرة مثل الحمير[2].

أما عن الحكم التي تنصح الأزواج بالتريث مع زوجاتهم الصغيرات فمنها: "الخبز الذي لا يحتاج إلى وقت للنضج، مثل العروس الصغيرة التي لا تعانق زوجها، لا يستمر ذلك فترة طويلة".

مثلما يحتاج الخبز إلى قليل من الوقت لينضج، فإن العروس الصغيرة تحتاج إلى وقت لتصل إلى

---

(1) كريمر، **طقوس الجنس المقدس**، ص93.

(2) الماجدي **متون سومر**، ص267.

(3) الهاشمي، رضا جواد ونخبة من الباحثين، **حضارة العراق**، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ج 2، ط 1، 1985، ص89.

(1) سليم، أحمد أمين، **تاريخ وحضارة العراق القديم**، ص178.

(2) المرجع السابق، ص178.

مرحلة النضج الجنسي، فإنه أمر لا يسبب إزعاج، فإنها بمرور الوقت سوف تنتبه إليه[1].

ويذكر الحكيم السومري حكمة أخرى مكملة للأولى، "لا تقل لها: كل ما هو رديء هو نتيجة عملك". حيث أنه وبمرور الوقت تستطيع الزوجة الصغيرة تحسين أعمالها[2] ومن الأشياء الأخرى التي رأى الحكيم السومري أنها يمكن أن تحدث من الفتاة الصغيرة، ولكنها لا تستمر طويلاً، هو أن تخرج ريحاً وهي بين أحضان زوجها، "وإنه الشيء الذي لا توجد له سابقة من قبل أن لا تخرج الفتاة الصغيرة ريحاً في أحضان زوجها، وإنه لشيء قصير الأجل"[3].

وعند المصريين كان الزواج أمنية المصري القديم وقبلته، وقد كانوا يبكرون في الزواج كما يبكر فيه الفلاحون اليوم، ومرد ذلك كله إلى رغبة المصري في أن يصون ولده ويبتعد به عن مواطن الزلل"[4] وكان الزواج يتم بمجرد البلوغ، الأمر الذي جنب المراهقين الكبت الجنسي، وكانت المرأة في مصر القديمة تتزوج في سن مبكرة وترزق بالأولاد في سن الخامسة عشرة، وتصبح جدة في سن الثلاثين[5] و"كانت عملية البحث عن العروس تتم بوساطة (الخاطبات)، وتظهر لوحة يرجع تاريخها إلى عصر البطالمة،تذكر صاحبتها أنها ولدت في السنة التاسعة من حكم الملك بطليموس الثالث عشر، وأنها تزوجت في السنة الثالثة والعشرين فتكون قد تزوجت في سن الرابعة عشرة"[1].

وفي قصة "باتي ايسيت" نجد أن ابنته التي كانت قد تزوجت، تبدو طفلة في سلوكها مع زوجها، ولم تكن على دراية كاملة بأمور الحياة الزوجية، إذ بكت لوالدها عندما علمت أنه سوف يسافر إلى محل عمله في طيبة، بعيداً عن محل إقامتها، ورجته أن يصحبها معه، قائلة له "إنها سوف تكون أسعد مع إخوتها من أن تبقى جانب زوجها"[2].

"وكانت الأم هي التي تخطب لولدها"[3].

---

(1) سليم، أحمد أمين، **تاريخ وحضارة العراق القديم**، ص188.
(2) المرجع السابق، ص188.
(3) المرجع السابق، ص188.
(4) غربال، **الحضارة المصرية**، ص140.
(5) المرجع السابق، ص533.
(1) فياض، **المرأة المصرية القديمة**، ص123.
(2) المرجع السابق، ص 123.
(3) الماجدي، **الدين المصري**، ص 238.

كانت الخصوبة أهم دور تقوم به المرأة منذ بِدء الخليقة فهي أصل الوجود كله، هي التي انبثق عنها العالم، "ففي البدء كانت الإلهه "نمو" ولا أحد معها وهي الحياة الأولى التي انبثق عنها كل شيء"[1].

ومن التراتيل الموجهه للإلهة (إنانا) التي كانت تعتبر مصدر الخصب: والماء، والنبات، والحنطة، والخبز... تتدفق كلها من "ثديها":

"أيتها السيدة إن ثديك هو حقلك

وحقلك الواسع... الواسع الذي "يسكب" الحنطة

والماء المتدفق من العلي– للمولى– والخبز من العلي

اسكبي للمولى المأمور ليشرب منك"[2].

"وفي المعتقدات الميثولوجية تشبه المرأة بالأرض المحروثة، فالأرض والمرأة ماهيات مشتركة: تلدان، وتطعمان، وتنشآن، ولذلك ليس غريباً أن يفهم حمل المرأة في طقوس الشعوب الزراعية بصفته رمزاً لبذرة الحياة الكامنة، ولادتها ونموها، ولقد ظن القدماء أن بإمكان المرأة أن تمارس تأثيراً سحرياً على نمو النباتات، ولذلك كان عقم الأنثى يمثل خطراً على الحقول"[1]، "فالمرأة العانس أو العقيم كانت تُزدرى لدى كثير من الشعوب البدائية القديمة، وكانت تشكل خطراً على المحاصيل والخصوبة"[2]، "وكانت الزوجة العاقر "مؤذية للحديقة"[3]، "أما المرأة الحامل التي تبذر الحقل فإنها تضمن بذلك جمع محصول جيد، لذا كان الفلاحون الهنود القدماء عندما يريدون استنزال المطر يرشون الماء على نساء عاريات، أو كانت النساء يحرثن الحقل ليلاً وهن عاريات، أو كن يرقصن أمام صورة الإله (المطر)، بل كانوا يقدمون إليه إحدى الفتيات زوجة، وكان المغزى الميثولوجي لهذه الطقوس يكمن في الآتي:

---

(1) السواح، **مغامرة العقل الأولى**، ص 22.

(2) القيم، **المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة**، ص49.

(1) البيديل، **سحر الأساطير**، ص 88.

(2) ديورانت، **قصة الحضارة**، ص 73.

(3) القيم، **المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة**، ص24.

عندما يرى الإله المطر تلك النساء فإنه ينزل المطر فتخصب الأرض، وتطرح موسماً وفيـراً، لقد كانت قوة الخصب الأنثوية تُنقل سحرياً إلى الحقل عبر الكثير من الطقوس"[1].

كانت النساء في العصر الحجري الحديث يبدون وكأنهن مصدر الخصب كله، مصـدر الحيـاة كلها، وكانت الآلهه الكبرى عند الشعوب الزراعية، أي ربات الأرض، هـن اللـواتي يحيـين الأرض بعد موتها، فتزهر وتثمر، لذلك كان ينبغي أن تقوم النساء بزراعة القمح لأنهن يعـرفن كيف ينجبن الأطفال[2].

من الطقوس التي تربط المرأة بالخصوبة حديثاً:

الفزاعة أو العروسة هي التي توضع في الحقل كي تخيف العصافير، وهي على شكل صليب من الخشب لُبِّس ملابس امرأة لتخيف الطيور وتمنعها الاقتراب من المحصول، يعلق عليهـا أحيانـاً أجراس أو قطع معدنية تصدر أصواتًا، ويبدو أن هذا الطقس يعود إلى الماضي البعيـد حينمـا عُبدت المرأة في المجتمع الأمومي البدائي في العصر النيوليتي فكانت تماثيلها التي تمثل كائنات فوق بشرية جبارة وآلهة، تتحكم بالطبيعة وتوضع في المواقد وأماكن خزن الحبوب في طقـس سحري؛ كي تؤثر على تكاثر الحبوب بواسطة نماذج الأمومة البشرية[3]، ومـن أشـكال هـذه التماثيل الشكل المغزلي الذي كان يغرس في الأرض بوضع عمودي، ضـمن سـياق طقسـي يستهدف إحلال الخصب في الأرض[1].

وتجهد المرأة العانس للتخلص من عنوستها فتلجأ لطقوس عدة منها:

تقوم المرأة العانس بعدة طقوس للحصول على زوج المستقبل، فالنظرة للمرأة العـانس يتخللهـا نوعان من المشاعر، إحداها ينظر لها بنوع من الشفقة والرحمة، وآخر ينظر لهـا بنـوع مـن التشاؤم والازدراء، فقد تصلها بعض العبارات المؤذية مثل "بايرة، راحت عليها، يقشيلها أنو الي بدو يوخدها، مراحت عليها بكره بتكبر بتلاقيلهاش نتفة ولد يقوم فيها"[2].

---

(1) البيديل، **سحر الأساطير**، ص89.

(2) القيم، **المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة**، ص 34.

(3) دياكونوف، **تاريخ الشرق القديم**، ص 183.

(1) السواح، **دين الإنسان**، ص 157.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، دير دبوان، 69 سنة. 2007/7/29.

لذا فهي قد تلجأ إلى الفتاحين فتعمل كما تقول الحاجة مريم[1]، من سردا، "بقت الوحدة تروح على الفتاحين، بعملها حجابات ويشوفِلْها إذا حَدا عامِلّها عَمَل ومْوَقِّفْ طريقها، وبجوز يعملها حجاب محبة، إذا بقت حاطة عينها على حدا".

وقد تلجأ لهذا الطقس أيضاً:

كانت الفتاة إذا تجاوزت سن الفتوة وأرادت أن تتزوج، "اتجيب صابونة ريحتها حلوة واتحط فيها إبر دبابيس وتوخدها معها على دار اللي بدها إياه، تروح هي وأمها بحجة أنهن جايات إيزورونهم، واتحطها الإم خفية في أي مطرح مش مبين، من دون مايشعر حدا من أهل الدار، قال بقولوا: إنّه حبها بدخل في قلب الشب اللي بدها إياه، وبِجوز بعدين يطلبها ويتجوزها، فهي هنا كأنما تَنْخُرُ قلب الشاب فتجعله ضعيفاً أمام حُبها[2].

ومن رُقي الحب، رقية مؤداها أن تأتي الفتاة بخيط وتعقده وتقرأ عليه بعض التعاويذ معتقدة أنها بهذه الطريقة يرتبط حبيبها، ولا يستطيع الإفلات من حبها إلا بحل هذه العُقد"[3].

يعود هذا الطقس إلى السحر التشابهي، فعند الهنود القدماء كان الساحر يصنع تمثالاً من الخشب لعدوه، ثم يغرز إبرة في رأس التمثال أو قلبه، أو يرمي عليه سهماً معتقداً أن الشخص المقصود بالسحر سوف يشعر بألم حاد في نفس الأماكن أو الأجزاء التي استهدفت في لعبة الخشب مما يعني انتقال الألم من اللعبة إلى الشخص المقصود[1]، وهنا سَيُنْقَل ألم الحب والوجد لقلب الشاب المراد.

صفات العروس اليوم المتعلقة بالجمال:

يتميز أبناء الشعب الفلسطيني وبحكم الجغرافيا السلالية بأنهم ساميون أقحاح من جنس البحر المتوسط، وبأنهم أصحاب بشرة سمراء، وشعر ناعم أسود، وقامة معتدلة، وقد كانوا وما زالوا يفضلون الفتاة البيضاء أكثر، فإذا كانت سمراء يفضل أن تكون مشربة بالحمرة[2]، فهم يقولون في ذلك:

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71سنة. 2007/8/8.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(3) الباشا، **المعتقدات الشعبية**، ص 71.

(1) Frazer, **The Golden Bough**. P.p.15.

(2) المبيض، سليم عرفات، **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**، ص 387.

لا تخطبها من تحت عقدة، ولا من باب طابون"[1]، "خذها بيضة ولو مجنونة"، إذا بيضة من بختك "وإن كانت سمره زي امك واختك"، "مهما اشتغل جوز السمرة بكفيهاش حومرة وبودرة"، "بتقول للقمر قوم تقعد محلك"، ومن الصفات الجمالية أيضاً العيون والقامة.

"مكحلين من غير كحل"، زي النخلة بتمشي وبتتمايل"[2]

"يرتبط اللون الأبيض بكوكب الزهرة، رمز الأنوثة والإغراء عشتار، فالمرأة البيضاء بديل الزهرة المقدسة، وبديل البيضة المقدسة، "بيضة الكون الأولى"[3] كما أن الحمراء من صفات الزهرة فقد جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر: أن النبي إذا رآها كان يقول طلعت الحمراء فلا مرحبا ولا أهلا"[4].

ومن طقوس الزواج، اعتراض ابن العم، حيث جرت العادة عندما يتقدم عريس لخطبة الفتاة، أن يقوم الأب بدعوة الحمولة إلى الديوان أو البيت، فيعرض عليهم ذلك حتى يترك مجالاً لأبناء عمومتها إذا أراد أحدهم الاعتراض، وذلك بطلبها رسمياً لنفسه، وعادةً ما يلقى طلبه القبول، فالمثل يقول: "ابن العم بنَزِّل عن الفرس"، "ابن الخال مِتخلي وابن العم مِتولي"، ابن العم بوخذها من جلوتها، "خلي زيتنا في دقيقنا"، "اللي بِتحرّاها ابن عمها بِتحرم عَلْغريب"، "وَصيِّتَك بنت العم خذها ولو إنها عورة"، خوذ بنت العم بتصبر عَ الحفا والجَفا"[1]، وتردد الأهازيج التالية:

بِنت العَم يا سَلة طرايب	بَناتْ العَمْ أخذوهِن غَرايب[2]
مكتوب على وَرَقْ التين والزِيتون	اللي ايفوت بِنتْ عَمّه ايروح مَحزون
عليك بالطريق ولو دارت	وبنت العم ولو بارت
بنت العم تُصبُر على الجَفا	أما الغريبة بِدها تِدليل[3]

---

(1) أي لا تخطبها من (عقدة) الحطب عائدة بعد يوم من التحطيب المضني، أو تلك التي تكون جالسة أمام الطابون والنار تلفح وجهها، انظر: المبيض، سليم عرفات، **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**، ص 387.

(2) المرجع السابق، ص388.

(3) علي، جواد، **المفصل في أديان العرب قبل الإسلام**، دار شعاع، القاهرة، ط1، 2004.

(4) الطبري، محمد بن جرير، **تفسير القرآن**، (د.ط)، (د.ت)، ص 346.

(1) المبيض، سليم عرفات، **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**، ص 365-367.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا،71. 2007/8/8

(3) المصدر السابق.2007/8/8.

"يــــابن العَــــمْ لا توخـــذ غريبـــة رَدايـــــدنا[1] ولا قمـــــح الصـــــليبة[2]

مَرَق حِذا الدار وفي ايده قَــدَح رايــب ما بوخذ إلا ابن عمي وروح يا خايــب[3]

وقد تردد الفتاة التي ترغب ابن عمها:

لولـــــــد عمـــــــك والله انغلبـــــــتِ عَجِــــل ياخوهـــــا قابــــل المفتــــي

جبيه لأجل شبٍ مزيونا

وتقول:

علـــى دلعونـــا بوكـــل فـــي كنافـــه مَشْـــيَك يـــا رنجـــس فـــي الســـهل حافـــا

هـــذا ابـــن عمـــي موخـــذ خلافـــه لـــو قطعـــوني لحـــمٍ فـــي صـــحونا[4]

وهذه أيضاً:

إهـــن يـــالي هوانـــا مـــن هـــواكم كيــــــف نعــــيش الــــدنيا بلاكــــم

كيف إنّام وانطيق الغطا[1]

أما التي لا تريد ابن عمها فتقول:

اهـــن يلّـــي تلـــوح بـــراس ابنـــك تريـــد البـــيض وهـــن مـــا يردنـــك

لو انــك نهــر جــاري مــا وَرَدْنَــك ولا صـــــابون يُغســـــلن الجيابــــــا[2]

وقد تقول:

يـــا ابـــن العـــم يـــا ســـلة كنـــايس بنــــات العـــم أخـــذوهن عـــرايس[3]

---

(1) ردايد: القمح غير النقي وغير الجيد، ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص 23.

(2) الصليبة: هو كومة القمح الصافي بعد تذريته، المرجع السابق، ص23.

(3) المرجع السابق، ص23.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد كوبر، 88 سنة. 2007/8/1

(1) المصدر السابق. 2007/8/1

(2) المصدر السابق.2007/8/1

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة، 2007/8/7

يفضل المجتمع الريفي الفلسطيني زواج أبناء العم والأقارب، للمحافظة على وحدة العائلة والحمولة وتعزيز قوتها.

ويبدو أن هذا الطقس يعود لزواج الآلهة قديماً، فهذا إنكي وقد تزوج من أخته تنخرساج.

ما الذي يوجعك يا أخي؟

إنه.....يوجعني

لقد استولدت لك الآلهة[1]

"ولم يكن زواج الأخ من أخته محرماً في مصر، وكانت هذه العادة ممعنة في القدم، إذ يروي التاريخ أن أوزوريس تزوج من أخته إيزيس، وأن نفتيس اقترنت بأخيها سبت، وقد احتفظ الفراعنة بتلك العادة تقليداً للآلهة وحرصاً على سلامة سلالتهم[2]"، "وقد عرف في مصر القديمة أيضاً، ما يمكن أن نعده شاذاً اليوم، وهو زواج الفتاة من عمها أو خالها، وقد وصلت أمثلة واضحة لذلك، منها ما جاء منقوشاً على جدران إحدى مقابر الدولة الحديثة حيث ورد عليها نص يؤكد أن أخويّ صاحب المقبرة قد تزوجا من ابنتيه الاثنتين، كما عرف زواج أبناء العمومة والخئولة"[3].

طقوس عقد القران

الطلب التمهيدي (السري):

تكلف أم الشاب الناوي على الزواج، إحدى قريباته أو واسطة بزيارة أسرة الفتاة المرشحة للخطبة، فالمثل يقول:" هنِيّال من وفق راسين في الحلال"[1]، فتقوم باستكشاف الوضع للتعرف على الفتاة وأهلها، وهل هناك استعداد للزواج، أو خطط أخرى كمتابعة التحصيل العلمي، وهل هناك إمكانية لقبول فلان خطيباً للبنت أم لا؟ تستمر العملية أسبوعاً تقريباً، لإتاحة الفرصة للبنت وأسرتها للتشاور فيما بينهم، ثمّ يبلغون الواسطة بِردهم، فإذا كان الرد سلباً طويت المسألة وكأنها لم تكن، أما إذا كان الرد ايجابياً، فإن والد الشاب وأحد وجهاء حمولته يقومان وبقدر كبير من

(1) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص 70.

(2) غربال، **الحضارة المصرية**، ص 533.

(3) فياض، **المرأة المصرية القديمة**، ص 124 وانظر نظير، **المرأة في تاريخ مصر القديمة**، ص 30.

(1) المبيض، سليم عرفات، **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**، ص 356.

السرية بزيارة مسائية لوالد الفتاة ويفاتحانه في خطبة الفتاة.

وجرت العادة أن والد الفتاة لا يعطي رداً نهائياً في هذه المسألة، وإنما يقول مجاملاً: "إلنا الشرف في نسبكم، لكن علينا المشورة، إن شاء الله بنرد الخبر بعد يــومين أو ثلاثـــة، وقلـــة الجـــواب جواب"، بعد ذلك يستشير والد الفتاة إخوته وأقاربه ليستطلع رأيهم حول ما إذا كان أحد أبنـــائهم ينوي التقدم لخطبتها، وإذا كان لهم أي اعتراض أو عائق، يعود بعدها الأب لأسرته ويطلب من زوجته أن تستطلع رأي البنت، حتى لا يتعرض والدها لسماع بعض العبارات، كقول الفتاة: "الله يتقلد أبوي اللي تقلدني"، إذا ما أجبرها على الزواج ممن لا ترغب، وقديماً كانت قضية الـــزواج شأناً أبوياً ليس للعريس ولا للعروس أية صلاحية تذكر في اتخاذ القرارات[1].

وغالباً ما تستشار الفتاة بخجل، إذ يكون الأمر قد حُسِم قبل استشارتها، ولا تزال الفتاة لا تملـــك الجرأة للتمرد والرفض إلا ما ندر، فهذه فتاة غضب عليها أهلها لأنها تمردت، فقيل:

راحـــــــت البِنِــــــتْ عَ دار أبوهـــــــا   طَرْحَـــــتْ الســـــلام مـــــا كَلموهـــــا
يـــا يـــوم عيـــد الله مـــا عَيـــدوها   شـــو بِـــدَكْ لاهِـــل يَـــمٍّ العيونـــا[1]

الطلب الرسمي (العلني):

بعد وصول الرد الايجابي لوالد الشاب، يخبر جماعته، ويرسل لوالد الفتاة بـــأنهم، سيتشـــرفون بزيارته الليلة الفلانية، وهذا بدوره يخبر أقاربه وأخوال الفتاة ليكونوا في استقبال أهل الشاب[2].

في المساء يتوجه أهل الشاب لبيت والد الفتاة، وغالباً ما تصحبهم والدة العريس وبعض قريباته، وتلتقي الجماعتان: الرجال مع الرجال والنساء مـــع النســـاء[3]، فيتبـــادل الجميـــع المجـــاملات المعهودة، ثم يقوم جد الشاب أو والده بالطلب من الحاضرين "سمعونا الصلاة علـــى النبـــي يـــا جماعة، فيرد الحضور قائلين: "اللهم صلي على سيدنا محمد"، ويصغون إلى المتكلم الذي يقـــول في العادة: الله يمسيكم بالخير ياجماعتنا، إحنا طالبين القرب منكم، وبِشَرفْنا نَسَبْكم، وبِنُطلب ايـــد

(1) جبر، محمد، ***أفراحنا الشعبية تقاليدها ودلالاتها***، **مجلة التراث والمجتمع**، جمعيـــة إنعـــاش الأســـرة، ع16، 1982/ ص58-59.وانظر ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص26.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد كوبر، 88 سنة، 2007/8/1

(2) ربيع، وليد، ***العرس الفلسطيني***، **مجلة التراث والمجتمع**، جمعية إنعاش الأسرة، عدد31، 1998.

(3) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص 26.

كريمتكم فلانة، لَابنا فلان"، فيرد عليه والد الفتاة: أهلاً وسهلاً فيكم، البيت بيتكم، وابنكم ابنا وبنتنا بنتكم، والطلب مقبول، والنسب إن شاء الله قرابة على طول".

وعند هذا الحد يقرأ الجميع الفاتحة فتزغرد النساء ويتبادل الجميع التبريكات، وتوزع الحلوى والمشروبات وتستمر السهرة في جو من المرح[1].

وتغني النِساء من أهل العروس بعد قراءة الفاتحة:

"ظليت أدَورْ عالجواد تالاقيهم ... يمّا رماني الهوا جُوا علاليهم
ظليت أدورْ عالجواد تناسبهم ... يمّا رماني الهوا جوا مساطبهم[2]
"لاقينا يابو محمد عَ راس الواد ... والعالي ما يتوطا بين لِجّواد
لا قينا يا بو محمد ع َراس العين ... والعالي ما يتوطا وأبوك الزين
ناسبنا هالنسايب عَ الراس من فوق ... واحنا نقدم قيمتهم مَلا الصندوق
ناسبنا هالنسايب عَ الراس والعين ... واحنا نْقَدِم قيمتهم مَلا كيسين[1]

ثم يقول قسم من النساء المُسْتَقْبِلات من أهل العروس:

خليني أشوفا ... وين أبو محمد خليني أشوفا
حَيّي لي ظيوفا ... لافى أبو محمد حَيّي لي ظيوفا
ماني وجدانه ... وين أبو محمد ماني وجدانه
حَيّي ظيفانه ... لافى أبو محمد حَيّي ظيفانه[2]

ويجيب قسم آخر من أهل العروس:

أهلاً وسهلاً فيكم ... وانا لطلع وحَييكم
مْحَمَد ايّسوي القهوة ... يا احْمَد ايصب ويسقيكم

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8
وانظر: ربيع، وليد، *العرس الفلسطيني*، **مجلة التراث والمجتمع**، عدد 31، 1998.
وانظر: ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص26-27.
(2) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة. 2007/7/27.
(1) مقابلة شخصية، لوزية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/7/28.
(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الفتاح، 63 سنة. 2007/7/27.

أهـــــــــلاً وســـــــــهلاً فـــــــيكم	وأنـــــــــا لَطْلَـــــع واحيـــــــــيكم
مْحَمَـــــــــد ايســـــــوي القهـــــــوة	يــــا أحمـــد ايصـــب ويِكْـــرِمكم[1]

وتغني النساء:

والله تشـــــــرفنا يـــــــا نســــــايبنا	ذهـــــب عثملــــي يــــا قلايـــــدنا
والله تشـــــرفنا يـــــــا هالنســــايب	ذهـــــــب عثملــــــي عالقلايـــــــد
واحنـــــا مشـــينا مـــــن بلــــد لبلــــد	تتـــــا أخــــذنا طيّبــــات اليـــــداب
واحنـــــا مشـــينا مـــــن حـــــارة لحـــارة	تتـــــا خَطَبنـــــا بنِـــــتِ لامــــــاراه
دَرِّجنــــــا يـــــــا فـــــلان دَرِجنــــــا	عـــــــادار النســـــــايب فَرّجنـــــــا
درجنـــــا يـــــا محمـــــد يـــــالأمير	عـــــادارِ النســـــايب تـــــا نصـــيل[1]

تكاد تكون طقوس الزواج القديمة هي نفسها الحديثة حيث "اتخذ الزواج صورة إجبارية بين الشعوب البدائية كلها تقريباً، ولم يكن للرجل الأعزب منزله في المجتمع بل عدّ مساوياً لِنصف رجل فحسب"[2].

"وضع السومريون شرائع لتنظيم العلاقات في المجتمع، ومن بينها الزواج، فقد كانت موافقة ورعاية والد الفتاة ووالد الفتى أمرين أساسيين، يتم أولاً التعاقد شفهياً وإقامة وليمة حتى تصبح الأمور شرعية: إذ تنص المادة 27 من قانون أشنونا على أنه "إذا تزوج رجل امرأة بدون سؤال أبيها وبدون أن يتعاقد معه فلا تكون هذه المرأة زوجة له حتى لو عاشت في بيته سنة كاملة"[3].

أما الطلبة فكانت كما يلي:

كان والد الخطيب في العهد السومري يؤدي القسم باسم الملك، أمام القضاء والشهود ويقول: "عسى أن يتزوج ابني ووريثي الشرعي فلان من فلانة ابنة فلان"[4].

وهناك في الأساطير السومرية ما يدلل على شرط موافقة الأب والأم على العريس:

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة. 2007/7/27.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74سنة. 2007/8/3

(2) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج.م، ص73.

(3) الماجدي، **متون سومر**، ص268.

(4) الماجدي، **الدين السومري**، ص173.

"لا تقبل إنانا بدموزي زوجاً لها، إلا بعد أن يقبل أبوها القمر، ثم تطلب منه أن يتقدم لطلب يدها، فيأتي دموزي إلى بيت أنانا وهو محمل بالهدايا.

"ألقيت عيني على جميع الناس

دعوت دموزي (لكي يتقلد) ألوهية البلاد

دموزي المحبوب من إنليل

الغالي أبداً عند أمي

المحبوب أبداً من أبي[1]

"غير أننا لا نفاجأ أن نرى الإلهة ألصق بأمها تنجال من أبيها، فإلى" بيت أمها" يجب أن يأتي العريس لطلب يدها، وإلى أمها يجب أن تذهب وتلتمس منها النصح والموافقة عندما يأتي دموزي ويقرع بابها"[2].

كان والد الفتاة هو وليها، ولكن للأم دور كبير في قبول الخاطب أو رفضه، لذا كان على المتقدم للزواج أن يتودد للأم أو يتقرب إليها، وهذا ما تظهره هذه العبارة "هو أي الحبيب لا يعرف أمنياتي، فأنا أريد أن أحتضنه، وأرجو أن يرسل لوالدتي"[3].

من طقوس قراءة الفاتحة الطلب الشفاهي:

بعد أن يستجاب طلب الجد أو والد العريس أو كبير الحمولة يقول "إقروا الفاتحة على نية التوفيق، واسبلوا أيديكم حتى يظل الطريق ماشي"[4] "بقولوا للقاعدين افتحوا إيديكم ما تكتفوش حالكم، ما يخلوا حدا يتكتف، حتى ما يربط العُقْد في (عقله)" [5].

"استطاع الإنسان البدائي بالدعاء أو الرقية أن يسخر قوة غير منظورة لِيَربط أعداءه"[6].

وبناء على هذا المبدأ يمكن لشخص أن يربط العريس بكلمة أو حركة من يديه، فيعطل قوى الإخصاب أو الحياة عنده، وقد يشل حركته إذا رُبطت أعضاء جسمه فيصبح عاجزاً، وتعود هذه

---

(1) كريمر، س.ن **طقوس الجنس المقدس عند السومريين**، ترجمة نهاد الخياط، دار علاء الدين للنشر، دمشق، ط2، ص91.

(2) المرجع السابق، ص112.

(3) فياض، **المرأة المصرية القديمة**، ص 122.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة أنغام، بيرزيت، 63 سنة. 2007/1/11.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة ربحية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/7/28

(6) Frezer. **The Golden Pough**, p.p 15,16.

الفكرة إلى الديانات السحرية القديمة، التي كانت الكلمة والتعويذة أو الرقية أحد أركانها الرئيسية، (فالكلمة هي الخلق) [1].

وقديماً "كان طقس ربط العقد السحرية وحلها شائعاً في وادي الرافدين، ويستعمل لأمور كثيـــرة منها السيطرة على الآخرين، فإذا انفكت العقد انكسرت قوة السحر، وهذا مـــا تظهـــره تعزيمـــة لإبطال السحر تختتم بهذه الكلمات: (عقدتها انفكت، سحرها قد بطـــل، ومـــلأت جميـــع رقاهـــا الصحراء) [1] ارتبطت فكرة العُقد في العصر الحجري الحديث بالعقائد القديمة التـــي اتخـــذتها وسيلة لإنجاز أفعال سحرية، فكانت كل العقد سواء في النسيج أو في أشغال الإبرة والتطريز، أو عقد العقد للمصائد والشباك وعمل الخيات، أو عَقَد العقد للنفث فيها وشحنها بالتعاويذ الســـحرية، وكان من الصعب على الإنسان البدائي أن يفصل بين الجانب النفعي الذي يجنيه من وراء عَقْـــدِهِ تلك العُقَد بِكفيه، وبين الأغراض السحرية المصاحبة لها والمرتبطة بإنتاجهـــا، وهكـــذا فَغَـــزل الخيوط وصَبْغِها وَجَدْل الحبال، ذات صبغة سحرية اقترنت بقدرة الشخص على إحداث الخير أو الشر والأذى للآخرين"[2].

لذلك لم يكن من الغريب أن نجد آلهة للنسيج وقد أصبحت رمزاً فرعونياً، له دلالة ســـحرية، إذ وجدت مصورة على كثير من المقابر الفرعونية كالتي في الأقصر في مصر[3].

كانت إحدى دعـــوات الآشوريين والبابليين على أعدائهم "ليقع عليك حبل الله"، فكأنما الله إذا أراد أن يقتل إنساناً أو يشل حركته، لزمه أن يستخدم حبلاً[4]، ويعني الحبل هنا العقد والربط، "والعقدة هي أساس عملية نسيج جميع الحبكات، وتتجلى من خلالها علاقة خاصة بين الأرض والسماء، أو بالتحديد البشر، فعلى المستوى الطبيعي قد يشير إلى الرابطة السحرية التي تجمع ما بين طاقة أو جوهر ما وبين إحدى الأعمال والإنجازات، وكان المصريون يعتقدون أن العقـــدة الخاصـــة

---

(1) صالح، رشدي أحمد، **الأدب الشعبي**، ص 168-169.

(1) هوك، ديانة بابل وأشور، ص 96.

(2) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص 50.

(3) المرجع السابق، ص 51.

(4) صالح، رشدي أحمد، **الأدب الشعبي**، ص 169.

بإيزيس لها قوى نافعة عظمى، فهي بالإضافة إلى تأثيرها الإلهي تتمتع بخصوبة دورات الحيــاة التي تدعمها هذه الإلهة وتنشطها[1]

وقد مُثِلَ (القَدَرُ) عند المصريين القدماء في هيئة إله، يضع بجواره قطعة حبل ملفوفة في هيئــة لولبية، وفي الحيــن نفســه، يعمل حبل آخر على الربط ما بين المبدأ الذكري (كاهن)، والمبدأ الأنثوي (فخذ) [2].

وهذه تعويذة مردوخ "أنا رسول مردوخ، ورقيتي هي رقية (إيا)، وقوة (إيا) بيدي وهي تســتخدم العقد والربط للعلاج السحري "انسج صوفاً أحمر وصوفاً أبيض وعصب الغزال وأعشــاباً، ثــم اعمل من ذلك حبلاً واعقده سبعاً وسبع عقد، وأينما تعقده اربط العقاقير في صوف أحمر وكَرِّر التعويذة سبع مرات، ثم اربط هذه التعويذة الملفوفة على الجبين بالحبل فإنه سيعيش"[1].

طقس المنديل عند قراءة الفاتحة:

"عند قراية الفاتحة أو كَتْب الكتاب بتحط وحدة من القريبات في جيبة العريس منديل العروس، أو بتكتب ورقة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وبعدين بتقسمها نصفين، نُص بتحطــه في جيبة بدلة العريس، ونص مع العروس"[2].

تعود جذور هذا الطقس إلى السحر الاتصالي حيث وجود منديل العروس الذي يعتبر (أثراً لهــا) أو جزءاً منها سيظل ينبه العريس بأن لا ينساها وذلك "بتأثير الجزء علــى الكــل"[3] أي تــأثير المنديل على الشخص (العريس) بطريقة إيجابية سيجعله يحمل حُبّ العروس معه دائماً في قلبــه أينما ذهب، حيث يعتبر هذا المنديل أو الورقة (حجاباً أو تميمة سحرية).

"وفي مصر القديمة كانت هناك عادة تحطيم قطعة من النقود إلى نصفين يحتفظ الرجل بنصــفها والمرأة بالنصف الآخر كنوع من التميمة"[4].

---

(1) تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص 233،234

(2) المرجع السابق، ص 118.

(1) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص 368–369.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/5.

(3) انظر: السحر الاتصالي، الماجدي، **بخور الآلهة**، ص 39–40.

(4) علي، ثريا، **(العروس)**، ص 98.

المهر وطقس عقد القران (الإملاك)

كان المهر قديماً في فلسطين إما نقداً (ذهباً أو فضة تركية)، أو عقاراً أو حبوباً أو ماشــية، أمــا اليوم فهو بالنقد فقط، حيث يتداول الطرفان الحديث حول المهر، فيتفقان على المعجل والمؤجــل والمصاغ والتلبيسة وغالباً ما يكون "زي الناس ولا باس"[1]، أي حسب مهر آخر بنت تزوجــت، ثم يحدد موعد الخطوبة الرسمية، أو في نفس يوم الطلبة، وقد يؤجل لليوم السابق لموعد الخطبة، أو في نفس يوم الخطبة، "وفي هذا اليوم يذهب الخطيبان وأقرباؤهما إلى مدينة رام الله لشــراء التلبيسة، وهي عبارة عن خاتمين (ذبلتين)" [2]، "وجوز سلاتات أساور حيه (مباريم) أو (ســلاته وساعة) وشنطة كبيرة فيها شنطة إيد وشلحتين ولباسين وكندرة ٍواللي الله بقدره عليه، لليوم هظا الحكي وبعد ما يخلصوا بعزمهم الخطيب على مطعم وبعدين بيروحوا"[3].

مراسم طقوس الخطبة:

كان والد العريس يوجه الدعوة للحامولة بهذه الطريقة:

"إذا كان هناك مواسم زراعية "قطف زيتون، حصاد" فإن منادياً يقف مساءً على أعلى بيت فــي القرية وينادي: "يا سامعين الصوت صلوا على محمد، بُكْرَه ممنوع واحد يسْرَح لأنه في خطبة لفلان"، ويكرر هذا النداء أربع مرات في الأربع اتجاهات"[4].

أما اليوم "فيرســل والد العريس ابنه الصغير وابن أخيه، فيعزمان على الخطبة ويلفان على كل بيوت الحامولة والحمائل الأخرى المدعوة"، فيدعوان شفهياً أو بواسطة (كروت) بطاقات دعوة، وفي ضحى اليوم التالي يجتمع المدعوون في ديوان أهل العريس، أو في بيته ويصطحبون معهم الذبيحة خاصة إذا كانت العروس غريبة"[5]. وعند وصولهم بيت والد العروس يلاقيهم وأقاربــه بالترحاب ثم يجلسون، ويقدم والد العروس القهوة السادة، فيقول وجيه حامولة العريس: "حطــوا القهوة"، فيضعوها أمامهم ثم يقول: "يابو فلان، احنا طالبين النسب منك، بنتك فلانة لابنا فلان بن فلان"، فإذا كان الرد ايجابياً يشربون القهوة ويقرأون الفاتحة، ويقول الوجيه "يابو فلان بنتك مــا

---

(1) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص 27.

(2) المرجع السابق، ص 27.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7

(4) ربيع، وليد، ***العرس الفلسطيني***، **مجلة التراث والمجتمع**، ع 31، 1998.

(5) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص 27.

بتتقدر عنا بمال ولو قدمنا برطيلها[1] ذهب، لكن احنا مقدمين لك (كذا) ليرة، فيأخذ والد العروس بإنقاص المبلغ حتى يصل إلى المقدار المتفق عليه مسبقاً فيقول: "منشان فلان كذا جنيه وهكذا... كان هذا في القديم[2] أما اليوم فالمبلغ يقدم في "ظرف مسكر بجوز يحط فيه خمسمية دينار ويقول المهر ألف دينار حسب ما بتفق مع أبو العروس[3]". ويختلف المهر المعجل والمؤجل من قرية لأخرى، ومن عائلة لأخرى حسب شهرة ومكانة كبيرها وبحسب ميزة أخرى هي (الجنسية الأجنبية). ففي قرية الجديرة تقول عبير قاسم: "إحنا عيلة قاسم يُكتب في عقد الزواج المقدم دينار واحد، ولكن الفتاة تشتري بعشرة آلاف دُلَر ذهب فقط، غير الاحتياجات الثانية والمؤجل خمسة آلاف دينار، وفي بير نبالا هناك عائلة مهر بناتها تسعة آلاف دُلَر مقدم، وخمستعشر ألف دينار مؤخر لأن بناتهم معهم جنسية أمريكية"[4]، أما في قرية سردا فمهر الفتاة صاحبة الجنسية الأمريكية (وهن كُثر) "من أربعة آلاف إلى خمسة آلاف دينار المقدم، وقد يصل إلى عشرين ألف المؤخر"[5].

يجري كتب الكتاب (الإملاك)[6] بحضور مأذون شرعي وشهود، حيث تقول الحاجة مريم[7]: "بِقْعُد الماذون بين الزّلام وبِسأل العريس بِدك فلانة بنت فلان، بقول العريس: موافق يا سيدي الشيخ بدي، وبسأل أبو العروس موافق تعطي بنتك لفلان، بقول: موافق، على زماني كان المأذون يقول لأبو العروس: "بتقبل يبطحها وعَ راس المزبلة ينكحها" يجاوب أبو العروس "بَقبل"، "وبعدين بروح المأذون بيسأل العروس لَحالْها بِقُلّها موافقة يا عروس، إذا سكتت معناها راظية، بقولوا: "السكوت علامة الرظا"، بعدين بقول أبو العريس للعريس: قوم بوس ايد عمك، (مَبَقَتْشْ الوحدة تِقْدَر تُرْفظ) أبوها كان يعطي لحاله"[8]، "أما اليوم وبعد التحاق الفتاة بالجامعة فقد

---

(1) برطيل: عامية، بمعنى مهر..
(2) ربيع، وليد، ***العرس الفلسطيني***، **مجلة التراث والمجتمع** ، ع31، 1998.
(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7
(4) مقابلة شخصية، عبير قاسم، الجديرة، 24 سنة. 2007/8/7
(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8
(6) الإملاك: عامية من ملك وتملك الشيء: احتواه، استولى عليه، **المنجد**، ص 774
(7) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8
(8) المصدر السابق، 2007/8/8

أصبح يؤخذ رأيها ولكن ليس في أغلب الأحيان"[1]. وبعد المصافحة وتبادل التبريكات تُزغــرد النسوة، فتقول والدة العريس أو إحدى القريبات مظهرة سعادتها بالعروس:

"هــــي يـــا حوطتـــك بـــالله وحـــدة   هــــــي يـــــا والثانيـــــة ثنتـــــين

هــــي يـــا والثالثـــة خـــرزة زرقـــة   هــــي والرابعـــة تـــرد عنـــك العـــين

لــولــولــولــولــولــــــــــــــي[2].

فتجيب أخرى:

هــــي يـــا نـــاس صـــلوا عَ النبـــي   هـــــي يـــــا عَ فاطمـــــة بنتـــــه

وهــــي يـــا و اِلْحَمْـــدِ لله يـــا ربـــي   اللــــــــــي طلبتـــــــه نُلتَـــــــه

لـــــولـــــولـــــولـــــولـــــي"[3]

وقد تشكر إحدى القريبات أو والدة العريس الواسطة فتقول:

وهي يا سَمَقَه حمره والزرع فيهـا قـابِس   وهي ياالله يجير أبو الصدِّيق يَمْسَلِك العـرايس

لــولــولــولــي[4]

وهكذا تبدأ مراسم الخطبة الفعلية حيث تجلس الفتاة على كرسي على ظهر طاولة فيمـا يعـرف **بالصمدة** وتتجمع حولها النساء والفتيات يرقصن ويغنين، وقد تكون من حملة الجنسية الأمريكية فتغني لها النسوة:

ديــــروا مواســـير المــــي عً اللوزيــــة   يــــا هنيالـــــك يَفـــــلان بالجنســـــية[5].

عندما تستعد النساء للذهاب لبيت الخطيبة تبدأ بالمهاهاة:

---

(1) ربيع، وليد، ***العرس الفلسطيني***، **مجلة التراث والمجتمع**، عدد31، نيسان 1993.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7

(3) المصدر السابق، 2007/8/7.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة صفية، عين قينيا، 85 سنة. 2007/7/20.

(5) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص22.

وهي والحمــد لله يــا هالشــومَرة غَلّــت والهــمٍّ كِــنْ زال والعُقــدة كِــنْ انحلَّــت

عادت علينا الليالي من بعدِ ما ولّت

وترد النساء بالزغرودة:

لــولــولــولــولـــــــي"[1].

ثم تغني أم العريس:

يــا تمــر حِنّــه عــا عِــروق القمــح والحمـــدِ للّــــه تَـــوّ قلبـــي فِـــرِحْ

يــا تمــر حِنّــه عــا عِــروق الشَّــجَرْ والحمـــدِ للّــــه تَـــوَّ قلبـــي انجَبَـــر[2]

واحنـــا ذبحنـــا عـــالطريق ذبيحـــة لمـــا وصـــلنا دار أبـــوك[3] يـــا امليحـــة

واحنـــا ذبحنـــا عـــالطريق كبشـــين لمـــا وصـــلنا دار أبـــوك الـــزينِ

واحنـــا مشـــينا مـــن الصـــبح للعصـــر واحنـــا مشـــينا عالحُسُـــنْ والأصـــل[4].

وفي منتصف الطريق:

قاطاعنـــا البحـــر يـــا عمـــي علـــى اللـــي خَصِـــرها ظمـــهِ

قاطاعنـــا البحـــرِ بحرينـــي علـــى مكحولـــةِ العـــين[5].

وعندما يصلن يقلن:

بَـــيّ فـــلان فِـــزّ حيلـــك وظيـــوفْ إلـــك مَحْنـــا لغيـــرك

واطلـــع حيـــي ظيـــوفـك[6]

ويقلن على لسان والد العريس:

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/5/9.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة أميرة، عين قينيا، 80سنة.2007/7/28.

(3) أبوك: تقال باللهجة العامية الفلاحية أبوك بحيث تقلب الكاف (ch).

(4) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة.2007/7/29.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، عين يبرود، 63 سنة. 2007/7/29.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة ربحية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/7/28

والله لَطلَع واحيي   واذبح ذبايح تِعيّي[1]

ويقلن عندما يصبحن أمام الفتاة في الصمدة:

ومبارَكا هالعروس اللي خَطابتوها   والفاتحا لَنَبي يَللي قريتوها

ومباركا هالعروس اللي خطبتنها   والفاتحا لنبي يللي قاريتنها

واليوم الخطبة يا محمد   والهوا نسم عَلَيّا[2].

عند التلبيسة وتبادل الخواتم تغني النسوة:

والمَيّه المايه مشيها يَمْحَمد   الميه المايه الله معاك الله

أساور حايا لبسها يا مْحَمد   أساور حايا الله معك الله

والعينِ العينِ مشيها يا مْحَمْد   العين العين الله معك الله

ذهب صفينِ لبسها يمحمد   ذاهب للزينِ الله معك الله

الوادي الوادي مشيها يمحمد   الوادي الوادي الله معك الله

ذاهَبْ رشادي لبسها يمحمد   ذاهب رشادي الله معك الله

من باب الجامع مشيها يمحمد   من باب الجامع الله معك الله

ذاهب ايلامع لبسها يمحمد   ذاهب ايلامع الله معك الله

خاتم ومخمسة لَبسْها يمحمد   خاتم ومخمسة الله معك الله

وان بدك عروه خذي ثنتين   وان بدِكِ عروه خذي ثنتين[3]

ويا عَمِك أبو محمد ما ادايَن دينْ   يا عَمِك أبو محمد ما ادايَن دينْ

وانْ كان بِدِك عروة خُذي ثلاث   وانْ كان بِدِك عروة خُذي ثلاث

يا عمك أبو محمد عَد آلافْ   يا عمك أبو محمد عَد آلافْ

مية اسم الله يا عروس مية اسم الله   عريسك قَمَر، واعيالك ماشالله[4]

قمر واهلك اسبوعه، واهلك اسبوعه

(1) ربيع، وليد، *العرس الفلسطيني*، **مجلة التراث والمجتمع**، ع31، 1998/ ص63.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(3) مقابلة شخصية، السيدة ميسون أسعد، سردا، 47 سنة.2008/1/14.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة عفيفة أسعد، سردا، 87 سنة. 2008/14،1.

ميـــة اســـم الله يـــا مربوعـــة ميـــة اســـم الله　　عريســك قمــر واعيالــك آمــاره، واعيالــك آمــارة

مية اسم الله يا عروس يـم اسـوارة يـم سـوارة　　عريســك قمــر يــا واهلِــك أوادِم، وأهلــك أوادم[1]

مياسم الله يا عروس يـم الخـاتم ميـة اسـم الله

وعند التلبيسة يغنين:

لَـــبِس فـــي الثنتـــين يـــا حَبيـــب امـــكْ　　لَـــــــــــبِس فـــــــــــي الثنتـــــــــــين

لَـــبِس بـــالأدب واصْـــحَ النـــاس اتـــذِمْك　　لَـــــــــــــــبِس باليـــــــــــــــاداب

لَـــبِس فـــي الثنتـــين يـــا حَبيـــب أبـــوك　　لـــــــــــبس فـــــــــــي الثنتـــــــــــين

لَـبِس فـي الثنتـين واصْـحَ النـاس ايـذمْوك　　لَـــــــــــبِس فـــــــــــي الثنتـــــــــــين

خُطْبَـــكْ مبـــارك يـــا حبيـــب مْميتَـــك　　خُطْبَـــكْ مِبـــارك يـــا حبيـــب مْميتَـــك

يـــا عـــازم الصـــبايا يـــوم خُطِبْتَـــك　　يـــا عـــازم الصـــبايا يـــوم خُطِبْتَـــك

خُطْبَـــكْ مبـــارك يـــا حابيـــب خاواتَـــك　　خُطْبَـــكْ مبـــارك يـــا حابيـــب خاواتـــك

يـــا عـــازم الصـــبايا يـــوم خُطبْاتَـــك　　يـــا عـــازم الصـــبايا يـــوم خُطبْاتَـــك[2].

وبعد خروجهن من بيت العروس يرددن:

خاطبنـــا وايجينـــا مـــا بكينـــا　　عقبـــال الصـــدقا والمْحِبينـــا[3].

كان طقس الخطبة موجوداً منذ أقدم العصور عند الجماعات الهمجية والبدائية التي كانت تعـيش على الصيد والقنص، حيث يُعلن الرجل عن رغبته إلى المرأة التـي اختارهـا مباشـرة، فـإذا استجابت تزوجا، فهي صاحبة الشأن في القبول أو الرفض وتختلف أساليب القبول والرفض في تلك الجماعات، فعند بعضها يأتي الخاطب ببعض صيده فيُلقيه أمام المرأة، فإذا هي أخذته فقـد رضيت به زوجاً. وقد يأتي الخاطب إلى كوخ المرأة، فإذا أحسنت استقباله وقدمت إليـه بعـض الفاكهة، فقد ارتضته زوجاً لها، فإذا أكل مما قدمته انْعقد الزواج بينهما، وصحبته إلى كوخه[1].

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة نظيرة يونس، سردا، 84 سنة. 2008/1/15.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة، 2007/7/29 ومقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، عين يبرود، 63 سنة.2007/7/29.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7

(1) عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ج1، ص181-182.

وعند جماعات بدائية أخرى يخطب الرجل المرأة من أبيها، ويقدم إليه بعض الهدايا، وقد تأخذ الخطبة شكلاً آخر مؤداه إذا تقدم للمرأة عدة خطاب، فلا تظهر لهم، ويأخذون بالطواف وفي يد كل واحد منهم عصا فمن أخذت عصاه فقد اختارته، ويعقب الخطبة احتفال يقصد منه إعلان الاتفاق على الزواج، يلتقي الخطيبان في هذا الاحتفال، ويعقدان أيديهما[1].

"وفي بعض الجماعات الهندية تجرح البدائية المخطوبة بنصرها اليسرى ويجرح الخاطب بنصره اليمنى، وتؤخذ قطرات من دم البنصرين وتمزج مع أرز مطبوخ يأكل منه الخطيبان إعلاناً للخطبة[2].

وعند السومريين نجدُ خطبة إنانا ودموزي:

عندما كانت إنانا فخورة بأبيها سن اله القمر العظيم، وتشعر بالحاجة لأن تلتمس موافقة سن قبل أن تهب نفسها لعاشقها في (جيبار) معبدها، لذا كان أول ما فعلته هو إرسال رسالة إلى أبيها تنبئه فيها بنيتها الزواج من عاشقها بهذه الكلمات البهيجة:

بيتي–بيتي، سوف يجعلهُ طويلاً، لأجلي

أنا الملكة–بيتي–بيتي سوف يجعله طويلاً لأجلي

بيت جيبار، سوف يجعله طويلاً لأجلي

الناس سوف يقيمون فراشي المثمر

سوف يغطونه بشجيرات حجر اللازرد–الدورو

سوف آخذ إلى هناك رجل قلبي

سوف أضع يده في يدي

ويضم قلبه قلبي

ويتضمن المهر موادَ غذائية، كالحبوب واللحوم والزبدة والتمر والفاكهة تحمل إلى بيت العروس في أطباق، وتسمى بالاكدية (هربة)، وما زال فلاحو الجنوب العراقي يسمون مهر العروس هربة[1].

---

(1) عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ج1، ص182.

(2) المرجع السابق، ص182.

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص268.

أما عقد الزواج الرسمي فيسمى في السومرية (كاكيســدا، ka.kesda) الــذي يقابلــه بالأكديــة (ركاتم)، فهو أمر ضروري جداً ولا يتم الزواج بدونه مطلقاً، وربما كان يدونه الزوج وتحــتفظ به الزوجة لضمان حقوق أولادها الشرعيين، وهو يسجل على رقيم طيني صغير[1].

ومن أقدم عقود الزواج التي وصلت إلينا عقود زواج من عصر المجتمع الأمومي، عندما كــان كرسي الملك ينتقل عبر سلسلة النسب الأمومي لا النسب الأبوي، ومن هذه العقود ما يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، يقول الزوج موجهاً كلامه إلى سيدة المستقبل: "منذ اليوم أقرُّ لك بجميع الحقوق الزوجية، ومنذ اليوم لن أفوه بكلمة تعارض هذه الحقوق، لن أقول أمــام النــاس بأنــك زوجة لي، بل سأقول بأنني زوج لك، منذ اليوم لن أعارض لك رأياً، وتكونين حرة في غــدوك ورواحك دون ممانعة مني، كل ممتلكاتك، بيتك، لك وحدك، وكل ما يأتيني أضعه بين يديك"[2].

وهذا نموذج من العقود مكتوب باللغة السومرية، يعود إلى عصر الملك سمسو ايلونــا 1749-1712 ق.م.

"انليل-أدسو" كاهن الإله انليل ابن (لوكال ازيدا) يتزوج من (أما سوكال) ابنة (لن-أب-مانســي) أعطت (أما سوكال) إلى "إنليل-أدسو" تسعة عشر شيقلاً فضة، وإذا ما قال"إنليل-أدسو" لزوجتــه (أما سوكال) في المستقبل (أنت لست زوجتي) عليه أن يرد لها تسعة عشر شيقلاً، ويعطيها مهراً يعادل نصف (منٍ) من الفضة، أما إذا قالت (أما سوكال) لِ "إنليل-أدسو" زوجها (أنــت لســت زوجي) فإنها سوف تخسر التسعة عشر شيقلاً وتدفع إضافة إلى ذلك نصف (منٍ) من الفضة[3].

ويشير هذا العقد إلى أن المهر المادي الذي تدفعه الزوجة وتسترجعه مع مؤخر الصــداق، هــو (نصف منٍ من الفضة) إلى زوجها، أما إذا طلقته هي فتخسر المهر وتدفع مؤخر الصداق له[1].

وهذا عقد في الألف الأول ق.م:

في صكٍ آخر يرجع تاريخه إلى الفترة البطلمية[2] تقول لزوج المستقبل "إذا تركتك في المستقبل لكرهي لك أو لمحبتي رجلاً آخر، فإنني أتعهد أن أدفع لك مكياليــن ونصف من الفضة، وأعيد

---

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص 268

(2) السواح، **مأساة عشتار**، ص39.

(3) الماجدي، **متون سومر**، ص228.

(1) المرجع السابق، ص228.

(2) نسبة إلى البطالمة في مصر القديمة، الألف الثالث قبل الميلاد.

إليك هدايا الزواج"[1].

كان هذا في العصر الأمومي، أما بعد ذلك فقد كان على الرجل في العصور الأبوية البدائية الأولى أن يقضي فترة معلومة في خدمة والد العروس قبل أن يتزوجها، أو قد يقوم باغتصابها، فقد كان من حسنات الرجل ومميزاته أن يأخذ زوجته من أهلها قسراً، فذلك يجعل منها أمة رخيصة من جهة، كما يستولدها عبيداً من جهة أخرى، ولما زادت ثروته بات أيسر على الخطيب أن يدفع لوالد العروس دية ثمينة-أو مبلغاً من المال- ثمناً لابنته، من أن يخدم عشيرة غير أهله للحصول عليها، أو يخاطر بما عسى أن يترتب على اغتصابها من قتال وإراقة دماء، ومن هنا جاء طقس المهر الذي لا نزال نمارسه حتى أيامنا هذه.

ومن عقود الزواج التي تحدثت عن المهر نصوص ايبلاويه[2] سورية قديمة في عقدٍ يتضمن ذكراً لمدن قدمت مهر زواجٍ لأميرات ايبلويات، كتلك التي تتضمن مرسوماً ملكياً يشير إلى أن مدينة ايمار على نهر الفرات قد أهديت إلى إحدى أميرات ايبلا، واعتبرت مهراً لزواجها.

وفي مصر القديمة:

"كان ولي أمر العروس (والدها) هو الذي ينوب عنها في كتابة العقد، وفي القرن السابع قبل الميلاد أباح المجتمع للعروس وللثيب[1] بخاصة أن تحضر عقد القران، يشهده الشهود في القرية أو الحي ويتم تسجيل أسمائهم، وورد في شهود عقد متواضع في مدينة طيبة، رئيس إسطبل وكاتب وكاهن"[2].

يرجع تاريخ أقدم زواج مصري وصل إلينا إلى القرن الرابع قبل الميلاد، ويوجد في المتحف المصري عقد زواج يرجع تاريخه إلى 231 قبل الميلاد أبرم بين "امحوتب" و "تاحاتر" هذه ترجمته:

يقول "امحوتب" ل "تاحاتر": لقد اتخذتك زوجة، وللأطفال الذين تلديهم لي كل ما أملك، وما

---

(1) السواح، **مأساة عشتار**، ص 139.

(2) نسبة إلى حضارة ايبلا وهي تل مرديخ في حلب الذي أظهر حضارة تعود إلى الفترة التاريخية (2000، 1650ق.م)، وايبلا اسم تاريخي لمملكة قديمة، ورد ذكرها في ألواح مدينة "نيبور" الرافدية، انظر القيم، **المرأة في حضارات بلاد الشام**، ص119-121.

(1) الثيب: المرأة زوجها فارقته بموت أو طلاق فهي ثيب.

(2) الماجدي، **الدين المصري**، ص 238.

سأحصل عليه، والأطفال الذين تلديهم لي يكونون أطفالي، ولن يكون في مقدوري أن أسلب شيئاً منهم مطلقاً لأعطيه إلى آخر من أبنائي، أو إلى أي شخص في الدنيا، سأعطيك من النبيذ والفضة والزيت وما يكفي لطعامك وشرابك كل عام، ستضمنين طعامك وشرابك الذي سأجريه عليك شهرياً وسنوياً، وسأعطيه إليك أينما أردت، وإذا طردتك أعطيتك خمسين قطعة من الفضة، وإذا اتخذت لك ضرة أعطيتك مائة قطعة من الفضة"، "ويقول أبي: تناولي عقد الزواج من يد ابني كي يعمل بكل كلمة فيه، إني موافق على ذلك"، وقد شهد على هذا العقد ستة عشر شخصاً[1].

وكان الزواج طقساً دينياً، وكان يشرف عليه الإله آمون، وكان الزوج يقسم خلال العقد على تعهداته بأسماء أربابه واسم فرعون، وينص كتابة على قيمة الصداق من أوزان الفضة ومكاييل الغلال، وهناك مبلغ مؤجل يدفعه في حالة الانفصال عن زوجته.

وفي عقد متأخر من هذه العقود تعهد زوج أن يُقدم لزوجته نصيباً من الحنطة كل صباح، ومقداراً من الزيت كل شهر، وراتباً لنفقاتها الفردية كل شهر أيضاً، وراتباً مفروضاً لتكاليف زيتها كل عام، كما تعهد أن يدفع لها تعويضاً إذا سرحها وتزوج سواها[1].

كان الزواج يتم على وثيقة مكتوبة يكتبها كاتب قانوني، وينص فيها على الشروط التي اتفق عليها الطرفان المتعاقدان[2].

كانت مراسم عقد إتمام الزواج تجري في المعبد، وذلك بحضور أقرباء الزوجين[3]، ومن عقود الزواج ما يمكن تأريخه سنة 589 ق.م حيث توجد برديته في متحف اللوفر في باريس وفيما يلي نص الترجمة:

"اليوم الواحد والعشرون من الشهر الرابع من فصل الصيف، السنة الخامسة من حكم الملك بسمايتك، في هذا اليوم، دخل الكاهن "فلان" بن "فلان" منزل الكاهن "فلان" بن "فلان" ليحرر عقد زواجه بالمرأة "فلانة" بنت "فلانة"، وقرر أن قائمة الأشياء التي سيعطيها لها كمهر هي

---

(1) غربال، **تاريخ الحضارة المصرية**، ص 52، وانظر: نظير، **المرأة في تاريخ مصر القديمة**، ص 27.

(1) الماجدي، **الدين المصري**، ص 238.

(2) عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ج1، ص38.

(3) المرجع السابق، ص 44.

دبنان[1]·من الفضة وخمسون مكيالاً من الحنطة، و:قال أقسم بآمون وفرعون أنني إذا طلقت أختي ملكي "فلانة" بنت "فلانة" وأكون أنا السبب في الإضرار بها لأني طلقتها أو تزوجت بامرأة أخرى عليها –فيما عدا الخطيئة الكبرى من جانبها– فإني أعطيها الدبنين والخمسين مكيالاً من الحنطة المذكورة أعلاه، وكل ما سأحصل عليها معها من ريع وما سيؤول إليّ من أملاك أبي وأمي يصبح لأولادي منها" ويلي ذلك توقيع الموثق والشهود[2].

ويظهر هنا أن المهر كان بنداً مهماً تتم تسميته في العقد، وليس عنصراً عرضياً يمكن ذكره أو إغفاله، ومفهوم المهر هو الحق المالي الذي تستحقه الزوجة بالعقد عليها أو الدخول بها[3]

كما كان عقد الزواج لا يتم إلا بتوافر أركان معينة تخلع عليه صفة الشرعية وصحته أهمها: المهر، وقد اختلف مقداره من عقد لآخر، ففي أوائل العصر البطلمي (من 350–186 ق.م) لم يزد عن دبنين من الفضة وفي الفترة الأخيرة من (186حتى 60 ق.م) لوحظ أن المهر أصبح يتراوح بين عشرة ومائة دبن، وقد كانت أهمية المهر واضحة كركن أساسي للزواج، إذ إننا قد لا نجد عقداً من عقود الزواج خلا من ذكره، بل نجده مرتبطاً بلفظ انعقاد الزواج أو معطوفاً عليه مثل: "قال فلان للمرأة (فلانة) اتخذتك زوجة، وأعطيتك (كذا) مهراً لك"[1].

"كانت الخطوة الأولى لقانونية الزواج تتمثل في كتابة عقد الزواج، ويسبق إبرامه عادة تهيئة واسعة وإعداد قد يستغرق بعض الوقت ليس المقصود منها التفاوض والاتفاق على شروط العقد فقط، وإنما منح العقد بعده الاجتماعي الذي يتناسب مع طبيعته، وعليه فقد تكون مراحل التفاوض والخطبة وتقديم الهدايا، كلها نوع من الإعلان عن الزواج[2]. (وكان عقد الزواج العراقي القديم بين الرجل – الزوج في المستقبل – وبين رجل آخر يكون أبو الفتاة، الزوجة في المستقبل أو أخوها أو ولي أمرها، فقد كانت الأسرة العراقية القديمة أبوية لذا كانت المرأة تسلب حقها في الاختيار أو الرفض أو القبول ويُمنح ذلك لولي أمرها)[3].

---

(1) الدبن يعادل حوالي 90 جراماً فضة، انظر فياض، **المرأة المصرية القديمة**، ص 130–131.

(2) المرجع السابق، ص130–131.

(3) المرجع السابق، ص132.

(1) المرجع السابق، ص132.

(2) الهاشمي، رضا جواد، **من كتاب حضارة العراق**، ج2. دار الحرية للطباعة، بغداد، ط1، 1985، ص 88–89.

(3) المرجع السابق، ج2،ص 89.

كانت المخطوبة تتأخر أحياناً لبعض الوقت في بيت أبيها، ربما لاستكمال متطلبات الزواج، ولكن الفتاة في هذه الحال تعد زوجة شرعية، وتترتب على الطرفين (الزوج والزوجة) جميع الحقوق، والواجبات المتعارف عليها أو المنصوص عليها قانوناً) [1]. ويسبق الزواج حفل الخطوبة الـــذي يقوم خلاله الزوج المقبل بصب العطور على رأســـها، ويجلب لها الهدايا والمأكولات، وبعد ذلك تصبح الفتاة عضواً كاملاً في أسرة زوجها المقبل[2].

كانت للأب سلطة عليا، لم تكن مطلقة وكانت الزيجات تعقد بعقود مكتوبة لا تصح بـــدونها فـــي نظر القانون، وقانون حمورابي صريح في هذا الصدد:

"إذا اتخذ رجل زوجة ولكن لم يعقد معها عقداً مكتوباً لم تكن تلك المرأة زوجاً"[1].

واشتهرت الحياة الكنعانية باحترام الأب، فالإله إيل هو الإله الأب، كما أن الإلهة عناة هي التـــي تعقد الخطوبة بين الجنسين، والخطوبة بالنسبة للرجل أو المرأة ذات تعبير واحد، فيقولون: "الذين عقدت خطوبتهم عناة".

"والذين لم يتزوجـــوا على الأرض فإنهم يتزوجـــون بعد الموت في مملكـــة الجحيم حين يجدون الشريك من بين الظلال"[2].

وكان الإغريق يقدرون الزواج حق قدره، ويجعلونه في مرتبة سامية مقدسة، حيث كان الغرض الأساسي منه هو إنجاب الأبناء لضمان دوام بقاء الأسرة، وقيام الأبناء الذكور بمتابعـــة العبـــادة المنزلية[3].

كان الزواج عبارة عن عقد خاص يهدف إلى تحقيق مصالح الأسرة الخاصة التي تنشـــدها مـــن ورائه، لذلك كان الآباء وحدهم هم الذين يتولون إبرام هذا العقد، وقد جـــرت العـــادة أن يتقـــدم الشاب طالب الزواج إلى والد الفتاة، ويفوض في قيمة المهر، وكان يتقدم عادة بعدد من الماشية، فإذا قدم الخاطب هذا المتفق عليه، تقام بهذه المناسبة بعض الطقوس الدينية، ووليمة عرس، ولم

---

(1) الهاشمي، رضا جواد، **من كتاب حضارة العراق**، ص 90.

(2) المرجع السابق، ص 90.

(1) موسكاني سبيتينو، **الحضارات السامية القديمة**، ترجمة د. السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعـــة والنشـــر، القاهرة، ط1، 1957، ص97.

(2) ميديكو، **اللالئ من النصوص الكنعانية**، ص 105، 162، 163.

(3) عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ج1، ص 15.

يكن يصاحب عقد الخطوبة أية شعائر دينية خاصة، إذ كان يعد في جوهره عقداً قانونياً صرفاً لا صلة له بالدين"[1].

وعند الرومان كانت هناك خطوبة لكنها لا تعتبر ملزمة من الناحية القانونية للطرفين لتنفيذ مـــا اتفقـــا عليه، وكانت الخطيبة ملزمة بالعفة والإخـــلاص لخطيبها، وكانت حفلات الخطـــوبة عند الأسرة الرومانية تقام في بيت العروس بحضور جمع غفير من الأهل والأصدقاء[2].

وكان الخاطب ووالد الخطيبة يتبادلان العبارات التالية:

إذ يقول الخاطب: "هل تعدني بأن تزوجني ابنتك؟" فيجيب والد الخطيبة بقوله: "فلتبـــارك الآلـــه ذلك، إني أعدك بتزويجك منها" وبذلك تصبح الفتاة خطيبة للشاب الذي خطبها من والدها، فيقـــدم لها الهدايا الثمينة، كما يقدم لها "ذبلة" تلبسها في الإصبع الأوسط من يدها اليسرى وبعد أن يقـــوم الخاطب بذلك يتقدم الحاضرون بتهنئة الخطيبين ويقضي الجميع فترة سعيدة من الـــزمن وســـط مظاهر الفرح والسرور[1].

استنتاج: تكاد تكون مراسيم عقد القران والخطوبة قديماً هي نفسها في يومنا هذا، فتظهر ســـلطة الأب واضحة في معظم زيجات اليوم، كما يشكل المهر ركناً أساسياً كان قديماً ولا يزال؛ لهـــذا تظهر صورة المرأة وكأنها تباع بيعاً؛ فالهدف الأول من هذه الزيجات إنجاب الأطفال.

"المَطَلِيّة" وفترة ما بعد الخطوبة:

بعد الخطوبة، قد يتزوج العروسان مباشرة، وقد ينتظران فترة تطول أو تقصر حســـب معـــايير كثيرة منها الوضع الاقتصادي للعريس، ورغبة العروسين، وفي هذه المرحلة يـــزور العـــريس العروس حاملاً الهدايا خاصة في أول مرة بعد الخطوبة، "بقولولها (مطَلِيّة) لازم يوخذلها ذهـــب أول مرة وفي مناسبات أخرى مثل الأعياد"[2].

"وقديماً لم يكن هناك أية علاقة بين الخطيبين حتى إنه في يوم العيد عندما يحضر خطيبها حاملاً "العيدية" كانت تختفي فيسلم العيدية لوالدتها، وكانت إذا صدفت وقابلته في الطريق تغيـــر خـــط

---

(1) عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ص17.
(2) المرجع السابق، ص29.
(1) المرجع السابق، ص 30.
(2) مقابلة شخصية، عبير قاسم، الجديرة، 24 سنة. 2007/8/8.

سيرها حتى لا تلتقيه وجهاً لوجه، وإذا كان لا بد من الاستمرار بالسير في نفس الطريق فإنهـا تحرف وجهها إلى الجهة الأخرى"[1].

تقول الحاجة مهدية[2] صرصور من البيرة: "كنت إمَّليّة الجرة وطالعة من العين، كان يقعد على القهوة، لما أوجهت شفته[3]، وقعت الجرة عن راسي".

وتقول الحاجة مريم[4] من سردا: "كنت أملي الجرة، وأنا امْسَنْدَة سَندة العين، كان يلاقيني وهـو ملثَمْ[1]، لما يصير جَنبي، يطرَح السلام، مَعْرَفِش وين أحط راسي من الحيـا، أخبـي وجهـي بالخرقة وأطير[2]."

وكانت تكثر المغازلات بالفتيات وبين المحبين، "بنات بيلقطن برقوق وهْهِن مارقات من الحـارة وبيوخدن خلقات[3] للشغل، عليهن خَلَقات حِبْر[4] أحمر، إلْهِنْ عم خِتيار كبير، بَحَرْهِن شب وقال:

أشـوف الحِلـو علـى الأرِضْ ينْجَـرْ	يثـوب الحلـو علـى الأرِضْ ينْجَـرْ
يَريـت أبوهـا علـى الَحـبِس ينْجَـر	سَـبَعْ اسـنين والبـاقي عَمَـى[5]

وقد يتغزل خطيب بخطيبته فيقول:

ويش هالغزال الـذي عـن دارنـا عَـدا	خَصـرا رقَيّـق وبالكشـمير مِشْـتَده

دولــــــــي----- سفر دولــــــــي

ويش هالغزال الـذي عـن دارنـا عـدا	خصـرا رِقيّـق وبالمنـديل متحلـى
ويش هالغزال الذي عـن دارنـا مـارق	خصـرا رقيِّـكْ وبالمنـديل مِتْلايـق

---

(1) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص 30.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مهدية، صرصور، البيرة،85 سنة. 2008/7/25.

(3) شفته: عامية بمعنى رأيته.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(1) ملثم: اللثام ما كان على الأنف وما حوله من ثوب أو نقاب، **المنجد**، ص 713.

(2) أطير: تعبير مجازي عامي، أي أسرع كثيراً.

(3) خلقات: جمع لكلمة خَلَقْ، أي ثوب.

(4) حِبْر: اسم لثوب فلسطيني.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

دولـــــــــــــي------- سفر دولـــــــــــــي"[1]

وقد يقول أيضاً:

ذيـــــب عــــين الـــــذيب مَكحولــــــه ومْنْــيْنْ للــذيب كُحُــل يكَحِــل عيونـــا

كُحْلَــكْ رَشاشــي وْصَــبَرني وأنــا ماشــي يعْمي دَربْ الظحى فَضى علــى الماشــي

والــزين بــيلقط صَــبِر ومْسَــبِل عيونــا حصــاد يــا ربــي ومْنــين يلقــى مُونــه

والزين بِلقِطْ صَبر فــي الســهل يــا مَقْــواه يـــا درا بَلْحَقـــه والا غيَّـــر اخطـــاه

والــــزين زَيّ الخواجــــا فــــي دَكاكينــــا مع طَلعة الشــمس كِــن عَلَــقْ منــاديلا[2]

وقد يتغزل بحبيبته أو زوجته فيقول:

ولَـــكْ كُنْـــدَرجي ولَـــكْ كُنْـــدَرجي فَصِـــلْ للحِلـــو بـــوتين افرنجـــي

واحــد للحــارة أواحــد للفرجــه أواحــد تَتِسْــرَحْ علــى الزيتونـــا[1]

وقد يقول:

والزين قاعد على الجَنبية وعينه على المِــزراب بِلوح بْعينــه والا فــي الطريــق احْبــاب؟

مــا قُلتلــك يــا ولــد عــن دارنــا فــارِق خايف على مَرْكَبك ليــروح فــي الغــارِق

يــا حِلــو يــا زيــن واســقيني بحفناتَــك ماهيش حِجــة عَطْــش بِــدي مِحتكاتــك

يــا حِلــو يــا زيــن يــالي مْعَنْقِــر الجــرة بِدك رِفِــقْ دوم ولا رِفِيقــي مــن مَــره؟

ثـــلاث بنيـــات عالبيـــدر يغـــربلن يـــامن درا تْجَـــوزن ولا كمـــاهِنْ؟

ثلاث بنيات يمشين سوى في حارة اســتنبول وَحْــده قصــيرة ولُخْــرى نايفِــة الطــول

يــا حِلــو يــا زيــن مكتوبــك لفــا معنــا لَمِــنْ قرينــاه كِــنْ ســالت مــدامعنا

يا حِلو يــا زيــن واســقيني مــن ابريقــك ما هيش حِجة عطش بــدي طَعــم ريقــك

خيلك يــا بــو أشــرف وغَرْبِــلْ لــي ميــة عَليهِن حِنــة، جــراس والــريش غِيْــه[2]

وقد تقول الفتاة:

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة صفية، دير غسانة، 80 سنة. 2007/1/25.

(2) مقابلة شخصية الحاجة صفية، عين قينيا، 86 سنة. 2007/7/20.

(1) مقابلة شخصية الحاج صقر، أبو شخيدم، 90 سنة. 2007/2/29.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زهور قندح، أبو شخيدم، 54 سنة. 2007/2/29.

وإن كان بِدَك حميـر[1] الخـد يـا مزيـون واحرص على أمي وابويا وزَبِل الطـابون

وان كـان بِـدَك حميـر الخـد يـا فـلاح واحرص على أمي وابويا وصَدِر الفَدان[2]

وتقول أيضاً متغزلة بزوجها:

رِجِـعْ مـن نـص الطريـق يْقُلْـيْ قـولي ويـش اتْريـدي يـا دلالـي

بَريـد سـلامْتك وطـول عمـرك واعـيش بهيبتَـك طـول الزمـانِ[3]

وقد تتغزل الفتاة بشاب فتقول:

طـالع مثـل النخلـة يلالـي خصـرا رقِيّـق وملبوسـه سـماوي

وتقول الحاجة مريم[1]: "احيان خطيب الوحدة أو ابن عمها يوقفها وهي مسنده من العين أو يقعد معها شوي تِحِتْ سِنسلَة، وتخلي صاحِبتها تراقبلها الطريق خوف لَيشوفها حدا، ولما اتـروح إن سألتها إمها ليش اتعوقتي، تقول طولت تَإجاني دور أو تقولها وقفت اتْخَرَّفِـت مـع صـاحباتي شوية".وقد يصاب المشتاق والمُتَيَّم بالمرض والنحول:

"طلبـت المـاء جـابولي بالسـعول[2] وميِّـتْكم بعيـدة مْنـين تِسـعون

وقولـوا للأهـل يـا نـاس يِسـعون ولـدكم صـابو حـادي الـردى[3]

وقد يتغزل الرجل:

يـا طالعـا السـلالم والهـوا غربـي كَشْفَت عن الخدِ لِحْمَـرْ لَوَعـت قلبـي[4]

وتقول المرأة العاشقة:

طِلِعِتْ نُـصْ الليـل تِنْـدَه يـا لَطيـف لانـي مجنونـة ولا عقلـي خَفيـف

---

(1) حمير: عامية بمعنى حمر.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة صفية، عين قينيا، 86 سنة. 2007/7/20.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة انشراح، الجديرة. 67 سنة.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) السعول، جمع سعلة: عامية بمعنى جره صغيرة.

(3) مقابلة شخصية، أبو مشهور، أبو شخيدم، 81 سنة. 2007/7/29.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

مـــين ايّحـــب الله ويطعمنـــي رغيـــف   من خبر المحـــبوب يِكفينـــي ســـنة[1].

ذكرنا سابقاً أن الفتاة المخطوبة في العراق القَديم قد تتأخر في بيت أبيها لبعض الوقت، لاستكمال متطلبات الزواج[2].

وفي هذه الفترة تكثر رسائل الغزل والحب، ومن أشهرها "أنشودة خداع إنانا لأمها ننكال"، وهي من أكثر الغنائيات رقة وتوقداً، فإنانا التي رغم استشارتها لأمها وأبيها بشأن دموزي والتي تحب أمها وتعمل بنصيحتها، لم تكن منزهة عن مخادعتها، هذا ما حدث بناء على إيحاء من عاشـــقها دموزي لكي تمكث معه على ضوء القمر الفضي[3]، فقد طال لقـــاء الحبيبـــين وحاولـــت إنانـــا التملص من ذراعيّ دموزي لتهرع عائدة إلى البيت قبل أن تكتشف الأم غيبتها الطويلة، ومـــاذا قال لها دموزي عن معاذير تختلقها لأمها، مما تختلقه الفتيات في يومنا هذا من معاذير واهيـــة، كغيبتهن دائماً مع هذه الصديقة أو تلك، وثمة أمر ألهاهُنَّ حتى نسين كم مَرَّ من الوقـــت، وتبـــدأ إنانا هذه القصيدة بمناجاة نفسها.

ادعت أنها حاولت التخلص من ذراعيه ولم تكن تعلم ماذا تقول لأمها:

"تعال الآن، أيها الثور البري خلصني، يجب أن أذهب إلى البيت.

ماذا عساي أن أقول لكي أخادع أمي ننجال

فَلأُخبرك، فلأخبرك

أي إنانا، يا أكثر النساء خداعاً، فلأخبرك

قولي أن صديقتي اصطحبتني معها إلى الساحة العامة

حيث سلتني بالموسيقى والرقص

وغنت لي أغنياتها الحلوة

في الابتهاج الحلو قتلت الوقت هناك

بذلك تواجهين أمك في خداع

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة، 2007/8/7.

(2) الهاشمي، **من كتاب حضارة العراق**، ج 2، ص 90.

(3) كريمر، **طقوس الجنس المقدس**، ص 113.

بينما كنا نحن على ضوء القمر ننغمس في شهوتنا"[1]

وكما عبرت بعض الحكم السومرية عن تودد الفتى لفتاته قبل الزواج، مظهراً لها أنه أكثر اهتماماً وحرصاً على تحقيق مصلحتها والرفاهة لها من أخيها:

"أيتها العذراء لم يَعطِكِ أخوك الأفضلية

فلمن يجب أن تعطي الأفضلية؟

ويبدو منها أنها شكوى من المحب لفتاته، مشيراً لها أنه هو الذي يبحث عن مصالحها وليس أخوها، وأنه هو الجدير بأن تمنحه ثقتها، ويقول أيضاً:

"أيها العذراء هل أخوك مثلي؟ هل تركك أخوك تعيشين حياتك الخاصة كما تركتك؟[2]

ومما ورد عند البابليين والآشوريين:

"إن قلبي حكيم ومشاعري سلوك وكيدي ذو جلال ووقار لا تتحدث شفتاي إلا بالأشياء الجميلة فمنذا الذي سيكون زوجي المختار"[1]

وعند المصريين القدماء:

تقول إحدى أغنيات الغزل المكتوبة على أوراق البردى:

"كم هو محير لطيف مأوى الراحة

إن فم حبيبتي كالبرعم، وصدرها مثل تفاح الحب

إن ذراعيها تحوطاني مثل القوس

إن حبهما مثل فخ مصنوع من خشب السرو

وأنا البطة البرية

إن شعرها هو الدورة التي ابتلعتها عيناي

وأوقعتني في الفخ[2]

---

(1) كريمر، **طقوس الجنس المقدس**، ص 114.

(2) سليم، **تاريخ وحضارة العراق**، ص 182.

(1) المرجع السابق، ص 180.

(2) فياض، **المرأة المصرية القديمة**، ص111.

من طقوس الخطبة:

أولاً (الذبلة): لا تتم الخطبة دون (خاتم الذبلة)، وهو عبارة عن حلقة دائرية، يتبادل العروسان وضعها أثناء التلبيسة في الخطبة وفي الزفاف، ولها معان رمزية كثيرة سنتحدث عنها بعد قليل.

ثانياً حلقة دائرية تسمى (حلقة الحياة): فقد أصبح معظم الشباب لا يستغني عن هذه الحلقة التي تشبه خاتم الذبلة لكنها تلبس على العنق بشكل قلادة، وتخبرنا عبير قاسم[1] من الجديدة "هي حلقة مدورة بْتِشْبه الذبلة بس هاي بتنلبس في الرقبة، وهذي عادة منتشرة في الجديرة وبيرنبالا وبيت حنينا وكثير من القرى، من زمان موجودة بيشتريها كل شب للبنت اللي بحبها، بيشتروها كل اللي بُخُطْبوا من باب العمود في القدس، وأكيد موجودة في محلات الفضة، وكل بنت بتحب هذي الهدية لأنها بتعني إنه الشب بتمنى ايظل هو وخطيبته طول العمر مع بعض، لَإنها حلقة لا إلها بداية ولا نهاية يعني بِظلوا مع بعض إلى مالا نهاية، كل خواتي وبنات عمي وصاحباتي معاهم هذي الحلقة"ٍ.

كان الإنسان البدائي قديماً يعتقد أن الشيء المعطى كائن حي له روح، وفيه تكمن قوة تحركه وترتبط بصاحب الهدية، فإذا أعطاه إلى شخص آخر فإن الروح الكائنة فيه تضمن رجوعها إليه بعدئذٍ، أو رجوع ما يعادلها على الأقل، فالهدية في معتقد الإنسان القديم تملك روحاً مؤثرة، فهي ليست شيئاَ جامداً أو تافهاً، فالعطاء دليل التقرب إلى الشخص المعطى، والامتناع عن أخذ الهدية معناه رفض المحبة والمُحالفة، وهو في حكم إعلان الحرب الخاصة أو العامة"[2].

وتكاد (الحلقة) سواء أكانت (الذبله أم حلقة الحياة) تمثل الأفعى الكونية الأولى إيروبوس التي تضع ذيلها في فمها لتكون دائرة ليس لها بداية ولا نهاية عند السومريين والمصريين والبابليين والكنعانيين والإغريق[3].

"وهي ترمز إلى الاتحاد والاستمرارية الدورية، والأبدية، وتمثل الحلقة أيضاً البيضة الكونية، التي نَمَت بداخلها كل أنماط الحياة وعند المصريين القدماء عندما يبين الصقر عن مضمون الحياة الأبدية فهو يضع حلقة في مخالبه. وترتبط الحلقة بمفهوم سريان الزمن الذي يعيشه البشر،

---

(1) مقابلة شخصية، عبير قاسم، 25 سنة. 2008/8/8.

(2) عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ص 208.

(3) الماجدي، **متون سومر**، ص69.

وبمختلف مراحل الحياة الكونية "[1] والحلقة في الرموز المصرية تعني تيت Tet وهي ضمن الرموز المتعلقة بالربة إيزيس، وأصبحت علامة هيروغليفية، وربما تكون عقدة بحزام ما (المبدأ الأنثوي للخصوبة)، وترتبط في أغلب الأحيان بالعمود "جد"، وهو محور رأسي يربط بين العالم السماوي والمستوى الدنيوي، ويفصح هذا الارتباط عن مبدأ الحياة العالمية"[2].

طقس الكسوة (جهاز العروس):

" بعزموا من الصبح عالنسوان والزلام (القرايب)، ويروحوا مشي ايغنوا وينزلوا على طريق العين حتى يصلوا لطريق بيت حنينا، بِكْسوا للعروس وبِقطعوا لإم العروس، وللقَرَبات خُلقان هدية العرس أربعين ثوب و وخمسين ثوب ْوخِرَق. لما يروحوا الكساية يلاقوهم مْحَضرين صَواني قَشْ مْزَوَقات (مُلَوْنة)، ايحطوا الكسوة في أكياس على الصواني، وبَعدين ايحطوهن على رووس البنات والصبايا، ويلفوا يرقصوا وايغنوا فيهن، وبِعملوا مَشاعل وبعد المغرب برقصوا وبوزعوا قضامه ومْلَبَس (حلو) على باب المضافة "[3].

"كانوا يكسوا كل شيء (قماش) ويفردوه على هالطباق، طباق قش صواني مْزَوَقات وتشتري العروسة قمصان، كلاسين (غيارات داخلية)، ثياب مطرزه عليها كيلو حرير، وتعمل من الذهب اللي اشترته وقاه، شقفة زي الثوب، مطرزه بيخطوا عليها ذهب أرباع لَرات، وتلفلفها الوحدة زي العجايز زمان كن يلفلفنها بْشَعَْرْهِن يِعملن ًإلها شالات طوال ينسجن نسيج ويمسكنها ويُصبْغِنْها، يعملن إلها شراشيب ويربطنه ويلونّه عجايز زمان ايلونه على شعرهن"[4].

"لليوم الناس بيكسوا في القرى بيروحوا كل النِسوان والزلام. في بعض القرى صار ايروح فيها العريس والعروس وإم العروس وإم العريس والعمة والخالة فقط، بِنزِف الكسوه على الصواني وبِنْقول[5]:

اتلولَحْ يا ذهب على الصواني	عَمِنَك يا ذهب جِبتْ الغوالي
اتلولح يا ذهب على الصينية	عَمِنَك يا ذهب جِبتْ النشمية

---

(1) تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص127.

(2) المرجع السابق، ص128.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية،الجيب، 81 سنه. 5/ 2007/8.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنه. 2007/8/5.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة زهور، أبو شخيدم، 54 سنه.29/ 2007/7.

كانوا يبرموهن[1] على الصواني ويقولوا:

دوسي يا راعي اللي عنا دوسي ... في بَلَدْنا جِس فَن عْروسِ

وبـْ إيدي تَحِلْ الشَمْلَه وأربطها ... والبنت الحلوة لمين اسفطها

وبـْ إيدي لَحِلْ الشَمْلَه وارخيها ... والبنت الحلوة لمين أعطيها[2]

وهن يرقصن بالكسوة ايْقُلِن:

سرينا طلعة النِجْمَة ... لاقينا الخيل مْيلتِجْمَه

يا ولد زَرر البَدْلَة[3] ... عازمْنا وينْثَى ع َالدار

سرينا طَلْعِة العَيوق ... لاقينا الخيل طايحه السوق

يمحمد زَرْر الكبوت ... عازَمْنا وينثى عَ الدار"[4]

يُنْصُرَك يا بَيّ مْحَمَد ... ناسَبْت البَدر التمام

يُنْصُرَك على عَدوَك ... دِيمة الله والزمان[5]

"البيلِبلا البيلِبلا[6] على عِيروق الشجر ... وْقاطَعْنا مية اخظاري،[7]عالى ظوْ القَمَر

البيلِبلا البيلِبلا على عِيروق الناتِش ... وقاطَعْنا مية اخطاري، عالى ظو الشَّمس

عاياني، وعاييتا خواجا محمود ... ومية اريال اعطيتا في باب العامود

---

(1) يبرموهن، يلفوهن في قِطَعْ قِماش.

(2) مقابلة شخصية، أم فهد كوبر، 90 سنة. 2007/3/2

(3) البَدْلة: هي قطع ملابس متناسبة مع بعضها تجمع بين القميص، وربطة العنق والجاكيت، والبنطال، وتشكل ملبوس العريس. انظر: **المنجد**، ص 29.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة رويدة لطفي قاسم، الجديرة، 56 سنة. 2007/8/8

(5) مقابلة شخصية، الحاجة انشراح، الجديرة، 68 سنة. 2007/8/8

(6) البيلبلا: أي البُلبل.

(7) اخضاري: نوع من الثياب المشهورة في فلسطين.

عايـــــاني وعاييتـــــا خواجـــــا عثمـــــان ومية اريال اعطيتا فـــي بـــاب الـــدُّكان[1]

"واحنـــــــــا كســــــــينا للولـــــــــــد ريتـــــــــا عمـــــــــرا طويـــــــــل

واحنـــــــا كســــــينا الجلاجـــــــل والجلاجـــــــــــل حُمُـــــــــــــر

واحنـــــــا كســــــينا لفـــــــلان يـــــــــا طويـــــــل العُمُـــــــــر

حبيـــــــــكِ يـــــــا حُـــــــرة وحيـــــــــي اللــــــــي جابِـــــــك

حيـــــــي يـــــــا بـــــــو فـــــــلان عمنـــــــــــو جلابـــــــــــك"[2]

قطـــــع الكَســـــا ثـــــوب رُهبـــــاني[3] فـــي دار ابـــو محمـــد نُفْـــرُش وانـــامِ

قطـــــع الكَســـــا ثـــــوب أبـــــو قُطبـــــة[4] فـــي دار ابـــو محمـــد طابَـــت الخُطبـــة

قطـــــع الكَســـــا ثـــــوب ابـــــو ريشـــــة[5] فـــي دار ابـــو محمـــد طابَـــت العيشـــة

قطعنـــــا البحـــــر ابـــــو ريشـــــه علـــــى اللـــــي عُنْقِهـــــا شيشـــــة

عايـــــاني وعاييتـــــا الرنتيســـــي ميـــــة ليـــــره أعطيتـــــا للقَميصـــــي

عايـــــاني وعاييتـــــا أبـــــو موشـــــيل ميـــة ليـــرة أعطيتـــا حَـــق الكَشـــمير

طـــاحْ ابـــو مْحَمَـــد اتْيَسَّـــرْ عَ القُـــدس قـــاطَعْ للكَنـــاين مـــن أحلـــى لِـــبِس

طـــاح ابـــو مْحَمَـــد اتْيَسَّـــرْ ع عَمـــان جـــاب للكَنـــاين مـــن أحلـــى ذُهبـــان

طـــاح ابـــو مْحَمَـــد اتْيَسَّـــرْ عَ الخليـــل جـــاب للكنـــاين مـــن اعلـــى مُوديـــل[1]

---

(1) عايا: من أعيا: بمعنى أتعب، انظر: **المنجد**، ص 542، وهي هنا عامية هنا بمعنى عذبني بسبب النقاش حول السعر

(2) مقابلة شخصية، أم عزمي بيت عور، 92 سنه. 2007/1/17.

(3) رهباني: من الثياب الفلسطينية المطرزة.

(4) أبو قطبة: من الثياب الفلسطينية المطرزة.

(5) أبو ريشة: من الثياب الفلسطينية المطرزة.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة انشراح، 68 سنة. 6/ 2007/8.

كَســــــاية وداروا طريــــــــق رام الله	قطعـــــوا الحبِـــــرْ يـــــا ماشـــــاالله
كســـــاية وداروا طريـــــق البيـــــرة	قطعـــوا الملـــك مـــع التقصـــيره[1]
واقْطَـــعْ يـــا خَواجـــا يـــا معلـــم	واقْطَـــع جُـــوخ والتـــالي مســـلم
واقْطَـــع يـــا خواجـــا يـــا يهـــودي	واقْطَـــع جـــوخ والتـــالي بنـــودي
يعْلَــــــمْ الله اليــــــوم كســــــوتنا	مبروكـــــــه يــــــا عاروســــــتنا
ظليتنـــــي دايـــــر عـــــالجواد تـــــالاقيهم	تَنْـــا رَمَـــاني الهـــوا جـــوا علالـــيهم
ظليتنـــــي دايـــــر عـــــالجواد تناســـــبهم	تَنْا رَمَـــاني، الهـــوا جِـــوا مصـــاطبهم[2]
كســـــينا الكواســـــي وكســـــينا مخمـــــل	كسينا لمحمـــد يَريـــت عمـــره يطْـــوَل[3]

"زمان أهلها كانوا ايجيبوا الذهب واعيالها الكسوة في صندوق، أكبر وحده اتجيب أربع أو خمس ثواب وكُندره من نابلس ومنديلين وعصبة خضرة فلسطينية واشداد [4] فلسطيني "[5] ومن أغاني أغاني زفة الكسوة:

" يخلف عَ أبو محمد ويـــن مـــا رباهـــا	ميـــــة ليـــــرة ذهـــــب أعطاهـــــا[6]
امْبـــارَك امْبـــارَك ويـــا ريتـــا هَنَـــا	كمـــا بـــارَك محمـــد عَ جَبَـــل مُنـــى
امْبـــارك امْبـــارك ويـــا ريتـــا يـــدوم	كمـــا بـــارَك محمـــد ع َجَبَـــل عَجلـــون
"قطـــع التـــاجر ثـــوب أبـــو ملكـــه	فـــي دار أبـــو محمـــد كتبـــوا الورقـــة
قطـــع التـــاجر ثـــوب أبـــو ريشـــه	فـــي دار أبـــو محمـــد طابـــت العيشـــه

(1) مقابلة شخصية، الحاجة حلوه سمور، 75 سنة. 20/ 2007/7.
(2) مقابلة شخصية، الحاجة صفية، عين قينيا، 82 سنة. 20/ 2007/7.
(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.
(4) اشداد: عامية بمعنى حزام وهو موجود بشكل خاص عند الفلسطينيين.
(5) مقابلة شخصية، الحاجة جديه، سنجل، 77سنة. 2007/8/3
(6) مقابلة شخصية، الحاجة صفية سمور، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

يـــا لابـــس الـــروزا طَــرّزْ حَواشـــيها	قولـــوا لَـــمِّ العــريس تعـــزم عاهاليهـــا
يا لابـــس الـــروزا طَـــرِّزْ عَ جيبتهـــا	قولوا لَمِّ العريس تِعزم علـــى إخوتهـــا"[1]
واحنا قطعنا الملوكِ والملـــوكِ حَريـــر	واحنا كسينا لمحمد يريـــت عمـــره مَديـــد
واحنا قطعنا الملوكِ، والملـــوكِ قَصَـــبْ	واحنا كسينا للحلو يَريت عُمْـــرَه مَـــدَدْ[2]

وفي العراق القديم كانت الفتاة تأخذ من أهلها ما يسمى "الشريقتوم " وهو مبلغ من المال تهديـــه عائلة الزوجة (والدها) لها وتكون بمثابة حقها في الميراث[3].

ويقدم لها العريس عند السومريين المهر (كودام توكو) "أي فضه لأخذ زوجه" [4].

وهو (اليترهاتو) عند البابليـــن[5]، والموهار (Mohar) عند الســـاميين ويعني ثمـــن المرأة[6] وظلت تأخذ من أهلها الذهب ثم تغير هذا حديثاً فأصبح الذهب حتى الستينات من القرن الماضي من المهر الذي يدفعه الرجل (العريس).

أما الكسوة أو جهاز العروس ففي عهد حمورابي: 1728– 1686 ق. م كان من مظاهر الخطبة أن يرسل العريس إلى بيت والد العروس إضافة إلى المهر بعض قطع الأثاث"[7].

وعند المصريين القدماء كانت الكسوة تتضمن جهاز العروس، وكان عقد الزواج ينص عليهـــا، ففي نموذج لأحد العقود، من بردية تورين 152 ق.م " اليوم الخامس، الشـــهر الرابع من فصل الصيف السنة التاسعة من حكم الملك بطليموس وأخته كيلوباترا.

يظهر أن العقد قد تضمن بيانات عن التاريخ، وطرفي العقد، والمهر،والتسوية المالية بتعهـــدات الزوج بما يدفعه للزوجـــة إذا طلقها، كما يتضمن قائمة مفصلة بالأشياء التي أحضرتها الزوجة، وقد سجلت قيمة كل قطعة بقيمتها الفضية، ثم أعقب ذلك مجموع قيمتها[1] ومنها:

---

(1) مقابلة شخصية، السيدة زهور، أبو شخيدم، 54 سنة.2007/2/29.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(3) سليم، **تاريخ وحضارة العراق**، ص183.

(4) الماجدي، **الدين السومري**، ص174.

(5) سليم، **تاريخ وحضارة العراق**، ص183.

(6) عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ص185.

(7) سليم، **تاريخ وحضارة العراق القديم**، ص 183.

(1) فياض، **المرأة المصرية القديمة**، ص140، 141.

قطعة فضية	1
"غطاء للرأس من الشعر المستعار	175
صندوق	40
رداء	100
سوار	70
سوار	20
" 2 حلى من الأحجار الكريمة"	35
2 خاتم....... وغيرها	الخ
المجموع	910 قطع" [1]

من طقوس كسوة العروس طقس صندوق العروس:

تقول الحاجة جدية (سنجل)[2]: أهلها كانوا ايجيبوا الذهب قبل، وعيالها الكسوة وصندوق كبيــر اتحط فيه الكسوة أكبر وحدة اتجيب أربع، خمس اثياب.

وتخبرنا الحاجة صفية[3]، (عين قينيا): صندوقي خشب أصلي مْرَسَّمْ، بقينا انحُط الكسوة فيه والله (هيوته) [4] موجود لليوم، وزي مَهو. صاري عمر 82 سنه وهالصندوق موجود لمــا كَســيت جِبْتْ مَعاه (نَمليه) [5] وثياب و وَطاه [1] وْوقاة ذهب، ساقا الله عَهَذيك الأيام بَقينا مبسوطين".

أما الحاجة حسنية (بيت دقو) فتقول: لما كَسيت جِبِتْ صَندوق خَشب (وْأواعي)[2] وذهب ونملية " تعالي شوفيها بعدها زي ما هي، استني بدي أطعميكي ملبس عَ قظامه".

لقد لاحظت أن الصندوق والنملية والملبس عَ قظامة الأبيض والزهر موجودة عند معظم النساء كبار السن، فقد وجدتها في بيت عور وسنجل وسردا، وبيت دقو، وعين قينا، وكوبر.

---

(1) فياض، **المرأة المصرية القديمة،** ص 140.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة جديه، سنجل،77 سنة. 2007/8/3.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة صفية، عين قينيا، 82 سنه. 2007/7/20

(4) هيوته: عامية وتعني هذا هو.

(5) نملية: عامية، خزانه صغيرة.

(1) وطاة: عامية بمعنى حذاء.

(2) أواعي: عامية بمعنى ملابس.

دخل صندوق العروس (الكسوة) من أوسع أبوابها فقد كان من أهم أركان جهاز العروس أو متاعها وسُجل في عقود الزواج. وقد عُثِرَ على أحد هذه الصناديق المُزخرفة الجميلة في مقبرة توت عنخ أمون وكان يستعمل لِحفظ الملابس"[1].

وقد استخدم قدماء المصريين الصناديق الخشبية لحفظ الملابس والحلى، وأدوات الزينة كالعطور والأمشاط وكان لهذه الصناديق أرجل، وهي عادة مستطيلة الشكل، ولها غطاء مُقَبَب من أحد طرفيه ومسحوب من الطرف الآخر، كان للصندوق عادة مزلاجان (اكرتان) أحدهما في الجزء المُقَبب من الغطاء، والآخر على حافة الصندوق العليا، وكان يُشد إليهما حبل أو خيط يلف ثم يُختم عند قفل الصندوق[2].

طقس زفة الكسوة على صواني القش (الأطباق):

ذكرنا هذا الطقس سابقاً، والذي يبدو أن له جذوراً تعود إلى عمق التاريخ، عندما كان "المهر والهدايا عند السومريين المسماة (نكدي nig-de-a) والتي تتضمن مواداَ غذائية كالحبوب، واللحوم، والتمر، وزبدة، وفاكهة تُحمَلُ إلى بيت العروس على أطباق[3].

كما يشبة هذا الطقس (طقس حمل المولود بعد ولادته في صينية القش)، ويبدو أن كلا الطقسين يمثلان مرحلة المخاض مرحلة الطوفان التي تسبق الميلاد، فكل ولادة جديدة كانت تمثل في رأي البدائيين، تخليصاً رمزياً لخلق الكون"[4]. إنها العودة للبدايات الأصل ما قبل ولادة الكون المخاض، أنها مرحلة تحرك المياه الأولى قبل الولادة، إنها كوخ القصب الذي سينجو من الطوفان ويعبر إلى الميلاد الجديد[1].

من طقوس الحنة والعرس:

طقس العزومة:

"لما أبو العريس بِدَه ايْجَوِز ابنه بيروحوا عَ رام الله تَيشتروا مناديل، ومخامل (قماش) وكاسات.

---

(1) انظر: فياض، **المرأة المصرية القديمة**، ص 63 و 140.

(2) غربال، **الحضارة المصرية القديمة**، م1، ص 148.

(3) سليم، **تاريخ وحضارة العراق القديم**، ص 183.

(4) إلياد، **ملامح من الأسطورة**، ص 46.

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص327.

(اليوم العروس والعريس بيختاروا علب حلوات) وبيحطوا فيهن ثلاث حبات بيظ الحمام[1] وحبة توفي[2] حسب قدرة الواحد، في ناس بحطوا غالي (مــاكنتوش) [3] وبيربطــوهن بِشَــبَرْ حِلــو، وبيجيبوا (طقش)[4] ومناديل وبكونوا عاملين كروته (بطاقات) للعرس، وبعزموا الناس بِلِفوا على كل الدور وبِوَزْعوا كرت ومنديلة طُقُش، وكاستين ملبس، وكيس حِنة صغير. من زمان كانــوا يعملوا الخطبة والعرس في الدار اليوم في القاعة "[5].

"الصبح بِحَظروا المناديل والطُقُش والكاسات والملبس والحنة والمغرب بعزموا على القرابات في دار العريس قبل الحنة بليلة، وبيصرن ايغنين وبحطين في كل كاسة ثلاث حبات بــيظ الحمــام وحبة توفي وبيحطن الطقش في المنديل، "قبل أسبوعين اجوز ابن ابن اخوي ابــراهيم وزعــوا طقش وبيظ الحمام، من زمان كانوا يحطوا الطقش في المناديل، اليوم في كيس بلاستيك شــفاف وجنبه المنديل أو الشال بيجي أرتب وانظف. وابن بنتي اتجوز من مدة شــهر وكــذلك الأمــر وزعوا طُقُش ثَمَنين كيلو والمناديل جابوهن من أمريكا مْخَصَصْ عشان العرس وزعوا على كل دار منديلة أو ثنتين حسب عدد النسوان المْجَوَزات فيها، وكاستين ملبس وكيس حِنة صغير"[6].

وتقول رشا من بيت لقيا "بعدهم عنا بِيْوَزعوا مْلَبَس أبيض، (بيض حمام) ثلاث حبــات وحبــة توفي، ومناديل فيها طُقُش"[1].

ويبدو واضحاً للعيان علاقة بيض الحمام، بمرحلة العبور الثانية (الزواج) والتي تمثل هنا العودة للأصول الأولى (العود الأبدي عند السومريين)[2] إيذاناً بمرحلة ميلاد وخلق جديد فهذه البيضــة هي بيضة الكون الأولى " البيضة الأصلية" التي انبعثت منها الحياة بيضة بتاح الإله الفخرانــي

---

(1) بيض الحمام: من أنواع الحلوى يشبه البيضة.

(2) توفي: toffee كلمة أجنبية، من أنواع الحلوى.

(3) ماكنتوش: من أفخر أنواع الحلوى أجنبية الأصل.

(4) طُقُش: فستق، من أنواع المكسرات يشبه شكل الجنين، كما أنه يحتوي على بذور تنام بداخله على شكل جنين، كما أننا نجد لكلمة طُقُش علاقة مباشرة بالفِعْل طَقَش، والذي يُطْلَقُ على صوت البيضة عند ضربها لنزع قشرتها.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة زينب شحادة، عين يبرود، 69 سنة. 9 /2007/7

(6) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2008/8/8

(1) مقابلة شخصية، رشا، بيت لقيا، 23 سنة. 2007/8/6

(2) وافي، عبد الواحد، **من غرائب العادات والتقاليد**، ص 208.

رمز البعث الأولي (البيضة الأولية)[1] التي تشكلت بعد حركة الماء الأولى الطوفان الأول، فبعد حمل الكسوة على صواني، ومن ثم حمل العريس على الأكف في الزفة والرقص والدوران بشكل طواف حول سيارة العروسين ثم صمدتهما في مكان أعلى من الحضور بشكل يذكرنا بكوخ القصب الذي ارتفع بسبب الطوفان فوق المياه يمثل بشكل واضح مرحلة ما قبل ولادة الكون البدئي الأول ثم ميلاد البيضة الكونية الأولى، بما يمثله هنا بيض الحمام.

أما الطُقُش الذي يوجد بداخله البذور التي تعيد دورة الحياة، عنوان الخصب والتي تمثل إنانا (عشتار) إلهة الخصب والجنس[2] وهي تشبه هنا شكل الجنين في رحم أمه، مرحلة العبور والتأهب للولادة، مرحلة الحمل والانتفاخ.

إن البيض والطُقُش في تزامنهما يمثلان الكون الأول عندما تحركت المياه، ثم امتزجت لتكون بيضة الكون الأولى التي انفصلت سماؤها عن أرضها لتخلق لحظة الانبعاث والخلق الجديد، الجنين الذي هو نتيجة تزاوج الرجل والمرأة، السماء والأرض، الزواج المقدس، إعادة انبعاث الخصب من جديد وهي في حقيقتها عملية تمثيل العودة للأصول والبدايات التي كانت تجري في أعياد القدماء واحتفالاتهم ففي عيد الكيتو السومري (عيد رأس السنة والذي كان في فترة بذر البذور، كان الكهنة يمثلون العود البدئي الأول على شكل الزواج المقدس وفي بابل كان الكهنة أيضاً في أعياد رأس السنة يقومون بتلاوة أسطورة التكوين البابلية كاملة حيث كان يجري تمثيلها درامياً وذلك من أجل العودة للأصول، عن طريق استحضار القوى الإلهية الخلاقة التي أبدعت الكون في الأزمان الأولى[1]، لهذا نجد في كل مرحلة عبور (حمل على صواني القش) الطوفان ثم ميلاد جديد.

من طقوس العرس المشاعل:

تبدأ مراسم الاحتفال بالعرس قبل موعد الزفاف بسبعة أيام ويُطلق عليها الفلسطينيون (السهرات)، لذا ينشغل شباب القرية في التحضير لذلك[2]. "قبل يوم الزَّفة، بِلِمْ العريس رفاقه

---

(1) انظر: الماجدي، **الدين المصري**، ص 96.

([2]) الماجدي، **متون سومر**، ص 336–338.

(1) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص77.

(2) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص41.

وبِكُشِوا[1] نَتِش[2]، بَذْكُر قبل زواج أخويّ بِخَمِسْ طعْشَرْ يوم غنوا له، وبقوا مْحَضْــرين نَــتِش ويظلوا للصبح، تبقى النار مْوَلْعَة والقهوة والطبل، والنسوان يجبين حــاملات معــاهن مشــاعل ويهاهين حتى يَصلن الدار"[3]. "كانوا يحِملوا مشاعل، بَقاش في فوانيس أو كَهْرَبَه، كانوا يعملــوا مشاعل، شرايط، خَلَقَات بِلفوهن على عَصاية وبحطوا عليها زيت، وكل ما انطفت وَحَدَه يظووا وَحَدَه"[4].

ومن أغاني المشاعل:

هَنْــوني يَحْبْــابي بمشــاعل زيــت	واحسن مــن هالطلــة والله مــا رْيــت
هَنْــوني يَحبْــابي بمشــاعل نــار	واحسن مــن هالطلــة والله مــا صــار

"إنقول اليوم الحِنة، يْحَوشوا شرايط، الليلة السَّهرة انجيب عيدان وكاز وانْهَــوِّدْ علــى العُــرُس، ايكون العُرُسْ في آخر البلد، نِسهر ونْغَني، الزلام يعملوا تمثيليــة (شــنيعة وامليحــة)، (مــدني وحراث، فلاح) ويْصيروا الناس يضحكوا"[5].

ومن أغاني المشاعل أيضاً:

مسْيكن بالخير يَلّي ماشــيات فــي الليــل	واللي جابت مِشعلة تْجيب معها مِشعلتين[1]
"يــا موقــد النــار أوقــدها وعلّيهــا	والنار ما تُصمُط إلا الــي وِقــع فيهــا"[2]
صُبوا من جِرار الزيت تَنِظوي مشــاعلنا	الله مع أبو مشــهور رَدّاد الجــواب عَنــا
صُبوا من جِرار الزيت تَنِظْوي الرواقاتِ	الله مع أبــو مشــهور رَدَّادْ الجوابــاتِ[3]

---

(1) بِكُشوا من كَش، عامية وهي بالفصحى قَش: جمع. انظر: **المنجد**، ص629.

(2) النتش: العشب الناشف.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة.2007/8/5.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، عين يبرود. 63 سنة. 2007/7/29.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة صفية، أم وجيه، عين قينيا، 84 سنة.2007/7/20.

(2) مقابلة شخصية، السيدة زهور، أبو شخيدم، 58 سنة.2007/7/29.

(3) مقابلة شخصية، بديعة قندح، أبو شخيدم، 60 سنة. 2007/7/29.

وحديثاً هناك فرقة للدبكة من قرية الجديرة تُسَمِي نفسها فرقة المشاعل، وهي محاولة للعودة للماضي البعيد وإحياء التراث، لذا تقوم الفرقة بعروضٍ تشارك في الأعراس والاحتفالات التراثية مُسْتَخدِمَة مشاعل الزيت والكاز وهي تلقى نجاحاً رائعاً.

إن فكرة الدين التي تَستند إلى جوهر واحد هو (وجود المقدس) يمكن أن تكون قد بدأت من النار، لأنها تحمل نمطاً خاصاً تختلف فيه عن بقية ما يراه الإنسان في عالمه، لقد كانت أول مُقدس احتك به، لكنه مقدس غائر في القدم والبعد، وهو كذلك مقدس غفل لأنه لا يستدعي فصلاً بين عالمين، معروف ومجهول، إنسانيّ وإلهيّ، لقد شكلت النار أول إشارة للخوف والرهبة والدهشة والجمال والمنفعة، ولم يكن الإنسان يلمحها أو يراها عن بعد فحسب (كالشمس والقمر)، بل كان يستعملها ويقترب منها وكان من النادر أن تجود الطبيعة في تلك الأزمان بشيء ما يشبهها، ولعل الإنسان القوى هو الذي يستطيع إيقاد النار واستعمالها والسيطرة عليها.

لقد اقترب الإنسان من المقدس الأول النار، فَرَوَضَها وجعل من تدجينها طريقاً لعبادتها[1]. "كانت النار آية الإنسان البدائي، ويبدو أن حِمَم البراكين الحارة هي التي علمت الإنسان ما النار، ولقد كان من بين آثار الإنسان النياندرتالي قطع من الفحم وقطع من العظم المحترق. إذن فالنار التي صنعها الإنسان تذهب في القدم إلى أربعين ألف عام مضت، وقد أعد الإنسان لنفسه آنية خاصة تمسك الشحم الذي كان يشعله ليستضيء بضوئه، لقد اتقى الإنسان البرد وقهر الظلام بها"[1]، ثم عبد الإنسان القديم النار واستخدمها "وقد توافق الباعث التطهيري للنار في جميع الحضارات، فالبابليون حرقوا الجثث بالنار"[2]، أما الفراعنة فإنهم حرقوا ــ بالنار ــ البخور أثناء طقوس الظهيرة[3].

وتتحدث الأساطير عن سر اكتشاف النار، ويعيد بعضها هذا الاكتشاف إلى عشتار، "فقد كانت هي أول من استخرجها من مكمنها من أغصان الشجرة وحافظت عليها اتقادها[4]. ويحكي

---

(1) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص36.

(1) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج1، م1، ص164.

(2) انظر: المنصوري، جريري، **النار في الشعر وطقوس الثقافة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. ط1، 2002 ص29.

(3) المرجع السابق، ص31.

(4) السواح، **ماسأة عشتار**، ص128.

بعضها عن شعلة النار الأولى وكيف جاءت بها إلى الأرض امرأة سرقتها من القمر ثم قامت بحراستها والإبقاء على اشتعالها في البيوت والمعابد"[1].

"وفي بعض الأساطير البدائية تنبعث شعلة النار الأولى من قيام إلهة القمر بتمرير يدها ما بين ساقيها مما يُذكر بالأم الكبرى في الهند، التي باعدت بين ساقيها ومن رحمها نبتت الشجرة"[2].

"وعند الإغريق تروي أسطورة بروميثوس اليونانية، أنه كان إلهاً مضاداً تمرد على الآلهة فذهب ذات يوم إلى جبال الأوليمب متكئاً على عصا، ولم يُلق أي من الآلهة بالاً لتلك العصا، لكن العصا كانت فارغة من الداخل ودون أن يلاحظه أحد، أخذ بروميثوس جمرات من الموقد الإلهي ووضعها في قلب العصا، ثم حملها للإنسان الأول على الأرض فلم يعد هؤلاء يخافون البرد والظلام"[3].

"وقديماً كان حملة المشاعل يتقدمون الأعراس السومرية والبابلية والمصرية والكنعانية والإغريقية والرومانية"[1].

وعند الإغريق أيضاً، صَوَرَت الأعمال التشكيلية الأم الكبرى وبيدها مشعل، كما في رسوم الإلهة، ديمتر[2] وغيرها الكثير من [3] الآلهة، وفي ديانة الأسرار الإليوسية[4] (Eleusinian الإليوسية[4](Eleusinian Mysteies)، كانت تجري احتفالات في شهر أيلول، حيث يحمل الكهنة تمثال ديونسيوس[5] مع رموز الإلهة ديمتر إضافة للمشاعل وسنابل الحنطة من معبدها

---

(1) السواح، **ماسأة عشتار**، ص128.

(2) Campbell.Joseph. **The Masks of God**. Oriental Mythology. Penguin Books New Yourk. 1976. PP.166

(3) Campbell. Joseph. **The Masks of God**. Primative Mythology. The Vinkling. Press.New York. 1995.p.p359.

(1) انظر: عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ص17 و 30.

(2) ديمتر: (أم الأرض): إلهة الخصب والزراعة والبذور عند اليونان، انظر: الماجدي، **المعتقدات الإغريقية**، ص222.

(3) Frazer. **The golden pough**. Pp.191.

(4) الإليوسية: أقدم الديانات السرية الإغريقية، تعود جذورهاإلى حوالي القرن السادس عشر ق.م. انظر: الماجدي، **المعتقدات الإغريقية**، ص120.

(5) ديونسيوس، (باخوس): إله النبيذ، ويبدو أن أصله فينيقي يعود إلى أدونيس (إله مشرقي). المصدر السابق ص286. وانظر: عكاشه، **الإغريق بين الأسطورة والإبداع**، ص93.

ثم يذهبون بها عبر الطريق المقدس إلى أثينا في موكب حافل ليضعوها في معبـدها هنـاك"[1].

وعند الرومان تظهر الشعلة أكثر التصاقاً بالإلهة (ديانا) من غيرها، فلا تظهر في رسم ونحـت إلا وفي يدها مشعلها المضيء، واسمها إذا أعيد إلى جذره القديم يعني (المضيئة)[2].

طقس الحناء:

يتم طقس حناء العروس في الليلة السابقة للزفاف، وهي آخر ليالي السهرة وتُشتري الحنـة مـع الكسوة[3]، "بتجيب إم العريس الحنة خمسة كيلو أو أحيان عشرة كيلو حسـب قـدرتها، بْتِعـزِم القَرَبات وبقولوا: تْفَضَّلُوا يَلّه بِنا نِجْبِل الحنة للعروس (بُكرة حِنة وْغَدا)"[4] وعند الظهـر تقـوم إحدى قريبات العريس بعجن الحنة بالماء مع وضع قليل من الخميرة (حتى تختمر العجينـة)[5] ويرددن في أثناء العَجِن أغاني كثيرة منها:

"هالحنـة اللـي جبلناهـا | تيجـي رطلـين ووقيـة
كلـه فـي عُـرس فـلان | يـا ريـت منـه الذُريـة
هالحنـة اللـي جَبلناهـا | تيجـي رطلـين وحَفنـة
كلـه فـي عُـرس فـلان | يـا ريـت منـه الخِلفـة
منـين جِبْـت الحنـة | يـا طَيّـب الأصـل
مـن كـل عطـار شـوية | تَفَريـت[1] انـا السَّـبع ومصـر"[2]

"وانا جبلتْ الحِنة تيجي رطلـين ووقيـة | بستحمد ربي العالي اللـي عـاد عَلَيّـه
وانا جبلت الحنة تيجي رطلـين وقُبْعَـة | الحمد لله يا ربي فرحت انا في الشـمعة
"حنـا وَلَـك يـا جالِـب الحنـة | محمـد عـريس وعَروسـته مِنـا

(1) الماجدي، **المعتقدات الإغريقية**، ص121.

(2) Frazer. **The galden pough**. Pp.191.

(3) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص41.

(4) مقابلة شخصية،الحاجة فاطمة، عين يبرود، 63 سنة.2007/7/9.

(5) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص41.

(1) تفريت: حتى لفيت وبحثت.

(2) المرجع السابق، ص41. وانظر: المبيض، سليم عرفات، **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**، ص411.

ريحـــة ولَـــك يـــا جالِـــب الريحـــة	محمـــد عـــريس وعروســـته مْليحـــة[1]

حنِـــــــاكِ هيلـــــــة بيلـــــــه[2]	ونقوشِـــــك مَـــــــلا الكيلـــــــة[3]
واللـــــي أخَـــــذك راح مِسْـــــعَد	اللـــــــي فاتـــــك يَقشـــــيله
"حنِـــــــاك هيلـــــــة بيلـــــــه	ونقوشِـــــك مَـــــــلا الفنجـــــان
واللـــــي أخَـــــذِك راح مِسْـــــعَد	اللـــــي فاتِـــك راح نـــــدمان[4]"
حنِـــــــاكِ خَـــــــطْ القلـــــــم	واللـــي فاتـــك راح فـــي النـــدم[5]
"طـــايِح محمــــد يشـــتري حنـــا	فـــي عروســـته ربـــي يتهنـــا
طـــايِح محمــــد يشـــتري عَ الســـوق	لَعروسْـــــــــتَه إم الـــــــــذوق
طـــايِح محمــــد يشـــتري ريحـــه	لَعروسْـــــــــتَه المليحـــــــــة[1]

"بعدما انخلص جبل الحنة بنزينها بالورد وبنغني:

قَطفنـــا الـــورد مـــن الجنـــاين	تَنْحُطَـــه علـــى رووس الكنـــاين
قَطفنـــا الـــورد مـــن الحصـــيرة	تَنْحُطَـــه علـــى رووس الغنـــدورة[2]

"ثاني يوم بِحِملوا الحِنة وبروحوا على دار العروس وبِغَنين وهن رايحات:

وين دار الأمـــارَة ويـــن دار الأميـــر	وين دار أبو محمـــد مَفروشـــة بحريـــر
وين دار الأمـــارَة ويـــن دار الشِـــيوخ	وين دار أبو محمد مَفروشـــة بـــالجوخ[3]

"لما يُعُبروا، أبوها وخالها بقولولها:

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67سنة. 2007/8/5.

(2) هيلة بيلة: عامية، تعبير عن الكثرة، وكأنها اختصار لكلمة (بالهبل) وهي عامية تعني كثيراً جداً دون حساب.

(3) الكيلة: وعاء يكال به (يوزن به) **المنجد**، ص706.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة صفية (أم وجيه)، عين قينيا، 84سنة. 2007/7/20.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67سنة. 2007/8/5.

(1) مقابلة شخصية، إنعام عصفور، سنجل، 47سنة. 2007/8/3.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71سنة. 2007/8/7.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69سنة.2007/7/29.

"اتحني، اتحني ومِرحبابك واحنا اجمالك"

وبنصير احنا نقول:

قولي لي من هو بَيِّك يا مريم يا بَدوية وانا بَيِّي أبو محمود يا ذَهب انجادِية

قولي لي من هو بَيَّك يا مريم يا فلاحة وانا بَيِّي أبو محمود يا ذَهب لَواحة"(1)

وهي تتحنى:

واتخَظَي يا مليحة يَمٍّ الرجال الشَّجيعة

واتخَظَبي يا دلالي يَمٍّ الرجال الشجعان(2)

وأثناء عملية وضع الحنة:

"مدي ايدك مِديها تَمِني... أحنيها

والوجِه ديرة قمر والنِجِمْ حايط فيها"(1)

"قومي اتحني قومي اتحني بِشْمالِك واحنا حَطينا حقوق أبوك وخالك

قومي اتحني قومي اتحني ويش بِدك واحنا حَطينا حقوق أبوك وجِدك

خَلِيكْ عَالميل يا عود التفاح في دار أبو محمود حَنينا الملاح

خَلِيكْ عالميل يا عود الدوالي في دار أبو محمود حَنينا السراري

خَلِيكْ عالميل يا عود الليمون في دار أبو محمود حنينا المزيون

مدي إيدْ ميديها لَلحنا تحانيها، للحنا تحانيها عينِكْ عين الشُّنارة والكُحُل امْحاليها والكُحُل امْحاليها

مدي إيدك ميديها للحنا تانَقِشْها للحنة تانَقِشْها عينك عين الشُّنارة والكُحُل مكاوسها والكُحُل مْكاوِسها"(2)

يَمْ وَشامَه بالحنة، رُشي الحِنة قميصك، رُشي الحِنة قَميصك واليوم انتِ عِند اهلكْ،وامْبُكْرَه(3)عَ عريسك، وبُكْرَة عَ عريس

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69سنة.2007/7/29.

(2) مقابلة شخصية، أنعام عصفور، سنجل، 47 سنة. 2007/8/3.

(1) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص42. تلفظ ال (ك) (ch) في اللهجة الفلاحية.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(3) المصدر السابق. 2007/7/29.

يَمْ وَشامة بالحِنة رُشِي الحنة بَدلاتك، رُشي الحنة بَدلاتك واليوم انتِ عند اهلك، ومْبُكْرَة عَ حَماتِك، وبُكْرَة عَ حَماتك

يَمْ وَشامة بالحِنة رُشِي الحِنة عَذْيالك، رُشِي الحنا عَذيالك واليوم انتِ عِندينا، ومْبُكْرَة عند اعيالك، وبُكْرَة عند عيالك

يَمْ وَشامة بالحِنة، رُشِي الحِنة جوكيتك، رشي الحنا جوكيتك واليوم انتِ عند اهلك، ومْبُكْرَة على بيتك وبُكْرَة على بيتك"[1]

"بَقت وحدة هي اللي تحني العروس انقلها (نقاشة)[2] يغنولها:

واعطوا محنية العروس اقراها عُقبال فَطْمَة مَتحني طناها

واعطوا محنية العروس قَرْوِتْها عُقبال فَطْمَة مَتحني كنتها[3]"

تقول النساء على لسان العريس:

"وصيتك يا مْنَقْشَه عَروستي ما خَذتها إلا تَكَتَب فلوستي

وَصيتك يا مْنَقْشَة عَمْ الحَلَق ما خَذتها إلا تَكَتَبْ الورق[1]"

وبعد الانتهاء من نقش العروس يأتي دور العريس:

"يا زريف الطول والليلة حِناك واعبروك الدار وما عُدنا نَراك

يا زريف الطول طالع سِلَمَه من عيون الناس ربي اتْسَلِمه[2]

مْنين جبت الحنا محمد يا بوالناموسِ فريت القدس ورام الله تني أجَمِل عروسِ

مْنين جبت الحنا محمد يا بوالهيبات فريت القدس ورام الله تني أجَمِل بناتِ

مْنين جبت الحنا محمد يا بوالربابِ فَريت القدس ورام الله تني أجَمِل شبابِ[3]

ثم يغنى للعروس:

حِنة الشام شَريتا على إيدين البيظ حَطيتا

حِنة الشام مَشرية على إيدين البيظ إلو غِيّه

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة لوزية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/8/16. امبكره: لفظة عامية تعني غداً وتلفظ بالفلاحية (Imbochra).

(2) يسمى يوم الحنة، (يوم النقش)، انظر: المبيض، **ملامح الشخصية الفلسطينية**، ص411.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة لوزية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/8/16.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

حنـــة حِنـــة يـــا جابـــل الحِنـــة	محمـــد عـــريس يـــا ريـــتَ يتهنـــا
ريحـــة ريحـــة يـــا جابـــل الريحـــة	محمد عـــريس يتهنـــا فـــي المليحـــة[1]
والليلة حنا العرايس يـــا ســـلام سَـــلِّم	واستوى عِنَـــب الـــدوالي يَمحمـــد كَلِّـــم
والليلـــة حنا العرايس يا لطيـــف أُلطف	واستوى عِنب الدوالـــي يَمحمد أُقطف[2]

وعند العودة من الحناء تغني النسوة:

حَنينـــــا وِجينـــــا يـــــا خليلـــــي	عُقبـــــال الصُـــــدَقا[3] والمحبـــــينِ[4]

"بقينا نُقعد قُدام العروس إنْحَنْي إجريها[1]حتى الرُكبة وإيديها لَلكِتِفْ، اليوم بِنقشوا اسم العـــروس أول حرف فقط على كف العريس واسم العروس أول حرف على كَف العريس"[2] ويصف المثل الشعبي جمال الحِنة على المرأة فيقول: "اصابعها زي الرُطب"[3] وقد تكون الرُطَبْ هنا بمعنـــى البلح الناضج.

ويرمز الحناء حديثاً وقديماً إلى الدم، تلك الطاقة الكامنة، في الحياة فقد عثر في منطقـــة لوســـيل Layssel بجنوب فرنسا، وتحت سقف صخري، وفي الوسط من الحائط الصـــخري الرئيســـي نحت بارز يمثل هيئة أنثوية ترفع بيدها اليمنى وعلى مستوى الكتف قرناً لثور البيسون، أما اليد اليسرى فترتكز في كفها على البطن الممتلئة وعلى النحت بقايا من مغرة حمراء كانت تلونه منذ أكثر من ثلاثين ألف سنة"[4]. وتحتاج العروس للحناء في مرحلة الزواج عند معظـــم الشـــعوب القديمة ففي العراق القديم كان من أمور المرأة الاعتيادية صبغ باطن اليد والأرجل بالحناء[5].

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(2) مقابلة شخصية، ربيحة، دير دبوان، 52 سنة. 2007/8/16.

(3) الصُدَقا: عامية أي الأصدقاء.

(4) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص42.

(1) إجريها: عامية أي أرجلها.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(3) المبيض، سليم عرفات، **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**، ص411.

(4) السواح، **دين الانسان**، ص139.

(5) القيم، **المرأة في حضارات بلاد الشام القدي**مة، ص77.

وقد اهتمت المرأة بالحناء فكانت تصبغ به شعرها ويديها وقدميها للتجميل"[1]، كما كانت تصنع من مسحوق أوراق الحناء عجينة تستعملها في خضاب يديها وقدميها، وقد وجدت أصابع اليدين والقدمين في بعض الموميات التي عثر عليها في أحد قبور الشيخ عبد القرنة بالدير البحري بطيبة من الأسرة العشرين في مصر القديمة مخضبة بالحناء، وقد وصف العالم ألبرت سميث شعر مومياء إحدى النساء (حتسنون) من الأسرة الثامنة عشر بأنه مخضب بلون مائل للإحمرار بسبب صبغة بالحناء"[2].

وتعتقد النساء حتى يومنا هذا أنه يمكن لأعداء العروس أخذ فضلات معجون الحناء، كي يعملوا لها عملاً سحرياً، لذا يحرص أهل العروس على وضع هذه الفضلات في منديل، يُعطى للعروس في يديها حتى تطمئن"[1]."ويرجع هذا الى معتقد أن الحناء إذا مكثت على يدي العروس وقدميها وقتاً طويلاً، ووفقاً لمبدأ الاتصال أو التأثير بالعدوى فإنها صالحة للأعمال السحرية فالأشياء التي اتصلت ببعضها حتى عن بعد، حكمها في ذلك حكم الأثر تماماً"[2].

من طقوس ملابس العروس:

تلبس الفلسطينية الثوب المطرز بالحرير أو القصب، وتتعدد أنواع الثياب وأسماؤها، وتخبرنا الحاجة مهدية صرصور[3] من البيرة: "الثياب أنواع منها: جَلْجَلي، رومي، مَلَك، اخظاري، رهباني، جنة ونار (شقفة حمره وشقفة خظرا)، شركسي على النول، خرَز حديث جداً. والمناجل (عروق الثياب)، بَرْظه أنواع منها عرق الحية، عرق الدالية، عرق الحمام، عرق موج البحر عرق الوزة، عرق السمكة، عرق الغزال، عرق النخل، عرق الشجرة، عرق الزغاليل، عرق وردة و وردتين، عرق الساعة عرق الحماة والكنة"، وتمتلك الحاجة مهدية في خزانتها مجموعة نادرة ومتنوعة من الثياب المطرزة الجميلة والتي يبلغ ثمنها آلاف الدورات، ومع أنها قد

---

(1) فياض، **المرأة المصرية القديمة**، ص90. وانظر: عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ص317.

(2) علي، ثريا، **(العروس)**، ص91. وانظر: نظير، وليم، **العادات المصرية بين الأمس واليوم**، دار الكتاب العربي، للطباعة ط1. ص19.

(1) المرجع السابق، ص93.

(2) المرجع السابق، ص94.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مهدية صرصور، البيرة، 86 سنة. 2007/7/25.

تجاوزت السادسة والثمانين سنة، إلا أنها لا تزال ممشوقة القوام جميلة، ذات بشرة خالية من التجاعيد، وتفخر بذلك فتقول: "لليوم بصلي الخمس صلوات في المسجد حتى صلاة الفجر، وبشارك في كل المناسبات، شايفه هذول الثياب، كل ثوب إلَه مناسبة عندي من الثوب اللي عليه شوية مناجل للثوب المدبوز[1] حرير دَبِزْ، هاظا عرق الحية، وهاظا عرق الكنة والحماة (طلع (طلع جديد) وهاظا عرق السمكة، وهاظا ملك مطرز حرير، وهاظا ملك مقصب...."[2].

" بقت الوحدة تِلبِس على راسها وقاه[3] وبقولولها شَطْوَه مْطَرَّزَة ورُفْرافَه[4] عليها من وَرَه وَرَه (من الخلف) ريالات وإلها قُذله[5] من قُدام ومن الجنبين نازلة ريالات فضة"[1].

"من زمان كانت العروس تلبس كبر (Chiber) أحمر مْحَزَّز وغمغيمة[2] وتلبس وقاة على رأسها فيها مجيديات فظة غاليات"[3].

"على زماني كانت العروس تلبس ملك وشال حرير، وتحت الملك قميص إبْيَظ مكشكش، وفوق الملك بتيجي التقصيرة، وعلى راسها بتلبس شَطْوَة كلها ذهب وعشاري فظة، واليوم رجع قماش الملك من جديد"[4].

"من زمان كانت الوحدة تِلْبس عصبة خَظْرا على راسها بقولولها (روسية)"[5].

أما العريس فكان "لما انزفه بِنْلَبْسَه خَلَقَة بيظه وحطة واعقال وديماية تحتها سروال وعليه عباة مقصبة"[6].

---

(1) مدبوز: عامية اي ملئ جداً لدرجة الازدحام.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مهدية صرصور، البيرة. 86 سنة. 2007/7/25.

(3) وقاه أو شطوه: قطعة مطرزة تُلبَس على الرأس، ويخاط على أطرافها قطع ذهبية أو فضية لها أسماء عدة منها شكة، شطوه، صفة.

(4) رفرافه: قطعة من الوقاه تنزل فوق الأذنين فتغطيهما.

(5) قذله: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس، **المنجد**، ص 615.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2008/8/3.

(2) غمغيمة: قطعة من القماش، يُلف بها الرأس وقد تُغَطي الوجه عدا العينين.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة سبعية، بيت ريما، 84 سنة. 2007/8/2.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77سنة. 2007/8/7.مكشكش: (فارسية): وهو عند الخياطات من شرائط وغيرها للزينة، **المنجد**، ص 636.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم سردا، 71 سنة. 2007/8/8. والروسية: هي عصبة خضراء، كانت تضعها العروس على رأسها قديماً.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2008/8/3.

وتقول الحاجة مريم[1] من سردا: "على زماني كنت أنا وبديلتي (نظيرة) أول عـرايس بلبسـن بدلات بيظ، وعِرْسانّا برظو أول عرسان لبسوا بدلات في بلدنا، إجت وحدة لَبَسـتنا الطـرحتين عليهن تاجين لونهن زي الفِظَه".

أما عبير قاسم فتقول: "اليوم البنات بِلْبسِن فستان على الخطبة، وملك على الحنـة، لازم يِلْبسِـن ملك عنا، في الجديرة وبيرنبالا والجيب وكل القرى اللي حوالينا كل البنات اللي بِدْهِنْ يتجَوَزِن بيخيطن ثوب أو ثوبين حلوات كثير للمناسبات، ومَلَك للحنة، وعلى العُرُس الفسـتان الأبـيض وعلى راسها بتحط الواحدة تاج بتعمل تسريحه وبتحطه، وعلى خصرها اشداد عريض"[2].

وقد شاهدت الكثير من الأعراس، حيث ترتدي الفتاة فيها المَلَك أو الخظاري وهو ثـوب جميـل جداً مطرز بالحرير الذي يغطي كل قماش الثوب بشكل عام.

ومن الأغاني التي تذكر الثِياب وأنواعها:

"قطـع الكسـا ثـوب رهبـاني	فـي دار ابـو محمـد نفـرش وانـام"[1]
"ولوما شَباب اهلي ما وَردت عَـالعين	ولا البسـت الثـوب أبـو العـرقين
لوما شَباب أهلي مـا اوقفـت أغنـي	ولا البسـت الثـوب مـع عثملـي
لوما شَباب أهلي مـا طِحـت الحـارة	ولا لبِسـت الثـوب مـع الإسـوارة
جْـين الفلسـطينيات بثيـاب الحِبـر	يَرجـالهِن قُـدامهن زي الـوِزر[2]

أعتقد أننا أمام مشهدٍ من مشاهد الزواج المقدس الذي كان يجري عند كافة الشعوب القديمة مـن سومريين وبابليين ومصريين وكنعانيين وإغريق...

ففي أعياد الاكيتو السومرية والزكمك البابلية، أقيمت أعراس الإله دموزي والإلهـه إنانـا فـي طقوس الزواج المقدس، الذي يكون الملك والكاهنة مركزه الأساسي وفق استعادة دورية منظمـة لحدث أسطوري اعتُقِدَ أنه كان وراء إخصاب الطبيعة والنباتات والحيوانات، ووراء تكاثر البشر

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2008/8/8. سروال: (فارسية): لباس يستر الجزء الأسفل من الجسم، **المنجد**، ص 332.

(2) مقابلة شخصية، عبير قاسم، الجديرة، 24 سنة. 2007/8/8.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة انشراح، الجديرة، 68 سنة. 2008/8/6.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، 74 سنة. 2008/8/3.

وازدهار الحضارة[1]، وأوضح ما يدل على أن طقس الزواج الحالي عند الفلسطينيين تعود جذوره إلى عمق التاريخ البشري، هو ثوب المَلَكْ أو المَلَكَة الذي ترتديه العروس وهو ثوب مطرز بالقصب ومن المعروف أن القصب ذهبي اللون مما يوضح أنه إنما يعني ثوب الملكة الإلهة الأولى عشتار أما الرجل فإن العباءة التي يرتديها هي أيضاً مطرزة بالقصب، مما يوحي أن هذا الزواج إنما هو زواج الملوك الذي كان يجري قديماً في تمثيل واضح للزواج الأسطوري لإنانا ودموزي.

"وتكاد تكون عصبة الرأس الخضراء القديمة التي ترتديها العجائز الفلسطينيات "الروسية"[2]، وكن يرتدينها يوم العرس هي نفسها تلك العلامة الخاصة بمراسِم الزواج منذ الألف الثاني قبل الميلاد في وادي الرافدين قديماً، والتي كانت عبارة عن جزء من نبات أخضر يوضع على الرأس"[1].

كما أن الشكة أو الشَطْوَة أو الوقاة الفلسطينية، هي نفسها طريقة الملوك البابليين والآشوريين عندما يعقصون شعرهم إلى الخلف ويشدونه بعصابة مزينة بقطع ذهبية ومعدنية[2].

أما التاج الذي (تضعه المرأة حالياً) فقديماً كان يقارن بلمعان وإشعاع الآلهة، وكان الإله سن هو إله القمر، وهو إله التاج وضياؤه نابع منه، وهو يرمز إلى تاج الملك والملوكية.

وفي العصر الإغريقي كان رأس العريس يتوج بإكليل من الغار[3]، أما العروس الرومانية فكانت تخرج ملثمة إلى موكب عرسها وتلبس تاجاً[4].

حزام المرأة الفلسطينية:

لا تزال المرأة الفلسطينية ترتدي الثوب التقليدي، وتضع على خصرها الحزام أو ما يسمى (الشْداد)، وهوعادة ما يكون عريضاً بعض الشيء مكوناً من عدة طبقات أو ثنيات بحيث تستطيع أن تضع فيه النقود وغيرها. ومن أغانيه:

---

(1) الماجدي، **الدين السومري**، ص158-159.

(2) الروسية: عصبة خضراء اللون مزينة بالدوائر والأشكال تستخدمها الجدات اليوم.

(1) الجادر، **حضارة العراق**، ج 4، ص348.

(2) المرجع السابق، ص358.

(3) المرجع السابق، ص379.

(4) عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ص18.

"ويش هالغزال الذي عن دارنا عَدّه خصرا رقَيّق وبالكشمير مشتده[1]".

كان الحزام في العراق القديم يستخدم لِشَد القميص إلى الجسم من وسطه ولكنه استخدم أيضاً لحمل لوازم معينة وأدوات حربية، وقد كان الحزام رمزاً لأول قطعة ملبوسة على الجسم، واعتبر حزام الإلهة عشتار لباساً مقدساً، وكان يقدم قرباناً للإلهة، ومعظم الأحزمة التي نجدها في المنحوتات في وادي الرافدين التي تزين المظهر الخارجي الخاص بالآلهة والملوك، كانت مجملة بوحدات زخرفية وأحياناً نجدها مصنوعة من مواد أولية متنوعة كما تشير الى ذلك النصوص المكتوبة، حيث ذكرت:

"الكتان والصوف لصنع الأحزمة بالدرجة الرئيسية كما استخدمت الأحزمة الجلدية"[1].

من طقوس يوم الزفاف الزينة:

"إزالة الشعر غير المرغوب فيه (الزائد)، الحمام، الكحل، ومساحيق (الودرة) و(الحومرة)، "الميك أب"[2] وتصفيف الشعر وتثبيت الوقاة (الشكة أو الطرحة)".

كانت العروس في فلسطين قديماً تنتظر الماشطة كي تساعدها منذ الصباح الباكر في إزالة الشعر (الزائد) عن جسمها، وربما تقوم الأم بهذا الدور "قبل الزفة بليلة عِمْلِتْلِي إمي عقيدة[3] عشان الشعر الزايد، ولاّ [4] لازم تكون الوحدة نظيفة وحلوة عشان جوزها يستحليها، كل البنات بيسوين عقيدة أحسن من السكر اللي طالع في السوق اليوم، لليوم البنات بِفظلن العقيدة، بِطَوِّل الشعر تَيطْلَعْ ــ إصحي تقولي اسمي عيب.!ــ"[5] وتكمل الماشطة دَوْرَها فتضع للعروس العديد من المساحيق منها الكحل العربي والحومرة والبودرة، والسركون[6]، ثم تثبت لها الشكة أو الطرحة.

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(1) انظر: القيم، **المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة**، ص17.

(2) الميك اب: كلمة إنجليزية دخيلة تعني MAKE UP: powder, paint, wornof the face. Look-: Proctor, paul, **Longman Dictionary**, Charles Mc Gregor. Birut, 1990, pp 659.

(3) العقيدة: من عَقَدَ وانعَقَدَ: أي اختلطت أجزاؤه حتى غلظ واشتد وعَقَدَ كالدبس. انظر: **المنجد**، ص 519. والعقيدة هنا سكر وماء وعصير ليمون توضع على النار حتى تشتد وتستعمل لإزالة الشعر الزائد عن الجسم.

(4) ولاّ: عامية بمعنى طبعاً.

(5) مقابلة شخصية، سيدة، الجديرة، 63 سنة، 2007/8/6.

(6) وَرَق ناعم ملون فيه قابلية الالتصاق بالجسم، يوضع على وجه العروس، يُعطي الوجه لمعاناً وبريقاً. انظر: ربيع، **دراسة في المجتمع**، ص 46.

"وتقول الحاجة مريم[1] من سردا: أجت واحدة بقولولها الماشطة حطت لنا حومرة وبودرة يوم العرس. أما اليوم وفي الوقت الحالي، فتحجز العروس دوراً لها عند مصففة الشعر (الكوافيرة)، قبل موعد الزفاف بعدة أيام وقد يتطلب هذا دفع مبلغ من المال (كعربون)[2]، وفي يوم الزفة تذهب العروس مبكرة لمصففة الشعر(الكوافيرة) التي تجاوزت ووظيفتها تصفيف الشعر، فهي تساعد العروس على إزالة الشعر الزائد بواسطة مساحيق حديثة سريعة المفعول، ثم تُجملها بوضع مساحيق أخرى كالحومرة والبودرة والكُحْل، وهو ما يسمى في وقتنا الحاضر (الميك – أب) وهو صناعة أجنبية، ثم ترتدي العروس فستانها الأبيض، وأخيراً تعمل لها الكوافيرة تسريحة جميلة تثبت بها طرحتها وقد تضع لها تاجاً على رأسها.

أما عن الكحل اليدوي (العربي) فتقول الحاجة فاطمة من اللبن، "نْشتريه رَبَد إسمر وبنجيب الهون وبنحُط الكحل فيه وبنطحنه علشان ينعم، وبْنِشوي حَبّ زيتون وبِنْدُقَه مع الكحل بِنْحُط عَليهن مَيّ المغرب وبنخليهن في النجم، أحسن عشان العين تظل مليحة، الصبح بيطيش القِشِر بنِرميه وبعيدين بْنِطحَنه بالهاون، وبنستعمله"[1].

ومن الأغاني التي تذكر الزينة والكحل:

ذيب عين الذيب مَكحولة ... ومِنْين للذيب كُحُل تِيّكَحِلْ عْيونا

كُحْلكْ رَشاشي وصَبَرني وانا ماشي ... يعمي دَرب الظَحى فَظى على الماشي[2]

طالعة من بيت أبوها ... عابرة بيت الجوادِ

لابسة البْيَظْ عالموظة ... والعُيون كَحلى سوادِ[3]

طِلْعِتْ يا هَذي زَيَّنَت البلادِ ... يا عينها كحلى بَلا مِرْوادِ

طِلْعِتْ أصيلة زَيَّنَت قَبيلة ... يا عينها كَحلى زَراق النيلة[4]

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) العربون: هو بعض الثمن أو الأجرة، **المنجد**، ص 495.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللبن، 67 سنة.2007/1/11.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللبن، 65 سنة. 2007/1/11.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81سنة. 2007/8/2.

استخدمت الألوان للتزيين منذ العصر الحجري الحديث، فمن مركبات النحاس تَمَ الحصول على المادة الخضراء التي كانوا يستخدمونها في التكحل.

كانت المرأة الغنية في العصر البابلي لا تمد يدها إلى الأعمال البيتية، بل كـان يخـدمها مـن الآخرون، وكانت تقضي معظ وقتها في العناية بنظافتها وجمالها، وكان على الوصيفة أن تقـوم بغسل أرجل السيدة، وحمل كرسيها إلى المعبد، وتمشيط شعرها وتسريحه ومساعدتها دومـاً"[(1)].

وللعناية بنظافة جسد الرجل والمرأة وشعرها، استعملت الزيوت لِتكسبها النعومة، وكانت الزيوت المعطرة غالية، إذ إنها كانت تُستَوْرَد من الخارج، وكان يفضل عـادةً زيـت السـرو والسـدر لرائحتهما الجيدة[(1)]، كان التجميل واستعمال العطور من الأمور اليومية، وكن يحتفظن بـأدوات التجميل داخل أوعية طينية أو حجرية أو داخل أصداف نقشت بنقوش فَنية جميلة، وكن يستعملن الصبغ الأسود للحواجب والأهداب، والأخضر لظل العين، والأحمر للشفاه والخـدود، ويحملـن حقائبهن النسائية المغلقة بحلقة صغيرة، بشكل دائم، وكانت تحتوي على منقش وسـكين وملقـط لتنظيف الأذن، ومن الأمور التي كانت لا تُنسى مرآة اليد البرونزية والمشـط المصـنوع مـن الخشب والعاج[(2)].

كانت المصرية تكره الشعر الزائد في الجسم وتعتبره نقصاً في النظافة، أو ضرباً من الإهمـال، لذا كانت تحرص على إزالته الزائد من الأماكن غير المرغوب فيها، وكانـت تسـتخدم لـذلك الملقاط أو الشفرات، وقد عثر في مقبرة أم خوفو على شفرات من ذهب ونحاس[(3)].

عرفت مصر القديمة مهنة تصفيف الشعر، التي كانت تقوم بها النساء وعُرفت الواحـدة مـنهن باسم "نشت" ويذكر التاريخ المصري أنهن كن يؤدينه خير أداء[(4)].

وظهرت المرأة المصرية كحيلة العين وكان أن سبق لها ابتداع "تزجيج الحاجبين"، حيث تدخلت في شكلها حذفاً وإضافة، كما عثر في المقابر على ملاقط ومقصات صغيرة من الذهب والنحاس

---

(1) انظر: علي، ثريا، **(العروس)**، ص89.

(1) القيم، **المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة**، ص76.

(2) كلنكل ايفيلن، **رحلة إلى بابل القديمة**، ترجمة د. زهدي الداؤوي، دار الجليل، دمشق، ط1، 1984، ص54-58.

(3) نظير، وليم، **المرأة في تاريخ مصر القديم**، ص83-84.

(4) عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ص 322.

والبروز كانت تستخدمها المرأة في تزجيج الحاجبين[1]، وكان هناك لونان شائعان في عملية طلاء العيون، هما الأسود والأخضر اللذان يرجع تاريخ استخدامهما إلى 4000 سنة قبل الميلاد، حيث عثر عليهما في المقابر في صورة مواد خام، أو رقائق أو بودرة، أو معجون، وفي العصر المصري الحديث بدأت معرفة أقلام الكحل المصنوعة من الخشب أو البرونز، بعد أن كانت المرأة تضعه باليد[2].

طقس الوشم:

الوشم[1] هو الغرز بالإبرة لعمل خطوط ورسوم، "بِحُطوا الإبرة على الفحم أو الجمر الساخن ويدقوا المكان بالإبرة حتى ينزل الدم، ويْصير إزرق مكانه، للحلوة حتى تصير أحلى"[2] "بيجيبوا ثلاث ولاّ خمس إبر بدقوهن بِعملوا (سَيّال) على اللحية، والشباب وْهِمَه بُحُصدوا بِدقوا ذُرعانهم، أختي كانت إيديها تِعْرَق لما اتخَيِّط دقولها وشم. حماتي وبنت عمي إلهِن سَيّال على اللحية... (البيظة مِشان الحلاوة، بتزيد حلاتها)[3]. "بقين زمان ايدُقين الوشام في صباح الحلوة، يظلوا يدقوا فيها تَيّطيح دم، وبعدين يتركوها بيصير إزرق مَحَلّها[4]. وعندما سألت الحاجة سبعية طه من بيت ريما عن الوشم الذي تحت شفتها السفلى قالت: "بِقولولَه سَيّال، كنت في زماني نقشة"، وهو على شكل †، وقد رأيته على الحاجة حسنية (أم مفيد) من بيت دقو بشكل صليب أيضاً، كما وجدته على وجه الحاجة حسنية من الجيب "على أسفل لحيتها".

ومن أغاني وشم المرأة:

يا بيظِ يَمّات الوشام	يا سُمْرِ رُحِنْ اتْخَيّبِنْ[5]
مِن قفا السور دوري بيظه يَمِّ الوشامِ	صاحب البيتِ رَوَّحَ غايب ولو زمانِ[6]

---

(1) عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ص320.

(2) فياض، **المرأة المصرية القديمة**، ص 89.

(1) انظر: **المنجد**، ص902.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة جدية سنجل، 74سنة. 2007/8/3.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/8/1.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 77 سنة. 2007/8/3.

ويردد لنا الحاج أبو مشهور[1] (ابو شخيدم) متغزلاً بوشم حبيبته:

النّاسُ تعجـبُ مـن خـالٍ بِوَجنتـهِ فكيـف بـي وَحبيبـي كلـه خـالُ

"والدار الجديدة اللي بِبنوها بِذبحوا على عتبتها وبِنَقشوها داير ما يدور بابها، (يكون أمرار نـذر أو رَدِة عين أو في يوم العُرُسْ)" [2] تقول الحاجة تمام[1] من (بيت دقـو): "كانـت إمـي تبـل الشريطة بدم الظْحِيّة يوم العيد ويوم جَوَّزَت أخوي وتنقش داير باب الدار امليح".

ولا يزال بقايا نقش الدماء يحيط بباب بيت الحاج (صقر) أبو شخيدم بعد أن ذبح ووشَمَ البيت في عرس ابنه، ومن أغاني وشم البيت:

نِذْرِنْ عَلَيّ يا دارِنا من رَوحوا اصحابك لجيب الحنـة يـا دارِنـا ونَقِـشْ بوابـك"[2]

وعن العروس:

عَبْرَت البيتِ بيظة رَشْـقَته زَعفـران شارع البيت واعْبُر يا بـنِ بيـت الكِـرام[3]

"تعود أول طقوس الوشم إلى الشامانيت وإلى طقوس التكريس و العبور أو التعدية التي يخضـع لها الفتيان الذين يقاربون سن البلوغ، حيث كانوا يجبرون بعد دق الوشم على ظهـورهم علـى الاضطجاع على حصير دون حركة، وهو طقس تطهيريّ رمزيّ يعـود بَعـده الصـبي بالغـاً ناضجاً"[4].

"وفـي منطقة حسـونة في العراق عُثر على مجموعة من الدمى تعود إلى الألف السـادس قبل

(1) مقابلة شخصية، أبو مشهور، أبو شخيدم، 81 سنة. 2007/2/29.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74سنة. 2007/8/3.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة تمام. بيت دقو. 67 سنة. 2007/8/5.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71سنة. 2007/8/7.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92سنة. 2007/1/17. انظر: علي، فاضـل عبـد الواحـد، **العرافـة والسحر**، ج 1، المكتبة الوطنية، بغداد، 1985، ص 216. ويبدو أ ن وشم البيت في المناسبات هو تعويذة قديمة فقد كـان الكاهن في عيد رأس السنة البابلي الزكمك يذبح كبشاً ثم يمسح جدران المعبد بدمه.

(4) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص73 وانظر: السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص68-80. وانظـر: البيديل، **سحر الأساطير**، ص31. وانظر: الماجدي، خزعل، **أديان ومعتقدات**، ص51-52. المرجع السابق ص90...

الميلاد مكسورة الرؤوس والأيدي تمثل الإلهة الأم، ويمثل رسمٌ على عنق جرة امــرأة أو إلهــة مرسومة بملامح مكتنزة وتظهر خدودها مخططة بثلاثة خطوط عمودية يظهر أنها وشم"[1].

"وفي الأناضول تظهر الأم الأناضولية الإلهة ممسكة بثدييها كواحدة من أجمل التماثيل المعبــرة عن الخصوبة، وهي مصنوعة من البلور البركاني المرصع بالصلصال المَرِن قبل تجفيفه على النار وقد وُجدت آثار وشم وصبغة حمراء"[2]. ويعتبر الوشم من أقدم العــادات التــي مارســها السومريون وقد كانوا يزينون أجسامهم به[3]. كما عرف الوشم في مصر القديمة منذ عام 2000 قبل الميلاد[1]، خاصة على أجساد الراقصات وبشكل خاص في منطقتي الصــدر والأكتــاف[2]. كما كان الإغريق والجرمان وقدماء الرومان يَشِمون العبيد والمجرمين لتمييزيهم عن سواهم[3]. ثم وشم الإغريق أنفسهم حتى أنهم أسلموا أنفسهم للإبرة الصابغة وتحملوا حتى وشم الشــفاه[4]. عاد الوشم اليوم عن طريق الحنة وعن طريق الوشم المُستحدث الذي يسمى في وقتنا الحاضــر (تاتو).

طقس الوشم على شكل صليب:

ذكرنا سابقاً أن المرأة والعروس كانت تضع الوشم على لحيتها بشكل صليب (ســيال)، وذكرنــا أيضاً أن الأم أو الداية كانت تضع على جبهة الطفل الصغير علامة سوداء بشكل صــليب بعــد رقيه.

كان الصليب في رســومات حضارات العراق القديمة يرمز إلى الحركة والتعاقــب في المــيلاد والموت وإلى عدم السكون والتوقف، وقد كان يستعمل كتعويذة. كما كــان يرمــز إلــى اللقــاء الذكري الأنثوي ومن ثم الى الخصب والنماء، وقد زينت به الأواني الفخارية وجــدران المنازل واحتل مكانة مقدسة بين رموز الحضارات القديمة[5].

---

(1) علي، فاضل عبد الواحد، **العرافة والسحر**، ص90.

(2) المرجع السابق، ص 91.

(3) علي، ثريا، **(العروس)**، ص 104.

(1) المرجع السابق، ص 105.

(2) فياض، **المرأة المصرية القديمة**، ص 90.

(3) علي، ثريا، **(العروس)**، ص 104.

(4) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج1، م1، ص145.

(5) أحمد، بوساحة، **حقيقة الموت في نظر الديانات**، الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2008، ص85 – 101.

طقس الحُلي:

أولاً: الذهب

يشتري العريس الذهب في الكسوة. تقول الحاجة بديعة[1] أبو شخيدم: "كانوا يجيبوا ذهب للعروس يقولوله مْشَخْلَع".

"يا صدرها والمِشَخْلَع زي القمر يومن يطلع"

ولا يتم عقد القران قبل الاتفاق على المَهر بما في ذلك الذهب. ولأهمية الذهب فهو يُزف على الصواني ويغنى له:

تلولح يا ذَهَب على الصواني عَمِنك يا ذهب جبت الغوالي

اتلولح يا ذهب على الصينية عَمِنك يا ذهب جبت النمشية[1]

وللذهب أنواع وأسماء يغنى لها:

الوادي الوادي مشيها يَمحمد الوادي الوادي الله معك الله

ذهب رشادي لبسها يَمحمد ذهب رشادي الله معك الله

"يابَيّ أكثم يا ليرة عليها حصان دقة مجيدة يا روحي دَقة السلطان

يابَيّ أكثم يا ليرة فرنساوي دقة مجيدة يا روحي دقة الغاوي"[2]

"يَعليبة اللولو بالذهب مَلوها طَلت ويا مريم تنده على بوها

يَعليبة اللولو بالذهب مَطلية طَلت ويا مريم من باب العلية[3]".

وكان ولا زال الأب يُنَقِط ابنته ذهباً:

"يخلف عابوها وين ما رباها ميتين ليرة من الذهب أعطاها[4]

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة بديعة قندح، 60 سنة. 2007/2/29.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة زهور قندح، 58 سنة. 2007/2/29.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة صفية عبد الفتاح، دير غسانة، 80 سنة. 2007/1/25.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الفتاح، 63 سنة. 2007/7/29.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

وقديماً كان العريس يلبس العروس أساور الفضة أيضاً أما في الوقت الحالي فهي رخيصة لذا لا تدخل في المهر، ومن أساور الفضة القديمة (الحيذريات)، "مفاتيح تكـون هالعرضـي الوحـدة بقولوهن حيذريات فيهن حَبّ"[1].

"الشـط الشـط، مشـيها يـا عـريس	الشـط الشـط الله معـك الله
وأسـاور فيظـة لبسـها يـا عـريس	أسـاور فيظـة الله معـك الله[1]

ومن أنواع أساور الذهب المشهورة أسـاور الحَية التي تحمل رأس أفعـى وتسـمى أيضـاً المباريم ويغنى لها:

الميـة ميـة مشـيها يـا عـريس	الميـة الميـة الله معـاك الله
أسـاور حَيـة لبسـها يـا عـريس	أسـاور حَيـه الله معـاك الله"[2]
"تليّـه يـا شـعر الحَيـة علـى الديّـه	والشـيخة لابـو باسـم والهـا هيـة
تليّـه يـا شـعر الحَيـة علـى الـديات	والشـيخة لابـو باسـم والهـا هَيـات
تليّه يـا شـعر الحَيـة علـى الـذرعان	والشـيخة لابـو باسـم والهـا زمـان"

وقد يُتَشَبَه به في الأعراس:

واحنا لَحْنا ارخاص ولا انضـر النـاس	إلا ذهـب رْبـاص[3] واثقـل اشـوية"[4]
يا دار بو اكثم يَللـي مقابلـة الخـواص	شقة بترمي ذهَب وشقة بترمـي رصـاص
عدنان وكنعان من دار السعد في الـراس	بارودنا مـن ذهـب لنعمـره برصـاص[5]

ارتبطت الكواكب منذ القدم بالمعادن التي تتخذ منها (أعمالاً سحرية) فإن كان العمل منسوباً إلى الشمس فمعدنه الذهب، وإن كان العمل منسوباً إلى القمر فمعدنه الفضة".

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 67 سنة. 2007/8/5.

(3) رْباص: بقي لوقت الغلاء. انظر: المنجد ص245.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة سميحة، 56 سنة. 2007/1/6.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة صفية عبد الفتاح، دير غسانة، 80 سنة. 2007/1/25.

لقد نظر الإنسان البدائي إلى المعادن القوية المتلألئة في باطن الأرض نظرة إعجاب. وشمل هذا ظهور عقائد سرية مدفونة باطنية، لذا فقد استعمل هذه المعادن في طقوسه الدينية، مقدساً إياها مشبهاً إياها بالجنين في رحم أمه"[1].

"كان المعتقد الشائع أن المادة التي تتكون منها التميمة لها تاثير على قوة فعاليتها، فالذهب ذلك المعدن المقدس لدى المصريين القدماء، الذين وصفوه بأنه لحم الإله، أو شعاع الشمس المتجمد، وهو يرمز إلى الخلود والبقاء، لأنه المعدن الوحيد الذي لا يبلى ولا يفنى، ولذا كان يصنع منه مفتاح الحياة المقدس الذي يحمله كبار الكهنة والملوك وقد كان اللون الذهبي مقدساً كونه يجمع جميع ألوان الطيف، وخاصية فعالية كل منها، مع المحافظة عليها من الفناء، كما أطلق على التميمة التي تصنع من الذهب "التميمة الجامعة"، لأن فعاليتها تجلب جميع عناصر الخير، وتقاوم أو تَرُدُ جميع عناصر الشر والحسد"[1]. وفي تعويذة قلادة الذهب، ما يساعد الميت على التخلص التخلص من لفائف مومياءه تمهيداً للبعث الجديد[2].

أساور المباريم: من أنواع الأساور التي عرفت قديماً، عبارة عن أسلاك من الفضة أو الذهب تصنع مبرومة وتُزَيِّن بها النساء زنودها. وأعتقد أنها هي نفسها التي تسمى حالياً (أساور مباريم) وغالباً ما تكون من الذهب[3].

ثانياً: القلائد والأقراط والخلاخيل والأساور

تتزين الفلسطينية بالأساور والأقراط والخلاخيل والقلائد:

"طِلْعِت يا فَطْمَة زينة الحارة يا ايدها بيظة بلاش اسوارة[4]

"كانت الوحدة العروس اتحط عقد قرنفل وخرزة زرقة[5]"

يا بَيّ كريم عَ نابلس وارد واحنا اصحاب الكَرم جايبين القلايد

---

(1) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص 168.

(1) عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ص317. وانظر: تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص157.

(2) الماجدي، **الدين المصري**، ص267.

(3) الجادر، **من كتاب حضارة العراق**، ج4، ص380.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة ربحية، دير دبوان، 52 سنة. 2007/2/16.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 67 سنة. 2007/8/7.

ويش هالدويلة اللي حطت عَ بيادرنا — نصبت خيامها وفزت لمشايخنا
هود بو أكثم هبوب الريح لاقاهم — قالهم ويش تطلبوا يا رعاة الخيل يا جواد
قالولو نطلب منك بنات الجود نُخطُبها — قال وحياة بوي لشنشلها بذهبان
يا بَيّ أكثم يا حَبةِ العين — يا زمرُدة في قلادة يا ريت جابت امك اثنين[1]

وتجمع هذه الاغنية بين الذهب والقلائد:

ياصدرها هالمِعَره ياصدرها هالمِعَره — وأربع قلايد لبره أربع قلايد لبره
لَونِي في الشام بَنّا لَونِي في الشام بَنّا — ما فُتّ سبلة عيونه ما فُتّها لا والله

يا صدرها هالفتوح يا صدرها هالفتوحِ — وأربع قلايد تِلوحِ وأربع قلايد تلوحِ
لَونِي عَ الشام أروحِ لَونِي عَ الشام أروحِ — ما فُتّ سبلة عيونه ما فُتّها يا روح[1]

كما كانت المرأة تلبس خلخالاً. "بقت الوحدة تشتري خلخال مع الكسوة، عشان تلبسه يوم صباحيتها تِتْغاوى فيه"[2].

عرف الإنسان الحُلِى منذ قديم الزمان، فقد كانت تستخدم لأغراض أخرى غير التزين، فكثيراً ما كانت تستخدم كتمائم تمنع الأذى، وتجلب الحظ أو كأداة سحرية للتحصن ضد السحر والعين والأرواح الشريرة[3].

وفي البالوليت الأعلى[4]عثر في قبور الكهوف على قطع كثيرة من المحار المثقوب، والتي يعتقد أنها وضعت وفق أشكال تعويذية، وكانت منظومة بشكل عقود، وقد وجدت في أحد الملاجئ الصخرية (لي إيزيس (Les Eyzies) في فرنسا وبلغت 300 قطعة. وفي (لاكروت دي كافيلان)، في فرنسا أيضاً عثر على أكثر من 200 قطعة محار[5].

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74سنة. 2007/8/1.
(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71سنة. 2009/5/8.
(2) علي، ثريا، **(العروس)**، ص94.
(3) السواح، **دين الانسان**، ص128.
(4) البالوليت الأعلى 35000 سنة ق.م.
(5) انظر : Jame. Edwin O. **Myth and Ritua in Ancient Near East**. London 1958.p33

وفي العراق القديم شملت الحُلِي كل القطع التي اتخذ منها الإنسان موضوعاً لزينة مظهرة، سواء كانت مادتها من الحجارة أو الصدف، أو المعدن، وكانت هذه الحُلي ذات دلالات متنوعة عند العراقيين فهي لا تقتصر على اتخاذها عنصراً من عناصر المظهر الخارجي الجمالي، بل تعدت ذلك إلى علاقتها بمفاهيم فكرية متشعبة، بما في ذلك المتعلقة بالأبهة، والمظهر اللامع المضيء، ووصل الاهتمام بها إلى الاعتقاد باحتوائها على قدرات أسطورية خارقة[1].

كما لبس المصريون الخلاخيل في رسغي الرجلين. وهو تقليد يرجع إلى أصل مصري قديم، كانت الخلاخيل من الخرز الأسطوانيّ المصنوع من الأحجار شبه الكريمة، أو خزف مع ذهب[1].

وقد كانت المرأة المصرية تورث خلخالها لابنتها[2].

أما الخواتم فقد كانت بالغة التعقيد، يتضح هذا من خواتم الملك توت عنخ آمون، كما استخدمت الأقراط، وكانت على أشكال مختلفة، تشبه كثيراً ما نستعمله اليوم، فبعضها كان يضغط على شحمة الأذن، وبعضها الآخر فيه دبوس ينفذ منها[3].

أما الكنعانيون فكانوا يرون في الحلى بعض الفضائل السحرية باعتبارها عنوان جذوة الحب الخطرة:

"لقد ماتت الأوقاف المقدسة

حتى تنتقل جواهرها إلى المرأة"[4].

وفي الهند القديمة كانت العروس تزف بعد أن تتزين وتتجمل بالحُلي التي تغطى جسمها كله[5].

كما شاع استخدام الطوق والقلائد عند عرب الجزيرة إسلاماً ومسيحيين، ويذكر عن إبراهيم عليه السلام أنه كان يضع عباءة حمراء اللون، وعلى رأسه عمامة مربوطة برباط من الجلد وكانت

---

(1) الجادر، **من كتاب حضارة العراق**، ص 366.

(1) نظير، وليم، **المرأة في تاريخ مصر القديمة**، ص79–80. وانظر: علي، ثريا **(العروس)**، ص97.

(2) المرجع السابق، ص98.

(3) المرجع السابق، ص80 – 83.

(4) القيم، **المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة**، ص160.

(5) عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ص287.

نساؤه يحملن الأولاد على ظهورهن، ويلبسن الخلاخيل في الأرجل، والأساور في الأيدي، والأقراط في الآذان والأنوف. وفي أعناقهن قلائد متنوعة[1].

وفي نهاية حديثنا عن زينة العروس، لا بد لنا أن نذكر كيف استعدت إنانا ليوم عرسها، حيث زينت أنحاء جسمها بمختلف الأحجار الكريمة، والمجوهرات والحلي، فمن كنز أتى به أحد عشاقها كانت تنتقي حجر اللازورد لصدرها، وخرزاً بيضاويّ الشكل لِردفَيّها ورأسها، وحجر الدرو (الدر) لضفائر شعرها، وأقراطاً برونزية لشحمة أذنيها، ومختلف أنواع الحلي لوجهها وأنفها وعجيزتها، والآيستر لامعاً لسرتها، وصفصافاً لفرجها، وخفين لقدميها[1]:

"وعندما سأستحم من أجل الملك، من أجل الإله

وعندما من أجل الراعي دموزي

سوف استحم وبعد أن أزين ردفيّ

عندما أدهن شفتي بالمرهم العنبري

وأضع الكُحل حول عيني...[2]

طقس حمام العريس:

يقول الحاج صابر الشيخ[3] من الجيب: "في ضحى يوم العرس "بُحْظُرْ" أصدقاء العريس لبيته ويقوموا بتحميمه، وهم يغنون أثناء صب الماء، وبعد الحمام يرقصوا أمامه ويرشوا العطر والملح والشعير، ويحملوه على الأكف حتى يركبوه على الفرس، وقد يعزم أحدهم العريس كي يستحم في بيته".

من أغاني حمام العريس:

"يَعريس امْبارك حِمامك والحِلوَة تُرقُص قُدامك

يعريس امْبارك هالبدلة والحلوة تُرقص في الزفة[4].

"يعريس مبارك حمامه كل الشباب قُدامه

---

(1) الجادر، الأزياء والحلي، **من كتاب حضارة العراق**، ج4، ص380.

(1) انظر: كريمر، **طقوس الجنس المقدس**، ص111-112.

(2) الماجدي، **متون سومر**، ص235.

(3) مقابلة شخصية، الحاج صابر الشيخ، الجيب، 82 سنة. 2007/8/2.

(4) مقابلة شخصية، الحاج وجيه أبو عبد الله، 73سنة. 2007/8/6.

يـــا عـــين الصــــلاة عــــالنبي   يـــا عـــين الصــــلاة عــــالنبي

والــــــوَرِد فـــــتح للنبـــــي   كِرمــــــال محمــــــد وعلــــــي

محمـــد يـــا زيـــن وذكـــراه زيـــن   محمــــد يــــا كَحيــــل العــــين

محمـــــد خَطبولـــــه الجمعـــــة   وعرســــــه ليلتــــــه الاثنــــــين[1]

مْبــــــارك حِمــــــام العــــــريس   بْهالســــــــــاعة الرُّحمانيــــــــــة

عُرســـــك والله يــــا عَرَبــــي   عرســــك غـــــالي عاليـــــه

حَمامـــك يـــا ريتـــه مَبـــروك   فــــــي دَلال امَّــــــك وابـــــوك

كــــــل العـــــالَم بِحبــــوك   بْهالســــــــــاعة الرُّحمانيــــــــــة[1]

وتغني النساء في حمام العريس:

وين باقي وين يـا فـلان يـا رُوحـي   بـــاقي فـــي الحمـــام والبدلـــة جُـــوخي

وين باقي ويـن يـا فـلان يـا عِينيـة   بـــاقي فـــي الحمـــام والبَدلـــة غِيـــة[2]

في تأكيد صريح لتشبيه العريس بالملك في طقوس الزواج المقدس القديمة يُغني له أصدقائه:

امْبارك حِمام العريس بها الساعة الرحمانية   وانتَ المَلِكْ يا عريس واحنا عندك رَعيـة[3]

ومن أغاني النساء قولهن أيضاً:

قُلـــي ويـــنْ بـــاقي يَمحمـــد يـــا مـــدلّل   فـــي حمـــام العُـــرُس والشـــعر امبلَّـــل

قُلـــي ويـــنْ بـــاقي يَمحمـــد يـــا مَزيـــون   فـــي حَمـــام العُـــرُس والشـــعر مَبلـــول[4]

كان الاحتفال بالزواج المقدس معروفاً في زمن سلالة لكش الثانية على وجه التحديد زمن الأمير

---

(1) مقابلة شخصية، الحاج صابر الشيخ، الجيب، 82 سنة. 2007/1/2.

(1) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص43.

(2) المرجع السابق، ص43.

(3) المرجع السابق ص46.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة بديعة قندح، 60 سنة. 2007/2/29.

كوديا[1]حيث تَرد إشارات صريحة إلى قيامه بدور الزوج في المراسـيم والطقوس الخاصة بهذا الزواج، كالاغتسال وتقديم الهدايا والقرابين[2].

ومن القصائد المشهورة قصيدة "إنانا وإيدن دجان" (1974-1954)[1] ق.م. والتي تُظهر تفاصيل طقوس الزواج الإلهي المقدس. حيث كانت المرحلة الأولى منه تبدأ بتهيئة القصر فيـتم نصـب الفراش الذي سيتم عليهالطقس (الزواج) الذي تحيط به أغصان الأرز وباقات الأسل، ثـم تبـدأ مرحلة استحمام الإله والملك معاً، وهو نوع من التعميد أو الاغتسال قبل الزواج[2]، أو ما يسمى طقوس التطهير، ثم تنثر الطيوب بزيت الأرز المعطر[3].

طقس الصمدة على اللوج:

بعد وصول العروس من (الصالون) تجلس على منضدة عالية نصبت خصيصاً لها ولعريسـها، تسمى بالصمدة أو(اللوج)، بحيث تكون أعلى من الناس تمهيداً لانتقالها لبيت الزوجيـة وعنـد وصول العريس يجلس معها قليلاً ثم يتهيأ للانتقال لبيته، وتغني لها النسوة في لحظة جلوسها:

"قعدت على الكرسي ومحوطـة بـالله — مكتـوب عـ جبينهـا متطلعـيش بـره

قعدت على الكرسي يَنجيمـةِ العَيّـوق — مكتوبْ عـ جبينها مَيشـوفها مَخلـوق[4].

يـا قاعِـدَة عـاللوج ميلـي — والصَـمدة صـامْدِة لاميـري

يـا قاعِـدَة عـاللوج لالـي — والصَـمدة صـامْدِة غَزالـي

يـا قاعِـدَة عـاللوج هِـزي — والصـمدة صـامْدِة العِـزي[5]

ميلـي عَلـى صـدر البيـت — ميلـي عَلـى الخيزانـة

يـا بنـت الكَـرَم والجـود — يَبْنَيّـه يـا غَزالـة

---

(1) غوديا، كوريا، من أشهر حكام مدينة ومملكة لكش، عاش في العهد السومري، 2500 ق.م تقريباً. انظـر: كونتينـو، **الحياة اليومية**، ص174.

(2) علي، فاضل عبد الواحد، **الاحتفالات والأعياد من كتاب حضارة العراق**، ج1، المكتبة الوطنيـة، بغـداد، ط1 1985. ص211.

(1) إيدن جان، ثالث ملك لمملكة إيسن التي تلت مملكة أور.

(2) الماجدي، **متون سومر**، ص237.

(3) انظر: كريمر، **طقوس الجنس المقدس**، ص119.

(4) اتصال هاتفي، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2008/10/15.

(5) المصدر السابق، 2008/10/15.

ميلـــي علـــى صـــدر البيـــت	ميلــــــي عَلــــــى الطُراحــــــة
يـــا بنـــت الكَـــرم والجـــود	يَبْنَيّـــــــه يـــــا فلاحــــــة[1]

تحدثنا عن قصيدة "إنانا وإيدن جان" (1974-1954) التي وصــفت مراحــل الــزواج الإلهــي وطقوسه، وقد كانت أولى مراحله استحمام الإله الملك العريس، يأتي بعد ذلك نثر الأرز والطيب تم تنتقل العروس إلى القاعة الخاصة، حيث أمر الملك بإقامة منضدة لسيدة القصر"[1].

"أمَرَ الملك بإقامة منصة لسيدة القصر

حيث يضطجع معها العاهل الإله

من أجل ضمان حياة كاملِ البلاد"[2].

يعقب الزواج إقامة الاحتفالات والولائم، وفي مقدمتها الوليمة التي يقيمها الملك تكريماً لعروســه الإلهية وكان الملك والعروس يجلسان على منصة خاصة[3]، (يبدو أنها اللوج في أيامنا هذه).

طقس وليمة العرس:

كانت الدعوة لتناول طعام الغذاء ــ قبل انتشار استخدام بطاقات الدعوة ــ تتم مشافهة، أما اليوم فيعلن عن الزمان والمكان في بطاقات الزفاف الأنيقة. أما الطعام فهو المناسف المكونة من اللحم والأرز والخبز واللبن، ويدل عدد الذبائح ونوعها على مركز والد العريس.

"يـــا شَـــب محمـــد مَـــن هـــو قـــدّه	لَرتكــــــــه عَ الســــــورِ هَــــــدَّه
صَــــــــنَع المِنســــــف ومَـــــــدّه	شِـــبره شِـــبْر أبـــو زيـــد الهِلالـــي"[4].
يـــا مِكـــرمين الظيـــف يـــا لِجـــوادي	لومـــا أبـــو ســـامر مـــا انزِلْـــت الـــوادي
"يا مِكرمين الظيف فـــي ســـنين المَحِـْــل	لوما أبـــو ســـامر مـــا انزِلْـــت السّـــهِل"[5]

---

(1) اتصال هاتفي، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة، 2008/10/15.

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص237.

(2) المرجع السابق، ص237.

(3) باقر، طه، **من أدب العراق القديم**، ص192.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 74سنة. 2007/8/7.

(5) مقابلة شخصية، الحاج صابر الشيب، الجيب، 82 سنة. 2007/8/2.

"لَمين هَالمِسَف بِـدْرج علـى الحيطـان　　　هـذا لبـو محمـد يَمْصَـدِرْ الظيفـان"[1]

"يا بِلْ[1] يلـي رقـابكن رقـاب الـوَز　　　مَنْهـو اللـي تِرَكـي علـى سـيفَه وِفَـز

وأبو العَبِد تِرَكـى علـى سـيفَه وِفَـز　　　افْرُشـلَه يـا عَبِـد فِـراشْ العِـزْ

يا بيظ يَلـي رِقـابكِن رِقـاب الحَمـام　　　مَنْهـو اللـي تِرَكَـه علـى سـيفَه وِقـام

وأبـو العبـد تِرَكَه على سـيفَه وِقـام　　　افْرُشـلَه يـا عَبِـد فِـراش النَّعـام[2]

قالوا بِنْريد مِنَك كرامي الرُز تُعْرُمهـا[3]　　　قال وحيـاة بـوي لغَزْغِزهـا لَحِـمْ ظـانِ

يا شب جمال يا بيـت الحَيـا والـذوق　　　صَدَّرِت ظيوف الظَحى اللي مارقين الشوك

وظيوف عبد الله اللي ما رقـين اسْـرَب　　　ريتك يَعَمْتي على إيـام السَـعِد تِركَبْ[4]

ارتبطت الوليمة منذ القدم بيوم الزفاف عند السومريين والبابليين وبعقد القران، "اذ تنص المادة 28 من قانون أشنونا على أنه (اذا تعاقد الرجل مع أبيها وأمها وأقام وليمة وتزوجها فإنها في هذه الحالة، زوجة شرعية"[5] في يوم الزفاف تقام وليمة تقدم فيها المأكولات التي جلبها العريس، وتجري هذه الطقوس تحت رعاية الكاهن وكان للمعبد دور هام بها"[6].

وعند الإغريق، في وليمة العرس تتناول النساء الطعام مع الرجال في غرفة واحدة، ولكن لكل جنس مائدته الخاصة به"[7].

وعند اليونان "كانت شعائر إتمام الزواج كثيرة، وبعد إتمام هذه الشعائر وانتقال العروس لمنزل

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم محمد، أبو قش، 77 سنة. 8/8/ 2007.

(1) يابِل: أي يا إبل، نداء للناقة.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74سنة. 2007/8/3.

(3) عرَّم: بمعنى كَوَّمَ، **المنجد**، ص 502.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة صفية عبد الفتاح، 80 سنة. 2007/8/3.

(5) الماجدي، **الدين السومري**، ص174.

(6) الماجدي، **متون سومر**، ص325.

(7) عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ص13.

زوجها ينصرف المدعوون إلى وليمة شهية تحوي أطايب الأطعمة والأشربة وبعد الإنتهاء منها تذهب العروس لمخدعها، وسط ترتيلٍ للأناشيد، وإنشاد المغنيين"[1].

وعند اليهود: "جرت العادة عندما تصل العروس إلى بيت زوجها أن تقام وليمة العرس، وهي وليمة فاخرة تضم أهل العروس وأهل العريس وأصدقاءهم، ثم تنتقل بعد ذلك إلى قاعة الزفاف"[1].

الزفة وطلعة العروس:

في الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي:" كانت العروس لما تطلع من دار أبوها تقف على الفَرس وِتْحُط السيف بين عينيها حتى تصل لبيت عريسها، يْحُطوا السيف على راسها، ويقولوا في راس أبوكِ، في راس أخوكِ، في راس عَمِكْ ويردوا ويقولوا مرحبابك"[2].

أو "كانت العروس لما تطلع من دار أبوها يْحُطوا على وِجِها شاش، وِتْعَصِبْ راسها بمنديل جَلْجَلي، وتِلْبِس قلادة قُرنفُل، ولما تِرْكَب على الفرس، اتْشِدْ المَنديله جِهة اليمين وأهلها بِمسكوها من هان ومن هان وتِقَفْ على الفرس سَبِعْ مَرات وبَعْدين تُقْعُد على الفَرَس واتظل رافعة إيدها لَدار عريسها"[3]، "وكانوا يِعملوا للفَرَس هودج إمْسَكر، ويْسيروا الناس مع العروس وما يشوفوها، يْنَزلوها أهلها ويْدَخْلوها لبيت عَريسها أو بجوز تِنْزَّف على جَمَل، كانت الجمال إكثار زمان"[4].

"يا بوها باري هودَجْها	واصْحا هودَجها يِقَع
طالعَة من بيت خْير	رايحَة بيت الجَدَع
يابوها باري هودَجْها	واصحا هودَجْها يْميل
طالعَة من بيت خير	رايحَة بيت الأمير"[5]

---

(1) عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ص31.

(1) عبد الصمد، **معتقدات قديمة ما زالت شائعة**، ص168.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة.2007/7/29.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيرزيت، 65 سنة. 2007/1/6.

(5) المصدر السابق، 2007/1/6.

وفي هذه الأيام تبدو القرية يوم الزفاف كأنها خَلِية نحل نَشِطة، إذ يرتدي الجميع ملابس جميلة، ويُحْضِر الشبان فرس الزفاف ويُزَرْكِشونها، وتَبذل النساء جهدهن في تجهيز المناسف وإعداد مكان لِصمدة العروس في بيت والدها، ثم في بيت زوجها (اللوج)، فبعد الإنتهاء من حمام العريس، وعودة العروس من صالون الشعر، يدخل العريس قليلاً لبيت والد عروسه، ثم يخرج ومعه العروس وبعض أقاربها يركبون السيارات إذا كانت المسافة بعيدة والفرس إذا كانت المسافة قريبة[1].

ويبدأ موكب زفة العروس (بالطلعة):

"طالعة من بيت أبوها	عابرَة بيت الجودِ
لابسة البْيَظ عَ الموظة	والعيون كَحَلة وسودِ"[2].
"فَرِشوا الحارة حريري	تَتُمْرُق بنت الأميري
فَرِشوا الحارة أطَالِس	تَتُمرق بِنت الفوارِس
فَرِشوا الحاره شنابِر	تَتُمرق بِنت الأكابِر
قومي اطلعي قومي اطلعي لَحالك	واحنا حَطينا حقوق أبوكِ وخالِك
قومي اطلعي قومي اطلعي ما يْهمِك	واحنا حَطينا حقوق أبوكِ وعَمِك"[3]
قومي اطلعي يَنِجْمِة العيوق	عَلى أبو محمد ما يِعْلا مَخلوق
"قومي اطلعي يانجمة الغَرارة	عَلى أبو محمد ما تِعلا وَزارة"[4]

ويُغَنى لوالدِها:

"دَرّجها يا بوها دَرّجها	لَدار إعيالها درجها
مشيها يا بوها مشيها	لَدار إعيالها وَديها
مشيها يا اخوها يا بَطل	لَدار إعيالها تتصل
مشيها يا خوها يا الأمير	لدار إعيالها تَتِصْيل"[5]

---

(1) ربيع ، وليد، ***العرس الفلسطيني***، **مجلة التراث والمجتمع**، عدد 31 /ص109.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة.5 /2007/8.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية مفيد، بيت دقو، 81 سنة. 2007/8/5.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

"طِلعـــت الأصـــيلة زَيَّنَــت الـــوادي يـــا عينهـــا كَحلـــى بـــلا مِـــرواد
طِلعـــت الأصـــيلة زَيَّنَــت قَبيلـــة يـــا عينهـــا كَحلـــى زراق النّيلـــة
قولي لي وين اربيتي يـا عُنـق الغَـزال واربيت في دار أبويـا ع َالعـزِ والـدلال
قولي لي وين اربيتي يا عـين الجـاموس واربيت في بيت أبويا عَ العز والنـاموس[1]
يـــا الله ايجيـــر أبـــو باســـم وامظـــى مـــن الســـيف دَيّاتـــا
وأعطـــى يـــا وجِـــه العَطـــا وايّقَـــــدِرْنا عَ نَخْواتـــــــا
الله ايجيـــــر أبـــــو باســـــم وامظـــى مـــن الســـيف يَ كفوفـــا
وأعطـــى يـــا وجـــه العَطـــا وايّقَـــــدِرْنا عَ معروفــــــا"[2].

وعند زفة الفرس:

حُطو علـى المُهـرة مَيّـه مَوَرْدِيـه[3] يا زفـة العرسـان قبـل العصـر غيـة
حُطو على المُهرة مَيّـه مـن الإبريـق يا زفة العرسـان بعـد العصـر بِتْليـق
خـــواتِم العِرســـان بيظـــه ولَمّاعـــة يا زفة العرسان بعد العصـر سـاعة[4].
واردي يـا خيـل أهلنـا عَ الصَـحِن رايحَـه الميـدان وبِتُصـهُن صَـهِن
واردي يـا خيـل أهلنـا عً الفنجـان طايحَـة الميـدان وبطلـب سـلام
واردي يـا خيـل أهلنـا عَ البريـق طايحَـة الميـدان وبتطلـب عُلّيـق[5]

ويغنى للعريس على ظهر الفرس:

عَـدِدوا المهـرة ويشـيدوا عاليهـا وهاتوهـا لمحمـد يركَـب عاليهـا
عَـدِدوا المُهْـرة ويشـيدوا الليجـام هاتوهـا لَمحمـد تَيركَـب قـاوام
عَـدِدوا المُهْـرة ويشـيدوا رَسَـنْها هاتوهـا لَمحمـد تَيعْلـى ظَهِرْهـا
قُلي وين أزِفَك يا بـو عيـون السـود فـي أرض الـوطَن ولا عَ الحـدود؟
قُلـي ويـن أزِفَـك يـا بـو عقاليّـه في الصخرة الشـريفة وبـاب العليّـة

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.
(2) المصدر السابق، 2007/8/7.
(3) مَوَرْدية: أي ماء الورد
(4) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة، 2007/8/2.
(5) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3. صهن:عامية بمعنى صهل.

قُلي وين أزفَك يا بـو عيـون وسـاع	في الصخرة الشريفة والنبـي جَـرّاح[1]
يَمّه عِقال الـزّين حَطّيته عَ الشَّـربه	هالحَفْلَـة لمحمـد، لَغيـرَه لَبَـرّه
يمَّه عِقـال الـزين لَفّيتـه عَ البريـق	هالحَفْلَـة لمحمـد، لَغيـره مـا بِتليـق
يَمّه عِقال الـزين لَفّيتـه عَ الكَعْكـوز	هالحفلة لمحمد، لَغيـره مـا بِتْجـوز[1]
وانـدهوا لَـوْلاد عمـه يجولـه	بالبـارود الـزينِ فـي الشـيلِ شـولَه
وْزِفـولي هـذا وْصَـلوا عَ النبـي	وباريه يَخَيَّـه يـا بـو الحـظ القـوي
وْزِفـولي ايـاه وصَـلوا عَ الَّرسـول	وباريه يَبَيَّـه ريـت عُمـره يِطـول[2]
مَـرَق يَمْحَمَـد مِـن الحـارة مَـرَق	والعُنُـق شِـبرين وْهْيـذ الله.. خَلَـقْ
مَرَق يَمْحَمَـد مِـن الحـارة عَـريس	والعُنُق شِـبرين مِـن فـوق القَمـيص
مَرَق يَمْحَمَـد علـى ظَهـر الحِصـان	والعُنُق شِبرين مِن فـوق القُمصـان[3].
"خيـل الصـواري لَحَنيهـا	وْلَـروح لإمـه وهَنيهـا
خيـل الصـواري وَرْدَتْ عَ العـينِ	راكبهـا مْحَمَـد مَكحـول العـينِ
خيـل الصـواري وَرْدَتْ عَ الـوادي	راكبهـا مْحَمَـد ابـن لِجْـوادِ
خيـل الصـواري وَرْدَتْ عَ حارتنـا	راكبهـا مْحَمَـد يـا شـمعتنا[4]"
"شدوا لِجام الخيل لا يطْلَعِن في الليـل	مبروكة زَفِتَك يا ميـر يَ بِـنْ الاميـر
شدوا لجام الخيـل لـيطلعن عَ الـوادِ	مبروكة زَفِتَك يا زين يَ بِـنْ الجـواد
شدوا لِجام الخيل لَـيطْلَعِن عَ السـوق	مَبروكـة زَفِتَـك يـا نِجمِـة العيـوقْ
شـدوا لجـام الخيـل لَـيطْلَعِن بَـرّه	مَبروكة زَفِتَـك يـا نِجْمِـة الغَـرّة"[5].

ومن طقوس الزفة:

1- طقس نثر الشعير والملح:

(1) مقابلة شخصية، الحاجة قندح، 60 سنة. 2007/7/29.
(1) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.
(2) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.
(3) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.
(4) مقابلة شخصية، السيدة عديلة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.
(5) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد كوبر، 88 سنة. 2007/3/2.

"هاظا الشعير إنهار الزفة، لما يركب العريس على الفرس بِحُطين شعير ومِلِــح، شــعير مولَــد (مقري عليه)، وبِدُرِنْ يرقين فيه"[1].

"بُخلطوا شعير ومِلِح وشَبَه وبَخور، بِزفوا العريس وهو على ظهر الفرس دَاير البلد، وبتصــير وحدة إم العريس أو خالته تباريه وِتْرُش عليه، بحطوا شعير عشان شروشة تصير اكثار حتــى ايْشَرِشْ[2].

"واردي يـــا خيـــل اهلنـــا واردي	عَ المَيّـــه الـــزَّلال والشـــعير البَلَـــدي"[3].
طِلْعِـــــتْ تَتْغَربِـــــل قَمِـــــح	لابســــــــة ثـــــــوب الفِلِــــــــحْ
طِلْعِـــــتْ تَتْغَربِـــــل شـــــعير	لابســــــــة ثـــــــوب الحريــــــــر
طِلْعِـــــتْ تَتْغَربِـــــل ذُرا	بالمَلَـــــــــك والكُنْـــــــــدَرا"[4].

تحدثنا سابقاً عن الشعير وكونه يشير إلى الخصوبة، وهو هنا طقس سحريّ، الغرض منه ضمان البقاء والاستمرارية وتكاثر النسل[5]، كما تحدثنا عن الملح ودَوْره فــي تطهيــر الأجــواء مــن الأرواح الشريرة.

وكانت كثير من العادات تربط العروس بالقمح، فيذرونها بالقمح، أو يكللونها به[6]، إذ يعتقــد أن هذا يكفل الخصوبة، ومن هنا جاء تقليد الفزّاعة التي تستعمل اليوم، والتي تعود "جــذورها إلــى دمى عشتار المغزليّة وإلى فن الكهوف الذي يعود إلى 30.000 سنة قبل الميلاد، حيــث كانــت هذه الدمى جزءاً من أدوات طقسية، تُغْرَسُ في الأرض بوضعٍ عموديّ، ضمن ســياق طقســي يستهدف خصوبة الأرض[7]" وقد كان الزواج المقدس قديماً يهدف أساساً إلــى الاســتزادة مــن أسباب الخصب والرخاء وزيادة المحاصيل، وتكاثر الحيوانات، فإننا نقرأ في نصٍ زمن الملــك

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة صفية عبد الفتاح، دير غسانه، 80 سنة.25 /2007/1.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(3) مقابلة شخصية،السيدة عديلة، سنجل، 74سنة. 2007/8/3.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(5) انظر: الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص48.

(6) عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ص 276.

(7) انظر: السواح، **دين الإنسان**، ص 157.

"إدن- دجان" "أن الكاهن أخذ بيد الملك وجاء به إلى حِجْرِ إنانا "عشتار" ثم بدأ بترديد دعاء يَسأل فيه الإلهة الزوجة أن تَمْنَحه شارات الملوكية، وأن تَسبع نعمها وخيراتها على الناس"[1].

وفي عرس إنانا (عشتار) وبعد أن استحمت رشَّت الأرض بزيت الأرز العَطِر، وقد مُدَّ فِراشـــها من الأسل [2]، والأرز تعبيراً عن الخصب أولاً"[3].

2- طقس المذراة[4]:

"في الزفة بيجيبوا مِذراة يحطوا على وجه المِذراة صحن بقولولها (زرافــة)[5]، بيــرقص فيهــا العريس بين الناس"، ولا يزال يستخدم في القرى حتى الآن، ويغنوا للعــريس عنــدما يحملهــا ويرقص بها:

"عـــددوا المهـــرة وشـــدّوا عليهـــا	تيجـــــي محمـــــد ويركـــــب عليهـــــا
عددوا المهـــرة وجيبـــوا الزرافـــة	زفـــوا هـــالعريس لَبـــاب المظافـــة[6]

وتعود جذور هذا الطقس لنفس الأصول السابقة في طقس نثر الشعير التــي تتنــاول الحبــوب والخصوبة.

لكن قد يبدو واضحاً أن الطقس هنا قد تحول عن المرأة، ليصبح طقساً ذكورياً يقوم به العريس، وهو يعود بطبيعة الحال لكون المجتمع الفلسطيني مجتمعاً ذكورياً أبوياً يعطــي زمــام الأمــور للرجل.

3- طقس موكب العرس:

ينطلق موكب العرس من بيت العروس لبيت العريس، وعندما يقترب منه، تتحلق النساء حــول الموكب سواء كان خيلاً أو سيارة حديثة، فيغنين حولها، ويَطُفْنَ في حركة تشــبه الأمواج، حتى

---

(1) علي، فاضل، الاحتفالات والأعياد، **من كتاب حضارة العراق**، ج1، ص 213.

(2) الأسل: نبات دقيق الأغصان، يستعمل لصنع السلاسل. **المنجد**، ص11.

(3) كريمر، **طقوس الجنس المقدس**، ص116.

(4) المذراة: عامية وهي المِذّرَّه بالفصحى: آلة يُذر بها الحَبّ ونحوه، **المنجد**، ص234. وقد رأيتها في كثير من البيــوت الفلسطينية، فهي لا تزال تستخدم إلى اليوم.

(5) الزرافة: منزفة الماء.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة زهور قندح، أبو شخيدم، 58 سنة. 2007/7/29.

يَكَدنَ يحملنها، وتغني النساء:

"هـــوجي ومـــوجي يــــا فــــرس	هــــوجي ومــــوجي يـــــا لا لا
شــــاريك خيالــــك يــــا فــــرس	ونـــازل فـــي المعـــارك يـــا لا لا[1]
وِشْـــو هالزافـــه القويــــة وي	شــــو هالزَافـــه القويــــة وي
ويحنـــا المُلـــوك مـــن ســـوريا وي	حْنـــا الملـــوك مـــن ســـوريا وي
وِشـــو هالزَافـــه هالهولَـــة وي	شــــو هالزَافـــه هالهولـــة وي
وحنـــا المُلـــوك وِحنـــا الدولـــة وي	حْنـــا المُلـــوك وِحْنـــا الدولـــة وي[2]

"كان موكب الزواج المقدس يُختم باحتفال كبير يشارك فيه عامة الناس، وتُعْزَفُ خلاله الموسيقى وتردد الأغاني وتقدم المأكولات والمشروبات، يصف أحد النصوص السومرية زواج الملك "إدن ـــ دجان" من عروسه التي كانت تقوم بدور الإلهة إنانا (عشتار) أن الملك كـــان يجلـــس علـــى العرش وإلى جانبه عروسه وأنه كان يضع ذراعه حول كتفيها، وأنها كانت تبدو مثـــل ضـــوء النهار، وهي تعتلي العرش، وكانت مواكب المحتفلين تمر أمامهما وهم يرددون الأغاني العذبـــة على أنغام الطبل والقيثارة"[3].

ومن أغاني العرس التي ترددها العروس للعريس قديماً:

"ما رددته هذه الكاهنة أغنيتها العاطفية، بعد أن استعدت لذلك فاغتسلت بالماء والصابون وطيبت جسمها بالدهان والعطور، وفمها بالعنبر، وزيّنت عينيها بالكحل، وارتدت أجمل ثيابها وحليهـــا، أنشدت للملك شيو ـــ سين (2038–2030 قبل الميلاد)"[4]:

أيها العريس أنت على قلبي

لذيذ "وِصالك" حلوٌ كالشهد

أيها الأسد عزيز أنت على قلبي

---

(1) مقابلة شخصية، محمد نظمي قندح، أبو شخيدم، 24 سنة.2007/4/27.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) علي، فاضل عبد الواحد، الاحتفالات والأعياد، **من كتاب حضارة العراق**، ج1، ص 214 – 215.

(4) المرجع السابق، ص212.

لذيذ وصالك حُلوٌ كالشهد

أيها العريس دعني أقبلك

فقبلتي حلوةٌ ألذُ من الشهد

دعني أتمتع بجمالك اللطيف...

فَهَلُمَ يا عريسي إلى بيتنا وَنم فيه إلى الفجر

يا سيدي الإله وسيدي الحامي، يا شيو سين،

يا من يَسر قلب إنليل"[1].

"وعند البابلين كانت نفس المراسيم في عيد الأكيتو الذي يستمر أحد عشر يوماً والذي يختتم بوصول الموكب "بيت أكيتو" الذي ربما يكون معبداً، بعد أن يمر ببوابة عشتار المزينة وعند وصوله يجري ترتيل قصة الخليقة البابلية. وهو كذلك عند الآشوريين"[2].

أما الإغريق فَكانوا يهتمون بحفلة العرس اهتماماً كبيراً: "ويرون وجوب إقامة الحفل في يومٍ مَيمون الطالع، وليس أسعد من اليوم الذي يكتمل فيه القمر ويصبح بدراً، وعندما تشرق الشمس يلبس العريس حُلة الزفاف وَيُتَوِجُ رأسه بإكليلٍ من الغار، يذهب بعدها لبيت العروس. وبعد إعلان الزواج وتلاوة العبارات المقدسة، تُحمَلُ الفتاة لبيت زوجها في موكب الزفاف يتقدمه الزامرون وحاملو المشاعل"[3].

وعند الرومان: "كان موكب العروس أشبه بموكب العروس عند الإغريق، غير أن الزوجة الرومانية كانت تأتي إلى هذا الموكب ملثمة، وتلبس تاجاً على رأسها، في حين تتقدم الموكب شعلة الزواج، ويسير حول موكب العروس جماعة من المنشدين يرتلون الأناشيد الدينية القديمة"[4].

4- طقس لصق العجينة على باب الدار:

"بتعجن أم العريس شوية هالعجين، وبتحط عليها ورقة خظرا، ورقة توت أو دوالي أو ليمون لما

---

(1) باقر، طه، **مقدمة في أدب العراق القديم**، ص192.

(2) المرجع السابق، ص217-218.

(3) عبد الصمد، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ص17-18..

(4) المرجع السابق، ص30.

تصل العروس بتوخدها وبِتلَزِقها على باب دار العريس بقولوا: الخميرة مشان اتْخَمِر، (اتخلـف) وورقة الليمون بتظل على باب العتبة مشان إجرها تِطْلَع خظرا واتْعَمِر. (اللي بِتِقَعْ بقولوا: مـش رايحة اتعَمِر)"[1] ويجري هذا التقليد حتى اليوم، فعندما وصلتُ بيت الداية فاطمة عبد الـرحمن في اللبن رأيت عجينة وورقة ليمون ما زالت حديثة فأخبرتني: "امبيرح دَخَل ابنا احنـا بـنحط خميرة وورقة توت أو دوالي خظرا"[2].

وهذا الطقس موجود عند المسلمين والمسيحين على حد سواء.

تحدثنا سابقاً عن الخميرة وذكرنا "أن هذا التقليد "الطقس" يمثل نوعاً من السـحر، حيث تشـكل العجينة مادة أو لحم الغلة المحصودة قديماً أو المقتولة، وهي إلهة أو إله الخصـب لـذلك فهـي مقدسة"[3]، وكما أن الورقة الخضراء هي تعبير عن الخصوبة والخير فإن الخميرة وما يسـكنها من الأرواح التي تَنْفُخْ العجينة، وتجعلها تتضاعف نوع من السحر التشابهي الذي يفترض انتفاخ الأم ومن ثم إنجابها وفي هذا النوع من الخلق يذكرنا بالـديانات السـحرية القديمـة الفيتيشـية والأرواحية والطوطمية، فكما ستدب الروح في العجينة، ستدب الروح في البيت فتعمره المـرأة بِخَلْقٍ جديد. لهذا نجد العراقي القديم يخاطب الطحين ككائن حي يلجأ إليه، فإذا قَـدَمَ شـيئاً مـن الطحين لاسترضاء أحد الآلهة الغاضبين، خاطب الطحين قائلاً:

"سأرسلك إلى إلهي الساخط، إلهتي الساخطة

فقد امتلأ القلب من كليهما غضباً عَلَيَّ

أَصْلِحْ بيني وبين إلهي الساخط، إلهتي الساخطة".

وهكذا فإن الطحين هنا ليس جماداً بل هو كائن حي ذو إرادة قوية، وهـو نـوع مـن السـحر القديم"[4].

5- طقس رش الماء:

1- على التكسي (السيارة)

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.
(2) مقابلة شخصية، الداية فاطمة، اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.
(3) انظر: الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص44.
(4) فرانكفورت، **ما قبل الفلسفة**. ص152.

2- أمام وخلف العروسين، ووضع إبريق الماء على رأس العروس وتُردد النساء:

رُشوا عَلى التَكسي مَيّه مِــن الإبريــق   يا زَفِة العِرســان بَعــد العَصِــر بتِليــق

رُشوا عَلى التَكســي مَيّــه ماواردِيّــه   يا زَفِة العِرسان بَعــد العَصِــر غيّــه[1]

"بِنْرُش العتبة بالمَيّ قُدام العِرسان أو وراهم وبنرش عليهم مِلِح، وبنحط علــى راس العــروس إبريق وبعدين بنسقيها هي والعريس من المَيّ[2] وبنغني:

دَرِجْ بالقنــاني العَشَــرَة علــى صِــدْرِها   دَشِّر من كلام قلَّك...هذي ظيفتــك حَيّيهــا

دَرِجْ بالقناني العَشَرَة على صِدْرِها بالطاسة   دَشِّر من كلام قلَّك...هذي الناسِ حَواســه[3]

ديروا المَيّــه عَ السَّــهِلْ وِاســقوا التفــاح   ومِبْــارَك مــا سَــوْيتي يَــمِّ المــلاح

ديروا المَيّه عَ السَّــهِلْ وِاســقوا اللْيمــون   ومِبْــارَك مــا سَــوْيتي يَــمِّ المَزيــون

ديروا المَيّه عَ السَّهِلْ وِاســقوا السِــرّيس   ومِبْــارَك مــا سَــوْيتي يَــمِّ العَــريس[4]

تحدثنا كثيراً عن الماء، والماء البدئي، الأم الكونية الأولى، لذا سنذكر هنا دلالة الطقس فقط: "إن صب الماء أمام العروس وخلفها وحملها لإبريق الماء، هي ممارسات سحرية تهــدف إلــى إدخال البركة والخير على العروس"[5]، "كما أن الوسط الشعبي الفلسطيني يعتبــر المــاء عــدواً لدوداً، وسلاحاً ماحقاً للجن كما أنه يُغرِق الشرور"[6].

وعند السومريين والبابليين كان طقس سكب السوائل يقوم به الكاهن وكان يجري بصورة يومية خاصة في حفل الزواج، حيث يسكب الكاهن على رأس العروس سائلاً لمباركتها"[7].

"كما اســتخدم الماء عند المصريين في طقوس الصباح وطقوس المساء في المعبد، لرشــه على

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/1/17.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67سنة. 2007/8/5.

(3) اتصال هاتفي، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/3/23.

(4) اتصال هاتفي، الحاجة فاطمة، أبو قش، 71 سنة. 2009/3/23.

(5) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص 53.

(6) المرجع السابق، ص53.

(7) الماجدي، **الدين السومري**، ص 153.

تمثال الإله وفي طقوس الزواج لرشه على العروسين لتطهيرهما"[1].

6- طقس طقش البيض في الزفة:

"لما تُعبر العروس عَ دار عريسها بيكسروا بيضة تُفْشُقْ عنها"[2].

"لما تطلع العروس من دار أبوها بتفقُش[3] ثلاث بيضات تحت إجريها بكندرة العرس وبْتِطْلَع، أنا فَقَشِت ثلاث بيظات لما اتجوزت وكل خواتي"[4].

"العروس بِحطولها ثلاث بيظات تفشق عنهن قبل ما تفوت بيت عريسها"[5].

"لما اتخش[6] دار العريس بَقوا ايحطولها ثلاث بيظات تفقشهن تحت إجريها ولليوم هاظا الحكي"[7].

تحدثنا سابقاً عن بيضة الكون الأولى وكونها ترمز إلى الميلاد الجديد، وفي المثل الشعبي ما يؤكد هذا، فَيُشَبه الوحيد لأهله بالبيضة، ويقال ("بيضة وبيضة مِدْرَه"[8]، "وأبو بيضة بِقامْقِشِش"[9])[10]، ويقال أيضاً عن الجنين في بطن أمه مثل "البيضة الخداج"[11].

لذلك سنضيف فقط طقس الزواج الهندوسي القديم وله اثنان وعشرون شرطاً ويتوزع على أربعة طقوس رسمية ما يهمنا فيها الأول، وهو التقابل الزوجي على بعد سبع خطوات، ثم يسير العريسان فوق بيض ويرمى عليهما الزهور... الخ[12].

7- طقس تطيير الحمام:

---

(1) الماجدي، **الدين المصري**، ص 226 – 227.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(3) فَقَش البيضة: كسرها. انظر: **المنجد**، ص 599.

(4) مقابلة شخصية، عبير قاسم، الجديرة، 24 سنة. 2007/8/6.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللبن، 67 سنة. 2007/1/6.

(6) اتْخُش من خَشَّ: بمعنى دَخَل. **المنجد**، ص 179.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(8) مدره: عامية، مِذْرَه بالفصحى: أي فاسدة وخبيثة. **المنجد**، ص 753.

(9) بِقامِقِشِش: عامية بمعنى لا يطاقش بالبيض. يطلق هذا المثل على الولد الوحيد الذي لايجازف به أهله.

(10) انظر: المبيض، سليم عرفات، **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها ا**لشعبية، ص 87 و 450.

(11) المصدر السابق، ص450.

(12) شلبي، رؤوف، آلهة في الأسواق، **دراسة وتحليل في النحل والأهواء القديمة**، دار القلم، الكويت، ط 2، 1983، ص142.

"المقتدريين من المزرعة وسنجل بيزقطوا حمام بمسكوه، ولما تفوت العــروس بفلتــوه (حمــام إبْيَظ). لما اخدنا بنت دار حافظ فلتوا حمام [1]

ويغنى عن الحمام:

طْير الحمام لَدرِجَه فوق راسك يا عــروس	واحنا نَوينا عَ الفَرِح ما يهمِنا عــدّ الفلــوس
طْير الحمــام لَدرِجَــه فــوق راس البْنَيّــه	واحنا نَوينا عَ الفَرِح ما يهمِنــا ألــف ومِيّــه
طْير الحمام لَدرِجَه فــوق راس إم الحلــق	واحنا نَوينا عَ الفَرِح ما يهمِنــا عــدّ الــوَرَق
طْير الحمام لَدرِجَــه فوق راس إم الدبوس	واحنا نَوينا عَ الفَرِح ما يهمِنــا حَط الفِلوس[2]

ويُغنى أيضاً:

مِن سَبَل الغَلَّه ما تْجيــب لنــا يــا حَمــام	مِــن سَــبَل الغَلَّــه يجْعَــل قُــدامها نَــدَى
عَ العَــــمْ والعَمَّــــه وتبكــــري بالولــــد	وتعَمِّري دَارنا ما تجيبْ لنــا يــا حمــام[3]

وقد كان المصريون في احتفالاتهم الرئيسية يطلقون أربعة طيور، تطير في أركان الأفق الأربعة لتخبر العالم أن عهداً جديداً قد بدأ، فتقام الأفراح على إثر ذلك في المعابد"[4].

كما اعتبرت الحمامة قديماً طيراً مقدساً واعتبرت من رسل السماء وتدعى بالســومرية (إيــاهو Iaha) ويظهر أن هذا الاسم هو مصدر الإله العبري (يهوه)، والحمامة السماوية هي شكل مــن أشكال إنليل الإله القومي السومري ويهوه الإله القومي اليهودي"[5].

كما اعتبرت الحمامة رمزاً للإلهة الآرامية "عتر" التي أخذت مكان أمها (ور) إلهة الأرض، ثــم رمزاً للإله الآرامي حدد[6].

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جدية سنجل، 74سنة. 2007/8/3.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8.

(3) إبراهيم، نبيلة، **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، ص270.

(4) غربال، **تاريخ الحضارة المصرية**، ص257.

(5) الماجدي، **الدين السومري**، ص103.

(6) الماجدي، **المعتقدات الآرامية**، ص55 و 129.

"كذلك ارتبطت الحمامة بأسـطورة (الإلهة الآشورية سـميراميس) حفيدة عتر، عندما ولدت من رحم أم سماوية تركتها عند ولادتها، فتعهدها بالرعاية سرب من الحمام، كما أنها عندما ماتـت تحولت لِحمامة وسميت باسم كاهنة الحمام"[1].

وفي تراث اليونان كانت الحمامة من بين الأشياء المخصصة لأفروديـت[2]ولا سـيما الحمامـة البيضاء". كما سميت راشيل زوجة يعقوب وأم النبي يوسف بالكاهنة الحمامة"[3].

وللحمامة دور في المعتقدات الإسلامية فهي التي حملت غصن الزيتون، في قصة نـوح عليـه السلام، زيوسدرا السومري وأونباشتيم البابلي"[4].

8- طقس كشف الطرحة:

"لما يرفع عن وجهها العريس المخلص الطرحة بقول: "بسـم الله الـرحمن الـرحيم" وبمسـح السركون". وبتهاهي وحدة:

هـي وي ويـا ريتهـا مَبروكـة　　　هـي وي وتعمـر داره بـالخير

هـي وي وتعمـر دارك بالصـبيان　　　لولولولـــــوي[5]

وتغني لها النسوة أثناء رفع الطرحه:

"وارفعي راسك يـا مَرفوعـة الـراسِ　　　لا فيكـي عيبـه ولا مَقالـة النـاسِ

وانتي خَـواتم ذَهَـب والنـاس لبّـاسِ　　　وارفعـي راسـك لَيقولـوا مايلـه

يا نخـلة بيـن الجـبـال عـاليـة"[6].

رشـوا العروسـة زعفـران وحِنـة　　　خلـوه يمحمـد يفـرح ويتهنـا

(1) شوقي، عبد الحكيم، **مدخل لدراسة الفلكلور**، ص55.

(2) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص304.

(3) المرجع السابق، ص304.

(4) المرجع السابق، ص 332.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة صفية قاسم، عين قينيا، 84 سنة.2007/7/20.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

رشــوا العــروس بــالورد واليــانس خلـــوه يمحمـــد يفـــرح بـــالعرايس"[1].

ثم تنزل العروس للرقص بعد رفع الطرحة فَتُرَدِد النسوة:

طاحَـــت تَتُـــرقص سِـــت البنـــات عِـــــدّها زابـــــط بَرْبَـــعْ نِجْمـــات
طاحَــــت تَتُــــرقص هاالشــــلَبية عِــــدّها وَرِدْ رابــــي عَ المَيّــــه
طاحَــتْ تَتِســقي الــوَرِد عَصــريّه فَــتَح الــوَرِدْ مِــن غيــر اســقيّه
طاحَــتْ تَتِســقي سِــت البنــات فَــتَح الــوَرِدْ فــي غيــر أوقــات
طاحَــتْ تَتِســقي الــوَرِد والريحــة فَــتَح الــوَرِدْ كِرمــال المْليحــة[2]
ســـرداوية وِارقصــــي بالســـيف وَاهلِـــك عَ راســـك ظَلـــي بـــالكيف
ســـرداوية وِارقصــــي هولَـــة وَاهلِـــك عَ راس البَلَـــد دولـــة
ســـرداوية وِارقصــــي بْعَنْبِـــر وَاهلِـــك عَ راس البَلَـــد عَسْـــكَر[3]

وتتغنى بجمالها النساء:

يا بيظه فــي حُمْــرَه يــا كــاس الحليــب لَمِن عبرت عَ الفَرشة جلَسْتِ حَيَّرتِ الغريب
يا بيظه فــي حُمْــرَه يــا كــاس الشــراب لَمِن عبرت عَ الفَرشة جلَسْتِ حَيَّرتِ الشــباب[4]
طاحــت تَتُــرْقُص بنــتِ شــيخ العَــرَب مَـــدَتْ السُّـــفره والمعـــالِق ذهـــب
طاحــت تَتُــرْقُص بنــتِ شــيخ القُــدِس مَـــدَتْ السُّـــفره والمعـــالِق جِـــنِس[5]

ويُغنى لدخلولها البيت:

واحنا حَلَفْنــا الليلــة مــا نوكِــلْ إلا زيــت يا فَرِحْتِكْ يَمْحَمَــد غزالــك خَــش البيــت
واحنا حَلَفْنــا الليلــة مــا نوكــِلْ إلا خيار يا فَرِحْتِــكْ يَمْحَمَــد غزالــك خَش الــدار[1]

---

(1) مقابلة شخصية، بَدْره لطفي قاسم، الجديرة، 55 سنة. 2007/8/6.
(2) مقابلة شخصية، الحاجة ربحية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/8/16.
(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8.
(4) المصدر السابق، 2009/3/24.
(5) المصدر السابق، 2009/1/16.
(1) المصدر السابق، 2009/2/23.

كان الزوج السومري يؤدي القسم، وتزف الزوجة له، ويقوم برفع قلنسوة عروسته، ويضعها على رأسه كدليل على احترامه لها"[1].

9- طقس فك الكندرة:

"لما يطلعوا الناس من عند العروس والعريس ايقلها جوزها قومي غيري، اتقول بدي فكاك الكندرة يفعلها جوزها مثل ما بدها"[2].

"في بيت دقو، سلوان، في منطقة القدس، لفتا لا تقبل العروس تشلح؛ إلا إذا حط فكاك الكندرة"[3]."ليلة الدخلة ما ترضى تِشلْح اتقول لجوزها بدي فكاك الكندرة، أنا دفع لي خمس دنانير"[4]."وأنا دَفَعْلي عشرة ما ارظيتش إلا بعشرة"[5].

ويغنى في هذا على لسان العريس:

لَحُط الخَمِسْمية عَ الوسادة	وأوخذ هالشلبية وأمشي عادة[6]

وتغني لها النساء:

رَنّت الصينية عَ الطنجرة	يَمحمد حَيّيها وراظيها
وميت ليرة اعطيها	فكاك الكندرة[7]

تعود جذور هذا الطقس إلى الوقت الذي كانت فيه المرأة تُباع وتُشترى قديماً في المجتمع البدائي الأبوي كانت الفتاة تُعرض في معرض للعرائس أمام جماعة من الرجال قد يكون منهم الخطيب، فكانوا يزينون العروس بأفخر الزينة، ويعرضونها على ظهر جواد أو ماشية على قدميها في جو يفوح بالعطور لعلها تستثير الخطاب فيدفعون فيها ثمناً أغلى. (ولا يوجد مدون واحد يدل على أن امرأة واحدة عارضت في زوجها بالشراء، بل كانت النساء يفاخرن بما يدفع

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص 325.
(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8.
(3) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.
(4) مقابلة شخصية، سيدة، الجديرة، 58 سنة. 2007/8/6.
(5) المصدر السابق، 2007/8/6.
(6) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/3/23.
(7) المصدر السابق، 2009/3/23.

لهن ثمناً ويحتقرن المرأة التي تسلم نفسها في الزواج بغير ثمن، لأنهن يعتقدن أن الزواج الذي يَعقدُ الحب أواصره بغير ثمن مدفوع، يكون فيه الزوج الشرير كاسباً كسباً عظيماً، لم يدفع لقاءه شيئاً[1].

10- طقس فض البكارة (ليلة الدخلة):

"ساعة الدخلة بِسْتَنْوا بَرَّه على العرسان، وفي بقول الأب للعريس(سَبِع ولا ضَبِع)؟ فيقول العريس: باطل عليك أنا سبع، فتقوم أم العريس بِتْزَغْرِتْ[2]"

وقديماً "كان يِطْلِعْ شريطة بيظه على عود، يَعني إنو عرضها إبيظ [3]".

ومن أغاني ليلة الدخلة ما يجسد عملية رفع الراية البيضاء:

أدخل يا سباعي[4] يا سباعي	وخُذْها عَ الزراعِ
أدخل وِتْوَكَل على الله	وارجع من غيبتك رافع الشراعِ[5]

ويقال أيضاً:

يا سكاكي[6] يا سكاكي	يا مْسَهِل كل العواقي[7]
يا زين ما رَبيت	يا بو فلان يعطيك العوافي
شرَفَتنا وْرَفْعَت الراس بنت أبوها	وما تِنداس حُطها يا أسد على الراسِ[8]

وحتى اليوم لا تزال تُستعمل كلمة (سَبِع ولا ضَبِع) للسؤال عن نجاح عملية ليلة الدخلة. (وقد شاهدت أماً وأباً متحضرين ومتعلمين يرسلان رسائل عبر جهاز الخليَوي الحديث لابنهما ــ الذي دخل تلك الليلة ــ تقول: (سَبِع ولا ضَبِع)؟

---

(1) ديورانت، **قصة الحضارة**، م1، ج1، ص76.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الفتاح، عين يبرود، 63 سنة. 2007/7/29.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(4) سباعي: أي ابن سبعة أشهر.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة حورية، الجديرة، 84 سنة. 2007/3/27.

(6) سكاكي: عامية وتعني الفلاح الذي يعمل على السكة. ونلاحظ هنا ربط المرأة بالأرض والخصوبة بالحراثة.

(7) العواقي: لزوم الشعر، أصلها العواقب.

(8) مقابلة شخصية، الحاجة حورية، الجديرة، 84 سنة. 2007/3/27.

ويرفض المجتمع الفلسطيني أن تكون الفتاة البكر غير عــذراء وإلا فإنهــا ســتعاقبها عائلتهــا ومجتمعها وهي في الأغلب "تُقتَل" كقضية شرف، لمحو العار لأنها تكون غير طاهرة.

يقول المؤرخ هيرودوت 500 ق.م: "إن البغاء المقدس أو البغاء الديني كان شعيرة من شــعائر الدين ووسيلة لاسترضاء الآلهة والتقرب إليها، فكان يجب على كل فتاة عذراء في بابل أن تذهب لمعبد الإلهة (مايلتا)[1]، وأن تقدم نفسها لرجل أجنبي عن البلاد، فكانت تجلس في ساحة المعبــد حتى يمر بها أجنبي، فيضع على ركبتيها قطعة فضية من النقد، داعياً في أثناء ذلك "أن تباركها الإلهة مايلتا وتشملها برعايتها"، وكانت قطعة النقود تعتبر مقدسة بمجرد وضعها علــى ركبــة الفتاة، وبعد أن تؤدي الفتاة واجبها تعود لبيتها فرحة بما أتتها الآلهة من فضلها، ثم تتلقى تهنئات أهلها وتغمرها هداياهم الثمينة"[2].

وفي هذا يقول ديورانت: لم تكــن التضحية بالبكارة في الهياكل عملاً يتقرب به إلى عشــتروت وحسب، بل كان فوق ذلك مشاركة لها في التهتك الذي يُرجى منه أن يوحي الى الأرض ايحــاءً قوياً لا تستطيع مقاومته، وأن يضمن تكاثر النبات والحيوان[3].لقد كان أكثر مــا تخشــاه الفتــاة البدائية هو أن يشاع عنها أنها عقيم، فالمرأة إذا ما حملت قبل زواجها، كان ذلك معيناً لهــا فــي زواجها وأَقْبَل الرجال على طلبها وفي حالات كثيرة كانت البكارة حائلاً دون زواجها، لأنها تلقي على الزوج عبئاً ثقيلاً هو أن يخالف أمر التحريم الذي يمنع إراقة دم أحد أعضاء القبيلة فكــان الرجل إذا وجد زوجته بكراً ثارت ثورته. ولكن وبعد تحول المجتمــع الأنثــوي إلــى مجتمــع ذكوري، ظهرت غيرة الرجل على المرأة مما أدى إلى الملكية فتغيرت النظــرة إلــى البكــارة وأصبحت العفة الجنسية ذات قيمة حين زادت قيمة البكارة لأن العروس في ظل نظام الــزواج كانت تُشترى بثمن أغلى إن كانت بكراً من ثمن أختها التي ضعفت إرادتها، فِالبِكر يبشر ماضيها بالأمانة الزوجية مما يعني أن لا يُوَرِّثُ الرجل أملاكه لأبناء سِفاح بل لأولاد من صلبه"[4].

---

(1) معبد مايلتا من معابد عشتار في تلك الفترة. انظر: وافي، **من غرائب العادات**، ص 256.

(2) المرجع السابق، ص261 – 263.

(3) ديورانت، **قصة الحضارة**، م1، ج2، ص38.

(4) المرجع السابق، ص 80 – 81.

ثم ظهر نظام الزواج بالشراء وأصبحت بكارة الفتاة تُدِرُ ربحاً على أبيها، ولما تطورت الملكية تدرج الزنا فأصبح من الكبائر"[1].

فعند السومريين كانت الأعراف تعاقب من ترتكب الزنا بقسوة فكانت المرأة تلقى في الماء ويُعطى الحق للرجل بالزواج بأخرى[2].

وفي التوراة كانت العروس تعاقب إذا بَدَت في ليلة عرسها غير عذراء بالإعدام رمياً بالحجارة أمام بيت أبيها[3].

11- طقس صباحية العروس:

"بْتِلبس الصُّبح ثوب رومي أو مخمل وتنزل عَالعين تْمَلي الجرة وبِحُطولها قُصْفِة زيتون أو قرنفل اخظر عَ باب الجرة"[4].

أول ما تِصحى الصبح بِتْهاهيلها حماتها أو إمها (لليوم):

أوّها يا رافعه راس أخوها	أوّها يا بنت أبوها
أوّها مِن دار العِز جابوها	أوها رفعت الراية بيظة وشرفت عِزوتها وأخوها[5]

"كانت تعملها حماتها عَسلية صغيرة وتقولها روحي مَلي تلبس ثوب وشال حلو وشعرها مظبوب وامقفلط، وْعليها وقاه وشكة ذهب وخرقة وثوب، ايقولوا العروس رايحة اتملي (الكازة) التنكة ومعها قربات جوزها يحُطولها قُصْفِة خَظرا باب التنكة وترفع طرف ثوبها شوي تَيْبَينْ خلخالها ـــ يلعن أبوهِن ما أحلاهِن هذيك الإيام –واتْمُرّ– كِنْ العالم كُلها تقول ما شاء الله ويكون عريسها قاعد مع الجماعة باب الجامع ينِبْسِط لما الناس تُنْظُر لعروسته وهي ماشية بهيبة، وتفرح حماتها لأنها جابَتِلها مية"[6].

---

(1) ديورانت، **قصة الحضارة**، م1، ج2، ص85.

(2) الماجدي، **متون سومر**، ص270. وانظر: شمار، جورج بوييه، **المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية**، ترجمة سليم الصويص، دار الرشيد للنشر، ط 1، العراق، 1981، ص 206.

(3) دياكونوف، **تاريخ الشرق القديم**، ج1، ص477.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة حورية، الجديرة، 84 سنة. 2007/3/27.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة. 2007/7/29.

"امبارح دخلت عنا وَحَدَة بتقوم حماتها بتعمّل افطور وبتدق عليهم، بظلوا أسبوع في الدار، اليوم مش زي زمان"[1].

"يا حلو يا زيـــن يلـــي معنقـــر الجـــرة بدك رفق دوم ولا رفيقي مـــن مـــرة"[2]

تعود جذور هذا الطقس الى الديانات السّحرية القديمة إذ يُعتبر ذهاب العروس في الصَّباح الـــذي يلي ليلة الدّخلة إلى نَبع القرية لِتَمْلأ جرة الماء ممارسة سحرية تعني رغبة الفتاة في أن تمتلـــئ هي نفسها، أي تحمل جنيناً، فالماء الذي تحمله يحمل القُدرة على منح الحياة لِطفلٍ جديد[3].

من الطقوس التي تتعلق بالبيضة بعد الزواج:

"لما ايجَوَزوا ما يطلعوش من البيت إلا بعد أسبوع ولازم يفشقوا عن بيضه"[4].

وتدخـــل البيضة في طقوس أخرى كثيـــرة، كطقس لا يزال يمارس حتى اليوم، فَتُرمى خلف أو أمام المسافر عند سفره وعودته، تقول عبير[5] من الجديرة: "ستي زهرة من شهرين لمـــا رَوَّحْ عمي هاني من أمريكا وكان غايِّب من زمان، طَقْشَتْ قُدّامه خمسين بيظة، والله ريحتهِن لليـــوم مش راظية اتروح".

كما تدخل في طقوس البناء، فلا تزال تثقب البيضة ويفرغ ما بداخلها و تعلق على جدار العقـــد الحديث، مع خَرَزة زَرقاء وشَبة.

وهي تستخدم أيضاً في تجبير الكسور على الطريقة الشعبية إذ توضع بشكل لبخه[6]على الكســـر ثم يتم تجبيره.

طقس النفاس وطقس الحيض (الدم):

"لما تْخَلِف الوَحَدة بيقولوا مَتِكِشْفيشْ إيدك بتكون الدنيا بَرْد وسَقعَة، والحُرمة الوالدة بتكون كـــل اشـــي مفتح فيـــها وبُعْبُر الهوا من تحت أظافـــرها، بيصرن إجريها وإيـــديها يوجِعنها عَ كَبَر،

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة، 2007/7/29.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 85 سنة. 2007/1/17.

(3) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص212.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(5) مقابلة شخصية، عبير قاسم، الجديرة، 24 سنة. 2007/8/6.

(6) لبخة: خرقة يجعل فيها نخالة وأشياء أخرى وتوضع على مكان الألم لتسكينه انظر: **المنجد**، ص720.

(أربعين يوم ممنوع تُغْسِل على إيديها) صارت فِيّ صِرِتْ أغسل ولليوم بوجعني"[1].

ويقال: "المرة قبرها بظل مفتوح ليوم الأربعين"[2]، وإذا لم تستحم على الأربعين يقال: "بِسَكِر على نجاسة".

"ما تطلعش الوالدة لحد أسبوع وبقولولها إلبسي في رجليك، لَفْلِفي حالك، الحرمة النفاس بِعبِّر مِن تَحِتْ ظُفرها الهوا (خوف يصيبها البرد)"[3].

"لما اتخلف وهي نفاس ما بتصيب إشي لأهل الدار، لما اتْرَبْعِن تُغْسِل كل حوايج الدار اللي صابتهن لإنها بتكون نَجَسَتْهِن و مَمْنوع تِعْجْنْ"[4]، ولا يزال هذا موجوداً حتى وقتنا الحاضر فالنفاس تعتبر غير طاهرة وعليها غسل كل شيء استخدمته بعد أن تتطهر لأن ذلك إسلامياً مطلوب منها".

أما المثل الشعبي فقد قال عنها: "إلهَنا لَسَنَة والنّفَسا للأربعين[5]."

"وترتبط طهارة المرأة المسلمة بأمرين نزول الدم، والمدة، حيث تتطهر شرعاً عند انقطاع نزول الدم والاستحمام منه، أما من حيث المدة فإنها تتطهر بعد الأربعين حتى لو استمر نزول الدم، أما المرأة النفساء المسيحية فلا تتطهر إلا بعد الأربعين حتى ولو انقطع نزول الدم[6]."

وتخبرنا الحاجة مريم "أم وليد كانت نفاس طلعت في الهوا قام لَفَحها، التَوَق ثِمّها وظلت مَلْوقه، ما خَلّت حدا إلا راحت عليه من الأطبا في البلاد وفي أمريكا وما حدا قدر يعالجها بقت أحلى وحدة في البلد"[7].

وهنالك تعويذة مصرية قديمة يتلوها الكهنة عَن خطر البرد على النفساء، وقد كان القدماء يعتبرون الريح الأولى التي حركت المياه الساكنة هي أساس الرّوح[8] تقول التعويذة:

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(2) كناعة، **الإنجاب والطفولة**، ص209.

(3) مقابلة شخصية، الداية فاطمة،اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(5) المبيض، سليم عرفات، **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**، ص 419

(6) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص 231.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(8) انظر: الماجدي، **إنجيل سومر**، ص14.

أُخرج أيّها البرد يا ابن البرد، يا من تُهَشِم العظم، وتُتْلِف الجُمجمة وتُمَــرِض مخــارج الــراس السبعة، أخرج على الأرض، وَفِر، وَفِر، وَفِر"[1]..

أو كهذه التعويذة "إغربوا يا شياطين المرض، لن يصيبني الهواء.. إنني حورس الذي يمضي في طريقه أمام سمخت[2]... أنا ابن بستيت الوحيد ولن أموت بسبَبِك"[3].

"وهذه التعويذة كانت تُشبِّه دم النفاس والحيض بفيضان النيل ولإيقاف الحيض يقال: "أتى انوبيس ليمنع النيل من دخول المعبد حتى يَحمي من كان بداخله"[4].

"عندما تقدمت المجتمعات البدائية قليلاً اصطنعت ما سمته بالتابو أو المحرمات المقدسة وجعلتــه في مكانة القوانين، فبعض الأشياء أعلن عنها أنها "مقدسة" أو "نجسة" وكان اللفظان في الواقــع يعنيان نذيراً واحداً وهو "تلك الأفعال والأشياء التي لا يجوز لمســها، ويــذكر ديورانــت عــن المصريين، أنهم أكلوا بعضهم بعضاً إبان المجاعة فذلك آثر عندهم من الاعتداء على تحريم أكل الحيوان الذي اتخذته القبيلة طوطماً لها، وأدق التحريمات البدائية كان خاصاً بالمرأة إبان حيضها وأثناء فترة الحمل والرضاعة"[5].

"اعتقد القدماء أن الطوطم يتجسم في كل فرد من أفراد القبيلة وأنه يحل في عناصــره الدمويــة على الأخص، لذلك اعتبر دم كل واحد منهم من أهم الأشياء المقدسة وأعظمها حرمــة وأحقهــا بالإجلال فكان لمسة وقربانه محظورين، وخطراً تاماً على جميع أفراد العشيرة"[6]، ولأن الــدم يخرج دورياً من المرأة في مواقيت الطمث فقد حرم الاتصال بها لأن ذلك يعد خرقــاً للمقــدس الذي يكمن في الدم"[7].

"وعند السومريين والبابليين كانت العاملات يَتَحَررن من الأعمال الصــعبة فــي فتــرة العــادة الشهرية، وقد عُدت المرأة غير طاهرة، كما أطلق عليهن اسم (نجيمي) وسميت (أيام العزلة) (أو

---

(1) www.google.com

(2) سمخنت أو سمحت: الإلهة المحبة للدم عند المصريين. انظر: غليونجي، **الطب عند قدماء المصريين**، ص46.

(3) المرجع السابق، ص50. بستيت: إله مصري قديم.

(4) المرجع السابق، ص51. أنوبيس: إله مصري قديم.

(5) وافي، عبد الواحد، **الطوموية أشهر الديانات البدائية**، سلسلة إقرأ (194)، دار المعارف، مصــر، القــاهرة، 1995، ص63.

(6) المرجع السابق ، ص63.

(7) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص53.

(د)- (خ)) أي الأيام التي قضتها النجيمي في غير العمل[1]. كما كانت المـرأة خـلال فتـرات الحيض والنفاس تمتنع عن صنع الطعام "إذا كان الخبز قد أعدته امرأة غير نظيفة، فإنه لن يأكل رجل منه" والمقصود بعدم النظافة هنا هو الفترة التي تكون فيها المحيض أو النفاس"[2].

وعند المصريين عرف هناك ما يسمى ب (تكعيبة النفاس) وهو المكان التي كانت تقضـي فيـه المرأة فترة الولادة والتطهر[3].

ونَذكُر هنا هذه التعويذة السحرية التي تناجي دم إيزيس لما فيه من سحر وقوة:

"يا دم إيزيس... ويا سناء إيزيس... وقوة إيزيس السحرية ويا تميمة تحمي هذا الرجل العظـيم، حذار من أن تأت ضرراً يصيبه... فقد كانت "إيزيس" من دون جميع الآلهة الآخرين ربة السحر التي اشتهرت بوصفها عظيمة في كلمات السحر"[4].

وعند الهنود الحمر قديماً كانت الفتاة تتعرض لطقوس التكريس منذ أول حيضة لها؛ حيث تعزل في كوخ لمدة محددة يمنع عليها أثناء ذلك رؤية الذكور خلال فترة كافية لتطهيرها[5].

وفي الجاهلية وفي أثناء تأدية الطقوس الدينية نحو الأصنام كانوا يُنَحّونَ النساء الحيض عنهـا، فلا يجوز لهن التمسح بها أو الاقتراب منها، بل عليهن الوقوف في ناحية بعيدة حتى لا تصـيب النجاسة الأصنام[6].

وفي الديانات السماوية الثلاث تُمنع المرأة من دخول الأماكن الدينية حتى تنتهي فترة حيضها.

طقس الرضاعة:

"من الطبيعي أن حليب اللبا لا يتكون في الأم مباشرة بعد الولادة، بل ينزل بعد يوم أو يـومين، وأحياناً يتأخر إلى اليوم الثالث، وقد تطول المدة إلى اليوم السادس وعندما ينزل حليـب المـرأة يُقال: "إجِت بَرَكِتِها"[7]. ويعتقد الفلسطينيون أن تأخر إدرار الحليب عند المرأة يعـود لأسـباب

---

(1) دياكونوف، **تاريخ الشرق القديم**، ج 1، ص 353.

(2) سليم، **دراسات في تاريخ والحضارة القديمة**، ص 213.

(3) فياض، **المرأة المصرية القديمة**، ص 85.

(4) عبد الصمد، **عادات وتقاليد من العصور القديمة**، ص 331.

(5) السواح، **دين الإنسان**، ص 74. وانظر: البيديل، **سحر الأساطير**، ص 33.

(6) ابن اللكبي، هشام بن محمد بن السائب، **الأصنام**، القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1995، ص 30

(7) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص 74.

خارقة، لذا فإن الوالده تذهب للشيخ ليعمل لها ورقة رضاعة أو ورقة حليب[1]، "بْتِقْطَع الوحــدة ورقة ارضاعة عند الشــيخ في دير بلــوط، ورقة مكتوب عليهــا. في أولاد مكانــوش يعْرِفوا يرضعوا إلا بورقة الرضاعة"[2].

وقد تعلق المرأة على صدرها "خرزة درة"، "خرزة حليب" وهي خَرَزِة بيضــاء فيها مشـــحات عَسَلية بِحَجم حبة الفستق يُؤتى بها من بلاد الحجاز أثناء الحج"[3].

ويعتقد الفلسطينيون أيضاً أن التهاب الثدي المزمن سببه العين الحاسدة[4]، أما مدة الرضاعة فقــد كانت قديماً تتأثر بِجِنس المولود فيقولون: رَضّعِ البنت سنة ونص وآجرك الله، ورَضّــعِ الوَلَــد سنتين وْلا آجرِك الله"[5].

فإذا كثر حليب الأم فإن عليها أن تُسمى "بسم الله الرحمن الرحيم" عند بداية الرّضاعة حتى يَضَعْ الله البركة في حليبها[6] وتقوم النساء بالدقدقة الخفيفة على الطفل أثناء الرضاعة والهَدْهَدة والغناء فتقول:

نامي نامي يا عين حبيبي يا ملانة نــوم   يــا غـــزال مْقَيِّــل تحِــت ظِــل الـــدوم
نامي نامي يا عين حبيبي يا ملانة نْعاس   يــا غــزال مْقَيِّــل تحِــت ظِــل الــراس[7]

وتغني أيضاً:

يا شمس اقفيلي تَــنِ اعجــن عَجينـــي   أشـــعْتِك يـــا مايلـــة قَعَّـــدِنلي صـــغيري
ينــــــاغي فـــــي الســــــريرِ   يـــــــا لْباسَــــــــه حريـــــــــري

يــا غــطـــــــاه مـــــنديـــــلـــي[8]

وأيضاً:

(1) المرجع السابق، ص 75. وانظر: كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص 215.
(2) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.
(3) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص 215.
(4) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص 77.
(5) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص 250.
(6) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص 75.
(7) المرجع السابق، ص 75.
(8) مقابلة شخصية، الحاجة صفية، عين قينيا، 84 سنة. 2007/7/20.

نـنّـــــي يـــا حــبـيـبـــي نــنــــــّي

من هيببتك يا نبي باظ الحمـــام فـــي الغـــار	قَشّــشْ وريَّــش وصـــار لـــه جنـــاح وطـــار
من هيبتك يا نَبي باظ الحمام فـــي الهْـيش	قَشَّش وريَّــش وصـــار لـــه جنـــاح وريـــش
بحيات محمد واســـمه في الســـما محمـــود	وإله ثريا من ذهب يظويها للجبال الســـود"[1].

وبعد أن يرضع الطفل تدشيه[2] الأم وتقول له:

صَحّـــــة وأربـــــع عَوافـــي مَعّهـــــا	واللّي ما تُقُلَّك صَحّا يصبْح قلبهـــا يوجعِهـــا
رب السما يفْطَحّها ويكون دَوَاها عنـــــا	يْضُــــرْهـــــا مـــــــا ينْفَعْهــــــــــــا[3]

وقد تمنع المرضع من الذهاب إلى القبور، أو حضور المآتم خَوْفاً من تهيج القرينة[4] ويقال عنها في التراث الشعبي تحبباً: "كول مع المرضعة ولا تماشيها"[5]، "أي كل معها لأنها تأكل كثيـــراً، ولكن احذر مرافقتها في المشي لِخفة حَركتها وسرعة جريها إذا ما سَمِعَتْ طفلها يصرخ". أمـــا في هذه الأيام فنجد الأمهات حديثات الولادة يفضلن الرضاعة الصناعية كـــي تبقـــى أجســـامهن متناسقة.

كانت المرأة ومنذ أقدم العصور تُهَدهِد لطفلها فيما يعرف "بالهنهونية"[6]، والتي تضمنت تـــرانيم وتعاويذ ضد اضطراب النوم عند صغيرها.ويذكر ديورانت: أن الأم عند البدائين كانـــت تقـــوم على رضاعة طفلها من عامين إلى أربعة أعوام، بل قد تمتد فترة الرضاعة أحياناً إلـــى اثنـــــي عشر عاماً"[7].

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة صفية، عين قينيا، 84 سنة. 2007/7/20.

(2) تدشيه: تقلبُه على بَطنه حتى يخرج الهواء.

(3) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص 250.

(4) القرينة أو التابعة: تحدثنا عنها كثيراً في الفصول السابقة.

(5) المبيض، سليم، **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**، ص 441. وانظر: كناعنة، **الإنجـــاب والطفولـــة**، ص251.

(6) انظر: دياكونوف، **تاريخ الشرق القديم**، ص657.

(7) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج1، م1، ص88، 89.

كما عرف المجتمع السومري والبابلي الرضاعة والمرضعات حيث وضعت قوانين تلزم المرضعة بالتأكد من قدرتها على إرضاع طفل، وسلامة لبنها وصحتها الجيدة، لأنه إذا مات طفل على ثديها أي في فترة رضاعتها له، وتعاقدت على رضاعة طفل آخر دون أن تخبر أبويه بوفاة الطفل السابق، يعد عملها هذا جرماً وتعاقب عليه(1).

"وعند المصريين القدماء كانت فترة الرضاعة القديمة ثلاثة أعوام، وفقاً لتعاليم آني، في نصيحةٍ لابنه، وهذا الأمر نجده أيضاً في نص عقد بين أب ومرضعة يرجع إلى 233 ق.م:

"لقد حضرت إلى منزلك لخدمتك كمرضعة لطفلك، طالما كان لبني صحياً... سأكون ملزمة برضاعته وحمايته من أي ضرر، سأقيم بمنزلك مدة الرضاعة ثلاث سنوات، أي ستة وثلاثين شهراً"(2). "ولم يمنع شغف الأم بإرضاع وليدها من وجود المرضعة منذ الدولة القديمة، حيث كان يستعان بها في القصور الملكية ومنازل الأثرياء وكانت إلى جانب الرضاعة تعمل مربية، ومنظر الأم التي ترضع طفلها يتكرر كثيراً في الفن المصري، كما يتكرر منظر الإلهة التي ترضع الملك الصغير، وابتداءً من العصر الحديث ظهرت صورة الإلهة إيزيس وهي تحمل حورس وترضعه فأصبحت هي رمز (أم الإله).

ويوجد " تمثالان من النحاس في عصر الدولة الوسطى في مصر القديمة لسيدتين تجلسان فوق الأرض، وهما تعطيان ثدييّهما لطفليهما، التمثال الأول لأميرة، والثاني للإله إيزيس"(3).

ومن طقوس الرضاعة عندهم كانت هناك "تمائم رقيقة من المعدن والخزف مصورة على هيئة ثدي، أو هيئة الإلهة إيزيس وهي تضع طفلها حورس، أو على هيئة الإلهة حتحور في شكل البقرة، أو في شكل الإلهة تاوت في شكل فرس النهر، وتعلق هذه التمائم على الصدر أو على الثدي، وقد وصفت بردية مصرية طريقتين لأدرار لبن المرضعة" أوصت إحداهما بأن تحرق المرضعة عظام سمك الزيت وتسحقها ثم تدلك بها سلسلة ظهرها كما كانت تعويذة المرضعة

---

(1) الهاشمي، رضا جواد، من قانون الأحوال الشخصية، **من كتاب حضارة العراق**، ج2، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ط1، 1985، ص104.

(2) فياض، **المرأة المصرية القديمة**، ص116.

(3) المرجع الساق، ص 117. وانظر: نظير، **المرأة في تاريخ مصر القديمة**، ص33.

(Menat) تستخدم لمنح السعادة والصحة لمن يرتديها، ولها خواص سحرية تمثل القوة والغـذاء والذكورة والأنوثة والتكاثر[1].

---

(1) نظير، **المرأة في تاريخ مصر القديمة**، ص267.

الفصل الرابع
طقس الموت

فكرة الموت:

"كان الخوف من الموت قديماً، أول أمهات الآلهه، فقد كانت الحياة البدائية محاطه بمئات الأخطار، وقلما جاءتها المنية عن طريق الشيخوخه الطبيعية، فقبل أن تدب الشيخوخة في الأجسام بزمن طويل، كانت كثرة الناس تقضي بعامل من عوامل الاعتداء العنيف أو بمرض غريب يفتك بها فتكاً، ومن هنا لم يصدق البدائي أن الموت ظاهرة طبيعية، وعزاه لفعل الكائنات الخارقة للطبيعة"[1].

كانت الأحلام هي أهم ما تعلق به البدائي واستوقف أنظاره عندما " بهت لهذه الأعاجيب التي يراها في نومه، وفزع فزعاً شديداً حين شهد في رؤاه أشخاص أولئك الذين يعلم عنهم علم اليقين أنهم فارقوا الحياة"[2].

آمن الإنسان البدائي أن لكل كائن حي نفساً أو حياة يمكن انفصالها عن الجسد إبان المرض أو النوم أو الموت.

وقد جاء في كتب " يوبا نشاد" في الهند القديمة "لا يوقظ أحد نائماً إيقاظاً مفاجئاً عنيفاً، لأنه من أصعب الأمور علاجاً، أن تَضِلّ الروح فلا تعرف طريقها إلى جسدها"[3].

وفي الأساطير القديمة جاء الموت نتيجة الخطأ أو الخطيئة " أما الخطأ، فهو خطأ الآلهة، فقد قال إله الخير " كامبينا" إلى أخيه الأحمق " كورفوفا" أهبط إلى الناس وقل لهم أن يسلخوا جلودهم حتى يتخلصوا من الموت، ثم أنبئ الثعابين أن موتها منذ اليوم أمر مَحتوم" فخلط " "كورفوفا" بين شطري الرسالة بحيث بلغ سر الخلود للثعابين، وقضاء الموت للإنسان وهكذا ظن كثير من القبائل أن الموت مرجعه تقلص الجلد وأن الإنسان يخلد لو استطاع أن يبدل بجلده جلداً آخراً[4].

وفي الميثولوجيات الأخرى أن القمر أرسل الأرنب يوماً إلى البشر وحَمَّلَه رسالة مفادها أنهم سيكونون مثله يموتون ثم يبعثون إلى الحياة من جديد، ولكن الأرنب نقل الرسالة بصورة مختلفة إما بسبب ضعف إدراكه، أو لأنه نسي النص الدقيق، أو بِنِيَّةٍ مُبَيَّتَة فقد قال: سوف يموت الناس

---

(1) ديورانت، **قصة الحضارة**، م 1. ج 1. ص99.

(2) المرجع السابق، ص100.

(3) المرجع السابق، ص100.

(4) المرجع السابق، ص99، 100.

كما يموت القمر ولن يعودوا إلى الحياة ثانية، ولما وصل الخبر إلى القمر غضب غضباً شـديداً ورمي الأرنب بعصاً شقت شفته، فأسرع الأرنب واختبأ، ولا تزال شفته مشقوقة حتى يومنا هذا، كما لا يزال يعدوا راكضاً حتى الآن[1].

وعلى هذا الغرار نفسه تفسر الميثولوجيات ظهور الموت كما لو أنه مجرد سوء فهـم مؤسـف ارتبط بخبر كاذب.

كما أن أساطير كثيرة تفسر الموت في صندوق "باندورا"، ففي الأسطورة الإغريقية عندما وضع الإله زيوس جرة كبيرة عند الأخوين أبروميثيوس وأخيه وكان قد أهداهما المرأة "باندورا" التـي فتحت الجرة، ومنها خرجت كل الأوبئة والأمراض والموت"[2].

أما الخطيئة فهي خطيئة الآلهة ومن ثم البشر، ففي الأسطورة السومرية، كان الآلهـة والبشـر يعيشون في "دلمون" الجنة الأولى، العصر الذهبي للإنسان قبل هبوطه إلى دنيا العبودية والعمل، حيث كان سيد نفسه وسيد الطبيعة.

ففي دِلمون:

" في دلمون لا ينعب الغراب

لا يطلق طائر الاتيدو (Ittidu) صياحه

لا يفترس الأسد أحداً

ولا يفترس الذئب الحمل

ولا يُعرف الكلب المتوحش الذي يلتهم الجدي

ولا تُعرف أرملة

الطير في الأعالي لا... صغارها

اليمامة لا... رأسها

الذي يعاني من مرض في عينية لا يقول " عيني مريضة "

والذي يعاني من مرض في رأسه لا يقول " رأسي مريضة " وعجوز دلمون يقول " أنا عجوز"

والبكر العذراء لا تستحم، فليست هناك مياه رقراقة تتدفق في المدينة.

---

(1) البيديل، **سحر الأساطير**، ص275.

(2) السواح، **مغامرة العقل الأولى**، ص248–249.

من يعبر نهر الموت لا يُطْلَق..

والكهنة لا يدورون حوله، والمغني لا ينتحب

لا يصدر عويلاً في جانب المدينة"[1]

في هذا الفردوس، كان يعيش "إنكي"، إله الماء العظيم وزوجته "ننخرساج"، الأرض الأم، وقد أخرج "إنكي" ماءه وسقى تربة زوجته الأرض، فحول دلمون إلى جنة إلهية خضراء، ومن اتحاد الموت بالتربة امتلأ الفردوس بالحقول والأشجار المثمرة، كما تظهر مجموعة من إلهات النبات، يقوم "إنكي" بإغوائهن تاركاً زوجته، ثم تخلق "ننخرساج" ثمانية أنواع من النباتات العجيبة، وقبل أن تفرح بعملها، يرسل "إنكي" رسوله "إيسمند" الذي يقطف له تلك النباتات فيأكلها جميعاً، وما أن تعلم الخالقة بذلك حتى تغضب غضباً شديداً، وترسل على "إنكي" لعنة مقيمة "إلى أن يوافيك الموت، لن أنظر إليك بعين الحياة"، ومن هنا وجدت الأمراض بسبب خطيئة "إنكي" ومن ثم ظهر الموت[2].

ترجع أسطورة دلمون إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد كانت مرتعاً خصباً للعديد من الأساطير فكانت حجر الأساس لأساطير الجنة اللاحقة في منطقة الشرق الأدنى القديم، كما أسست لأسطورة سقوط الإنسان وفقدانه عالمه الذهبي[3].

أما النماذج البابلية فتنحصر في نموذجين أحدهما هو أسطورة أدابا الإنسان الذي خسر الخلود، والآخر جلجامش وأسطورته المعروفة.

ظاهرة الموت حديثاً:

حيرت ظاهرة الموت الإنسان منذ بدء الخليقة فوقف حيالها مشدوهاً خائفاً، فهي ظاهرة غَيبية عجز الإنسان عن معرفة كنهها فأصبحت جزءاً من العالم الآخر المجهول، والمجهول بطبيعته يسبب الهلع والفزع[1]. وفي القرآن الكريم "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً

---

(1) عزيز، كارم محمود، **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1، 1999، ص148 و 149.(....) النص مفقود من المصدر.

(2) السواح، **مغامرة العقل الأولى**، ص239.

(3) عزيز، **أساطير التوراة الكبرى**، ص150،151.

(1) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص139.

مؤجلاً"[1] والمرء كذلك لا يعلم المكان الذي سيفارق فيه هذا العالم "وما تدري نفس بــأي أرض تموت"[2].

إن الخوف من الموت " لم يكن أبداً خوفاً من العدم، بل كان خوفاً من المجهول، مــن مغــادرة وضع نَعرفه إلى آخر نحن به جاهلون"[3].

يأخذ الموت في التراث العربي الإسلامي والمسيحي قدراً كبيراً من الأهمية، لأنه يشــكل أهــم حدث في حياة الإنسان كفرد وفي حياة الناس كمجتمع، فهو كالولادة بل أكثر أهمية، كون الولادة قدوماً إلى الحياة، والموت وداعاً لها، ولهذا كثرت الأحاديث عن الموت والقبر ورهبة الدفن وألم خروج النعش، ثُمَّ التصورات حول الآخرة والعذاب والنعيم.

وهذا موجود لدى كافة الشعوب والحضارات القديمة[4] وفي التراث الشعبي يعتبر الموت فاجعة للناس قاطعاً لحبل الرباط بين الإنسان وأهله وأصدقائه"[5] ونظراً لما له من الأهمية فقد كثــرت المعتقدات حوله منذ اللحظة الأولى التي يشعر الناس فيها بأمر الموت وحتى بعد الــدفن بأيــام وأسابيع وسنين[6].

"تتنوع المعتقــدات المتعلقة بالموت، فمنها ما يدخل في دائرة التشــاؤم، ومنها ما يدخل ضمــن دائرة الأحاســيس الإنســانية. وبعضها يدخل ضمن التصورات الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) دينية وغير دينية"[7].

طقس الموت عند الفلسطينيين:

"يقول المثل: "الموت رحمة"، ويقول أيضاً: "ربنا ما ساوانا إلا بالموت"، "والموت أقــرب مــن الأسنان للسان" وأيضاً: يا ربي القناعة وافتكار الموت كل ساعة"[1].

---

(1) سورة آل عمران، آية (145).

(2) سورة لقمان، آية (34)

(3) السواح، **مغامرة العقل الأولى**، ص219.

(4) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص139.

(5) المرجع السابق، ص 139.

(6) المرجع السابق، ص139.

(7) المرجع السابق، ص139.

(1) كنعان، **الكتابات الفلكلورية**، ص244.

"ويستعمل المسيحيون والمسلمون في فلسطين قسماً فيقولون: "وحق من أمات وقادر يميتني"[1].

رأي الفلسطيني –كغيرة من شعوب الأرض قديمها وحديثها– أن المرض والموت عقاب من الله للإنسان؛ لأسباب تتدرج من عدم قيامة بالواجبات الدينية إلى قيامة بأعمال محرمة وممنوعة، ولأن الإنسان في المعتقد الشعبي والديني يُحاط بملكين يسجلان له أعماله الحسنة والسيئة فهو يتضرع دائماً لله كي يجنبه عقاب أفعاله السيئة، سواء أكان هذا العقاب في الدنيا أم الآخرة فنجده يقول:

"كثرت ذنوبي واحترت أنا فيها بحياة ستنا فاطمة وأمها وأبوها

تمحا ذنوبي كل ما حط القلم فيها"[2].

وقد يطلب الشخص الغفران في وقت صلاة العصر فيقول:

"الغروب غربت والموت قربت والأرض قفلت على ما فيها يا كاتب إساءتي، إلهي يا ربي تمحيها"[3].

وقد يستجير الشخص فيقول:

الله الله الله الله

يا محمد يا حبيبي

كون طبيبي

وأجرني من لهيبي

إن أوزاري ثقال"[4]

يرضخ الإنسان الفلسطيني للمكتوب ويُعلن عن استسلامه في هذه الأمثال الشعبية:

"الموت عَ رقاب العباد"، "الموت كاس عَ كل الناس"، "بدنا عمرنا وعمر غيرنا؟" "الأعمار بيد الله"، ما حدا باقي إلا وجهه"[1].

---

(1) كنعان، **الكتابات الفلكلورية**، ص244.

(2) المرجع السابق، ص242.

(3) المرجع السابق، ص242.

(4) المرجع السابق، ص 240.

(1) المبيض، **ملامح الشخصية**، ص 149–150.

ثم يذكرنا المثل بقصة الموت الأولى، قصة هابيل وقابيل فيقول: "هي دامت لمين يا هابيل؟[1]"

هابيل؟[1]"

وتنشد هذه الباكية:

"كُلَّـــه مـــن الله يـــا حرايـــر   مكتـــوب ومْقَــدَّر وصـــاير"[2]

وفي المثل الشعبي "فِشِّ عَ الموت شماتة[3]"

وفي النواح كذلك:

والله لا تعـايِرني يـا بنـات عمـي   والله كِتْبَـه عَلَيَّـه مـن بِطـين إمـي

والله لا تعـايِرني يـا بنـات خـالي   والله كِتْبَـه عَلَيَّـه أنـا لحـالي[4]

ولكن ومع إيمان الفلسطيني بحتمية الموت إلا أنه يخالف –دون وعي– تعاليم الدين الإسلامي، تقول الحاجة مريم[5] من سردا "من كثر ما ابْتِنْحَرْ الوَحَدَة بتقول:

"واللّي كَتَبْ كِتْبِتَه يا ريت أنـا ريتـه   بإيـدي كسـرت القلـم والحِبْـر كَبْيَتَـه

واللّي كَتَبْ كِتْبِتَه عَليـوم أنـا شُـفْتَه   بإيدي كسرت القلم والحِبْـر أنـا شِـربتَه"

إذن، لقد توارثت الثقافة الشعبية الفلسطينية طقوس الموت القديمة بحذافيرها، وكما التقى الإنسان الشعبي الفلسطيني مع الإنسان القديم في فكرة الحياة بعد الموت، اتفق معه في فاعلية الطقوس التي يُقدمُها مصاحبة للموت، حتى وصلت عنده حدَّ الدِّين، رغم محاولة الكثيرين إقناعه تركها؛ لأنها بِدعة أو جاهلية، إلا أنها "ترسخت في الوجدان الجمعي، وأصبحت جزءاً من التقاليد الاجتماعية السائدة التي تتوارثها الأجيال، وتُصِرُ على استمرارها[1]"، وأول هذه الطقوس هو:

---

(1) المبيض، سليم، **ملامح الشخصية الفلسطينية من أمثالها الشعبية**، ص150.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(3) المبيض، سليم، **ملامح الشخصية الفلسطينية من أمثالها الشعبية**، ص 154.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/7.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8.

(1) الخليلي، علي، **(الغول)**، منشورات الرواد، القدس، ط1، 1982، ص 56.

طقس الاحتضار (النزاع الأخير)

عندما يبدأ المرء بالاحتضار (النزاع الأخير) فإنه في الغالب يغيب عن الوعي كلياً أو جزئياً، فيعرف من حول أنه يحتضر (بنازع)، وقد يمر المحتضر بآلام رهيبة أثناء فترة الاحتضار، ويُخرج "حشرجات صوتية ومضايقات أثناء المنازعة، ويكون من أخّياء الدنيا، لذلك فإن آخرته لا تحمد"[1] وفق المعتقد الشعبي الفلسطيني، "إذ يعتقد أن الشخص الذي لا يلاقي عناءً ولا يبذل يبذل جهداً كبيراً في المنازعة سيكون مرتاحاً في العالم الآخر"[2] وقد جاء في القرآن الكريم "وجاءت سكرة الموت بالحق"[3]، وقد يلتف حول المنازع من يعز عليهم فراقه، وتنوح أمه أو زوجتهُ التي تعلم أنه مفارق لا محالة:

"جِبْتِ الدّوا وجِبْتِ الطبيب — قالوا حَبيبك ما يطيب
جِبْتِ الدّوا في راس كِمي — هَبٍّ الهَوا طيَّرَا مِني"[4]

"حكيم حَكِمْهِم امْليح — واقعُدْ على حْيلَك واسْتَريح[5]

سلامْتَك يا كبير هالدار — يا لامٍّ العيلة كبار وصغار
سلامْتك يا بْني الحَبيبة — سلامْتَك من هَالمْصيبة"
"من يوم حَطيت الوْسادة[6] — ما طاح في قَلبي السّعادة
من يوم حَليتوا السِيُور[1] — ما طاح قلبي سِرور[2]

---

(1) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص 140.

(2) المرجع السابق، ص 140.

(3) سورة ق، آية 19.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(6) حَطيت الوسادة: أي مرضت ونمت على الوسادة.

(1) السيور: عامية، بمعنى الأحزمة.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8.

ويعتقد أن المحتضر يرى الملائكة إذا كان صالحاً، ويرى الشياطين إذا كان طالحاً.

يذكرنا هذا الطقس بأن "قرار الموت هو قرار إلهي مسبق من الآلهة، فيذهب المخطئ إلى العالم الأسفل، وأن المرض الذي يؤدي إلى الموت هو من أنواع الأمراض التي جعلت الشياطين لا تكتفي بتلويث عضو من أعضاء المريض بمادة العالم الأسفل، بل تقوم بسحب جسد المريض إلى العالم الأسفل لتتلوث كلها به"[1].

كما يذكرنا بمأساة دموزي في أسطورة "إنانا" المشهورة "لم يكد دموزي يلتقط أنفاسه ويتناول بعض الطعام والشراب حتى تسلل الأشباح إلى بيت السيدة العجوز التي اختبأ عندها، وبدأوا بضرب الإله المنكود للمرة الثالثة، ولكنه أيضا بمساعدة أوتو هرب إلى حظيرة أخته وهناك كانت نهايته عندما جَرَّتْه العفاريت في مشهد يخلع الأفئدة حتى وقتنا هذا.

طقس تحول المحتضر إلى نجم من نجوم السماء:

عندما يكون الشخص في النزاع الأخير يوصف بأنه: "معلق بين الحياة والموت"، ويقال في وصفه أن "نجمه غاطس"، وهذا القول يرتكز إلى معتقد وأساطير قديمة، مفادها أن لكل إنسان نجماً في السماء يخصه، فإن أفل هذا النجم (مات) صاحبه[2]، ويقسم أهل فلسطين بالنجوم فيقولون "وحياة عونية الشمس"[3].

ويغنون:

"الشمس أمنا

والقمر أبونا

ونجمة سهيل

تدلنا على دروبنا" [1]

ويقولون:

الضحى ومن ضحاها والشمس من جلاها

---

(1) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص 358.

(2) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص140.

(3) كنعان، **الكتابات الفلكلورية**، ص141-142.

(1) المرجع السابق، ص241. واستمع: مقابلة شخصية،الحاجة،مريم،سردا، 71 سنة،2008/8/7.

والقمـــــــــر ومــــــــــن علاهـــــــــا   والمــــــــــيّ ومــــــــــينْ اجراهــــــــــا[1]

وعند البكاء والأحزان تجعل المرأة الفلسطينية من الشمس شريكاً لها، فتطلب منها عدم الإشراق يوم رحيل الأحبة:

يـــا شَـــمس يـــوم رحـــيلهُم لا تِطْلَعـــي   إلا بغـــــــيم أزرق وبَـــــــرق يلْمـــــــع

شَـــــبَّهت قَهْـــوتِهُم لمـــــا بْتِطْلَعـــــي   مِـــــــزْراب كـــــــانُون لَمّــــــن يشْـــــقَع

شَـــبَّهت صُـــفرِتُهم لمـــــا بِتْطَلعـــــي   قَلْـــب الصـــــنوبر عَ المناسِـــفْ يلْمَـــع[2]

لقد عُبدت الشـــمس منذ أقدم العصور فكانت الإله أوتو عند السومريين، وشـــمش عند البابليين، وشبش عند الكنعانيين، ورع ثم أوزيس عند المصريين، جاء في نقوش متون الأهرام ما قيل عن أحد ملوك الفراعنة أنه صعد إلى السماء بين النجوم الثابتة وتآخى مع نجم الشـــعري الثمانيـــة، ونجم الصباح يرشده[3]، وكان ملوكهم يتحدون بالنجوم والشمس، جاء في أحد النصوص: "مضى الملك تحتمس الثالث فاتحد بقرص الشمس وأضاء قرص الشمس".

"وكانت روح المتوفى تسمى آخ وكان آلاخو يشاهدون في أثناء الليل في صورة نجوم في الجزء الشمالي من السماء[4]، وفي الجاهلية وجدت بعض القبائل التي عبدت الشمس.

طقس الزفه في اللحظات الأخيرة (النزاع الأخير)

تقول الحاجة مريم:[1]"لما يكون الواحد بنازع بكون شايف الناس حوَليه وشايف الموْات، بيجـــوا يوخذوه بزفه زي كأنه عرس، طبله ودقه"، لذا تنوح النساء عليه فيقلن:

---

(1) كنعان، **الكتابات الفلكلورية**، ص141. واستمع: مقابلة شخصـــية، الحاجـــة أم عزمـــي، بيـــت عـــور، 92 ســـنة. 2007/1/17.

(2) حداد، يوسف، **دراسة في المجتمع والتراث الفلسطيني**، قرية البصة، دار الأسوار، عكا، 1985، ص136.
يشقع: يُصبح غزيراً

(3) غربال، **الحضارة المصرية**، ص219.

(4) المرجع السابق، ص216.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

يـــا بَنـــات الحـــور رنِـــين الجَـــرَس	يَمْحَمـــد عَـــريس بـــدي إلَـــه فَـــرس
يـــا بَنـــات الحـــور رنـــين النـــاقوس	يَمْحَمَـــد عـــريس وبـــدي إلَـــه عـــروس

قلنـــــــا بنـــــــات الحـــــــور	أهـــــــــــــــلاً وســـــــــــــــهلاً
عريســـــنا مـــــا هـــــو عريســـــنا	عـــــــــــــــريس الـــــــــــــــدنيا
قلنـــــــا بنـــــــات الحـــــــور	مرحبـــــــــــــــا بـــــــــــــــه
عريســـــنا مـــــا هـــــو عريســـــنا	عـــــــــــــــريس حبابـــــــــــــــه
يـــــــا شـــــــب اتشـــــــبب	مـــــــــا تهيـــــــــا لـــــــــه
طـــــــــــاح المقبـــــــــــرة	والعــــــــرس علـــــــى بالـــــــه[1]

وتأكيداً لمسألة الطبلة والأعراس التي تجري في العالم لأسفل تقول الحاجة زينب[2]: "أنـــا اللـــي بكلم فيكي كنت أنظر بجانب كرمنا، كرم ناس بينا وبينهم سنسلة صغيرة وفي بلوطه مـــا كنـــت أخاف، كان يصير في أغاني دَقّه طبلة ومُزيقه تحت الشجرة أتفرج، وأصـــير أســـمع وأقـــولهم اطلعوا، وكان في أشي اتخرخِش تقولي قلايد ايخرخش، أنا أقول تعالوا وين متخبين وتِبقَه الدنيا الظهر النقطة، وأجا خالي مرة وشافني، وقال لي ليش قاعدة هان؟ وقلت له يا خالي في عـــرس هان واتخبوا- هو كان يعرف- وقال وين راحوا نادي عليهم – عشان ما أخاف.

وتخبرنا لائقة الطالبة في جامعة بيرزيت "في إلنا قرايب ساكنين في منطقة معزولة شوي، لمـــا بروح أزورهم دايماً بنسمع أصوات عرس وناس بتوشش وبتحكي لما الواحـــد بيحـــاول يســـمع بسمع أشياء كثير وكلنا بنسمع مش بس أنا، بقولوا جن – أنا بأمن بوجود الجن-."[1]

لا أجد شكاً أن هذا الطقس إنما يعود لأسطورة جلجامش السومرية البابلية حين أوقع مـــن يـــده طَبْلَيّ(البوكو والموكو) فسقطا للعالم الأسفل ولهذا نزل صديقه أنكيدو كي يحضرهما ومات.

---

(1) عرنيطه، يسرى جوهرية، **الفنون الشعبية في فلسطين**، منشورات المجمع الثقافي، عمان، ط2، 1988، ص122.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(1) مقابلة شخصية، لائقة، جامعة بير زيت، 22 سنة. 2008/10/21.

هذا نص عن طَبلي (البوكو والموكو) اللذين أهدتهما إنانا لجلجامش مكافأة له لأنه ساعدها على استعادة شجرتها من الشياطين التي سكنتها.

"أخذهما جلجامش وبدأ يقرع الطبل بمضربه فتحن له قلوب العذارى، وكن يأتين إلى داره ويغتصبهن، جلجامش البطل الذي لا يدانيه أحد انفضح أمره في أوروك، وبدأ الآباء يضجرون من أفعاله لأنه كان ينتهك بنات أوروك، وكان لا بد من إغاثة العذارى، فتقدم الآباء إلى إنانا شاكين أفعال جلجامش ببناتهم، فأمرت إنانا أن يسقط البوكو والموكو في العالم الأسفل، فسقطا من خلال ثقب في الأرض، وعلم جلجامش بالأمر فأراد استردادهما، فأدخل يده لكنه لم يستطع أن يصل إليهما، ثم أدخل رجله ولم يستطع ذلك وحين يأس جلس على حافة العالم الأسفل يندب حظه وينوح يا بوكو ويا موكو، وسمع انكيدو بكاء جلجامش فأتى إليه مسرعاً وقال له: يا صديقي سأجلب لك البوكو والموكو من العالم الأسفل" وهكذا ذهب أنكيدو ولم يستطع العودة وبقي البوكو الموكو في العالم الأسفل[1].

ويبدو أن ساكني الأرض السفلى لا يزالون يستخدمونه فيحضرون من انتهت حياتهم على أنغامه.

طقس الوداع الأخير وإرسال الرسائل مع المحتضر لعالم الموتى:

في هذا الطقس يودع الأهل الشخص الذي يحتضر ويرسلون معه التحيات لأعزائهم في الأرض السفلى في العالم الآخر.

تقول الحاجة فاطمة[1]: "اللي بنازع بكون شايف الشقتين أهل الأحياء والموات وبيصرن النسوان بيبعتن سلاماتهن لمواتهن معاه وايصحن وايقولن سلّملي على أبوي، سلّميلي على إمي على امواتهن".

لاعتقادهم أن المحتضر أصبح في برزخ بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة بل إنه أقرب إلى العالم الآخر حيث تتاح له رؤية الأموات والتحدث إليهم[2]."

---

(1) الماجدي، **إنجيل سومر**، ص 225، 226.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.

(2) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص 141.

كان الناس قديما يبعثون رسائلهم إلى موتاهم، وهم على ثقة أن أرواحهم تسمع وترى وهذه رسالة من رجل مصري فقد زوجته في أثناء غيبته، وكان قد حزن عليها حزناً شديداً حتى أصابه المرض.

هذا نص الرسالة: "ماذا فعلت بك من سوء حتى أجد نفسي في هذه الحالة السيئة التي أنا فيها الآن؟ لقد كنت زوجتي عندما كنت في سن الشباب، وكنت عندك ولم أتخل عنك، ولم أدخل على قلبك أي هم، وعندما كنت أترأس ضباط فرعون وجنود العربات جعلتهم يحضرون سُجداً بين يديك، وقد جلبوا أنواعاً وإشكالاً من الأشياء الجميلة لكي يضعوها أمامك، ولم أخف شيئاً عنك طوال حياتك، ولم أفعل سوءاً، ولم أخنك، وعندما مرضت استحضرت كبير الأطباء، فصنع لك دواءً، وأجاب كل طلب لك، وعندما وجب أن أرحل إلى الجنوب مع فرعون، كنت بأفكاري عندك... وعندما عدت إلى منف حَضرتُ إليك وبكيتك كثيراً مع أهلي أمام منزلي.

واستحضرت لك أقمشة لكي يلفوك بها، ولم أدع شيئاً حسناً إلا فعلته لك"[(1)].

طقس إعلان الوفاة:

ذكرنا سابقاً أن أعزاء الشخص يلتفون حَوْلَه عند احتضاره فإذا مات الشخص يقولون: "سقطت ورقته" ولهذا القول مدلول اعتقادي جذوره قديمة تعود لما يُسمى "بشجرة القدر أو شجرة العرش وهي شجرة كبيرة في السماء السابعة ذات أغصان كثيفة وأوراق خضراء، لكل إنسان فيها ورقة، خُط عليها اسمه، وقبل أن يموت بأربعين يوماً تصفر هذه الورقة، فإذا مات تَقَع"[(2)].

حينما تحدث الوفاة نهاراً يقوم بعض أقارب الميت بإخبار أهل القرية في الدواوين وأماكن التجمعات العامة، أما إذا حدثت الوفاة ليلاً فيتم إبلاغ أهل القرية عن طريق المنادي[(1)] وفي هذا هذا تقول باكية:

يومِن خَبَروا عَنّه	وامبيرح جوا الديوان
يحْرم عَ جماعِتنا	كَبّ القهوة مِن الفنجان
يومِن خَبَروا عَنّه	وامبيرح في العِلِيّة

(1) غربال، **الحضارة المصرية**، ص 136، 138.

(2) الخليلي، علي، **(الغول)**، ص 90. وانظر: الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص140، 141.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/3/17.

يحْـــــــرم عَ جماعِتنـــــــــــا		كــــــان شـــــــربوا قْهيويّـــــــة[1]

وتقول الباكية على لسان عزيزة على المتوفى لم تحضر لحظة نزاعه وموته:

جـــاني الخَبـــر فَزيـــت انـــا حيلــي		وأثْـــري الخبـــر عـــن نـــور عينـــي

جـــاني الخَبَـــر فزيـــت انـــا أجـــري		أثْـــري الخَبَـــر عـــن نـــور قَلبـــي[2]

وتقول أيضاً:

عَلّيــــــوم لَـــــوني حَظَرْتــــــه		وأكـــــون بْعِنَـــــيَّ نَطَرّتـــــه

عَلّيــــــوم لَـــــوني بَقيـــــت		ويكــــون بإيديِّـــــه اتلقيـــــت

واحْكولْنـــــا يلـــــي حظرتـــــوا		مـــــاتوا بـــــالعَطَش وإلا ســـــقيتوهم[3]

أما حديثاً فالخبر يعلن في الجامع وفي الصحف والإذاعة.

وتقول الباكية على لسان المتوفي (لأمه أو لزوجته) عن لحظة طلوع الروح:

وِاشْ صَــــــبَّرِك يَمَّــــــه		واشْ عَلَمِــــــك عَ النّــــــوح

وِاشْ صَــــــبَّرِك يَمَّــــــه		عِنِـــــدْ طلـــــوع الـــــرّوح[4]

وتقول أخرى سمعت لِتَوِها بالخبر:

يـــــا جايــــب العِلـــــمِ الجِديـــــد		حُطـــــا بصـــــندوق الحديـــــد

هـــاظـــا صـــاحـــبه غَـــالـــي عَـــليـــّه

يـــــا جايــــب العِلـــــمِ اكْتُمِنَّـــــه		حُطـــــا بِجيبَـــــك خَيِّطِنَّـــــه

(1) المصدر السابق. 2007/8/7.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2009/1/7.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/3/21.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة.2007/8/8.

هــاظـــا صـــاحـــبه غَـــالـــي عَــليـــّه[1]

طقس النواح والبكاء والرقص الجنائزي:

وتبدأ هذه الطقوس منذ الصرخة الأولى التي تعقب إعلان الوفاة، وتكون على شكل حلقات تنقسم إلى شكلين:

1. حلقات الندب: التي تؤديها النسوة وهن واقفات حيث يرددن الندب وهو عبارة عــن رقــص جنائزي[2] يكشف عما يدور في خلجات النفس من حزن يقابله في الوسط الشــعبي الفلســطيني رقص الأفراح. فما يكاد يعلن عن الوفاة حتى تتجمع النساء في شكل (حلقه) تتوســطها إحــدى قريبات الميت، تندبه وتقوم بحركات هستيرية، تتبعها النساء الملتفات حولها بحركــات منتظمــة ولا تخلو الحلقة من تلويح بالمناديل وضرب الصدور، ولطم، وتمزيق للشعر والملابس، وربمــا صَبَغها أو قَلْبها... وغير ذلك.[3]

2. النواح على القبر أو في البيت، تؤديه النسوة وهن جالسات حيث يردد قســم مــنهن، ويــرد عليهن القسم الآخر.[4]

تقول الحاجة سبعية طه[1]: "بقين ايقُدين ثيابهم على الواحد أول ما تطلع روحه، وبقــين يــدهنن وجوهن بدغام ويلبسن ثيابهن بالمقلوب، ويحدين، يلبسِن اسْوَد في اسْوَد، اخرَقْهِن وحَلَقْهِن يغطينه وايغطين الوقاه، وخصوصي إذا بقى الميت زلمه مليح ولا شب صغير".

وتقول الحاجة زهور قندح[2] " لما مات أخويّ، استشهد قعدنا أربعين يوم ما نغسل وشقينا ثيابنــا عليه".

أما الحاجة فاطمة[3] فتخبرنا عن رجل من الثوار فتقول: "محمد أبو كافيه بقى من الثــوار مــن ترمسعَيا، جهز حاله عَشان يروح يحارب في باب الواد- هاظا في الثَمَنيه وأربعين- إجا عليــه

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص 109.

(3) المرجع السابق، ص110.

(4) المرجع السابق، ص109.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة سبعية، بيت ريما، 84 سنة. 2007/8/2.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زهور، أبو شخيم، 60 سنة. 2007/2/29.

ظيف من دير ياسين، وكانت مذبوحه في وقتها، أخذ الرجل عنده ايّظَيّه، وكان لابس قنابل على خصره، إجا تيشلحهِن انفجرن فيه"، نَفَلِنْ شعَرْهِن، وقَدّين[2] أحسن ثياب عندهن، ودهنن وجوهن بدغام[3] ونصبن "الحلقه" سَبِعْ تيام عَليه، وحدين. سنه وافيه وْهِــن مَيُغْسِــلنِش ومَيتحمَمّــنِش – ريحتهن طِلْعِت– حَلفوا إنها وَحَدَة قامت وقاتها تَتُغسلها قَبْعَت[4] جديلتها مَعْها.

وتخبرنا الحاجة مريم[5] عن يوم وفاة الزعيم العربي جمال عبد الناصر[6] فتقول "لمــا وصــل الخبر نزلِت فلسطين على الشارع، كل نسوان سردا نَفَلن شعرهن ونَصبِن الحَلَقَة، سبع تيام عليه وقدّين ثيابهن، وصبغنها بصبغه سوده".

وتنوح النساء أثناء الحلقه فيقلن:

يــا خاييــه وابكــي عَليــه فــي الحَلَقَــه يــا شــاربَه خَــط القلــم فــي الورقــة[7]

واعتقد هنا أن الحلقه أشبه ما تكون بزفة العريس عندما تلتف النساء في حلقــة دائريــة حــول التَكْسي أو الخيل. يحركن أيديهن ويتماوجن كالبحْر، والطوفان.

ويزداد التشابه بين طقوس الموت وطقوس الخصب بالمناديل أو الخرق البيضاء التي تحركهــا النساء في رقصِهِن الجنائزي وهن يقلن:

لا تِنعينــه يــا زينــات يَمّــات المناديــل شوبَش في حارات القــوم عَ ظَــيّ القناديــل

لا تِنعيه يا بنــات يَمّــات الشَــعَر الأشَــقر شوبَش في حارات القوم عَ ظَيّ القمر الأشعل

لا تِنعيــه يــا بنــات يَمّــات المناديــل هذا في ظــلام الليــل كَيّــاد الرّجــاجيلي[1]

ويقمن قريبات المتوفى بنَفلِ شعورهن وتمزيقها وهن يبكين:

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/7.

(2) قَدّ: قَدَّ الشيء: قطعه وشقه طولاً. **المنجد**، ص611.

(3) الدغام: عامية بمعنى السناج أي الدخان الأسود.

(4) قبع: قبع الشيء عند العامة اقتلعه ونزعَه. **المنجد**، ص606.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(6) توفي الزعيم جمال عبد الناصر في 1970/9/28.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة جديه، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم عَزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

يـــا صـــاينات الشَـــعَر وانْفِلْـــنَ لـــيش   وانْفِلْـــنَ علـــى طَعّـــامين العـــيش
يـــا صـــاينات الشَـــعَر وانْفِلْـــنَ عـــاد   وانْفِلْـــنَ علـــى طَعّـــامين الـــزد[1]

وأحياناً تقص المرأة جديلتها على فقدها لعزيزها وهي تنوح:

قُصـــين الشَـــعَر يـــا صـــايناته لـــيش   قُصـــين الشَـــعَر علـــى طَعّـــامين العـــيش
قُصـــين الشَـــعَر يـــا صـــايناته عـــاد   قُصين الشَـــعَر علـــى طعـــامين الـــزاد[2]

يـــا بـــيض رُوس شـــعوركن قُصّـــينه   ناموســـكن مـــن روســـكن هُصّـــينه[3]
يـــا بـــيض شـــعوركن كُلّـــه حَلَـــق   ما عـــاد يفـــرح بالـــدلال الّلـــي مَـــرَق[4]

لا توخـــــذوا نـــــاموس[1] راســـــي   لا تِحِقْرونـــــــي بـــــــين النـــــــاسِ
لا توخـــــذوا قرمـــــول[2] شَـــــعَري   لا تِحِقْرونـــــــي بـــــــين رَبْعـــــــي[3]

ويقال أيضاً:

أبـــو فـــلان طـــاح الســـرايا وداســـها   ومـــرة السَـــبِعْ قَصّـــت جـــدايل راســـها
أبـــو فـــلان طـــاح الســـرايا وهَمهـــا   ومـــرة السَـــبِعْ قَصّـــت ســـواعد كمِهـــا[4]

وتَقُدّ المرأة ثوبها حزناً على فراق الأحباء كما تخبرنا الحاجة مريم[5]: "بتجيب الوَحَـدَة أغلـى وأحلى ثيابها وبتصير تِلبس وَاحَدْ وَاحَد وتقُدّه على حالها من عند القبّه للآخر بتْمزَعَه مره وحدة

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) المصدر السابق، 2007/8/7.

(3) هُصينه:عامية بمعنى إبْعِدْنَه.

(4) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص 312 – 313.

(1) الناموس: الشرف، الصيت. **المنجد**، ص 839.

(2) قرمول: من الشعر والصوف، ما وصلت به المرأة شعرها. **المنجد**، ص 625.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة أم مفيد، بيت دقو، 82 سنة. 2007/8/5.

(4) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص 110.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

" وتنوح في أثناء ذلك:

مـــــا للعَلالــــــي مْسَكـــــرة	والشـــــمس تَقـــــدَح بابهـــــا
تْشُــــوف بنَتــــو مْشــــحَره	شـــقت عَ أبوهـــا ثيابهـــا[1]

وتلطم المرأة الباكية وتضرب رأسها وتعفر على وجهها التراب فتقول:

هِيلــى عَ راسـك مـن تـراب الحـاره	جــوزك وخَيّـك هَـالاثنين أمـاره[2]

وتحد المرأة على فقيدها، تقول الحاجة مهدية صرصور[3] من البيرة "لما مات أبن عمي وكان رئيس بلدية البيرة وكان زلمة أثقيل، نصبنا عليه الحلَقه ولطمنا، وحديت عليه عشرين سنه، الحداد عنا عصبة سودة بتحطها الوَحَدَه على راسها، وبتغطي ذهبها وحلقها وعُقدها بشريطة سَمْره وكل الذهب داير الشكه بتقطب عليه شرايط سود".(وعندما سالتها لما لا تخلعيه بدل أن تقطبي عليه شرايط سود وهي عملية صعبة نوعاً ما؟ أجابت إحنا بنتعَب إذا شلِحْنا ذَهَبنا).

وعن الحداد تنوح المرأة:

"لا تحسبوني من سوادي مْغَبَرَة	وأكثر سوادي عَلّي طاحوا المِقبرة
بتقول هذي يا سواد إيديّه	طِلع أبو هذا ما رجِع عَليّه
بتقول هذي يا سواد أكمامي	طَلع أبو هذا ما رجِع عَ داري[1]

وتقول أيضاً:

لَلْبِس حصيرة عَلى حصيرة	واذل نفسي هـالكبيرة
لَلْبِس عباة عَلى عباة	واهين نَفْسي للوطاة[2]

ومن مظاهر الحداد عدم وضع الكحل:

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة صفيه، عين قينيا، 84 سنة. 2007/7/20.

(2) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص111.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مهدية صرصور، البيرة، 86 سنة. 2007/7/25.

(1) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص 311.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

قولوا لـــَ وُاخْتَــه لا تقولــوا لغيرهــا   الكحـــل السْـــمَر لا تِحُطـــه بعينهـــا
قولـــوا لـــَ واختـــه لا تِقولـــوا لَحَـــدا   والثـــوب الحْمَـــر لا تحُطـــه للنـــدى
قولـــــوا لـــــَ وُاختـــــه لا تصـــــيح   ولا تِطْلَـــــع الحِـــــسْ الملـــــيح[1]
"يـــا بنـــات العَـــمّ حَـــرّمن اللِـــبِس   حَرّمِن جيـــب الحريـــر مـــن القـــدس[2]

ويحّد الرجال بشرب القهوة السادة وإطالة شعر اللِحى وأحياناً عدم حضور الأفراح، وتخبرنا عن حالهم النائحه فتقول:

طلعـــوا العلالـــي يشـــربوا قهـــوة   يـــا حَـــرّي علـــيهم والقبـــر حَشّـــره
طلعـــوا العلالـــي يشـــربوا الفنجـــان   يـــا حَـــرّي علـــيهم والقبـــر ضـــيقان[3]

ويقال أيضاً:

يـــا عَقـــاب خلينـــا نْجَـــدِّدْ هَلِحْـــزان   إنت اصبُغ اثيابك وأنـــا أصْـــبُغ ثيـــابي[1]

ويشمل الحداد – أيضاً – العمل، فيتوقف أقارب الميت عن العمل مدة ثلاثة أيام:

يـــوم أبـــو محمـــد مثـــل هَـــدّ امْدينَـــة   يِصْـــعَب علينـــا الحَجَـــر والطينـــة
يـــوم أبـــو هاظـــا مثـــل هَـــدّ عِمـــاره   يصـــــعب علـــــى نَقّالـــــة الحْجـــــارة[2]

وهذا أبو عبد الله[3]من قرية الجديرة يتذكر أخاه فيقول وقد دمعت عَيّناه:

يـــــا كاتـــــب المكتـــــوب   ابعتلـــــــــــي ســـــــــــلام
طالـــــــــت الغيبـــــــــه   علينـــــــا يـــــــا حَـــــــرام

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة حلوة، عين قينيا، 75 سنة. 2007/7/20.
(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.
(3) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص110.
(1) البرغوثي، عبد اللطيف، **الأغاني العربية الشعبية في فلسطين والأردن**، الشرق العربية، القدس، 1979، ص 118.
(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/7.
(3) مقابلة شخصية، الحاج أبو عبد الله، الجديرة، 73 سنة. 2007/8/8.

لمـــين ألـــبس التقصـــيرة والحْـــزام	لَحجـــــار البيـــــت ولا للخَشَــــــب
دَقَــت عَلـــيّ الـــدار وقالـــت البِســـي	مـــن صَـــلاة الصُـــبحْ نـــامي وانعَســـي
يـــا بختـــي يمـــــة والله مَتْعَســــي	رَوَحـــوا الغِيّـــاب وجـــوزي مـــا حَظَـــر

ويبدو أن طقس الموت واحدٌ عند كافة شعوب الأرض فعند السومريين كان أهل الميت يعبـــرون عن حزنهم بترك الشعر شعثاً، أو بنتفه والنواح بأصوات عالية واللطم على الوجه وإلقاء اليـــدين على الأرض وضربهما وتمزيق الثياب وربما كانت عادة تلطيخ الرؤوس بالطين وطأطأتها مـــن ضمن هذه التقاليد[1].

إنها على ما يبدو ألوان من التراث الذي يدل على أصالة الأمة "فهو في محتواه، وشكله، ولونـــه صورة من تاريخ عريق لفن تجلت فيه المشاعر والأفكار في حركات موقعة"[2].

ومن المراثي السومرية الخاصة بالحداد مرثية (لو دنكرا) التي يرثي فيها أباه المدعو (نانّا):

"يا أبتي الذي مات في عدوان، يا نانّا الذي حُمل إلى العالم الأسفل بالشر المخطط ضده.

زوجتك – واعجباً: كانت من قبل زوجة والآن صارت أرملة

إنها تدور حولك كالزوبعة

ومثلَ (عاصفة) اندفعت حولك، نعم: فقد أفقدتها صوابها

وأطلقت صرخة ألم كما كانت في المخاض

لقد مزقت (ثيابها) وأخذت تئن كبقرة

وأطلقت صرخة ألم وذرفت الدمْعَ السخي...

كاهنة الإله (نسطو) من صنف اينتو... مزقت إرباً (ثوبها)

لأجلك (ولمست) طرف ثوبك... الخ"[1]

ونذكر جلجامش عندما قص شعره حزناً على موت أنكيدو:

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص 332.

(2) الإختيار، نسيب، **الفلكلور الغنائي عند العرب**، المطبعة والجريدة الرسمية، بيروت، 1955، ص 17.

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص 332.

"ورفع صوته بصراخ كزئير الأسد

وكلبؤة، سُلبت أشبالها

صار يروح ويجيء أمام السرير

يقطع بيده شعر رأسه ويرميه"[1]

عندما نزلت عشتار إلى العالم الأسفل حزن عليها بابسوكال كاهن الآلهة العِظام ووزيرها فَلَبِسَ ملابس الحداد ونثر شعره الطويل وذهب للإلهة إيا يبكي أمامه"[2].

وهذه إنانا توصي رسولها "ننشبور" عندما هبطت إلى العالم السُّفلي لتبحث عن دموزي فتقول:

فإذا ما بَلَغْتُ العالم الأسفل

املأ السماء صراخاً من أجلي

وفي حَرَم المجمع ابكِ عَليَّ

وفي بيت الآلهة اركض هنا وهناك من أجلي"[3]

والركض –هنا وهناك– ما هو إلا رقص جنائزي.

وكان المصريون القدماء إذا نزلت بساحتهم محنة الموت يطلقون شعر الرأس واللحية حتى تنتهي أيام الحداد، التي تبلغ أربعين يوماً، وإذا مات في بيت من بيوت المصريين القدماء رجل ذو قدر كبير لطخت نساء البيت الرأس و الوجه بالطين، ثم يتركن الجثة في الدار، ويجلسن لاطمات، وقد شمرن وكشفن عن صدورهن ومعهنّ كل قريباتهن والرجال كذلك يلطمون ويشمرون"[1].

"كانت المرأة المصرية كثيرة البكاء والنحيب واللطم على الخدود، وتصبغ وجهها بالنيلة، وتُلَطِخُ رأسها بالوحل حزناً على وفاة ذويها، وكانت النادبات يندبن المتوفى بأصوات عالية.

---

(1) السواح، **جلجامش**، ص 62.

(2) الماجدي، **إنجيل بابل**، ص 88.

(3) الماجدي، **مغامرة العقل الأولى**، ص317.

(1) عبد الصمد، **عادات وتقاليد من العصور القديمة**، ص308– 309.

ويعود هذا التقليد القديم لتقليدٍ أقدم إلى بكاء الإلهة إيزيس زوجها أوزوريس، فقد حزنـــت عليـــه حزناً شديداً وأخذت ترثيه بدموع حارة غزيرة، وكان موتُ ربِ البيت علامة إسراف في مظاهر الحزن، فتندفع النســـاء وخادماتهن إلى الشارع يصرخن بصوت عالٍ، ويُمزقن ثيابهـــن، ويُهلن التراب فوق رؤوســـهن، ويسرن في الطرقات، وكان الزوج الحزيـــن على فراق زوجته يَلحَق بِموكب النساء، ثيابه ممزقة يئن ويضرب صدره بيده"[1].

" وكان يطلق على إحدى النادبات (الحدأة الكبيرة) والأخرى (الحدأة الصغيرة) وهمـــا تمـــثلان الإلهيتن إيزيس ونفتيس اللتين حولتا نفسيهما حين وَجَدَتا أخاهما أوزوريس مقتولاً إلى حـــدأتين ترفرفان حول جثته، تصرخان صرخات عالية"[2].

وفي إحدى اللوحات رقم (551) في المتحف المصري نجد منظراً جنائزياً لنساء ثكـــالى ينـــدبن ويولولن حزناً وأسى[3]

وفي كتاب الموتى جاء عن الطقوس التي تصاحب إعلان الموت:

" الحزانى مزقوا الشعر لأجلك

يضربون على الصدور بأيدهم لأجلك

يصرخون، وينعوك ويبكوك"[4].

وعند الكنعانيين: كان عيد الأفانزيم Aphanirme عيد موت أدونيس، وقد كان بمثابـــة إعـــلان وتذكير بموت أدونيس فيسارع الفينيقيون بتأبينه والنواح عليه، وكان الاحتفـــال يتقدمـــه كهنـــة يحملون تابوتاً وضعت فيه جثه رمزية للإله أدونيس.

ويَسير بجانب الكهنة، كاهنات يحملن فراش عشتار عليه تمثال عشتروت الباكية، ويَسير خلـــف الكهنة والكاهنات جمع غفير من النساء بملابس الحداد نائحات ومولولات وعندما يصل الموكب الجنائزي إلى قبر الإله أدونيس عند مغيب الشمس يقومون بوضع الجثة المقدسة في القبر. هنـــا تبدأ النساء بنثر شعورهن وبالعويل والبكاء[1].

(1) نظير، **المرأة في تاريخ مصر القديم**، ص 44.

(2) المرجع السابق، ص 44- 45.

(3) المرجع السابق، ص45.

(4) الصيفي، **كتاب الموتى**، ص 424.

(1) الماجدي، **المعتقدات الكنعانية**، ص 269.

وعند الكنعانيين أيضاً عندما عَلِمَ "إيل" بموت بعل:

نزل عن العرش، وجلس على

الأرض، ذرَّ رَماداً

لبس الإزار، خَدَشَ (جرح) بحجر

جرح (خَدَشَ) جسده بموسٍ

ثلاث مرات، أدمى ذراعيه

خَدَشَ صدره كما يحرث الفلاح[1]

وقد احتفل بهذا الطقس اليونانيون أيضاً[2]، ومن طقوس الموت عند الآراميين: يبدأ الطقس بنواح عائلة الميت وعويلها، ويشارك فيه الجميع حتى الأطفال"[3]

ومن طقوس الجاهليين في الموت، النِّياحه والبكـــاء والندب وشق الجيب، وعَفر التراب، وحَلْـــق الشعر، وخمش الوجه، وفي ذلك قالت الخنساء[4]:

فنســـــــاؤنا ينـــــــدبن نـــــــو	حـــــــاً بعـــــد هاديـــــة النـــــوائح
شـــــــعث شــــــواحبُ لا يَنـــــــينَ	إذا ونــــــــى ليـــــــل النـــــــوائح"

وهُنَّ يَلْطُمْنَ وجوههن ويضربن صُدورهن بالنعال وفي هذا يقول أبو ذؤيب الهذلي[1]:

وَقَـــــامَ بَنـــــاتي بِالنِّعـــــال حَواسِـــــراً	فألصقْنَ وَقْـــعَ السَّـــبْتِ تَحْـــتَ القلائِـــدِ

ويطلب طرفه بن العبد من النائحات أن يمزقن ثيابهن عليه إذا مات.

فإن مـــت فانعينـــي بمـــا أنـــا أهلُـــــهُ	وشُـــقي عَلَـــيّ الجيـــب يا ابنة معبد"[2]

وتعتزل المرأة عند عرب الجاهليـــة إذا مات زوجها في بيـــت صغير تقضي فيه مدة حدادها،

---

(1) فريحة، أنيس، **ملامح وأساطير من أوغاريت (راس شمرا)**، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص167.

(2) الماجدي، **المعتقدات الكنعانية**، ص269.

(3) الماجدي، **المعتقدات الآرامية**، ص153.

(4) الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث، **ديوانها**، دار الكتب العلمية شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، لبنـــان ط1، 1988، ص30.

(1) االهُذلي، أبو ذؤيب، **ديوانه**، تحقيق الدكتور أنطونيوس بُطرس، دار صادر، بيروت، ط 1، 2003، ص 93.

(2) ابن العبد، طرفه، **ديوانه**، شرحه الدكتور سعدي الضناوي، دار الكتاب العربي، بيروت ط1، 2004، ص45.

وهي عام، تلبس خلالها أسوأ ثيابها، ولا تمس طيباً، ولا تقلم ظفراً، ولا تنتف من وجهها شعراً، ويُحمل لها الطعام، فإذا مضى العام يؤتى لها بِدابةٍ أو شاة، ثم تخرج من البيت الصغير فَتُعْطى بَعره فترمي بها، مما يعني أنها قد أنهت عدتها"[1]. وقد أنهى الإسلام هذه العادة وقضى بأن تعتد المرأة حداداً على زوجها المتوفى مدة أربعة أشهر وعشرة أيام[2].

وقد نهى الإسلام عن النواح والبكاء والصراخ، فالإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان.

من صور الندب:

ندب الرجل:

فإذا كان الزوج رب العائلة، ومعيلها، راعيها، وحاميها، جمل المحامل، تقول زوجته أو الندابة[3]:

واسمَك حِلو يا جوزي لايق على ثِمي	يا حبِّ اللولو يا روحي وانْفَرَط مِني
واسمَك حِلو يا جوزي رِيِّحْ على لساني	يا حبِّ اللولو يا روحي وانْفَرَط قُدامي
واسمَك حِلو يا جوزي ما سَمَّته جارة	واللهِ مِنْ سَمَّته لَرّحَلْ من الحارة[1]

وتحرص الزوجة على إظهار الدلال الذي تمتعت به في ظِلِّ زوجها:

لَبْكي على اللّي دلَّلوني	نومِ الظَحى ما نَبَهوني
من بَعْدِهِم لَدُور بَهلول	وارْعى غَنَمْ وارْعى سْخُول
طريق جيتوها لَجِيها	واهيْل دَمْعِ العين فيها[2]

---

(1) عبد الصمد، **عادات وتقاليد من العصور القديمة**، ص 249.

(2) المرجع السابق، ص249.

(3) الندابات: بعض النسوة اللواتي تخصصن في الندب والتعديد وذلك بإلقاء أشعار ومراثٍ حزينة ويقول المثل عنهن: "أهل البيت صبروا والندابات كفروا". انظر: المبيض، **ملامح الشخصية الفلسطينية من أمثالها الشعبية**، ص 152.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/1.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة، 2007/8/1.

وفي المقابل تُصور الذل والهوان اللذين لحقا بها جراء موت زوجها فتقول:

يا حَسْرِتي ذَليــت مِــن بَعْــدِكُم ذَليــت   واصْبَحِت زيّ الفراشة الغارقة في الزيــت

ذَليــت مِــن بَعــدِكم يــا حَسْــرتي والله   واصْــبَحِت زيّ الفراشِــة الغارقــة والله

ذابت حشيش القَلِبْ يــا حَسْــرِتي ذابــت   والشعرتين السُمُر فــي غيــابِكُم شــابَتْ[1]

وتظهر الزوجة مَعَزّتَها لزوجها الذي كان سَنَدها:

والجــــوز يــــا نِســــوان غَــــالي   وأعَــــز مــــن عَمــــي وخــــالي

وأعــز مــن خَــيِّــي ابــن بــيّــِي

والجــــوز يــــا نِســــوان ينفَــــعْ   يــــا قَعِدْتــــه فــــي الــــدّار تِرفَــــعْ[2]

واللهِ لَبْكــي وامَلــي الحــوض لَبَابــه   وَاسقي خيول العَرَبْ والطرشِ واصْحابَه

واللهِ لَبْكــي وامَلــي الحــوض لَلِحِفّــه   وَاسقي خيولِ العَرَبْ كَفَّــه وَرا كَفّــه[1]

وهي تحلف لِغُيابها كم هي صعبة الحياة بعيداً عنهم:

وِحيــاتكم وِحيــاة رَبــي العــالي   حَســراتكم مــا راحَــتْ مــن بــالي

واللهِ بَحْلِــف لِكُــم سُــورة علــى سُــورة   مــن يــوم فارقتونــا والشــان مَكســورة

واللهِ بَحْلِــف لِكُــم عَ مِصــحف زغَيِّــر   مِــن يــوم فارَقتونــا والحــال مِتغَيِّــر[2]

ما تِعلموا بحــالتي يَلّــي قاعــدين عنــدي   والنارِ اللي هَبَّبَــتْ أكْلَــت ضــمير قلبــي

ما تِعلموا بحــالتي يَلّــي قاعــدين بِحــذايّ   والنارِ اللي هبَبّت أكلتْ ضَــمير احشــايّ[3]

بينــــي وبــــين حِبــــاب قَلبــــي   جبــــال ســــود وجسِــــر مَبْنــــي

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/8/1.تلفظ كلمة حشيش بصيغة الجمع.

(2) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص298.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

بينـــــي وبــــين حِيـــاب روحـــــي	جبـــال ســـود وبحِــــر بِـــدوي[1]
لّــــدْري إنْكُــــم بتِفـــارقـــــون	حَطيتـــكُم جـــوات عيـــونــــــي[2]

وقد تصف الزوجة الباكية حالها فتقول:

يـــا قاعــدة فـــي البيـــت مالـــك	جـــوزك غِـــدي يـــا ظـــيم حالـــك
وِيّاكْ وِيّاكْ يَلــي ربيــت أنـــا وايّـــاك	في خاطِري مِسْـكَنَكْ واقعُـد أنـا وايّـاك
لا يَــــبِن عمـــي يـــا عَضِـــدي	يـــا ســـوارتي وِقْعِـــت مـــن إيـــدي[3]

ثم تطلب من النساء ومعاونتها فتقول: خلل في توزيع الحواشي

قُلِـــــن مَعـــــايَّ جـــــابْرِني	وابـــــو عْيـــــالي ظَـــــاع مِنْـــــي
يـــــا بِنـــــت عَمـــــي قـــــابليني	وبــــــدموع عينــــــك عـــــاونيني
بِـــــدّي اتقــــابِلني حزينـــــة	وِتْكــــــون دَمْعِتهــــــا رزينـــــة
لقْعُـــد علـــى جَنْـــب الشـــريعة	مـــن خـــوف ليقولـــوا قَطيعـــة[1]

يَمْعَدَلَـــــه قـــــومي تعـــــالي	يَمْعَدَلَـــــه حالِـــــك وِحـــــالي
إلتَقـــين الحبايـــب عَ اعـــراق[2]	يبكْـــــين عَ يـــــوم الفِـــــراق[3]

لم يعد أحد يستقبل الضيوف بعد رحيل عماد البيت، هذا ما تقوله النائحة متحسرة على صـــاحب الكرم والجود:

يـــا ظيـــوفِهم عَ الحـــيط بـــاتوا	واهـــل الكَـــرَمْ والجـــود مـــاتوا
يـــا ظيـــوفِهم عَ الحـــيط ظَلّـــوا	واهـــل الكَـــرَمْ والجـــود ولّـــو[1]

---

(1) مقابلة شخصية، أنغام، سنجل، 47 سنة. 2007/8/3.

(2) علوش، **الأغاني الشعبية،** ص 320.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(1) عراق: عامية، بمعنى الحائط. **المنجد،** ص 501.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة حلوة، عين قينيا، 75 سنة. 2007/7/20.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة أم مفيد، بيت دقو، 82 سنة. 2007/8/5.

يـــــا ظيـــــف لا تِعْتَـــــبْ عَلـــــيّ   رَبيـــــــــــتهم واربيـــــــــــت معهـــــــــــم

وِفـــراقـــهُم يِـــصعـــب عَـــلـــيّ[2]

فإذا كان المتوفى هو الأب أو الأخ فَتَنوح الباكية:

قولـــــــوا لَـــــوُختي الله يصَـــــــبِرْها	على فراقنا مـــا أقـــوى جَبايرهـــا[3]
بَيَّـــي وبَيَّـــي ومَحْلـــى قولِـــة بيّـــي	يشتَدْ حيلـــي وتِرجـــع قـــوتي لـــيٍّ
بَيَّـــي وبَيَّـــي ومحلـــى قـــول بيّـــي	زي العَسَـــــل وأحلـــــى شـــــويِّة
يـــــا بـــــو البنـــــات لا تِبـــــات	جينَـــــــك بناتـــــك زايـــــــرات
يـــــا بَيّنـــــا واحنـــــا بناتـــــك	مــــــا نِحْلِـــــف إلا بِحَياتَـــــك
والبَـــــــيّ مـــــا مِثْلَـــــه مْثيـــــل	شَــــــيّال للحمـــــــل الثِقيـــــــل[1]

فإذا كان الرجل كبير قومه ورأس الحموله، تستنكر النائحة موته بقولها:

لا يا بَيّ محمد ومِنين إجـــاك المـــوت	دارَك عاليـــــة ومْسَـــــيّجة بالشـــــوك
لا يا بَيّ محمد ومِنـــين إجـــاك البـــين	دارَك عاليـــــة ومْسَـــــيّجة بْقُنـــــديل[2]
شيشـــوا يـــا حَملولـــة ولـــيش ذَليتـــوا	قَبَرتـــوا أبـــو محمـــد ويـــش خَليتـــوا
شيشوا يـــا حَملولـــة ولـــيش عَبَسـتوا	قَبَرتـــوا أبـــو محمـــد ويـــش عَقبتـــوا[3]
ناوِليني السيف واليُطُق عـــن الوجـــاك	تنشلوش عَ الحمولة صـــاير عليهـــا ذْيـــاق
ناوِليني السيف واليُطُـــق عـــن الرَقّـــه	تنشلوش عَ الحمولة صاير عليهـــا هَـــدّه[4]

---

(1) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص 294.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص 317.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(2) المصدر السابق. 2007/8/3. قُنديل من القُنديل: الجنينة الشائكة. **المنجد**، ص656.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8.

(4) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص 288. اليُطق: نوع من السلاح

الوجاك: فتحة في جدار البيت تستعمل لايقاد النار وللتدفئة وطهي الطعام.

ورحيل شيخ الحمولة يعني تهدُمها:

واجب عليكِ يا دَارِهم اتهيلي	الشُّباك يَقَع والبلاط ايميلِ
واجب عليك يا دارِهم اتنهَدي	الشباك يقع والبلاط يسْوَد[1]
وانهدي يا باب الدار وانهدي	عَ سَبعٍ طِلِعْ مِنك ولا رَدِّ
وانهالي يا عتبة الدار وانهالي	عَ سبعٍ طِلِع مِنك ولا جاني[2]

وهناك فخر في (الفقيد) العزيز والغالي:

طَلّت البارودة والسبع ما طَلْ	يا بوز البارودة من النَدى مِيْتَل
طَلّت البارودة والسبع ما جاش	يا بوز البارودة من الصّدى مَجَلاش[3]
هالبارودة خَلّعت جوز الوتاد	طالبة خيالها يوم الميعاد
هالبارودة خَلّت العِدّة هَمِس	طالبة خيالها يوم الخميس[1]
قوموا فَرِشوا للشيخ ضايفكم	لولا شيخته هَدّوا مَضايفكم
قوموا فَرِشوا للشيخ جاييكم	لولا شيختة هَدّوا علاليكم[2]
سلامتك يا كبير هالدار	يا لامِّ العيلة كبار وزغار[3]

أما إذا كان الفقيد شاباً فميتته تأتي في الأغلب فجأة دون تَوقُع لِذا يقولون:

انْقَصَف، خَطَفَه الموت بقى زي عود الريحان. وتركز البكائيات على مضمون واحد يتمثل في حرمان الشاب من الزواج ومن ثم حرمان أهله من الفرحة به:

نشولش: عامية بمعنى نَحمي.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.

(3) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص111.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(2) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص292.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8.

راح بخـــاطره يـــا خايبـــه يَخْتـــه راح بخاطره عَـروس فـي تَختَـه[1]
يـــا شَـــبِّ مِتشَّـــبب يَقشــيلِك يمّـــهَ مـــات وبخـــاطره يوخـــذ بنـــت عَمـــه

شـــــبابنا وردِتْ علـــــى البَيّـــــاره وتْقَصـــفوا قَصْـــف الـــوَرِد يَخْســـاره
شـــــبابنا ورِدِت عَ راس العـــــين وتْقَصفوا قَصْـف الـوَرِد يـا شـين[2]

والله لَكْتُــــب عَ بـــــلاط ارخــــامي عُمْرَك دَنا ويش فِيـدي أنـا يـا غـالي
يـــا حِينَـــك شـــب ســـالم يـــا حِينَـــك يـــا حِينـــك بنـــات العـــرب ينعينـــك
يـــا شـــب ســـالم ويـــن هالغيبـــة يا كيس الذَهَبْ مَحطوط فـي الجيبـه[3]

وفرسَهُ تذل وتهان من بَعده:

مُهرتَـــــكْ يـــــا شـــــب محمـــــد طيَّحوهـــــــــا عَ العَـــــــــرَب
قيَّـــــــــدوها بقيـــــــــد رُمـــــــــة مـــــن بَعْـــــدِ قيـــــد الـــــذهب
مهرِتَـــــك يـــــا شَـــــبِّ ســـــالِم نَزَّلوهـــــــــا عَ العبيـــــــــــد
قَيَّـــــــــدوها بْقيـــــــــد رُمـــــــــة مـــــن بَعْـــــدِ قيـــــد الحَديـــــد[1]

ويقال عن عروسه التي تركها صبية صغيرة:

رَمّلـــوا الصـــبايا تِشـــبه التفـــاح تِحْلِف ما تِرمي عَ الصـدر مِطـواح[2]

وقد تقول عن نفسها:

يـــا ذِلـــي ضَـــربني البـــين بالـــدّبوس يا ذِلـي نَفَـل شـعري وانـا عـروس
يـــا ذِلـــي ضـــربني البـــين عَ ايديَّـــه يا ذِلـي نَفَـل شـعري وانـا بْنَيَّـه[1]

تُفْجَعْ الأم بموت فلذة كبدها فتنوح باكية:

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة، 2007/8/7.
(2) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص308 - 309.
(3) المرجع السابق، ص 308.
(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، 71 سنة. 2007/8/7.
(2) المصدر السابق، 2007/8/7.. مطواح: عامية بمعنى عقد.

محمـــــــد ويـــــا سلِسْـــــلَه لَيّـــــه محمد ويا جوهرة سَــقْطت مِــن ايديّــه

والبادعـــــة تِبِـــــدع عَليـــــه واتـــــروحِ وامــــه علـــى طـــول الزمـــان تنـــوح

والبادعـــــة تِبْـــــدَع عَليـــــه واتـــــرَوِّح وامــــه علـــى طـــول الزمـــان اتنـــوح

يـــا بادعـــة قـــولي علـــيهم وابـــدعي قـــولي علـــى محمـــد وامـــه تِسْـــمَعِ

يـــا بادعـــة بالســـيف هـــاتي نِصـــابه بَبكي على محمد وعلـــى اللـــي صـــابه

يـــا بادعـــة بالســـيف هـــاتي شـــدِته بَبكـــي علـــى محمـــد وعلـــى كَتْبِتَـــه[2]

خِيلْ طَردَت خِيــلْ فــي وادِ الصــرار يَمْحَمَـــــد عَـــزَب ولا وراه عيـــال

خِيــلْ طَــردَت خِيــلْ فــي واد النَحِـل يَمْحَمَـــــد عَـــزَب ولا وراه أهِـــل[3]

عليـــوم لانـــك يَنْشـــرى يـــا الغـــالي لَشـــريك بالـــذهب وكـــلِ المـــالِ[1]

وكثيراً ما تكون العين الحاسدة سبب موت الشباب:

دَعَتْ عَلَيّــه العــدوه والشــعر مَبْلــول دَعَتْ عَلَيّه وقالت عُمْرِهم مــا يطــول[2]

ندب المرأة (الزوجة، الابنه):

إم المطـــــــــرَّز مِرتكيّـــــــــه يـــــا حينهـــــا ماتـــــت صَـــــبِيّه

خَلّـــــــت زغيرهـــــــا وراهـــــــا[3]

---

(1) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص 293.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.

(3) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص321.

وإذا ماتت المرأة وهي لا تنجب تكون المصيبة أعظم فالمثل يَقول: "اللي خلَّف ما مات"

مـــال الوَلِيـــه نعشـــها مايـــل مالهـــاش ولـــد وســط الرجـــال شـــايل

مـــال الوَلِيـــه نعشـــها ايميـــل مالهاش ولـد وسـط الرجـال ايشـيل

صَـــبِيّه ودَلوهـــا ببيـــر ماتـــت حزينـــه عَ لِبنـــين

صَـــبِيّه ودَلوهـــا بـــواد ماتـــت حزينـــه عَ الـــولاد [1]

فإذا كانت صَبية تقول، النائحة:

يـــا صـــابنات عروضـــكنَ والمـــوت مـــا يصـــلحلكنَ

والمـــوت يصـــلح للرعينـــه اللـــي طالعـــه بعـــد العشـــا[2]

وتقول واحدة لأمها:

يميمتـــي قيمِنـــي واســـندِني قـــومي اســـمعي جَظّـــي ونينـــى

وتنعى باكية فتاة صبية فتقول:

يـا صَـبية يـا لَبيّـه ياعويـد الخيـزران جِسْمِك ما يِطيق الثوب كيف يِطيق القَبر ينام[1]

وأكثر ما يوصف حال الأبناء بعد رحيل أمهم: ينـــــــــــــــــــام[1]

يـــا حينهـــا اولاد الـــدّلال يربـــوا مـــا بـــين العَـــمْ والخـــال

يـــا خـــالتي كـــوني بّـــدال إمـــي وإن غابَـــت إمـــي ســـايلي عَنّـــي

يـــا يَتيمهـــا عَ القَـــدِر مَكفـــي قَلبـــه مـــن النهـــرات مَطفـــي

يـــا يَتيمهـــا عَ القَـــدِر واقِـــف قلبـــه مـــن النهـــرات نـــاطَف[2]

نَدب الأطفال: تقول الباكية عنهم:

صـــبيان تِحـــت الجـــوز لِخْطَـــر بقَشـــروا فـــي البـــيض لَحْمَـــر

---

(1) كناعنة، **الإنجاب والطفولة**، ص23.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7. الرعينة: عامية بمعنى متمردة

(1) المصدر السابق، 2007/8/7. جَظّي: عامية بمعنى ألمي.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

يـــــا هالصـــــبيان يــــا محلاهـــــم   وأجـــا البـــين وأســـرع لـــي طـــواهم

طَيّ الحرير على الندى[1]

وتقول النائحة على لسان الأطفال:

يـــــــا بيـــــــاع الطـــــــواقي   فـــــي حـــــارة إمـــــي... لا تْنـــــادي

واتجيبني عَ بال إمي

يـــــــا بيـــــــاع الطـــــــرابيش   فـــــي حـــــارة إمـــــي لا تنـــــاديش

واتجيبنـــــــي عَ بـــــــال إمـــــــي[2]

ويعود سبب موته وهو صغير إلى الحسد فتقول له:

واقعـــــــد واســـــــم الله عليـــــــك   عينــــي وعــــين حبـــــابي ليـــــك

وعـــــين العَـــــدَوه تـــــروح بـــــرة [1]

وهناك أنواع أخرى من الندب لها طقوسها. سنتحدث عنها باقتضاب، منها ندب الرئيس، ونـــدب الشهيد، وندب القتيل وندب الغريب.

---

(1) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص331. القدر: قِدر الطعام.

(2) المرجع السابق، ص 331.

(1) مقابلة شخصية،الحاجة، صفية، عين قينيا، 84 سنة. 2007/7/20

ندب الرئيس:

عندما نتحدث عن بكائيات القائد في الأدب الشعبي الفلسطيني يستوقعنا هذا الحضور المميز للقائد العربي المصري جمال عبد الناصر، ففي يوم وفاته خرج الشعب في مدنه وقراه إلى الشوارع، وفي قرية ترمسعيا سمعت القرية الخبر فخرجت جميع نسائِها، ولأول مرة في تاريخ القرية صباح 1970/9/29 واصطَففن في حلقات النعي لمدة ثلاثة أيام كن يندبن وينعين ويلطمن خدودهن وهن يرددن:

رَئيسنا يَلّلي عليه المعتمد	خليتنا بين اليهود بلا سند
رَئيسنا يَلّلي عليك اللوم	خليتنا بين اليهود والقوم
رَئيسنا يَلّلي عليك العايله	خليتنا بين الجبال الهايله
كرسي الرئيس جَلّلُوه بالجوخ	بَعد الرئيس ما حِلِيلي شيوخ
كرسي الرئيس جَلّلُوه بِسَواد	بَعد الرئيس ما حِلِيلي جْواد
رَكبوا المدافِع عَ ظهر المَيّةَ	صارت يا قَشَلكِنْ عَ الفِدائيّة
رَكبوا المدافِع عَ ظهر النهر	جمال يا قَشَلكِنْ انقهر قَهر[1]

ندب الشهيد:

تختلف بكائيات الشهيد عن سائر البكائيات، فلا يتخللها حلقات ندب ونواح أو أي مظهر آخر من مظاهر الموت الأخرى، فهو يدفن كما هو بملابسه ودمه حيث يُزف في عُرس إلى عَروسه الأرض:

زفوا الشهيد وخلوا الزفه عَ السُنّه	زفوا الشهيد إلبيتو الثاني في الجَنّة
زفوا الشهيد بِجروحه بِدَمُّه	عَفَر جبِينُه إياكم تنفضوا ترابه
سَبل عيونُه ومَدّ ايدُه يحنُونه	خصرُه رِقَيّق بالمنديل يلفُونُه
سَبل عيونُه ومَدّ ايدُه على راسي	خَصرُه رِقَيّق ودعني وموش ناسي[2]

---

(1) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص 112- 113.

(2) من أبيات الشعر الشائعة في المجتمع الفلسطيني.

ندب القَتيل:

عندما يبلغ أهل المغدور نبأ قتله فإنهم بالإضافة إلى الصياح والبكاء يقوم الرجال بإعلان النخوات ومما يقولونه في هذا المجال: "يحرم عَلّيّ أنام عند مرتي إلا بعد ما استَد ثارك"، "باطل وأنا عليك يا فلان والله غير عَشَره في جورتك".[1]

وفي أثناء دفنه يردد أقارِبَهُ النخوات المتضمنه التهديد والتصميم على الثأر ومنها:

يـــا قَتّـــال يقْطَـــع دياتـــك	وارعبتنـــا يرعِـــب خواتَـــك
قتـــال يـــا الله إقطَـــع يَمينـــك	وارعبتنـــا يرعِـــب حَريمـــك[2]

لا تِـــذلوا يـــا حمولـــة	عَلِقـــوا عَ الخيـــل شـــعير
واقْتُلـــوا قَتّـــال هاظـــا	لَنّـــه فَـــي الســـما بِطيـــر
لا تِـــذلوا يـــا حمولـــة	عَلِقـــوا عَ الخيـــل عَسَـــل
واقتلـــوا قتّـــال هاظـــا	لَنّـــه للســـما بَصَـــلْ
يـــا ريـــت قَتّالّـــك قَتيـــل	دَمّـــه علـــى جَنْبَـــه يســـيل[3]

ندب الغَريب:

كثرت قبور الغرباء مجهولي الهوية في فلسطين التي قُتِل أصحابها أيام الأنكليز والذين أتوا تطوعاً للدفاع عن فلسطين فسقطوا في سبيل ذلك على أرضها وظلوا مجهولي الهوية تَطلبُ أرواحهم العودة لموطنها فقيل عنها:

قَبـــرِ الغريـــب عَ الطريـــق بينـــوح	بِقـــول يـــا صـــاحِبي عَ الـــدار تَـــروح
قبـــرِ الغريـــب عَ الطريـــق بِبْكـــي	بِقول يا صاحِبي عَ الدار بدي أمشـــي[4]

غُـــرُب الـــبلاد وتـــايهين	عَ الـــدّرِب مـــا هـــم مِنْـــدَلين

(1) ربيع، وليد، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص115.

(2) مقابلة شخصية، الحاج أبو عبد الله، الجديرة، 73 سنة. 2007/8/8.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(4) المصدر السابق، 2007/8/7..

لَنْ عــاود أهـــل الــدار عَ الـــدّار لاجيـــــب لِـــــك يـــــا دار دُوار

واجيـــــــب للحيطـــــــــان بَنّـــــــــا[1]

ومن البكائيات القديمة ما عرف ب (أكثر البكاء حرارة) وفيه تبكي الجموع موت دموزي زوج "إنانا" وتنوح فَتقول:

أكثر بكاء الدنيا مرارة نبذلهُ على زوجها

من أجْل إنان، أكثر البكاء مرارة نبذلهُ على زوجها

واحسرتاه على زَوجها

واحسرتاه على فتاها

واحسرتاه على زوجها الأسير

على فتاها الحبيس

على زَوجها الميت

على فتاها الراقد

ثم تبكي إنانا زوجها:

اليوم قد قضى زوجي الحلو

زوجي قد قضى اليوم

قضى فَتاي الحلو

فتاي قد قضى[2]....

طقس غسيل الميت وتكفينه:

تقول الحاجة فاطمة: "لازم الميّ تكون فاترة اللي يقبلها الجسم لا هي باردة ولا هي سخنة"[3]

وأثناء الغسيل تنوح النسوه:

لا إله إلا الله ومحمد رسول الله

---

(1) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص 328.

(2) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص165،166.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 87 سنة. 2007/8/8.

لا إله إلا الله ويش ألهاك يا عبدي

ويش ألهاك عن ذكري

ألهاني شقى الدنيا والدنيا مبتنفعشِ[1]

ويقلن أيضا على لسان المتوفي:

يا الله، يا الله تِوَنسني وأنا وِحدي

يا الله، يا الله، لا إله إلا الله

ينزل علي لحدي

لا إله إلا الله بعدد ورق الزيتون

أنزل في الجنة وأعوم[2].

ثم يكفن الجسد، وفي هذا تنوح الباكية:

زَرِروا الخيمة[3] عَليه واحفظوها مــن النَّــدى   يا حَسْرِتي يا أبو محمد راح ومــا وَدَعْ حَــدَا

زَرِروا الخيمةعَليه واحفظوهــا مــن النســيم   يا حَسْرِتي يا أبو محمد وانتَ علينا عَزيــز[4]

يتم غسيل الميت بالماء الطاهر لتطهير الجسد، وكان تطهير الميت عند السومرين (ومن ثم عنــد البابليين والآشوريين) يجري بطريقتين إما الغسل بالماء أو بالحرق[5].

وقد كان الجثمان يغسل ثم يضمخ بأنواع من الروائح العطرية الطيارة ويدهن بالزيت الخــاص، ثم يعرض لضوء الشمس لآخر مرة حيث يودع قبل دفنه[6].

كان طقس غسل جسد الميت يجري وفق شعيرة دينية للتقرب من الإله إنكي الذي هو إله الماء

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) المصدر السابق، 2007/8/7..

(3) الخيمة: هنا تعني الكَفَن.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(5) الماجدي، **متون سومر**، ص 319.

(6) كونتينو، **الحياة اليومية في بلاد آشور وبابل**، ص 294.

والحكمة وخالق الإنسان، وكان مَسُ مياهَهُ لِجَسَدِ الإنسان يعني إعادة خلق مُطهر لهذا الجسد[1] وعند المصريين كان طقس غسيل الميت بماء النيل يستبق عملية التحنيط، وكان هذا الغسل عملاً طقسياً إلى أبعد مدى، لأن المصري رأى فيه رمزاً لأسطورة خلق الشمس من ماء النيل وانحسار مياه الفيضان، ومن الصور الشائعة في هذا الطقس منظر يوجد على مقابر الدولة الحديثة أو توابيتها، ويمثل المتوفى جالساً على جرة كبيرة وهو يستحم في تيار من الماء يصب فوقه[2].

وفي ترتيلة على لسان المتوفى من بردية هونفر نجده يقول:

"هب لي أن أسير على نسق جلالتك تماماً كما كنت على الأرض، دع روحي تدخل (في الحضرة)، ودعها تكون إلى جانب سادة الحق والحقيقة، ها قد أتيت إلى مدينة الله إلى الإقليم الذي وجد في الزمن البدئي، أتيت مع نفسي وقرينتي وشكلي شبه الشفاف كي أسكن في هذه الأرض... والرب الذي هناك هو سيد الحق والحقيقة... الخ[3]

وهناك العديد من التراتيل التي كانت تقال بلسان الكاهن على لسان المتوفى، وكان الكنعانيون والآراميون "يغسلون الميت ثم يلبسونه ثوباً أو كفناً ويوضع في تابوت، ثم يدفن.

وفي الجاهلية كانوا يعمدون إلى الميت فيغسلونه وفي ذلك قال الأفوه الأودي[4]:

وجاؤوا بماء بارد وبغسلة ... فيالك من غَسلٍ سَيَتْبَعه عِبَرُ

طقس دَق العِدة:

"قبل ما تموت حماتي قالت لابنها وصاتي يمه "اطلعني بعدة وجيب الشيخ من دوره".

"لليوم الشيوخ بِطلعوا بعدة الشيخ عبد الغافر، شيخ معروف من دوره إلو متوفي بيجي أربع سنين طِلْعِتْلَه عدة كبيرة، يوصلوه القبر وهم يطبلوا ويغنوا أغاني دينية حزينة بتشبه أغاني

المولد النبوي، بس حزينة"[1].

---

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص 321.

(2) الماجدي، **الدين المصري**، ص279.

(3) انظر: بدج، والس، **الديانة الفرعونية**، ترجمة يوسف سامي اليوسف، دار منارات، عمان، ط1، 1985، ص156.

(4) الأفوه، الأودي، **ديوانه الطرائف الأدبية**، صَحَحَهُ عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط1، 1937، ص15.

ويرتبط حجم العدة بمكانة الشخص في المجتمع، وكان الكثيرون يوصون أبناءهم أن يخرجوهم من بيوتهم مع (العدة)، ويشبه خروج النّعش مع العِدّة زفة العريس، فقد أشارت البكائيات الفلسطينية إلى العِدّة في هذين البيتين من العتابا:

يا حسٍّ طْبُول حِسٍّ زْمور دَقِّين	مَراسي عَ صدور البين لَجّين
ألا يا حاملين النّعش عَ وين	أقَفوا تا أودع هالأحباب

وتقول باكية:

قولي عليه يا إم الحَلق واسوارة	حامي ظَعِنّا يُوم كُون وغارة
بارودْتَه يا إم الحَلق والعِدة	ما تِطلع إلا يُوم كُون وَهَدّه[2]

وطلعت كالزفة:

واطلعوا العريس من خَلوة عروسه	واطلعوا محمد خَلّي اختِه تشوفه
واطلعوا العريس من خَلوة خَلاه	واطلعو محمد تَ إمه تراه[3]

كان هذا الطقس شائعاً عند القدماء، ففي أسطورة "إنانا" عندما خرجت من العالم السفلي ومعها العفاريت لتأخذ البديل عنها، صادفت وزيرها (ننشبور) فأرادت العفاريت أخذه لكن "إنانا" رفضت؛ لأنه كما تقول:

أتأخذون رسولي ذي الكلمات الطّيبة

من أقام المناحة عليّ في الخرائب؟

من ملأ السّماء تشكياً من أجلي؟

وقرع الطّبل من أجلي في قاعة المعبد

وبَكى عليَّ في المصلَّى[1]

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7. دوره: من قرى رام الله.

(2) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص 310.

(3) المرجع السابق، ص333.

وتشترك نسوة دموزي (أمه والزوجة وأخته) في ترنيمة تقول:

على نَايّ القَصَب

قلبي يعزف ترنيمة على ناي القصب

لأجل ذلك الشريد في الصحراء[2]

"وعند السومريين والبابليين كانت هناك طقوس جنائزية تقام بعد الوفاة مباشـرة، وفـي أوقـات محددة ومختلفة ولفترة طويلة بعد موت الشخص، وكان هناك عدد من الكهنة الذي يؤدون شعائر الندب وهم كهنة (كالا – ماخ) أي الكاهن العظيم، وكان كاهن الكالا يعـزف إمـا علـى طبـل هلهلاتو (Halhallatu) أو على القيثارة أثناء الندب والأناشيد الحزينة[3]، والكاهنات كذلك كـن يؤدين هذه الشعائر وهن من نوع (الوكر و (اينتو)"[4].

تتكرر هذه الطقوس في الأعياد كعيد زاموء الذي يصادف 2 أيلول حيث تقام طقـوس الحـزن الجماعي على موت دموزي وذهابه إلى العالم الأسفل"[5].

وعند المصريين كانت مراسم التشييع الأخير "تبدأ في الشاطئ الغربي من النيـل حيـث يسـير الرجال في المقدمة وتتبعهم النساء، وكان الكهنة يحرقون البخور، ويرتلون التراتيـل الحزينـة، وغالباً ما يتقدمهم طائفة من الراقصين الذين يحملون اسم (مود) حيث يقومون برقصـة دينيـة للمتوفي بملابس خاصة مع نَدابَتين تمثلان ايزيس ونفتيس"[6].

وعند الكنعانيين كان عيد الأفانزيم، وهو عيد موت أدونيس، بمثابة إعلان وتذكير بموته حيـث ينوحون عليه في طقوس جنائزية يتقدمها الكهنة يحملون تابوتاً فيه جثة رمزية له ويسير الكهنـة وخلفهم الكاهنات وهن يُوَلوِلنَ في موكب واحتفال كبيرين، حيث تُدق الطبـول لطـرد الأرواح الشريرة[1].

---

(1) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص168.

(2) المرجع السابق، ص168.

(3) الماجدي، **متون سومر**، ص331.

(4) المرجع السابق، ص331.

(5) السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص336.

(6) الماجدي، **الدين المصري**، ص241، 242.

(1) الماجدي، **المعتقدات الكنعانية**، ص269–270.

طقس دفن الجسد عارياً:

يدفن جسد المتوفي عارياً إلا من قطعة قماش بيضاء يلف بها تسمى الكفــن[1] وتنــوح الباكيــة فتقول:

يـــا شَـــبٍّ يـــا حِلـــو الشـــباب	مـــا حَـــلٍّ جســـمك للتـــراب[2]
صـــدرك ياهاظـــا يـــا بـــلاط اللّـــوح	ســـلامتك مـــن هـــالقبر يـــا روحـــي
صدرك يا هاظـــا يـــا بـــلاط ارخـــامي	ســـلامتك مـــن هـــالقبر يـــا غـــالي[3]

ويعيدنا هذا إلى أسطورة هبوط "إنانا" إلى الأرض الســفلى، حيث كان عليها الالتزام بطقــوس العالم الأسفل، التي جعلتها تصل عارية تماماً إلى اختها أرشيكال إلهه العالم الأسفل[4].

يقول نيتي لها حارس بوابات[5] العالم الأسفل في النسخة السومرية: "يا "إنانـــا" لا تـــدعي فمـــك يَستهجن طقوس العالم الأسفل وخلع عنها ثوب (بالا) ثوب السيدات والسادة

-أرجوكَ ما هذا؟

-أسكتي يا "إنانا" (لا بد من) نواميس العالم الأسفل كاملة.

-يا "إنانا" لا تدعي فمك يستهجن طقوس العالم الأسفل"[6]

وفي نفس الأسطورة تصل الشياطين لدموزي كي يكون بديل "إنانا" في العالم الأســفل، فتجــره عارياً.

"اخلع تاجك المقدس من رأسك

اخلع رداء ال (مي) من جسدك

دع صولجانك المقدس يسقط على الأرض

أخلع نعليك المقدسين من قدميك

---

(1) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص143.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص 310.

(4) السواح، **مغامرة العقل الأولى**، ص 193.

(5) علي، فاضل، **مأساة عشتار وتموز**، ص 189.

(6) انظر: المرجع السابق، ص193.

عرياناً تمضي معنا"[1]

طقس الكفن الأبيض:

ذكرنا سابقاً أن الجسد يكفن بكفن أبيض عند الفلسطينيين خاصة المسلمين، وقد كان يكفن بهــذا الرداء عند الكنعانيين والآراميين، ولكن لم أجد نصاً واحداً يظهر لون الكفن، وعند المصــريين "كان اللون الأبيض شعار مصر العليا، وقد اعتبر رمزاً للنقاء والطهارة الروحانية، وكان يضمد جثمان المتوفين بالضمادات البيضاء اللون الكتانية تطابقاً بما يرتديه الإله أوزيريس"[2].

وعند الجاهليين كان الميت يكفن أيضا بقماش أبيض رقيق مصنوع من كتان وفــي ذلــك قــال المهلهل بن ربيعة:

فــــابكينَ ســـــيدَ قومـــــهِ واندُبْنَـــــهُ   شُـــدت عليــــه قبــــاطيَّ الأكفــــان"[3]

طقس وضع الأشياء الثمينة مع الميت:

تقول الحاجة فاطمة[4]: "هاظا اشي والله حَظرته وشفته بعيني مرة صبية ماتت وهــي صــغيرة كانت مخلفة ولد واحد إمها وخواتها لما روحوها من المستشفى جبن ثيابها واحد ابــيض واحــد اخضر ولَبَسِنها ثيابها، ولبسنها خرقة بيضة، وقالتها أمها "مسعدة، مسعدة يمه،هَيّني لبستك ثوبك البيَّظ وثوبك لِخظَر اللي ما الّبستيهن والخرقة البيظة".

وتقول الحاجة مريم[1] "لمّا يكون زلمة كبير إلو قيمته ما بِشَلّحوا الخواتم وإذا كان ولد أو بنــت، يعني لما يكون عزيز أغلب الأوقات ما بقيموش إشي، وإذا كان شهيد بدفنوه زي ما هــو، بِلّــي عليه شو ما بَقى لابس".

وفي البكائيات الفلسطينية نجد الوالدة تحتفظ بثياب مَيِّتِها العزيز كأثر له، لذا فهي تقول:

يـــــا رايحــــــين مــــــع الســــــلامة   بـــــــدلاتكم عنـــــــدي علامـــــــة[2]

---

(1) الماجدي، **متون سومر**، ص229.

(2) تيبو، **موسوعة الأساطير**، ص15.

(3) المهلهل، بن ربيعة، **ديوانه**، شرحه طلال حرب، الدار العالمية، بيروت، ط1، 1993، ص84. القباطي: جمع قبطــة وهي قماش من الكتان، أبيض رقيق.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

وتقول أيضاً:

حُطـــــي بدلاتـــــه فـــــي الخزانـــــة	مـــــن اليـــــوم لَيـــــوم القِيّامـــــة
حُطـــــوا بدلاتـــــه فـــــي الصـــــندوق	ممنوع علـــيهن لا يطِحـــن الســـوق[2]

وفي الحالة التي يَمنعُ فيها الدين دَفْنَ ممتلكات الميت مَعَه، "يبحث الإنسان عن طريقة لتوصـــيلها إليه عن طريق كسرها وبذلك تكون الأشياء قد ماتت ويمكن للميت استعمالها"[3].

ومثل هذا الاعتقاد دَفَع الباكية الفلسطينية إلى القول:

كَسْـــروا صَـــندوقها وارمْـــوا الحديـــد	واطلِعـــوا جـــوز الأســـاور الجْديـــد
كَسْروا صَـــندوقها وارمْـــوا الخَشَـــبْ	واطلِعـــوا جُـــوز الأســـاور الـــذَّهب
كَسْـــروا صَـــندوقها وارمـــوا الّلـــواح	واطلِعـــوا جُـــوز الأســـاور المِـــلاح[4]

وتعز بارودته على زوجته فتقول:

بـــارودة فـــي إيـــد الـــدَلّال أريتهـــا	يـــا الله عَلَـــيّ لـــيش مـــا شـــريتها[5]

"حرص السومريون على تزويد الميت بحاجاته الشخصية، وهذه كانت توضع بجانب الجثـــة أو تلف معها في الحصير، كما زودوه بقارب صغير مملوء بأوان فخارية تحوي أنواعاً شتى مـــن القرابين، إذ اعتقدوا أن الميت سوف يضطر في رحلته إلى العالم السفلي إلى اســـتخدام قـــارب مزود بأنواع الأكل"[1].

"ومن أهم المقابر التي عثر عليها مقبرة (أور) الخاصة بالملك، والمقبرة الخاصة بالملكة زوجته، وقد امتلأت كل منهما بأفخر وأثمن الحلي والمجوهرات بجانب الأدوات المصنوعة من الـــذهب الخالص، رغم عدم وجود الذهب في بلاد السومريين، فقد كان يُستورَد من الخارج، كما تكدست

---

(1) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص 300.

(2) مقابلة شخصية، مع الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) البيديل، **سحر الأساطير**، ص 300.

(4) السلحوت، جميل، ***البكائيات في أدبنا الشعبي***، **مجلة الكاتب**، الحلقة الرابعة، ص77.

(5) مقابلة شخصية، مع الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(1) عبد الصمد، **عادات وتقاليد من العصور القديمة**، ص227.

في كل من المقبرتين جثث أفراد الحاشية الذين ربما سَمّوا أنفسهم عمداً لينالوا فخر الانضمام إلى ملكهم وزوجته في الحياة الأخرى، وأغرب ما في الأمر أنه اتُبِعَ نظام دقيق في ترتيب وضع كل جثة، بحيث يقرب صاحبها أو يبعد عن جثة الملك، طبقاً للوظيفة التي كان يشغلها في حياته الأولى"[1].

وفي مدينة (آشور) كشفت التنقيبات التي أجريت، عن العديد من ملوك الآشوريين الذين دفنوا في منطقة واحدة، وكان الكنز الذي دفن مع الملك يمثل تهديداً دائماً للضريح الملكي (بسبب احتمال سرقته)[2].

أما قدماء المصريين، فقد أثبتت الاكتشافات أنهم "لم يكونوا يهتمون بمبانيهم السكنية بقدر اهتمامهم بمقابر الموت، فقد كانت جنازة أصحاب النفوذ والأغنياء تحمل ما سيحتاج إليه الميت في قبره من الأثاث الجنائزي، والمصاغ والمجوهرات والحلي والملابس وأدوات الزينة، إضافة إلى الغذاء[3].

"لقد كانت مقابر وادي الملوك ووادي الملكات في مصر القديمة، تبعث في النفس عند زيارتها مشاعر التفاؤل وحب الحياة..... وما في داخل المقابر من متاع وأثاث يمثل قيمة فنية وجمالية منقطعة النظير فقد كانت المقبرة تجهز بكل ما سيحتاجه الميت...سواء لجسده أو لروحه"[4].

طقس سير الجنازة والصلاة على المتوفى:

بعد الغسيل والتكفين يوضع الجسد المسجى على الأرض كي يتسنى للأهل أن يلقوا عليه نظرة الوداع الأخيرة وفي هذا تقول باكية:

واتوَدَعوا يا عيلة البيت — وأنا عَ السَفَر نويت

واتودَعي يا عيلة الّدار — واتودَعوا كبار وازغار[1]

(1) المرجع السابق، ص228.

(2) كونتينو، **الحياة اليومية في بلاد آشور**، ص294-295.

(3) عبد الصمد، **عادات وتقاليد من العصور القديمة**، ص150-151.

(4) فياض، **المرأة المصرية القديمة**، ص33-34.

ثم يُحمل على نعش من الخشب، وتسير الجنازة سيراً على الأقدام أو في سيارة الموتى أو الإسعاف حالياً،وفي هذا تقول الباكية على لسان المتوفى لحظة خروجه من البيت:

وأنـــا حَمَلـــوني حِمِـــلْ واثقيـــل   يـــا حَســـرتي مـــش قـــادر أشـــيل
وأنـــــا حملـــــوني ووثقــــوني   وأنـــــا ثقلــــوا حِملـــــي عَلَيِّـــــه[2]

وقد ترفض عتبة الدار أن يخرج فتقول الباكية:

يـــا عتبـــة الـــدار صُـــديهم ورديهـــم   وان كــــانوا حَرابـــــا نــــراظيهم[3]
لا يـــا دارِهِـــم لَقَعُـــدْ عليـــك بَـــوّاب   واصبُر على الجَفَا تَيْرَوحــوا الغِيــاب[4]

ثم يصل إلى الجامع فيصلى عليه و يحمل مرة أخرى إلى المقبرة كي يدفن بجانـــب أفراد عائلته السابقين، وعند المقبرة تولول عليه النساء مرة أخرى، وإذا كان شيخاً كما ذكرنا ترافقه (الفرقة) أو العدة في طقس بكاء جنائزي حتى يدفن. وتندبه النساء قائلات:

والله ما عاتبـــك قلبـــي عليـــك جاحـــد   قلبـــي وقلبـــك ســـوا مفتـــاحهن واحـــد[5]
خـــذوني معـــاكم بَفْطُـــر علـــى دُقَـــه   بَصْبُر على الجوعِ ما بَصُر علـــى الفُرقـــة
خذوني معاكم بَفْطُـــر عَ لِـــبْ اخيـــار   بَصْبُر على الجوعِ ما بَصْبُر على المعيـــار
يـــــا حســــرتي قلبـــــي مْحَسّــــر   ولّـــــــى طَلَبْتَـــــــه مـــــــا تْيَســـــــر
هَـــــبّ الهَــــوى شَـــــرقي وْغَربــــي   فَـــــتَش عَلــــــيَّ جـــــروح قلبــــــي
هَـــــبّ الهـــــوى غربـــــي شـــــمال   فـــــتح علـــــيَّ جـــــروح زمــــــان[1]

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.
(2) المصدر السابق. 2007/8/8
(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.
(4) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص305.
(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.
(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/1/17.

وتكاد تكون مراسم تشييع الجنازات قديماً هي نفسها اليوم، ففي إحدى رسائل الملوك إلى آشور بانيبال يطمئنه فيها أنه قام بواجب سلفه الملك السابق، يذكر" أنه قد سجى جثمان الملك لكي يودعه الشعب، وقد فتح باب المدينة، وسمح للناس بالمرور ليظهروا حزنهم، وكانت قد رافقتهُ جوقة من الباكيين، وبدأت أيام الحداد الرسمي[1].

أما طقوس الدفن عند المصريين فقد كانت تجري وسط نوع من الرقص الديني الجنائزي وقرع الدفوف، وكان الكهنة يحملون التابوت، والنسوة من أقارب الميت يندبن ويولولن، وتبدأ طقوس التشييع الأخير، حيث يسير الرجال في المقدمة، وتتبعهم النساء، وفي أثناء سير الجنازة يقوم الكهنة بقراءة التعاويذ وحرق البخور وترتيل التراتيل الحزينة، ثم يُوَدع الميت ويدفن[2].

وفي الجاهلية يُذهب به إلى الصلاة، فقد ورد أن رجلاً من قبيلة كلب قال لابنه أنهَيُكثِر من الصلاة عليه إذا هلك قَبلهُ بقوله:

اعَمْر إن هَلكتَ وكنتُ حياً ... فَإنِّي مكثرٌ لكَ في صلاتي[3]

وبعد الصلاة يكون طقس توديع الميت، إذ يقفون به ساعة قُبيل الدفن يستمتعون برؤيته، ثم يودعونه بالذكر والدعاء.

وفي ذلك قول الأفوه الأودي:

قِفُوا ساعةً فاستمتعُوا من أخيكُم ... بقربٍ وذكرٍ صالحٍ حين يُذكَرُ[4]

ثم يبدأ بسير الجنازة فيوضع الميت على "شرجع" أي السرير وهو شبيه بالتابوت، ثم يسير الرجال أمام السرير وخلفه، وتسير النساء من الخلف وفي ذلك قال عبدة بن الطيب يندب نفسه:

ولقد عَلِمت بأن قصري حُفرَةُ ... غبراءَ يَحملُني إليها شرجع[1]

طقس مكان الدفن:

---

(1) كونتينو، **الحياة اليومية في بلاد آشور**، ص294.

(2) الماجدي، **الدين المصري**، ص241-242.

(3) المبرد، محمد بن يزيد، **الكامل في اللغة والأدب**، مؤسسة المعارف، بيروت، ط1،1970، ص320.

(4) الأفوه، الأودي، **ديوانه، الطرائف الأدبية**، ص15.

(1) عبده، بن الطيب، **(ديوانه)**، شرح يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، ط1، 1971، ص50.

يدفن الفلسطينيون موتاهم في مقابر خاصة، ولكل عائلة في القرية أو في المدينة مقبرتها الخاصة بها، ومع أن الدين الإسلامي يحبذ إبعاد المقابر عن البيوت، إلا أن المعتقدات الشـعبية التـي لا تزال منتشرة بقوة لا تؤيد ذلك ففي قرية سردا كما تخبرنا الحاجة مريم "لما يكون عزيز بـدفنوه جنب الدار، كثير من أهل البلد دافنين ولادهم الصغار جنب دورهم، وفي عيلة محارب هـذول عادتهم كل مواتهم مدفونين جنب دورهم، في مغارة جنب (دار إسعَدْ) كل ما يموت حدا بـدفنوه فيها (حِسِنْ) مرَتْ المختار لما ماتت وصت ايحطوها جنب عمتها في نفس المغارة"[1].

وفي قرية أبو قـش يدفنون موتاهم بجانب البيوت حتى إن بعض البيوت قد بنيـت فوق القبور القديمة[2]. وفي البكائيات الشعبية ما يظهر دفن الأعزاء بجانب البيوت:

واقبروني باب الدار وازرعـولي داليـة	كل ما مَروا الشباب عَيّطـي يـا خايبـة
واقبروني باب الدار وازرعولي شـجرة	كل ما مَروا الشـباب عَيّطي يا مْحَسَّرة[3]

مْحَسَّرة[3]

وقد كان الموتى يدفنون قديماً تحت أرضيات المساكن والمعابد، ففي العراق وسوريا وفلسـطين ومصر دفن الموتى تحت أرضيات المنازل، كما في قرية أم الدباغيـة وقريـة حسـونة وفـي الأناضول في (شتال حيوك)، دفن الموتى تحت أرضيات المساكن[4]

طقس اتجاه الدفن:

يدفن الموتى المسلمون خاصة في فلسطين باتجاه واحد وهو القبلة رمز (الكعبة المشرفة)، ويحدد وَضُع الرأس من جهة الغرب والقدمين من جهة الشرق ويدفن على جانبه الأيمن ليكون باتجـاه

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77سنة. 2009/3/21.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(4) الماجدي، **أديان ومعتقدات**، ص 118-119.

القبلة فإذا ما قام الإنسان حسب اعتقادهم بالبعث فسيكون وجهه مقابلاً للقبلة[1].

وعن اتجاه الدفن نجد في هذه البكائية:

ديروا المخدة على نسيم الهـوى الغربـي   بيعـوا ارزاقـي واشـتروا دوا قلبـي

ديروا المخدة على نسيم الهوا يـا نـاس   بيعوا ارزاقي واشـتروا دوا للـراس[2]

وفي المعتقدات الشعبية الفلسطينية أن الشخص يُسجى في القبر، ثم كما تقول الحاجـة مـريم[3] "بِسمع الناس اللي حواليه لما يقولوا يالله فيقول يالله وبيجي تَيّقوم بتُظُرْبَه البلاطة وبِتقوله "نام يـا ما غيرك نام" بيرجع عالقبر وبنام". وقد ورد عن الرسول محمـد صـلى الله عليـه وسـلم أن الشخص يسمع حتى آخر قدم تفارقه.قال صلى الله عليه وسلم: "وإنه ليسمع قرع نعالهم"[4].

وفي البكائيات الشعبية ينادي المتوفى (الابن) أمه:

يا قبري.. يا قبري حِسْ امـي تِنـاديني   وافـتح لهـا يـا قَبِـر تيجـي تِقَبلنـي

قبري..يا قبري حِسْ امي تجوح واتنـوح   وافتح لها يا قَبِرْ تيجي عَلَيّ واتـروح[5]

وتبكيه أمه وتتحَسَّر على شبابه وجماله:

يـا رَقْبَتَـه يومِنَّـه شِـبرين حَطوهـا   يا حَسِرْتي يَمّـه فـي القبـرِ مَـدوها[6]

إن وضع الجثمان في القبر ليس كوضع أي شيء ما، فهناك قواعد معينة يجب مراعاتها، فكـل المجتمعات حديثها وقديمها اختارت وضعيات خاصة لأمواتها، انعكاساً لاعتقاد الإنسان بالبعـث والميلاد في عالم آخر، وقد اتخذ الإنسان في كثير من المجتمعات مغرب الشمس ومشرقها أساساً لدفن الموتى، ولا يزال الفلسطيني يصف الموت بالغروب.

---

(1) أحمد بوساحة، **حقيقة الموت في نظر الديانات**، الانتشار العربي، ص115.

(2) علوش، **الأغاني الشعبية**، ص301.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(4) البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برزبه، **الصحيح**، دار الفكـر، ج 2، م 1، رقـم الحديث 1838، بيروت، 1998، ص 114.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(6) المصدر السابق،2007/8/7.

فيقول:

يـــوم فـــلان مـــا طِلْعِـــت شـــمس	يـــا وجـــوه الـــزُلُم غاشـــيها العَـــبِس
يـــوم فـــلان مـــا طِلِـــع نهـــار	يـــا وجـــوه الـــزُلُم غاشـــيها الغبـــار[1]

ويحلف الفلسطيني فيقول: "وحق عوينة الشمس المغربة لطاعة ربها"[2]

وهكذا فالإنسان منذ القدم آمن بالبعث ولهذا فقد "دفن موتاه عند السومريين والبابليين والآشوريين والمصريين بوضعية الجنين، هذه الوضعية التي مارستها معظم شعوب الأرض، فالمتوفى هـو عبارة عن الجنين في بطن أمه في بطن الأرض"[3]

وكثيراً ما نعتت الأرض بالأم خاصة عند الفلسطينيين الذين يستشهدون كل يـوم علـى ترابهـا ونداءً لها.

طقس التذكير بالاسم (التلقين):

عندما يموت الإنسان تخبرنا الحاجة مريم "بحُطوا معه ورقة عليها اسمه الكامل بكتبوا أنا فـلان الفلاني ابن فلان، ديني الإسلام، وكتابي في يميني القرآن، عشان لما يسألوه الملائكـة يعـرف ايجاوب"[4]

ويسمى هذا الطقس أيضاً "التلقين"، تقول عبير من الجديرة: "لما مات أخوي ظل عمي عنده على القبر ساعتين يقرأ قرآن ويسأله عن اسمه ودينه، وهيك بعملوا عنا لازم يظل حدى على القبـر مع الميت، عمي وصى ولاده يلقنوه لما يموت وطلب من الكبير إنه يلقنه وإذا مـات -لا سـمح الله- يلقنه ابنه اللي أصغر".

ويعرف هذا الطقس عند السومريين والبابليين باسم الشومازكارو (ذكر الاسم) والمقصـود منـه قديماً تطمين الميت بأن ذكراه ما زالت قائمة بين الأحياء، وأن نوعاً من البقاء من خلال الاسـم يتحقق له.[5]

---

(1) حداد، **دراسة في المجتمع والتراث الفلسطيني**، ص 136.

(2) كنعان، **الكتابات الفلكلورية**، ص 238.

(3) بوساحة، أحمد، **حقيقة الموت في نظر الديانات**، ص 112.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا 71 سنة. 2007/8/7.

(5) الماجدي، **متون سومر**، ص330.

كما كان موجوداً عند المصريين فقد جاء في كتاب الموتى:

"لم أمت ولم يمت اسمي"[1]

طقس الأربعين:

يحد الناس في فلسطين لمدة طويلة خاصة إذا كان المتوفى عزيزاً جداً، وذكرنا سابقاً أن الحاجة مهدية صرصور من البيرة، قد حدت عشرين سنة على رئيس بلدية البيرة وابن عمها.

وفي الغالب يحد الناس أربعين يوماً ثم يقومون بذبح ذبيحة على الأربعين وإطعام الأقارب والفقراء (وهذا ليس من الإسلام بصلة) إلا أنه متبع في مدن فلسطين وقراها.

وقد كان من أهم ما يحتفل به المصريون القدماء ذكرى أربعين الميت، وقد انحدرت هذه العادة من ذكرى أسطورة "أوزوريس" عندما قتله أخوه ست ومزق جثته أربعين جزءاً وطرحها في أربعين مقاطعة، لذا فقد أقام المصريون القدماء للإله "أوزوريس" قبراً لكل جزء من جسمه، وبقيت في التحنيط لمدة أربعين يوماً ومنذ ذلك الحين والفراعنة يحنطون جثث موتاهم ويبقونها أربعين يوماً بعد معالجتها بمختلف أنواع العقاقير، ثم يشيعونها لمثواها الأخير في احتفال مهيب[2].

طقس حناء الميت:

بعد أن تسجى جثة المتوفى ترش عليها الحناء على الرجل والمرأة سواء.

ويكثر ذكر الحناء في البكائيات تفاؤلاً بالعودة والبعث:

خيمة الشهيد خَضْرَه مْخَضَّبة بْحِنا	وان ما أخذْنا بثاره ما تُصلح حياة إلنا[3]

ويقال أيضاً:

في القبر ما فشِ اشجار حنا	ولا عروس امْلَبَسي بتستنا
في القبر ما فشِ اشجار ريحا	ولا عروس امْلَبَسي وامليحا[4]

---

(1) كونتينو، **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، ص277.

(2) عبد الصمد، **عادات وتقاليد من العصور القديمة**، ص309.

(3) السلحوت، جميل، ***البكائيات في أدبنا الشعبي***، **مجلة الكاتب**، عدد (49)، 1982 /ص100.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

وقد ذكرنا سابقاً أن هذا الطقس قد مورس من أقدم العصور عندما وجدت بقايا مغرة حمراء منذ ثلاثين ألف سنة في منطقة لوسيل في فرنسا وكانت تلون بقايا جثة أنثوية إشارة إلى القوى الحيوية الكامنة في الدم وتمنياً ببعث قريب[1].

وقد سمي نبات الحناء بعشب الحياة عند المصريين القدامى، وكان يستخدم في التحنيط حيث كانت توضع كرتان صغيرتان من الحنة في الأذن اليمنى، وبين لفائف التحنيط[2].

طقس فك الوحدة:

"يعتقد الفلسطينيون أن زيارة القبر في الصباح الباكر من اليوم الذي يلي الوفاة، من شأنها أن تسلي الميت وتؤنس وحدته"[3] وهم يطلقون عليها (فك الوحدة)، إذ تكون هذه أولى ليلاته في القبر.

وفي هذا تبكيه النّدابة قائلة على لسان أمه التي كانت قد دفنته في الليلة السابقة وعادت:

وامسي الّمَسا يَمّه واحبابنا ماجوش | يا ترى بيجوا يَمّه ولا أسدّ الحوش

وامسي الّمَسا يَمّه واحبابنا غياب | مَدْري بيجوا يَمّه ولا أسدّ الباب[4]

وعندما تزوره والدته أو زوجته باكية:

لنزل على القبر واتْعَلّق بِشُباكه | بَلكيش رَدَت بلاطة من بلاطاته

وتقول أيضاً:

خذوني سياج لمقبرتكُم | بَلّقَ السيل والمطر عَنْكُمْ

والقبر ما فِشِ هوا ولا ارياح | ولا قهيوة تِشربوا يَمْلاحِ

والقبر ما فِشِ هوا ياعيني | ولا قهيوة تِشْرَبوا يا زينِ[5]

وقد اعتقد السومريون والبابليون والآشوريون والمصريون بأن الميت يعيش في القبر كما يعيش

---

(1) السواح، **دين الإنسان**، ص 139 – 153.

(2) الصيفي، **الخروج في النهار**، ص458.

(3) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص 145.

(4) مقابلة شخصية الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

في دنياه لذا زودوه بكل مستلزماته الدنيوية داخل القبر"[1].

طقس زواج الأخ من زوجة أخيه المتوفى:

ينتشر هذا الطقس في فلسطين بشكل كبير، إذ يفضل الرجل (لمَّ لحمه) كما يقول المثل الفلسطيني، كي تبقى العائلة والأسرة موحدة ومتماسكة وعادة "بتنزل المرأة خصوصي إذا كانت حامل تحت نعش جوزها وبتقول إلي هالقدِ وهالقدِ حامل بقوم أخو الزلمة الميت برمي عباته عليها يعني إنه رايد ايتجوزها عشان يقوم فيها وفي ولادها"[2].

وفي البكائيات الشعبية ما يحمل هذا المعنى:

وصــــــاني المرحــــــوم وقــــــال خُـــــــذي سِـــــــلفِك عَ العيــــــال[3]

ويجري هذا الطقس بشكل كبير في وقتنا الحاضر بسبب استشهاد الشباب الفلسطيني حديثي الزواج على أيدي جيش الاحتلال، مما يضطر أخو الشهيد وحرصاً على تماسك العائلة أن يتزوج من زوجة أخيه كي يقوم على رعايتها وأولادها.

"وقد كان هذا الطقس موجوداً في الجاهلية وبنفس الطريقة إذ كان الرجل عادةً يطرح ثوبه على أرملة أخيه بعد وفاته لإثبات حقه في أنه يرثها، وهو ما عرف بزواج الميراث"[4] كما انتشر في الجاهلية ما عرف بزواج (الضيزن) [5] أي الزواج من زوجة الأب"فكان الرجل إذا مات وترك زوجة وله أولاد منها ورث نكاحها أكبر أولاده من ضمن ما يرثه من إرث أبيه"[6]

وقد أشار الإسلام إلى هذا فقال "يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن"[7]

---

(1) انظر الماجدي، **الدين المصري**، ص 230.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة انشراح، الجديرة، 68 سنة. 2007/8/6.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.

(4) عبد الصمد، **عادات وتقاليد في العصور القديمة**، ص342.

(5) الضيزن: الشريك وهو يطلق على من يزاحم أباه في امرأته، المرجع السابق، ص 344.

(6) عبد الصمد، محمد كامل، **مفاهيم وعادات ما زالت قائمة**، مكتبة الدار العربية للكتاب، ج 2، ط1، 1985، ص44.

(7) سورة النساء من الآية (19).

طقس سقاية الميت:

لا يزال الفلسطينيون يحرصون على "ترك إبريق ماء عند القبر لاعتقادهم أن شخصاً أو طيراً قد يشرب منه، فيخفف الله عن الميت صاحب القبر عذابه"[1] وربما كان لأسباب أخرى يجهلونها فهذا الطقس قديم جداً فهو عند السومريين (المي نقو) وهو طقس سكب الماء لإرواء ظمأ الميت، وكان هذا يتم برش الماء على تراب الميت أو عن طريق أنبوب فخاري ينزل إلى القبر"[2].

"وقد عثر في أحد الأبنية العائدة للملك السومري "شولكي" ثاني ملوك سلالة أور الثالثة، على أنابيب فخارية تحت الأرض إلى الأسفل في صورة عمودية، كذلك عثر في الأضرحة الخاصة بالملوك على منافذ خاصة لهذا الغرض"[3]

أما المصريون فكانوا يدفنون مع الميت جراراً مليئة بالماء، وقد كان لزاماً على الابن الأكبر أن يقوم بمهمة تقديم الماء والطعام يومياً للميت[4].

وقد كان الأمر كذلك عند الكنعانيين "إذ يدفن مع الميت بعض المياه والطعام"[5].

وفي الجاهلية كانوا يقومون بطقس "زيارة الموتى والسلام عليهم والدعاء لهم، إذ يعمد الأحياء إلى الدعاء بالسقيا للقبر بقولهم "سقاك الغيث"، داعين السماء بإنزال الماء لترطيب القبر".

وفي ذلك قول المتلمس الضبعي[6]:

خليليَّ إما مِتُّ يوماً وزُحْزِحت	مناياكما فيما يُزَحْزِحُه الدهرُ
فَمُرا على قبري فَقُوما فَسَلِّما	وقولا سَقاكَ الغيثُ والقَطرُ يا قَبر

طقس الشاهد على القبر:

يضع الفلسطينيون شواهد على قبور موتاهم يكتب عليها اسم الشخص الميت وتاريخ وفاته.

---

(1) الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص144.

(2) الماجدي، **الدين السومري**، ص162.

(3) الماجدي، **متون سومر**، ص330.

(4) الماجدي، **الدين المصري**، ص230.

(5) الماجدي، **المعتقدات الكنعانية**، ص251.

(6) الضبعي، المتلمس، **ديوانه**، تحقيق كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، ط1، 1970، ص256.

"اشتهر السومريون والبابليون والآشوريون والمصريون بالمسلات التي تشبه شواهد القبر حيث يكتب عليها معلومات عن أصحابها الذين غالباً ما يكونون ملوكاً. منها مسلة الملك السومري نرام– سين، النصف الثاني للقرن 23 ق. م كذلك وضع الكنعانيون شواهد على قبورهم، وألواحاً جنائزية كان بعضها بصور الميت من ناحية الوجه وهو في وضع صلاة"[1].

وأيضاً مارس الأراميون هذا الطقس. فكانوا" يضعون على قبر الميت شاهدة (صلم) يكتب عليها اسم الميت.

أما عند الملوك فقد كانت الشاهدة تتضمن معلومات عن الملك" [2] ومن هذه الشواهد مسلة محفوظة في متحف اللوفر تقول: " لِ "أجبر" أكبر كاهن شُهِرَ بالنيرب هذه صلمته (شاهدته) لِصدقي قُدامه أسماني طيباً.. وأطال (حياتي) وبيوم مماتي، فمي لم ينقطع عن الكلام، وبَعيّني رأيتُ أنا أبناء الربع يبكونني... الخ"[3]

طقس تقديم القرابين:

يقدم الفلسطينيون أنواعاً مختلفة من الطعام وهم يقولون: "عن روح فلان"، سواء أكانت ذبائح وأضاحي حيوانية أو نباتية وتخبرنا الحاجة مريم[4] "كنا نعمل زلابية وملتوت نوخذها على القبور في أول خميس وعلى الأربعين وأيام العياد".

ونجد هذا واضحاً في عيد خميس البيض وتخبرنا الحاجة تمام "تكون الواحدة محوشه كيس قشر بصل وتحُطه مع البيض يصير لونه أحمر، بيجوا الوِلاّد ايقولو اعطينا بيظه وكعكة ايّدوروا ايّلفوا على الدور، بنقله خميس البيظ أو خميس الموّات"[5] ومن نصوص البكائيات الشعبية:

يا هَاليلة يا هَليلة	وضيوف عزاز هَاليلة
ويا فلان اذبح ذبيحة	لَبيّك زاير الليلة[6]

(1) دياكونوف، **تاريخ الشرق القديم**، ص322.

(2) الماجدي، **المعتقدات الكنعانية**، ص266.

(3) الماجدي، **المعتقدات الآرامية**، ص159

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(6) حَداد، **التراث والمجتمع**، ص258.

يا ظيوف الظحى مَيّلوا على الحيطـــان   عشـــاكم علـــى هـــذا لحـــم خرفـــان[1]

"ويطابق هذا اليوم "احتفال المصريين والمسيحيين والمسلمين[2] بعيد شم النسيم وعيـد الفصـح وخميس الأموات". "كان طقس تقديم الطعام عن روح الميت عند السومريين يسـمى (الكسـبا) حيث تذبح الخراف ويقدم الزيت والعطور والبخور، والنبيذ الأبـيض والفاكهـة"[3]. "وعنـد المصرين القدماء كان يذبح ثور أو بقرة أو ذبيحة النعش ويوزع لحمها علـى المشـيعين فـي الجنازة، ويتولى عادة أبن المتوفى الأكبر مهمة وضع القرابين الحيوانية والنباتيـة مـن خبـز وكعك، لكي يخفف عن والده العذاب في الحياة الأخرى"[4]. وعند الكنعـانين كـانوا يضـعون الموتى في قبور مزينه بأنصاب جنائزية، والانصاب ذبيجة بشرية أو حيوانية. وتوضـع بقايـا الذبيحة داخل جرة تدفن تحت النصـب الذي يحمل في أغلب الأحيان نقشاً مهدى للآلهة[5].

"وفي عيد الأفانزيم (Aphanisme) الكنعانـي تقام مواكب جنائزية لذكرى مـوت أدونيـس وتحمل الفتيات اللواتي يسرن خلف الكاهنات سلالاً مملؤة بالكعك"[6].

"كما كانت القرابين، النذور من غير الذبائح توضع مع الميت"[7].

وفي الآرامية يسمى القربان (قريناً) وكان يقدم بشكل حيوان وصور أخرى نباتية[8].

وفي الجاهلية من طقوسهم (العَقرُ على القبور) أي الذبح[9].

طقوس الشؤم من الميت:

تقول الحاجة حسنية "إذا مرت جنازة من جَنب الدار نقول للوحده متكنسيش مش امليح"[10].

---

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جملات، بيرزيت، 59 سنة، 2009/3/9.

(2) الصيفي، **الخروج في النهار**، ص457.

(3) الماجدي، **الدين السومري**، ص162.

(4) الماجدي، **الدين المصري**، ص243.

(5) الماجدي، **المعتقدات الكنعانية**، ص263.

(6) المرجع السابق، ص269.

(7) المرجع السابق، ص263.

(8) الماجدي، **المعتقدات الآرامية**، ص 158.

(9) المبرد محمد بن يزيد، **الكامل في اللغة والأدب**، ج2، ص 366.

(10) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة.2007/8/1.

وقد صورت البكائيات الشعبية الإيمان الشعبي الفلسطيني بقدرة الروح، فتقول الباكية:

يــا أهــل المقــابر كُلْكُــم أســيادي   مــا حَــدا مِــنكم يرُدلــي جــواب[1].

وتقول الحاجة فاطمة[2]: "مش مليح الوحدة تِقْرِظْ غربال لحدا بعد العصر".

وتخبرنا الحاجة تمام[3] "إحنا عنا فِشِ حدا بِعطي حدا سلم بعد العصريات بقولوا: مش مليح، قال بشبه نعش الميت يعني حدا بموت".

أما الحاجة مريم[4] فتقول: "إذا الواحد حِلِم في لحمة ومناسف وإنه بِقَطِع في اللحمة وبوكِل يعني في حدا رايح يموت، وإذا حلم إنّه أجا عليه الميت وأخذ إشي مِنّه مَعْناه رايح يوخذ حدا، بِصَــبِح حدا ميت في الدار، أما إذا أجا عليه الميِّت ةأعطاه إشي هاظا طولة عُمُر وخير".

وتقول أيضاً "بقولوا: إذا بَقَى نعش الميت خفيف يعني إنه قليل الذّنوب، أما إذا بَقى ثقيل، هاظــا يعني إنه حسابه عسير وذنوبه ثقال".

وتذكر لنا رشا[5] "بقولوا لما يموت واحد اكسروا وراه فُخارة خصوصي إذا بقى اختيار عشــان ما يرجع يوخذ حدا، حتى الظيف ثقيل الدم بكسروا وراه جَرّه عشان ما يرجع عليهم".

ويبدو أن الشؤم رافق الميت منذ أقدم العصور فقد " كان الإنسان البدائي يترك للميت الــدار إذا مات فيها، وقد يخرج الجثة من الدار خلال ثقب في الحائط لا من بابها، ثم يدور بها حول الدار ثلاث دورات سريعة، لكي تنسى الروح أين المدخل إلى تلك الدار فلا تعاودها أبداً"[6].

لقد خاف الإنسان البدائي من الأموات "فقد كان يُقَدم الطعام مرة كل شهر للراحل اتقاءً لأذاه أكثر منه تكريماً له"[7].

(1) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/1.
(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.
(3) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.
(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.
(5) مقابلة شخصية، رشا، بيت لقيا،23 سنة. 2007/8/5.
(6) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج1، م1، ص100.
(7) ديلابورت، ل.، **بلاد ما بين النهرين، الحضارتان البابلية والآشورية**، ترجمة محرم كمال، مراجعة عبد المنعم أبــو بكر، مكتبة الآداب، ط1، ص205.

لقد استوقفت الإنسان البدائي الأحلام، فقد دُهِش عندما رأى الموتى الذين يعلم علم اليقين أنهم ماتوا في أحلامه فقدس الروح وعبد الموتى"[1].

ومن المعتقدات البابلية، "أن روح الإنسان بعد أن تفارق الجسد، تبقى في جَوِّ البيت الذي كان يَسكنه، تأكل مما يأكل أهل البيت وتشرب مما يشربون"[2]، لذلك "كان البابليون يُكثرون من الخيرات لإله الموت، خوفاً من عودة الروح الشريرة –التي يطلقون عليها (أوتوكو)– إلى العالم"[3].

أما كسرُ جرة الفخار فهي "آخر طقوس الموت عند المصريين القدماء، وقد كان الغرض منها عدم عودة الموتى إلى بيت الأحياء ومضايقتهم"[4].

طقس النواح على الطاحونة:

تقول الحاجة أم مفيد[5]: "مِش مليح الواحد ايّحُط طاحونة عند المريض كثير، بقولوا: هاظا فال مِشْ امليح يعني إنها الوَحدة بتنوح على المريض، والنّواح وَداع وموت".

كانت الأم الفلسطينية قديماً جداً تنوح على زوجها واخوتها وأبنائها عندما كانوا يذهبون قسراً للقتال في تركيا ولا يعودون ولا يعرف مصيرهم في كثير من الأحيان.

ثم أصبحت تنوح عليهم عندما يسافرون لبلاد الغربة، أو لاستشهادهم أو اعتقالهم خلف قضبان سجون الاحتلال الإسرائيلي وهي تجلس لهذا عند الطّاحونة في طقس حزين تطحن فيه وتبكي وتنوح ومن ذلك ما تقوله:

وَانا حزينة من زَمان   جاني احْزان على احْزان
يا عين قولي اسْتَغْفَر الله   لَصْبُر على ما حكم الله[6]
يا قَلِب لَقْدَر أطولَك   لَقَطعَك وارميك
وأعَلَقَك في الهَوا   واعمل خلاصي فيك

---

(1) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج1، م1، ص100.

(2) يوسف، شريف، ***في العادات والتقاليد السومرية والبابلية***، **مجلة التراث الشعبي**، ع5، م7، 1976/ ص23.

(3) المرجع السابق، ص24.

(4) الماجدي، **الدين المصري**، ص243.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة أم مفيد، بيت دقو، 82 سنة. 2007/8/5.

(6) مقابلة شخصية، محمد نظمي، أبو شخيدم، 24 سنة، 2008/1/15.

يـــا قَلِـــبْ لقـــدر أطولـــك بِبريمـــه	واعطيك لَناس ما ينســوا الرَفَــق ديمــه[1]
يَميمتـــــي عَيّطـــي يَميمتـــي وابكـــي	على زمـــانٍ مَظـــى بَقيـــب انـــا وانـــتِ[2]
مَريت عن دارِهِـم لاَ احْكــي ولا اتكَلَــم	يَـــدَمِعْ عينـــي سَـــبَق عَ الحَجَـــر عَلَّـــم[3]

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم عيسى، دير دبوان، 2007/7/26.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة نظيرة، سردا، 84 سنة، 2009/3/21.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة عفيفة، سردا، 2009/3/21.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة في فَضاء الطقوس وجذورها والوقوف على الأدب الشعبي الذي يتضمنها، فإني قد وصلت إلى مجموعة من النتائج وهي:

أولاً: إن مفهوم الطقس هو حالة خاصة تمزج بين السلك والحركة والصورة الذهنية التي تنشأ في أثناء التفكير فيما هو قدسي ودنيوي.

ثانياً: إن مراحل حياة الإنسان بشكل عام عبارة عن مراحل عبور ثلاثة، هي الميلاد والزواج والموت، وهي تتشاكل مع الطبيعة ودورة الزراعة مما يعني وحدة الكون وهذا موجود في طقوسنا الاجتماعية وأدبنا الشعبي.

ثالثاً: إن الطقس هو ذلك الجزء من التراث الشعبي الذي يعبر عنه بواسطة الجسد وهو حالة انفعالية تُترجم إلى سلوك معين.

رابعاً: إن الطقس هو شعور فردي وجمعي ذو قواعد وأصول مرسومة بدقة متناهية، فعلى تلك المرأة – على سبيل المثال – التي تستخرج العين الحاسدة أن تشهق أثناء حرق الشبة والملح والشعير، وعليها أن تصمت وهي تسير في القرية فلا ترد السلام بينما تُمْسك بين أصابع قدمها "شرايط" سوداء وزرقاء وبيضاء في عملية طرد للعين الحاسدة التي سببت مرض الصغير.

خامساً: أن الطقس الموجود في محافظة رام الله يؤكد على وحدة التاريخ ووحدة الأرض ووحدة المشاعر والسلوك النفسي.

سادساً: أن الشعب الفلسطيني لا يزال يتمسك بهذه الطقوس، رغم معارضة الدين لها في أغلب الأحيان، فهي حركات وانفعالات لا إرادية تظهر دون وعي أو قصد، فهي مكتسبة وراسخة في أعماق النفس، تظهر فجأة ودون إنذار.

سابعاً: أن فكرة تجذير الطقوس واندماجها أمرٌ ملح للشعب الفلسطيني يعمل على تعميق شعوره بالاعتزاز، وبقيمة الإرث القادم من أعماق التاريخ.

ثامناً: أن هذه الطقوس تستحق منا الدراسة، ثم نشر النتائج لتوعية الناس بأهميتها.

تاسعاً: إن دراسة الطقوس بأسلوب واعٍ ودقيق تجعل الجيل الجديد يُجيب عن أسئلة كثيرة تخطر في باله ولا يجد لها جواباً مقنعاً.

عاشراً: أن الطقوس في التراث الشعبي لن تضيع بسبب الاحتلال، بل بسبب إغفال أبناء الشعب لأهميتها والتوقف عند تدوينها فقط، دون محاولة إحيائها في رموز كثيرة كجعلها مادة تدرس في مختلف المراحل العمرية، ثم علينا إحياء الثوب الفلسطيني المطرز بشكل متطور، وكذلك الحطة الفلسطينية بلونها الفلسطيني الأصيل، لا كما نجدها اليوم بألوان مختلفة تجعلها تحيد عن رمزيتها.

أخيراً: إن ردم الفجوة بين الماضي والحاضر يكون بنشر الوعي، وبخاصة أن أبناء الشعب الفلسطيني أصبحوا كما يَقول توفيق زياد "معاقين ثقافياً" بالنسبة لجوهر الثقافة الفلسطينية وهذه الإعاقات تزيد مع مطلع شمس كل يوم سواء بين الفلسطينيين في الشتات أو بين المقيمين على أرض الوطن ونحن بحاجة إلى برنامج "إعادة تأهيل" لهؤلاء الناس وإذا نجحنا في تنفيذ هذا المشروع فقد نأمل ببقاء الشعب الفلسطيني واحداً له هوية وثقافة موحدة.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

القرآن الكريم

العهد القديم

- إبراهيم، سلوى، **دراسات في العقلية العربية**، الخرافة، دار الحقيقة، بيروت، 1979.
- إبراهيم، نبيلة، **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، دار النهضة، القاهرة، مصر، ط2، د.ت.
- أحمد، بوساحه، **حقيقة الموت في نظر الديانات**، الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2008.
- الإختيار، نسيب، **الفلكلور الغنائي عند العرب**، المطبعة والجريدة الرسمية، بيروت، د.ط، 1955.
- الأفوه، الأودي، **ديوانه، الطرائف الأدبية**، صححه عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط1، 1937.
- إلياد، ميرسيا، **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية**، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق،د.ط، 1986.
- __________، **من ملامح الأسطورة**، ترجمة حسيب كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، د.ط، 1995.
- أنيس، حسن، وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط2، د.ت.
- الباش، حسن، **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، دار الجليل، ط1، د.ت.
- باقر، طه، **مقدمة في أدب العراق القديم**، دار الحرية، بغداد، ط1، 1976.
- البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برزبه، **الصحيح**، ج 2، م 1، دار الفكر، بيروت، 1998.
- بدج، والس، **الديانة الفرعونية**، ترجمة يوسف سامي اليوسف، دار منارات، عمان، ط1، 1985.
- _______، **آلهة المصريين**، ترجمة محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، 1998.

- بدران، سلوى إبراهيم خماش، **دراسات في العقلية العربية**، الخرافة، دار الحقيقة، بيـــروت، 1979.
- البرغوثي، عبد اللطيف، **الأغاني العربية الشعبية في فلسطين والأردن**، الشـــرق العربيـــة، القدس، د.ط، 1976.
- البستاني، بطرس، المعلم، **محيط المحيط**، مطبعة نيوبرس، لبنان، ط2، 1987.
- البيديل، م. ق، **سحر الأساطير**، ترجمة حسان ميخائيل اسحق، منشورات دار علاء الـــدين، ط1، 2005.
- تيبو، جاك روبير، **موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية**، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، ط1، 2004.
- الجوهري، **الصحاح في اللغة العربية**، تحقيق نديم مرعشلي، د.ط، د.ت.
- الجوهري، محمد، **الدراسات العلمية للمعتقدات**، دار المعرفـــة الجامعيـــة، القـــاهرة، ط1، 1988.
- ____________، **علم الفلكلور**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 1988.
- حداد، يوسف، **دراسة في المجتمع والتراث الفلسطيني**، قرية البصة، دار الأسوار، عكـــا، ط1، 1985.
- حسن، حسين الحاج، **الأسطورة عند العرب في الجاهلية**، المؤسســـة الجامعيـــة للدراســـات والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 1988.
- الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري، النيسابوري، **كتاب السلام**، باب41، دار إحيـــاء الكتـــب العربية، القاهرة، حديث رقم 2187.
- ابن حمادي، **صالح، دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية**، بوسلامة للطبـــع، تـــونس، ط2، 1983.
- حنون، نائل، **عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،د.ط، 1986.

- الحوت، محمود سليم، **في طريق المثيولوجيا عنـــد العـــرب**، دار الكتـــب، بيـــروت، د.ط، 1955.
- الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، الإدارة العامة للثقافـــة بـــوزارة التعلـــيم العالي، مصر، ط1، 1977.
- خان، محمد عبد المعيد، **الأساطير العربية قبل الإسلام**، لجنة التأليف والترجمـــة والنشـــر، القاهرة، د. ط، 1937.
- أبو خليل، شوقي، **الحضارة العربية الإسلامية**، دار الفكر، دمشق، ط1، 1994.
- الخليلي، علي، **الغول**، منشورات الرواد، القدس، ط1، 1982.
- الخنساء، تماضر بنت عمر بن الحارث، **ديوانهـــا**، شرحه وحققه عبد السلام الحرفـــي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1988.
- د. م، **قاموس الكتاب المقدس**، مكتبة مشعل، بيروت، ط6، 1981.
- دياكونوف. ي. م، **تاريخ الشرق القديم**، ج1، مراجعة محمد العلامي، دار إســـامة للنشـــر والتوزيع، فلسطين، حلحول، ط1، د.ت.
- ديرلاين، فريدريش فون، **الحكاية الخرافية**، ترجمة نبيلة إبراهيم، دار القلم، بيـــروت، ط1، 1973.
- ديلابورت، ل، بلاد ما بين النهرين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، د.ت.
- ديورانت، ول، **قصة الحضارة** ج1. م1، ترجمة زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التـــأليف والترجمة والنشر، ط3، 1965.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، وزارة المعـــارف العموميـــة، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط1، 1922.
- ربيع، وليد وآخرون، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني قرية ترمسعيا**، لجنة الأبحاث في جمعية انعاش الأسرة، البيرة، ط1، 1987.
- روست، يانا جاكوب، **صلوات وحكايات وأساطير حثية**، تعريب، قاســـم طـــوير، مطبعـــة عكرمة، دمشق، ط1، 1986.

- زكي، أحمد كمال، **الأساطير**، د.ط، د. ت.
- زيّاد، توفيق، **صور من الأدب الشعبي**، مطبعة أبو رحمون، الناصرة، ط1، 1994.
- زيعور، علي، **العقلية الصوفية ونفسانية التصوف**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1979.
- سرحان، نمر، **موسوعة الفلكلور الفلسطيني**، الطبعة الكاملة من الألف إلى الياء، عمـــان، ط2، 1989.
- سليم، أحمد أمين، **تاريخ وحضارة العراق القديم**، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، مصر، ط1، 2004.
- سليم، أحمد أمين، **دراسات في تاريخ وحضارة العراق القديم**، مكتبة البستان، الإســـكندرية، ط1، 2004.
- السواح، فراس، **الأسطورة والمعنى**، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1997.
- __________، **دين الإنسان**، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1994.
- __________، **جلجامش**، العربي للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1987.
- __________، **لغز عشتار**، دار علاء الدين، دمشق، ط5، 1993.
- __________، **مغامرة العقل الأول**، دار علاء الدين، ط15، د.ت.
- سونيرون، سريج، **الكهان في مصر القديمة**، الأهالي للطباعة والنشر، ط1، 1994.
- شلبي، رؤوف، **آلهة في الأسواق**، دراسة وتحليل في النحل والأهواء القديمـــة، دار القلـــم، الكويت، ط2، 1983.
- شمار، جورج بوين، **المسؤولية الجزائية**، في الآداب الآشورية والبابليـــة، ترجمـــة ســـليم الصوصي، دار المرشد، بغداد، د.ط، 1981.
- الشواف، قاسم، **ديوان الأساطير**، دار الساقي، بيروت، ط1، 1996.
- صالح، عبد العزيز، **الشرق الأدنى القديم**، مصر، 1971، والعراق، مكتبة الانجلو، القاهرة، ط4، 1987.
- صالح، رشدي أحمد، **الأدب الشعبي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1971.
- صدقة، حسان، **طقوس ورموز**، رياض السريس للنشر، بريطانيا، د.ط، 1989.

- الطبري، محمد بن جرير، **المجتمع الكبير**، م22، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، حديث رقم 949.
- ______________، **تفسير القرآن**، (د.ط)، (د.ت).
- الضبعي، المتلمس، **ديوانه**، تحقيق كامل، الصيرني، جامعة الدول العربية، ط1، 1970.
- عباس، إبراهيم، **معجم الأمثال الشعبية**، دار الجليل للنشر والدراسات الفلسطينية، عمان، ط1، 1998.
- عبد الحكيم، شوقي، **مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير**، دار ابن خلدون، ط1، 1978.
- ______________، **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، دار العودة، بيروت، ط1، 1988.
- عبد الصمد، محمد كامل، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ج1، مكتبة الدار العربي للكتاب، القاهرة، ط1، 1995.
- ______________، **مفاهيم وعادات غربية ما زالت قائمة**، ج2، دار العربي للكتاب، ط1، 1995.
- أبو عبد الله، أحمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي الوائلي، **مسنده**، ج2، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- ابن العبد، طرفه، **ديوانه**، شرحه الدكتور سعدي الضناوي، دار الكتاب العربي، بيروت ط1، 2004، ص45.
- عبده، الطيب، **ديوانه**، شرح يحيى الجبوري، دار الثريه، بغداد، ط1، 1991.
- عرّاف، شكري، **طبقات الأنبياء والأولياء الصالحين في الأرض المقدسة**، مكتبة ترشيحا، ط1، 1993.
- عرينطه، يسرى جوهرية، **الفنون الشعبية في فلسطين**، منشورات المجمع الثقافي، عمان، ط2، 1988.
- عزيز، كارم محمود، **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**، دار الحضارة، دمشق، ط1، 1999.

- عكاشة، ثروت، **الإغريق بين الأسطورة والإبداع**، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1977.
- علوش، موسى **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، دار موسى علوش للنشر، البيرة، ط2، 2001.
- علي، ثريا، **(العروس)**، د.م، د.ط،، 1993.
- علي، جواد، **المفصل في أديان العرب قبل الإسلام**، دار شعاع، القاهرة، ط1، 2004.
- علي، فاضل عبد الواحد، **طرق المعرفة في النصوص السماوية**، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد 25، 1979.
- العنتيل، فوزي، **الفلكلور ما هو**، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط1، 1977.
- غربال، محمد شفيق وآخرين، تا**ريخ الحضارة المصـرية**، مطبعـة النهضـة المصـرية، القاهرة، ط1. د. ت.
- غليونجي، بول، **الطب عند قدماء المصريين**، مؤسسة المعـارف والنشـر، بيـروت، ط2، د.ت.
- فرانكفورت، هـ، **ما قبل الفلسفة**، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، منشورات دار مكتبة الحياة، بغداد، ط4، 1960.
- فردليش رج، **من ديانات الأرواح الوثنية في إفريقيا والسودان**، ترجمة يوسف شـلب، دار المنار للدراسة والترجمة، الشام، ط1، 1998.
- فرويد، سيجموند، **موسى والتوحيد**، ترجمة جورج طرابيش، دار الطليعة، ط3، 1979.
- فريزر جيمس، **أدونيس أو تموز**، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسـات والنشر، ط2، 1982.
- ـــــــــــــ، **الفلكلور في العهد القديم**، ج2، ترجمة نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامـة للكتاب، د.ط، 1972.
- فريحه، أنيس، **ملاحم وأساطير من أوغاريت راس شمرا**، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1980.
- فياض، د. محمد، **المرأة المصرية القديمة**، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1995.

- الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المـحيط**، ج2، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، دار الجليل، لبنان د.ط، د.ت.
- القمني، سيد، **الأسطورة، التراث، سينا للنشر**، القاهرة، ط2، 1993.
- القيم، علي، **المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة**، الهـالي للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط2، 1997.
- كراب، الكزاندر هجرتي، **علم الفلكلور**، ترجمة رشدي صالح، وزارة الثقافة، دار الكتاب العربي، القاهرة، د. ط، 1967.
- كرامي، حسان، **المغني الأكبر**، مطبعة لبنان، بيروت، ط1. 1988.
- كريمر، صمويل نوح، **أساطير العالم القديم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1974.
- ___________، **طقوس الجنس المقدس**، ترجمة مها خياطة، دار علاء الدين للنشر، دمشق، ط2، 1993.
- كلنكل ايفيلن، **رحلة إلى بابل القديمة**، ترجمة د. زهدي الداؤوي، دار الجليل، دمشق، ط1، 1984.
- كناعنه، شريف، **الإنجاب والطفولة**، لجنة الأبحاث، جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، ط1، 1984.
- كنعان، توفيق، **الكتابات الفلكلورية**، دار علوش للطباعة، بيروت، ط1، 1998.
- كونتينو، جورج، **الحياة اليومية في آشور وبابل**، ترجمة سليم طه التركيني، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، بغداد، ط2، 1986.
- ابن اللكبي، هشام بن محمد بن السائب، **الأصنام**، القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1995.
- الماجدي، **خزعل**، **الآلهة الكنعانية**، أزمنة للنشر والتوزيع، ط1، 1999.
- ___________، **أديان ومعتقدات** ما قبل التاريخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، ط1، 1997.
- ___________، **إنجيل بابل**، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1998.

- ـــــــــــــــــ، **إنجيل سومر**، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1998.
- ـــــــــــــــــ، **بخور الآلهة**، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1998.
- ـــــــــــــــــ، **الدين السومري**، دار الشروق للنشر والتوزيـــع، رام الله، عمـــان، ط1، 1998.
- ـــــــــــــــــ، **الدين المصري**، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، (د. ط)، 1999.
- ـــــــــــــــــ، **متون سومر**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1،1998.
- ـــــــــــــــــ، **المعتقدات الآرامية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، ط1، 2000.
- ـــــــــــــــــ، **المعتقدات الإغريقية**، دار الشروق للنشر والتوزيـــع، رام الله، عمـــان، ط1، 2004.
- ـــــــــــــــــ، **المعتقدات الكنعانية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، ط1، 2000.
- المبرد، محمد بن يزيد، **الكامل في اللغة والأدب**، ج1، مؤسسة المعـــارف، بيـــروت، ط1، 1970.
- المبيض، سليم عرفات، **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**، الهيئة المصـــرية العامة، مصر، ط1، 1990.
- مظهر، سليمان، **قصة الديانات**، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، ط2، 2002.
- المنصوري، جريري، **النار في الشعر وطقوس الثقافة**، المركز الثقـــافي العربـــي، الـــدار البيضاء، ط1، 2002.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، **لسان العرب**، دار صادر، لبنان، د.ط، 1994.
- المهلهل، بن ربيعة، **ديوانه**، شرحه طلال حرب، الدار العالمية، بيروت، ط1، 1993.
- موري، نقولا موري، **كتاب الأجياز مطاري**، مطبعة القبر المقدس، القدس، د. ط، 1934.

- موسكاني سبيتينو، **الحضارات السامية القديمة**، ترجمة د. السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1957.
- ميديكو، هـ، ي، **اللآلي من النصوص الكنعانية**، ترجمة مفيد عرنوف، دار أمواج للنشر، ط2. 1988.
- نخبة من الباحثين، **حضارة العراق**، ج1- 2-3-4، دار الحرية، بغداد، ط1، 1985.
- نظير، وليم، **العادات المصرية بين الأمس واليوم**، دار الكتاب العربي، القاهرة. ط1، د.ت.
- ________، **المرأة في تاريخ مصر القديم**، مطابع دار القلم، القاهرة، ط1، 1965.
- نمر، عمر، **الملحمة الشعبية الفلسطينية**، نابلس، منشورات الدار الوطنية للطباعة، نابلس،2000.
- نور الدين، عبد الحليم، **دور المرأة في المجتمع المصري**، وزارة الثقافة، القاهرة، ط1، 1995.
- الهاشمي، رضا جواد، **حضارة العراق**، ج2، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ط1، 1985.
- وافي، عبد الواحد، **الطوطمية أشهر الديانات البدائية**، سلسلة اقرأ (194)، دار المعارف، القاهرة، د. ط، د.ت.
- ____________، **من غرائب العادات والتقاليد**، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د. ط، د. ت.
- وهبه، مجدي، **معجم المصطلحات العربية والآداب**، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984.
- يوحنا، ثابت، **الجنازات المسيحية**، منشورات سلم الميثولوجيا، جامعة الروح القدس، لبنان، د. ط، 1990.

المجلات:

- جبر، محمد سعيد، *أفراحنا الشعبية تقاليدها ودلالاتها*، مجلة التراث والمجتمع، لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني، البيرة، ع 16، نيسان، 1982.

- ربيع، وليد، *العرس الفلسطيني*، مجلة التراث والمجتمع، لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني، البيرة، ع31، نيسان 1998.
- السلحوت، جميل، *البكائيات في أدبنا الشعبي*، مجلة الكاتب، ع49، 1982.
- عثمان، علي، *المرأة من خلال المثل الشعبي الفلسطيني*، مجلة التراث والمجتمع، لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني، البيرة، ع 7، م 2، أيار 1977.
- يوسف، شريف، *في العادات والتقاليد السومرية والبابلية*، مجلة التراث الشعبي، ع5، م7، 1976.

المراجع الأجنبية:

- Campbell. Joseph. The Masks of Gods. Oriental Mythology, Penguin Books New York 1976.
- Campble. Joseph. The Masks of Gods.Primative Methology. The Vinkling press New York 1995.
- Frazer James. The Golden Bough. Perguin Books England. 1996.
- Proctor, Paul , Longman Pictionary, chales Mc. Gragor, Birut, 1990.
- Jame. Edwin O. Myth an Ritua in Ancient Near Eeast London. 1958.
- Kramer, Samuel Noah, History Begins at Sumer, University of Pen Sylvania press, 1990.
- Spence. Lewis, Anicent Egyption G. Harrap. London 1990.

المقابلات الشخصية:

- مقابلة شخصية، الحاجة سميحة، اللبن، 56 سنة. 2007/1/6.
- مقابلة شخصية، الحاجة سلمى (أم سليمان)، اللِّبَن الغربي، 59 سنة. 2007/1/6.
- مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيرزيت، 63 سنة.2007/1/6.

- مقابلة شخصية، ليلى جميل عبد الرحمن، اللبن الغربي، 52 سنة. 2007/1/6.
- مقابلة شخصية، الحاجة زهرة، قرية الجديرة، 82 سنة. 2007/1/9.
- مقابلة شخصية، الحاجة أنغام، بيرزيت، 63 سنة. 2007/1/11.
- مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الرحمن، قرية اللبن الغربي،67 سنة.2007/1/11.
- مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيرزيت، 65 سنة. 2007/1/11.
- مقابلة شخصية، أم سليمان، بيت عور، 80 سنة، 2007/1/17.
- مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.
- مقابلة شخصية، سلوى، بيت عور، 56 سنة. 2007/1/17.
- مقابلة شخصية، الحاجة صفية سمور، بيت عور،92 سنة، 2007/1/17.
- مقابلة شخصية، الحاجة صفية عبد الفتاح، دير غسانة، 80 سنة. 2007/1/25.
- مقابلة شخصية، الحاجة ربحية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/2/16.
- مقابلة شخصية، أبو مشهور، أبو شخيدم، 81 سنة. 2007/2/29.
- مقابلة شخصية، الحاجة بديعة قندح، أبو شخيدم، 60 سنة. 2007/2/29.
- مقابلة شخصية، الحاج يونس قندح أبو مشهور، أبو شخيدم، 81 سنة. 2007/2/29.
- مقابلة شخصية، الحاجة حورية، الجديرة، 84 سنة. 2007/3/27.
- مقابلة شخصية، محمد نظمي قندح، أبو شخيدم، 24 سنة.2007/4/27.
- مقابلة خاصة،الحاجة فاطمة عبد الفتاح، عين يبرود، 63 سنة.2007/7/9.
- مقابلة شخصية، الحاجة حلوة سمور، عين قينيا 75سنة. 2007/7/16.
- مقابلة شخصية، الحاجة حلوة سمور، عين قينيا 75سنة. 2007/7/20.
- مقابلة شخصية، الحاجة صفية عبد الفتاح (أم وجيه)، عين قينيا، 84سنة. 2007/7/20.
- مقابلة شخصية، الحاجة مهدية صرصور، البيرة. 86 سنة. 2007/7/25.
- مقابلة شخصية، الحاجة أم عيسى، دير دبوان، 2007/7/26.
- مقابلة شخصية، الحاجة أميرة، عين قينيا، 80سنة.2007/7/28.
- مقابلة شخصية، الحاجة ربحية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/7/28

- مقابلة شخصية، بديعة قندح، أبو شخيدم، 60سنة. 2007/7/29.
- مقابلة شخصية، الحاجة زهور قندح، أبو شخيدم، 58 سنة. 2007/7/29
- مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69سنة. 2007/7/29.
- مقابلة شخصية، الحاجة زينب، دير دبوان، 69سنة. 2007/7/29.
- مقابلة شخصية الحاج صقر عبد الله، أبو شخيدم، 90سنة. 2007/7/29.
- مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الفتاح، عين يبرود، 63 سنة، 2007/7/29
- مقابلة شخصية، السيدة عزيزة، بيت دقو، 52 سنة.2007/8/5م
- مقابلة شخصية،الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/8/1.
- مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/1.
- مقابلة شخصية الحاجة حسنية، الجيب، 81سنة. 2007/8/2.
- مقابلة شخصية، سبعية طه، بيت ريما، 84سنة. 2007/8/2.
- مقابلة شخصية، الحاجة جدية جبر حنون عصفور، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.
- مقابلة شخصية، الحاجة عديلة، سنجل، 52 سنة. 2007/8/3.
- مقابلة شخصية، إنعام عصفور، سنجل، 47 سنة. 2007/8/3.
- مقابلة شخصية، محمد عصفور، سنجل، 29 سنة 2007/8/3.
- مقابلة شخصية، الحاجة أم مفيد، بيت دقو، 82 سنة. 2007/8/5.
- مقابلة شخصية، الحاجة تمام حسن، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.
- مقابلة شخصية، الحاجة حسنية مفيد، بيت دقو، 81 سنة. 2007/8/5.
- مقابلة شخصية، رشا، بيت لقيا، 24سنة. 2007/8/5.
- مقابلة شخصية، السيدة عزيزة، بيت دقو، 52 سنة.2007/8/5م
- مقابلة شخصية، الحاجة أم زياد، الجديرة، 68 سنة. 2007/8/6.
- مقابلة شخصية، بَدْره لطفي قاسم، الجديرة، 55 سنة. 2007/8/6.
- مقابلة شخصية، الحاجة تمام حسن، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/6.
- مقابلة شخصية، الحاج تيسير الهندي، الجديرة، 69سنة. 2007/8/6.

- مقابلة شخصية، سيدة، الجديرة، 55 سنة. 2007/8/6.
- مقابلة شخصية، عبير قاسم، الجديرة، 24 سنة. 2007/8/6.
- مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/7.
- مقابلة شخصية، الحاجة مريم يونس،سردا، 71 سنة. 2007/8/7.
- مقابلة شخصية، الحاج أبو عبد الله، الجديرة، 73 سنة. 2007/8/8.
- مقابلة شخصية، الحاجة انشراح، الجديرة، 68 سنة. 2007/8/8.
- مقابلة شخصية، الحاجة إنشراح لطفي قاسم، الجديرة، 68 سنة. 2007/8/8.
- مقابلة شخصية، الحاجة رويدة لطفي قاسم، الجديدة، 56 سنة. 2007/8/8
- مقابلة شخصية، عبير قاسم، الجديرة، 24 سنة. 2007/8/8.
- مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.
- مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة 2007/8/8.
- مقابلة شخصية، الحاجة ربحية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/8/16.
- مقابلة شخصية، الحاجة لوزية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/8/16.
- مقابلة شخصية، الحاجة عفيفة أسعد، سردا، 87 سنة. 2008/1/14.
- مقابلة شخصية، السيدة ميسون أسعد، سردا، 47 سنة.2008/1/14.
- مقابلة شخصية، الحاجة نظيرة يونس، سردا، 84 سنة. 2008/1/15.
- مقابلة شخصية، الحاجة زينب شحادة، سنجل، 69 سنة. 2008/7/29.
- اتصال هاتفي، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة، 2008/8/6.
- اتصال هاتفي، الحاجة مريم، سردا،71 سنة، 2008/8/6.
- مقابلة شخصية، الحاج أحمد علي طه 87 سنة.2008/8/7.
- مقابلة شخصية،الحاج حسين أبو درويش، سردا، 90 سنة. 2008/8/7.
- مقابلة شخصية، الحاجة أم محمد، أبو قش، 77 سنة. 2008/8/7.
- مقابلة شخصية، لائقة، جامعة بير زيت، 22 سنة. 2008/10/21.
- مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/1/17.

- مقابلة شخصية، الحاجة جملات، بيرزيت، 59 سنة، 2009/3/9.
- مقابلة شخصية، الحاجة عفيفة، سردا، 2009/3/21.
- مقابلة شخصية، الحاجة نظيرة، سردا، 84 سنة، 2009/3/21.
- مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/3/23.

Social & Popular Rituals & Beliefs
in the Palestinian Literature
in Ramallah District

Prepared by:

Nidal Fakhri Taha

Supervised by:

Dr. Ihsan Al-Deek

A Thesis submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in Arabic Language , Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine

May/2009

Abstract

The social rituals represent an important part of the Palestinian folklore and literature, and the memorized oral literature which exists in the hearts and consciences of the people off spring's establishes and forms an essential core of support which preserves and keeps such rituals for long. This matter was certain for a recent time. However; today the risk of loosing this inheritance and this treasure of gold threatens our popular folklore and literature. So, the way to save our popular literature is by recording it.

Some kind of connotations and moves which accompany these rituals are hard to record, but such events are recorded in the hearts of elderly grandmothers. Thus such events will be exposed to be become extinct along with the death of grandmothers. And they are, in reality, vanishing slowly over the passing days. Eventually, this was an important stage during the study to save, record, document, and study this great inheritance. So, the study in the beginning was established by analyzing the rituals and behavior of humans. Therefore it unfolds and reveals the ambiguity of this terminology. Then, it manifested its binding through an unseen out side force, and its main cause was to seek the Creator help. The rituals and norms were flowing in a sequence from the specific moment at which human wishes to deliver. And so, this was the field of my research in its first chapter.

So, I mentioned the related sorcery traditions of rituals into which woman adopt in order to reproduce (bear a baby) or to keep her infant safe if she ever becomes pregnant. One of her rituals is to stand before a holy man

grave to offer her vows and supplication near the grave of man who was killed by oppression. Another ritual is to swallow the left over of the process of circumcising a woman. Then, I manifested the information about the killing attempts and the trials to cause apportion, which a pregnant woman believed that she may become exposed to through her pregnancy, from her evil companion. I mentioned the sorcery rituals that a woman may use to get rid of the evil companion harm or to cast her out such as, uttering strange words, sorcery made barriers of protection, superstitions, and trials of illusionary protection.

In the second chapter, the chapter of delivering, I mentioned the rituals of begotten children as, what a woman may do to facilitate this process and the accompanied sorcery superstitious traditions. I deduced that the used bath-water, through bathing the child, looks similar to holy water, the water which is used in baptisms in other religions, or as the flood water which baptize the earth to prepare it for new fertility and new production. Then I moved to describing the stages and phases of rearing up the child and what it may include out of rituals as, having a hair cut and offering a sacrifice and a dough. Also I mentioned the used popular superstitious chanting and superstitions which cast the envied eye and the evil female companion, the one that causes disease and harm. Then I mentioned the accompanied rituals for the appearance of the child teeth and the related rituals to the child walking. Finally I mentioned the circumcising stage, assured and supported by examples and popular traditional chanting.

In the third chapter, I stated the consecutive rituals that accompany the process of looking for and seeking a bride, and so I mentioned the traditions of asking her for marriage, and the description of her wedding, her hair-dying, and her sought clothing. I even reached to the stage of describing her marriage party and the sprinkle of water and the grains of barely. I was stating each ritual or norm including its related popular folklore, then I would go back to its old tales-roots which begins at the (tendril-human), at sometimes (two hundred thousands years ago_200000 B.C.), then the Roman era, and the famous Ignorance era at several times. I have used the same method in the rituals that describes death, too. Thus I mentioned the last moments of dying and the transition of a dying person between the world of life and death up to the final moment when he is declared dead. Also, I mentioned the process of washing the dead, covering him, and laying him in a coffin, then his funeral and the accompanied prayer and then laying him in the grave in a certain direction and rehearsing to him what he is suppose to say whenever he is raised up again. Further more, I mentioned the offered sacrifices to his grave, the watering of the grave, and the pessimism and created fear_ by the living humans_ from him, out of his supposed harm.

In all of these rituals, I mentioned them according to their related times and prior to their existence in the popular literature, then I compared them with the ancient rituals and I was able to reach a lot of conclusions that assures the following:

Up to this day, human still practice old rituals that belongs to hundreds of thousands of years ago, and the late new human keeps going back to his first origins and his first models , un deliberately.